بسم الله الرحمن الرحيم

مِنهاجُ السُّنَّةِ المُحَمَّدِيَّة

فِي الرَّدِّ عَلَى مِنهاجِ ابنِ تَيمِيَّة

الجُزءُ الأَوَّلُ

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة ٢٠١٤: ٥٠١

العقيلي، عبدالرحمن

منهاج السنة المحمدية في الرد على منهاج ابن تيمية / تأليف عبدالرحمن العقيلي؛ [المقدمة العلمية، محمدعلي الحلو]. - الطبعة الأولى. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٥ق. = ٢٠١٤م.

٢ج. ـ (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٤٢).

المصادر.

١. الشيعة - شبهات وردود. ٢. ابن تيمية، احمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، ٦٦١ - ٧٢٨هـ. - منهاج السنة - شبهات وردود. ٣. عقائد الشيعة - دفع مطاعن. ٤ . علي بن أبي طالب (ع)، الإمام الأول، ٢٣ ق. هـ - ٤٠ هـ. اثبات خلافة . ٥. احاديث أهل السنة - شبهات وردود. ٦ . أهل البيت عليهم السلام - دفع مطاعن. ٧ . الامامة عند الشيعة - دفع مطاعن. ألف. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، ٦٦١ - ٧٢٨هـ. - منهاج السنة. شبهات وردود. ب . الحلو، محمدعلي، ١٩٥٧ - ، مقدم. ج. العنوان. د. العنوان. منهاج السنة. شبهات وردود.

BP 212.5.A757 M36 2014

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

مِنهَاجُ السُّنَّةِ المُحَمَّدِيَّة
فِي الرَّدِّ عَلَى مِنهَاجِ ابْنِ تَيمِيَّة

عقيل كوسوي

تأليف

عبد الرحمن العقيلي

الجزءُ الأوّلُ

إصدار
شُعبة الدراسات والبحوث الإسلاميّة
في قسم الشؤون الفكريّة والثقافيّة
في العتبة الحسينيّة المقدّسة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com



الإهداء

الى الرحمة المهداة... رسول الإنسانية

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥.

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ الكهف: ٢٩.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ الكهف ٥٧

العلامة الحلي لابن تيمية:

لو كنت تعلم كل ما علم الورى	**طرا لصرت صديق كل العالم**
لكن جهلت، فقلت: ان جميع من	**يهوى خلاف هواك ليس بعالم**[1]

(١) ينسب هذان البيتان للعلامّة الحلي الذي ألّف كتاب (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة) فردَّ عليه ابن تيمية بكتاب (منهاج الاعتدال) والذي سُمّي فيما بعد (منهاج السنة النبويّة) وذلك عند تصفّح العلّامة لكتاب ابن تيميّة.

المقدمة

الحمد لله مكا يستحقه والصلاة والسلام على خير الـورى نبينـا محمـد صـلى الله عليه وآله وسلم وعلى المرتضى وصـيّه وأخيـه وعلـى بـضعته الزهـراء، وعلـى ولديه الحسنين الشهيدين، وعلى التسعة من ولد الحسين عليهم السلام أجمعين.

وبعد، فالاختلاف بين البشر وُجد من حيث وُجـد العنـصر البـشري نفـسه، فكونه ذكراً وأنثى اختلاف، وكونه عالماً وجـاهلاً اخـتلاف، وكونـه كـبيراً وصـغيراً اختلاف، وكونه صاحب أمانة او غير ذلك اختلاف. وهكذا دواليك.

وكتابنا هنا عن مجموعة نصوص لنموذج من البـشر شـاء أن لا يتـرك الحيـاة بدون أثر يحفره في ساعات عصره ومن بعدها الى يومنا هذا، بل والى ما شاء الله، ذلك هو: أحمد بن عبد الحليم، الملقب بتقيّ الدين ابن تيمية الحرّاني.

الرجل الذي خاصم أغلب أهل زمانه ولكنّه تفـرّد بكرهـه للـشيعة وموافقـه الحادة منهم واشتهر بتنقصّه لأهل البيت عليهم السلام، وبموقفه من أمـير المـؤمنين عليه السلام خاصة[1].

---

(١) الذي يظهر من تتبع كلمات السلفيّين يجد أنّهم يطبقـون مبـدأ سـب الـصحابة علـى مـن تـنقص ←

وصفات هذا الرجل لم تختلف عن صفات سلفه من الشاميين وبالأخص الحمصيين والدمشقيين والذين اشتهروا بالنصب[١] حتى كان منهم من يعمل الأوراد في ذلك فيسب أمير المؤمنين عليه السلام سبعين مرة صباحاً وسبعين مرة مساءً[٢]! فوليد هذا المجتمع الذي اشتهر بالنصب يمكن ان يؤثر ويتأثر بالتبادل السلبي بين الفرد والمجتمع الذي اشتهر بالنصب يمكن ان يؤثر ويتأثر بالتبادل السلبي بين الفرد والمجتمع المحيط به فيؤثر ويتأثر و(ثمة تساؤل مهم طالما يطرحه البحث الاجتماعي ألا وهو ملاحظة الصلة بين المجتمع والفرد من حيث انعكاس احدهما على الآخر حيث تتفاوت نظرة علماء الاجتماع في تحديد ذلك أي هل أن المجتمع

أحد الصحابة من خارج أهل البيت أمّا أهل البيت فالأمر في سعة! ومن سيقرأ الكتاب سيعرف ما أقول، يقول الشيخ عبد المحسن العبّاد «وقال الإمام أحمد بن حنبل في كتاب السنّة: ومن السنّة ذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم أجمعين والكفّ عن الذي جرى بينهم فمن سبّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو واحدا منهم فهو مبتدع رافضي، حبّهم سنّة والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة. وقال: لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ثم يستتيبه فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلَّده في الحبس حتى يتوب ويرجع» انظر: عقيدة اهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ـ عبد المحسن العبّاد ـ ص١٩ / فهل يا ترى طبقّوا هذا على ابن تيميّة الذي سيأتيك كلامه في الإمام علي عليه السلام وأصحابه.

(١) نقل عن ابن حجر قوله في ابن تيميّة «وخطّأ أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه في سبعة عشر موضعا خالف نص الكتاب. ونسبوه إلى النفاق لقوله هذا في علي كرم الله وجهه» التوفيق الرباني في الرد على ابن تيمية الحراني ـ جماعة من العلماء ـ ص ٣٤.

(٢) راجع ترجمة أزهر الحرازي، وحريز بن عثمان وباقي الشاميين في كتاب (معجم نواصب المحديث) للمؤلف.

يفرض هيمنته على الفرد أم العكس أم يتبادلان التأثير بينهما)[1].

والنصب دين ظهر مع ظهور الإسلام له تقاليده الخاصة ولكن عباداته هي عبادات الإسلام نفسها! فترى الناصبي خاشعاً في صلاته مجتهداً في صيامه محتاطاً في أحكامه إلا من بغض أهل البيت فهو عنده دين يتدين به وكيف يجمعون بين الطاعات الظاهرة وبين بغضهم لمن كانت مودة أهل بيته أجرا لرسالته[2] (فالمواظبة على الطاعات الظاهرة لا تنفع ما لم تتطهر النفس من الصفات المذمومة كالكبر والحسد والرياء، وطلب الرياسة والعلى وإرادة السوء للأقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد وفي العباد، واي فائدة في تزيين الظواهر من اهمال البواطن. ومثل من يواظب على الطاعات الظاهرة ويترك تفقد قلبه كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن).

وقصة النصب في بلاد الشام لا تنتهي فالشام منذ فتحت أعينها على الإسلام كان من قدرها أن ترى بني أمية! فكان يزيد بن أبي سفيان من الفاحين ثم والياً على فلسطين والأردن ولما توفي أقر عمر معاوية على ولاية أخيه وجمع له الشام ومن ثم أقره عثمان على ما في يده، فكان الشام أموياً لأكثر من عشرين سنة، ثم بقي خمس سنوات في ملك معاوية بعد مقتل عثمان والى استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام الى أن تسمى معاوية بالخلافة والملك فبقي عشرين سنة حتى هلاكه في العام الستين للهجرة فشاب الكهل ودرج الصغير على حب بني أمية،

(١) علم الاجتماع في ضوء المنهج الاسلامي – محمود البستاني – قم – نشر محدث ١٣٨٢ هـ – ص٧١.

(٢) جامع السعادات – محمد مهدي النراقي – انتشارات دار التفسير ١٤١٧ هـ – ج ١ – ص ٣٦ – ٣٧.

وعلى أنهم هم الإسلام، والإسلام هم، وذلك لما يقرب من مئة عشرين عاماً! اصطبغت فيها عقيدتهم بالبدع الأموية فلم يفقهوا غيرها وكان دور أئمة الضلال بارزاً في نصرة الحاكم الأموي، وفيه ظهرت أول مظاهر الحلف الطفيلي بين الأمراء والفقهاء بشكل جلي. فتجد فقهاء السلطان يفتون بلا وازع من ضمير أو خوف من معاد بكل ما يرضي السلطان، فكان منهم مشاهير في النصب والبغض منهم: رجاء بن حياة وأزهر الحرازي وحريز بن عثمان ومحارب بن دثار ولمازة بن زبار وغيرهم كثير تقصينا أسماءهم وبعض أخبارهم في مكان آخر. فكان الحاكم يحافظ على سياسة (التجهيل الهادف) والذي عزل الشام عن غيرها من الأقاليم الإسلامية، وذلك بهدف منع اختلاط اهل الشام باهل العراق مثلا لئلا يسمعوا منهم عن أهل البيت ويتحسسوا منهم التشيع! فنشأوا على هذا ومثل كل فرد يحسب الشامي أنه نشأ حرا في معتقده له أن يتركه ان ثبت ان الحق في خلافه (فالإنسان يتصور انه حر في تكفيره لأنه لا يشعر بأن ثمة عوامل كانت قد أثّرت فيه ووجهت تفكيره وأثرت في اتخاذ مواقفه من الآخرين، ولا تفيد في ذلك الأدلة العقلية والنقلية، فالعقل البشري مغلّف بغلاف سميك لا تنفذ إليه الأدلة والبراهين إلا من خلال نطاق ضيق ومحدود وهذا النطاق مؤلف من البيئة التي ينشأ عليها الإنسان في الغالب)[١].

وهذا ما نشأ عليه الشاميون وذاع في البلاد غلوهم في معاوية حتى اخترعوا له الأكاذيب من فضائل وكرامات لا أصل لها! حتى امتحن بذلك بعض المعتدلين.. مثل النسائي!

---

(١) علي الوردي- شخصيته ومنهجه وأفكاره الاجتماعية -إبراهيم الحيدري- منشورات الجمل ٢٠٠٦م - ص١٧٢.

قال ابن خلكان[١] في ترجمة المحدث عبدالرحمن النسائي (قال محمد بن اسحاق الاصبهاني سمعت مشايخنا بمصر يقولون ان أبا عبدالرحمن فارق مصر في آخر عمره، وخرج الى دمشق فسئل عن معاوية وما روي من فضائله، فقال: أما يرضي معاوية أن يخرج رأسا برأس حتى يفضل؟! وفي رواية أخرى: ما أعرف له فضيلة إلا (لا أشبع الله بطنك) وكان يتشيع فما زالوا يدفعون في حضنه حتى أخرجوه من المسجد، وفي رواية أخرى يدفعون في خصيبه وداسوه ثم حمل الى الرملة فمات بها، وقال الحافظ الحسن الدار قطني: لما امتحن النسائي بدمشق، قال: احملوني الى مكة فحمل إليها فتوفي بها وهو مدفون بين الصفا والمروة، وكانت وفاته في شعبان من سنة ثلاث وثلاثمائة وقال الحافظ ابو نعيم الاصبهاني: لما داسوه بدمشق مات بسبب ذلك الدوس وهو منقول، قال: وكان قد صنّ ف كتاب الخصائص في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأهل البيت وأكثر من رواياته فيه عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، فقيل له ألا تصنف كتابا في فضائل الصحابة رضي الله عنهم؟ فقال: دخلت دمشق والمنحرف عن علي رضي الله عنه كثير فأردت أن يهديهم الله تعالى بهذا الكتاب).

فهؤلاء الجفاة لم يحتملوا أن يكون النسائي قد ألف كتابا في خصائص أمير المؤمنين عليه السلام فأرادوا كتاباً في خصائص معاوية[٢]!

لذا فلا تعجب عندما ينقل المؤرخون قصصاً أشبه بالخيال حول ما وجده

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ ابن خلّكان ـ ج ١ ـ ص ٧٧ ـ ٧٨.

(٢) ليس غريباً أن يؤلف ابن تيميّة كتاباً باسم «قاعدة في فضل معاوية»!! جاء ذلك في كتاب «العقود الدريّة في مناقب شيخ الإسلام ابن تيميّة» وجاء بعده بقرون الشيخ الشنقيطي السلفي ليؤلف كتاب «الاحاديث النبوية في فضائل معاوية بن أبي سفيان»!.

العباسيون من جهل أهل الشام، وحبّهم لبني أمية، فقد ذكر بعضهم أن عبد الله بن علي العباسي أنفذ الى ابن أخيه السفاح في الكوفة مشيخة من أهل الشام (يطرفه بعقولهم واعتقادهم وأنهم حلفوا أنهم ما علموا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرابة يرثونه غير بني أمية حتى وليتم أنتم)[١].

ومن ذلك أن اهل الشام كانوا يحتفلون بقدوم الخوارج عليهم عندما رأوا الإمام السجاد وعقيلات بني هاشم حتى قيل لبعضهم أنهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم! روى ابن كثير[٢] عن السدي: لما جيء بعلي بن الحسين رضي الله عنه أسيرا فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة، فقال له علي بن الحسين رضي الله عنه: أقرأت القرآن؟ قال: نعم. قال أقرأت آل حم؟ قال قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم، قال ما قرأت ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: من الآية ٢٣)؟ قال: وانكم لأنتم هم؟ قال: نعم.

وكانت رواة الحديث في الشام تروي روايات النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن هند بنت عتبة! وعتبة بن ربيعة (وقد مات كافراً بسيوف بني هاشم في بدر!) نقل الزبير بن بكار[٣][٤] عن أحد المحدثين (قدم رجل من الشام من آل أبي صفرة،

---

(١) وفيّات الأعيان –ابن خلّكان– ج٦ ص١٠١.

(٢) تفسير ابن كثير – ابن كثير – ج ٤ – ص ١٢١.

(٣) قال الخطيب البغدادي «الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد، أبو عبد الله الأسدي المديني العلامة... وكان ثقة ثبتا عالما بالنسب، عارفا بأخبار المتقدمين، ومآثر الماضين، وله الكتاب المصنف في نسب قريش وأخبارهم. ولي القضاء بمكة، وورد بغداد وحدث بها» تاريخ بغداد – الخطيب البغدادي – ج ٨ – ص ٤٦٨ — ٤٦٩.

(٤) الموفّقيّات– الزبير بن بكار– ص٣٢٢.

فكان يحدث عن عتبة بن ربيعة وهند ابنة ربيعة وأبي سفيان بن حرب ومعاوية بن أبي سفيان الى أن قال لي رجل ما تقول كذا؟ فقلت: قال ابن سيرين كذا. وقال: وسألني آخر فقال: ما تقول في كذا؟ فقلت: قال الحسن... فتعرضوا إليّ وتركوه فقال: الا تعجب من هؤلاء؟ أحدّثهم عن هند وأبي هند وزوج هند وهذا يحدثهم عن عجلين من أهل ميسان فيقومون إليه ويتركونن!!).

وهكذا فعند أهل الشام تروى الأحاديث عن هند ويؤخذ عنها نصف الدين الأموي!

وكانت سياسة السلطان الأموي الغاشم ومن ورائه فقهاء الضلالة عدم ذكر أهل البيت، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب عليه السلام في أي فرع من فروع الدين بل ونسبة ما لأهل البيت لغيرهم! نقل ابو الفرج الاصفهاني عن المدائني قوله: اخبرني ابن شهاب بن عبد الله الزهري قال: قال لي خالد القسري: اكتب لي السيرة فقلت له: فإنه يمر بي الشيء من سير علي بن أبي طالب فاذكره؟ قال: لا إلا أن تراه في الجحيم![1]

ولما كان الزهري هو حامل فقه السلطة الأموية في زمانه، أو كلوا له كتابة السنة بعد أن كتب السيرة! فنراه يقول (أمرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السنن فكتبناها دفترا دفترا فبعث الى كل أرض عليها سلطان دفترا)[2].

(من هنا كان تدوين السنة أحادي المصدر والاتجاه مقتصرا على المصدر والاتجاه الذي نصره الأمويون في مطلع حكومتهم ثم عززوه متناً وسنداً في

(١) الأغاني – أبو الفرج الأصفهاني – ج٢٢– ص٢١.

(٢) جامع بيان العلم وفضله – ابن عبد البر – ص٩٢.

مشروعهم الخطير.. وطوّقوا المصدر الآخر الذي حابوه في صفين وفي كربلاء، فاتهموا متونه ورجاله كل ذلك قبل أن يولد عمر بن عبد العزيز، فكانت جهوده المخلصة من حيث يدري ولا يدري هي ثمرات ما زرعه معاوية!)[(١)].

أضف الى ذلك أنهم كانوا يقتلون حتى من يتسمى باسم علي عليه السلام، فضلاً عمن يروي عنه أو يروي له فضائله، حتى يمحوا من ذاكرة الأمة أي شيء قد يذكر بعلي بن أبي طالب لذا فمن سماه أبو باسم (علي) كان يسعى لإخفائه أو تغييره حتى ينجو من العقاب والتهمة! قال ابن حجر[(٢)] (قال الليث قال علي بن رباح: لا أجعل في حل من سماني علياً، فإن اسمي علي، وقال المرقي كان بنو أمية إذا سمعوا بمولود اسمه علي قتلوه فبلغ ذلك رباحاً فقال هو علي وكان (علي) يغضب من علي ويحرج على من سماه به).

حتى قال الامام الباقر في ذلك[(٣)] (لم نزل اهل البيت منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نذل ونقصى ونحرم ونقتل ونطرد، ووجد الكذابون لكذبهم موضعا يتقربون الى أوليائهم وقضاتهم وعمالهم في كل بلدة، يحدثون عدونا وولاتهم الماضين بالأحاديث الكاذبة الباطلة، ويحدثون ويروون عنا ما لم نقل، تهجينا منهم لنا، وكذبا منهم علينا، وتقرباً إلى ولاتهم وقضاتهم بالزور والكذب، وكان عظم ذلك وكثرته في زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام... وربما رأيت الرجل يذكر بالخير ولعله يكون ورعا صدوقا، يحدث

(١) تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي – صائب عبد الحميد – ص٧٠٥.

(٢) تهذيب التهذيب – ابن حجر – ج ٧ – ص ٢٨١/ سير أعلام النبلاء – الذهبي – ج ٥ – ص١٠٢ / تهذيب الكمال – المزي – ج ٢٠ – ص ٤٢٩.

(٣) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٢ – ص ٢١٨.

بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد مضى من الولاة، لم يخلق الله منها شيئاً قط، وهو يحسب أنها حق لكثرة من قد سمعها منه ممن لا يعرف بكذب ولا بقلة ورع، ويروون عن علي عليه السلام أشياء قبيحة، وعن الحسن والحسين عليهما السلام ما يعلم الله أنهم رووا في ذلك الباطل والكذب والزور).

ومن ذلك محو ذكر علي في الثقافة الإسلامية فأي شيء من حكم وخطب وآداب ومآثر وغير ينسبها الناس لعلي عليه السلام يجب أن تمنع أو ان تنسب لغيره[(١)]، قال ابن أبي الحديد[(٢)] في قصة كتاب علي عليه السلام لمحمد بن أبي بكر والذي حوى الآداب والفضائل مما يندر أن تجد في كتاب آخر، ما عدا كتابه لمالك الاشتر[(٣)] (قال إبراهيم بن سعد الثقفي: فحدثني عبد الله بن محمد بن عثمان عن علي بن محمد بن أبي سيف، عن أصحابه أن عليا لما كتب الى محمد بن ابي بكر هذا الكتاب، كان ينظر فيه ويتأدب بأدبه، فلما ظهر عليه عمرو بن العاص وقتله، أخذ كتبه أجمع، فبعث بها الى معاوية، فكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويتعجب

---

(١) ومن ذلك ما نسبه محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) الى ان الذي قتل عمرو بن ود العامري في الخندق كان محمد بن مسلمة وليس الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام! وقولهم ان من ولد في جوف الكعبة هو حُكيم بن حزام وليس الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام!.

(٢) قال الصفدي في الوافي بالوفيات – ج ١٨ – ص ٤٦: «عز الدين ابن أبي الحديد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد ابن أبي الحديد عز الدين أبو حامد المدائني المعتزلي الفقيه الشاعر أخو موفق الدين ولد سنة ست وثمانين وخمس مائة وتوفي سنة خمس وخمسين وست مائة وهو معدود في أعيان الشعراء وله ديوان مشهور روى عنه الدمياطي» وقال الذهبي عنه وعن اخيه الموفق «وكانا من كبار الفضلاء وأرباب الكلام والنظم والنثر والبلاغة، والموفق أحسنهما عقيدة، فإن العز معتزلي، أجارنا الله!» سير أعلام النبلاء – الذهبي – ج ٢٣ – ص ٢٧٤ — ٢٧٥.

(٣) شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد – ج ٦ – ص ٧٢.

منه، فقال الوليد بن عقبة، وهو عند معاوية، وقد رأى إعجابه به: مُر بهذه الأحاديث أن تحرق فقال معاوية: مه، لا رأي لك! فقال الوليد: أفمن الرأي أن يعلم الناس أن أحاديث أبي تراب عندك تتعلم منها! قال معاوية: ويحك! أتأمرني أن أحرق علما مثل هذا! والله ما سمعت بعلم هو أجمع منه ولا أحكم فقال الوليد: ان كنت تعجب من علمه وقضائه فعلام تقاتله؟! فقال: لولا أن أبا تراب قتل عثمان ثم أفتانا لأخذنا عنه. ثم سكت هنيهة، ثم نظر الى جلسائه فقال: إنا لا نقول: إن هذه من كتب علي بن أبي طالب عليه السلام، ولكن تقول هذه من كتب أبي بكر الصديق، كانت عند ابنه محمد فنحن ننظر فيها، ونأخذ منها. قال: فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني محمد فنحن ننظر فيها، ونأخذ منها. قال: فلم تزل تكل الكتب في خزائن بني أمية حتى ولى عمر بن عبد العزيز، فهو الذي أظهر أنها من أحاديث علي بن أبي طالب عليه السلام).

لذا قام المؤرخون الذين يقتاتون السحت بحذف كل ما من شانه أن يكون حجة على الإسلام الأموي وبأعذار مختلفة منها:

(أشياء بعضها يشنع الحديث به)[1] أو(بعض يسوء بعض الناس ذكره)[2] أو (وبعض لم يقرّ لنا فلان بروايته)[3] وبعضها (مما لا يحتمل سماعها العامة)[4].

نقل النووي عن المازري بعد نقل ألفاظ حديث مدعى لخلاف بين العباس وعلي عليه السلام (لكنا مأمورون بحسن الظن بالصحابة رضي الله عنهم أجمعين

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي – محمد هادي اليوسفي – ج ١ – ص ٢٠.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي – محمد هادي اليوسفي – ج ١ – ص ٢٠.

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي – محمد هادي اليوسفي – ج ١ – ص ٢٠.

(٤) تاريخ الطبري – الطبري – ج ٣ – ص ٥٥٧.

ونفى كل رذيلة عنهم وإذا انسدت طرق تأويلها نسبنا الكذب الى رواهًا قال: وقد حمل هذا المعنى بعض الناس على أن أزال هذا اللفظ من نسخته تورعاً عن اثبات مثل هذا)[١] فهم يزورون النسخ تورعا عن نقل خلاف بين الصحابة! وقد قال ابن حجر في الرواية نفسها (وكان الزهري كان يحدث به تارة فيصرح وتارة فيكنى وكذلك مالك وقد حذف ذلك في رواية بشر بن عمر عنه عند الإسماعيلي وغيره وهو نظير ما سبق من قول العباس لعلي وهذه الزيادة من رواية عمر عن أبي بكر حذفت من رواية اسحق الفروي شيخ البخاري)[٢].

ويقول ابن الأثير في أسباب قتل عثمان (ذكرنا سبب مسير الناس الى قتل عثمان وقد تركنا كثيرا من الاسباب التي جعلها الناس ذريعة الى قتله لعل دعت الى ذلك)[٣] فما هذه العلل؟!

ومنها قلب الحقائق لصالح خصوم أهل البيت عليهم السلام، حتى بعض الحقائق المتّفق عليها عند كبار المؤرخين وجدت من يرويها من مؤرخي الهوى الأموي كقصّة مهاجري الحبشة ومن تكلم عنهم مع وفد قريش، والمتّفق عليه انه جعفر بن ابي طالب لكننا نجد من يقول: «إنما كان يكلِّم النجاشي عثمان بن عفان رضي الله عنه»[٤]. وقد عقب ابن إسحاق على هذه الرواية الشاذة بقوله: «وليس كذلك إنما كان يكلمه جعفر بن ابي طالب»[٥].

---

(١) شرح مسلم – النووي – ج ١٢ – ص ٧٢.

(٢) فتح الباري – ابن حجر – ج ٦ – ص ١٤٤.

(٣) الكامل في التاريخ – ابن الأثير – ج ٣ – ص ١٦٧.

(٤) تاريخ الإسلام – الذهبي – ج ١ – ص ١٩٥.

(٥) سيرة ابن اسحاق– ص٢١٨.

وقد نجحت سياسة الأمويين عند بعض الأمة وأنتجت الجهل المنهج[(١)] في رؤوس الأعراب الجفاة غلاظ الطبع! فما زلت إلى الآن تجد من يقوم بقراءة التاريخ بغلظة غريبة يتحجّر معها العقل عن أداء دوره!

يقول الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وهو من أعلام السلفيين «وعلى الدعاة أن يعلموا أن ما دار بين الصحابة من حروب كعلي رضي الله عنه ومعاوية في وقعة صفين وعائشة في وقعة الجمل وغير ذلك، فمعتقد أهل السنة والجماعة أن هذه الحروب ليس الصحابة طرفا فيها، فالصحابة وجدوا أنفسهم يتقاتلون وهم لا يشعرون»[(٢)]

وهكذا ببساطة، يحكم على حروب سقط فيها أكثر من سبعين ألف مسلم

(١) في سبعينيات القرن العشرين دفعت اميركا الدمى التي تحكم في السعودية الى مواجهة الحركة الشيوعية، وطبعا ألبسوا ذلك لباس الدين فأرسلت السعودية (الدعاة) الى كل مناطق أفريقيا وآسيا لمواجهة الاتحاد السوفيتي بالوكالة عن أميركا، ومنهم أحد كبار علمائها المسمّى محمد أمان بن علي الجامي الذي عاد من سفرته الى أثيوبيا ليقول في كتاب له «إن شعب أورومو الذي قد جرب أنواع الأساليب التي يستخدمها أعداء الإسلام من صليبية حاقدة وماركسية ماكرة، سوف لا ينخدع بعد اليوم بأي أسلوب إذ "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين"، وهو شعب اكتسب دربة وخبرة من طول مدة الصراع بينه وبين الصليبية التي حاولت أن تقول أو قالت: لا وجود للإسلام في إثيوبيا، متجاهلة أن عدد المسلمين يمثل ٧٥ % من سكان الحبشة، ومتجاهلة تاريخ دخول الإسلام للحبشة، وأنه سبق المسيحية إلى المنطقة» ماذا تعرف عن شعب أورومو- محمد أمان بن علي الجامي- ص٤١٤ /والرجل كشف عن جهله بتاريخ المنطقة بل بتاريخ الإسلام فالمسلمون بهجرتهم الى الحبشة وجدوا مملكة نصرانية قويّة تعيش منذ عدة قرون في الحبشة فكيف وصل الإسلام الى الحبشة قبل النصرانيّة؟! ثم مع هذا يسمّي كتابه: ماذا تعرف عن شعب أورومو!

(٢) الأصول الشرعية عند حلول الشبهات- صالح آل الشيخ - ص ١٨.

قتلى، وعشرات الألوف مقطعة أطرافهم وترمّلت ألوف النساء، ويُتّم مئات الألوف من الأطفال، هكذا حروب مدمِّرة وجد الصحابة أنفسهم فيها من حيث لا يشعرون!! وهم قادته ومن جمع الجموع وجيّش الجيوش، فمن يعقل ذلك؟!

وهذه سياسة أمويّة درج عليها أئمة الضلال، لكون النتيجة الشرعية الطبيعية هي أن ينظر المسلم لمن تسبّب بهذه الحروب بغير حق نظرة باغٍ خارج على إمام الحق، أو ناكث شاء في لحظة طموح للسلطة أن يشعل حربا شعواء لنيل دنيا، فكانت إرادة الأمويين المدججة بالجاه والمال والرعب أن يُنظر الى كل من دخل الفتنة بأنهم أصحاب حق، خرجوا طلباً بدم عثمان ووجدوا أنفسهم في الحرب كرهاً، بفعل أتباع عبد الله بن سبأ الرافضي!

فهؤلاء السبئية هم من رمى السهام على جيش عائشة من جهة وعلى جيش علي عليه السلام من جهة أخرى ليلتحم الجيشان ويحصل ما حصل!

وكذلك في صفّين كان علي عليه السلام ضحيّة بطانته الشريرة على رأي هؤلاء، وبين طيّات السنين اندثرت حقائق كثيرة حلّت محلها أقوال لرجال وأكاذيب وترّهات يعف عن سماعها العاقل ويصدقها الجافي، قال ابن أبي الحديد[١] «روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدايني[٢] في كتاب (الأحداث) قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى

---

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١١ - ص ٤٤ - ٤٦.

(٢) قال الذهبي في ترجمة المدايني «العلامة الحافظ الصادق أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني الاخباري. نزل بغداد، وصنف التصانيف، وكان عجبا في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب، مصدقا فيما ينقله، عالي الاسناد». سير أعلام النبلاء - الذهبي - ج ١٠ - ص ٤٠٠ - ٤٠١.

شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة، وعلى كل منبر يلعنون علياً[(١)] ويبرأون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون[(٢)] وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة على وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملا من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلّا كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حينا.

(١) كان بعضهم لا يستحي من الاعتراف، يقول ابن الاشعث «سمعت أبا داود يقول: كان ابن أبي ليلى يقرئ في المسجد وعمار بن رزيق يقرأ عليه، حتى جاء شرطي فاخذ بيده فأقعده على القضاء. سمعت أبا داود يقول: التقى ابن شبرمة وابن أبي ليلى في دار الامارة فقال أحدهما لصاحبه: أما نحن فقد أكلنا من حلوائهم وملنا في أهوائهم» سؤالات الآجري لأبي داود – سليمان بن الأشعث – ج ١ – ص ٢٧٥.

(٢) سمل عينه يسملها إذا فقأها / ترتيب إصلاح المنطق – ابن السكّيت الاهوازي – ص ٢٠٤.

ثم كتب إلى عماله: أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب الا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحبّ إلي وأقرّ لعيني وادحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وأُلقي إلى معلمي الكتاتيب فعلّموا صبياهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموه بناهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البيّنة انه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اهمتوه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به، واهدموا داره، فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفة حتى إن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سرّه ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الإيمان الغليظة ليكتمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بليّة القرّاء المراؤون، والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاهم، ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون

أنها حق ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها».

وقال ابن أبي الحديد[(١)] «وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه[(٢)] وهو من أكابر المحدّثين وأعلامهم - في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية، تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم»[(٣)].

---

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١١ - ص ٤٦.

(٢) قال الذهبي «إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان العتكي الواسطي. أبو عبد الله نفطويه النحوي. قيل إنه من ولد المهلب بن أبي صفرة. سكن بغداد، وصنف تصانيف. قال الخطيب: إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي. روى عن إسحاق بن وهب العلاف، ومحمد بن عبد الملك الدقيقي، وشعيب بن أيوب، وأحمد بن عبد الجبار العطاردي، وطبقتهم. روى عنه: المعافى الجريري، وأبو بكر بن شاذان، وابن حيويه، وأبو بكر ابن المقرئ، وغيرهم. مولده سنة أربع وأربعين، وكان متفننا في العلوم. ينكر الاشتقاق ويحيله. وكان يحفظ نقائض جرير والفرزدق، وشعر ذي الرمة. وأخذ العربية عن: ثعلب، والمبرد، ومحمد بن الجهم. وخلط نحو الكوفيين بنحو البصريين. وتفقه على مذهب، أهل الظاهر، ورأس فيه. وكان دينا، ذا سنّة، ومروءة، وفتوة، وكيس، وحسن خلق. صنف: غريب القرآن، والمقنع في النحو، وكتاب البارع وغير ذلك. وله شعر رائق. توفي قبل الذي قبله بيوم واحد في صفر، كلاهما ببغداد. وله تاريخ الخلفاء في مجلدتين» تاريخ الإسلام - الذهبي - ج ٢٤ - ص ١٢٥ - ١٢٦.

(٣) ومن هذا، الحديث الذي رووه «ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حضر قالت صفية يا رسول الله لكل امرأة من نسائك أهل تلجأ إليهم وانك أجليت أهلي فإن حدث حدث فإلى من؟ قال: إلى علي بن أبي طالب. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد - الهيثمي - ج ٩ - ص ١١٢ - ١١٣ فقد رووا حديثا في قباله وهو «إن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته في شيء فأمرها بأمر فقالت: أرأيت يا رسول ان لم أجدك؟ قال: إن لم تجديني فأتي أبا بكر» مسند احمد - الإمام احمد بن حنبل - ج ٤ - ص ٨٢.

←

وبقيت هذه التعاليم طوال عقود هي المسيطرة على تفكير الأمويين خوف استيقاظ الضمير الجمعي للأمة وهو ما حدث في ثورة العباسيين والتي حدثت باسم أهل البيت عليهم السلام ولكن انتبهوا إلى أن اسم عليٍ عليه السلام لم يجر محوه

→

ومثله حديث سد الأبواب قال ابن ابي الحديد «كانت لجماعة من الصحابة أبواب شارعة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، فقال عليه الصلاة والسلام يوما: " سدّوا كل باب في المسجد إلا باب علي"، فسدّت، فقال في ذلك قوم، حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله فقام فيهم، فقال: "إن قوما قالوا في سد الأبواب وتركي باب علي، إني ما سددت ولا فتحت، ولكني أُمرت بأمر فاتبعته"» شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد – ج٩ – ص١٧٣/ فقد رووا في قباله «سدوا عنى كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر» مسند احمد – الإمام احمد بن حنبل – ج١ – ص ٢٧.

ومثله ما روي ان «الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة» مسند احمد – الإمام احمد بن حنبل – ج٣ – ص٣ فقد رووا في قبال ذلك في ابي بكر وعمر «هذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين» مسند احمد – الإمام احمد بن حنبل – ج ١ – ص ٨٠ مع أن الجنة ليس فيها كهول!! فقد رووا في الجنة انها «دار خلقها الله تبارك وتعالى بيده، فجعلها مسكنا لأوليائه، يبعثهم يوم القيامة شبابا مردا أبناء ثلاث وثلاثين سنة، فيدخلهم الجنة في نعيم وخلود. شباب لا يهرمون..». كتاب التوابين – عبد الله بن قدامه – ص ٥٨.

والمحاولات في هذا المجال ترجع اوائلها الى حياة النبي صلى الله عليه وآله، فقد رووا عن ابن عباس «لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه، كان في بيت عائشة فقال ادعوا لي عليا، قالت عائشة: ندعو لك أبا بكر؟ قال: ادعوه، قالت حفصة: يا رسول الله ندعو لك عمر؟ قال ادعوه، قالت أم الفضل: يا رسول الله ندعو لك العباس؟ قال: ادعوه، فلما اجتمعوا رفع رأسه فلم ير عليا فسكت، فقال عمر قوموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» مسند احمد – الإمام احمد بن حنبل – ج ١ – ص ٣٥٦ وجملة «رفع رأسه فلم ير عليا فسكت» تبين ان قوله المعاد «قال ادعوه» عن ابي بكر وعمر والعباس لا يصح فهو لو أرادهم لناداهم لكنه أراد علياً فقط!.

من ذاكرة الأمة فعملوا على أن يكون اسما من أسماء لا أكثر ولا أقل!روى البخاري[(١)(٢)] عن عبد الله بن عمر قال «كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم».

وكان الجانب السنّي على طول الزمان ومنذ عهد الحرب الأهلية التي اشعلها بعض الصحابة ضد الحكم الشرعي يعاني من الاختلاف بين معسكر أموي ومعسكر معتدل، فكان الأول يضخّم كل ما نسبه النواصب لعلي عليه السلام ويظهره بمظهر الثابت الصحيح، ويقلّل ما ثبت في التاريخ من مثالب غيره ويضعفوها، يقول المحدث السنّي حسن بن فرحان المالكي[(٣)] «وكذلك عثمان هنا لا تقارن أخطاؤه بما نسب لعلي من أخطاء، مع سابقة عثمان وفضله إلا أن الملحوظات الكبيرة على سياساته محل إجماع حتى من محبيه ومناصريه.. فأين مثلها في حق الإمام علي؟.... وإلا فإنه عند المقارنة لا نجد أعدل ولا أعلم من الإمام

---

(١) لمثل هذه الأحاديث نرى أن السلفيين يغالون في مرتبة البخاري يقول أحد دعاتهم «فإن الأمة قد أجمعت على صحة صحيح الإمام الموفق أبي عبد الله البخاري وعلى جلالته، ورفع درجته، وكان من أعظم الشروح عليه شرح الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني الذي سماه "فتح الباري بشرح صحيح البخاري"؛ فقد أبدع فيه، ووفق لجمع المتفرق من كلام العلماء السابقين في موضع واحد، حتى صار شرحه مُعول العلماء ومرجعَ الطلاب ومقصد الباحثين. ولم يعكر صفو ذلك سوى بعض المخالفات العقدية التي عظمت من مثل الحافظ الكبير ابن حجر العسقلاني، وأشغب بها عليه بعض الأغمار فطرحوا سفره النفيس هذا، وأهملوه وربما أهانوه» التنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري / علي بن عبد العزيز بن علي الشبل.

(٢) صحيح البخاري - البخاري - ج ٤ - ص ٢٠٣.

(٣) حديث الدبيلة - حسن بن فرحان المالكي- ص ١٥٨.

علي، لكن عندما نجدهم يلزمون علياً بكل جرائم معاوية فهنا لابد من تنبيههم ليقفوا عند حدود الأدب، نحن نهمل كثيراً الرد على غلوّ البكرية والعمرية والعثمانية، الذين يبالغون في تفضيل أبي بكر وعمر وعثمان على علي في كل شيء حتى الشجاعة! نسكت عن هذا كله، ولا نرد ولا نحب أو لا نتحمس أن ندخل في هذه المقارنات بين الكبار، إلا اضطراراً. أما أن يأتوا بمعاوية ويزيد وأمثالهم ويلزمون الإمام علي بجرائمهم ونفاقهم؟ فهذه كبيرة في حق أمير المؤمنين».

وكلما وُجد حكام ظلمة عتاة وُجد بقربهم من يبيع لهم ضميره بحفنة دنانير، من فقهاء الضلالة وأصحاب رايات الظلم والغدر، ومن هؤلاء أحد أبرز قادة الضلال الذي تصدى له بعض فقهاء عصره بسبب مواقفه الشاذة من كثير من الأمور ومنه موقفه من أهل البيت عليهم السلام وهو الشيخ ابن تيمية... صاحب كتاب «منهاج الاعتدال في الرد على الشيعة القدرية» والذي سمّاه أتباعه «منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية» وهذا الرجل الذي حكم عليه علماء الأشاعرة بالبدعة والزندقة والكفر والنصب، انتصر له شرذمة من المتحجّرين، نشروا أفكاره وعقيدته بعدما كادت تندثر بفعل تصدّي علماء الأشاعرة، قال الشيخ سفر الحوالي في نقده للأشاعرة «حسبك تكفيرهم واضطهادهم لشيخ الإسلام وهو ما لم يفعله أهل السنة بعالم أشعري قط... ولولا الإطالة لأوردت بعض ما تصرح به كتب عقيدهم من اهامه بالزندقة والكفر والضلال»[1]

وقد جاهد ابن تيمية ليُري القاريء بأنه في كتابه قدم نظرة أهل السنّة لعلي

(١) منهج الأشاعرة في العقيدة ــ الشيخ الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي ــ ص ٦.

بن أبي طالب، بينما يرى القاريء المحايد بين سطور ما كتبه ابن تيميّة في أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه انتقاص ظاهر، وطعن سافر في شخص علي بن أبي طالب عليه السلام، لا يمثّل ما يراه أهل السنّة[1] في علي عليه السلام، بل يجد أنفاس تلك المدرسة الأمويّة التي ظلت على الدوام تطلّ برأسها كلّما وجدت منافقاً عليم اللسان مستعدا لبيع آخرته إذا رضخت له رضيخة! فابن تيمية لم يجد فضيلة ذكرها العلّامة الحلّي إلا طمسها، وأنكرها، أو شكّك فيها، حتى رد عليه من رد من علماء أهل السنة بسبب ذلك وستجد أن بعض المعاصرين من السلفية مثل الألباني[2] يتعجب من تضعيف ابن تيمية لأحاديث صحيحة خالية من العلل.

---

(١) المقصود من أهل السنة هنا ما يقابل الشيعة فالمعروف أن الوهابية تصنف الناس إلى أهل سنة بالمعنى الأخص وهم الوهابية فقط! والى اهل السنة بالمعنى الأعم -وهم من شارك الوهابية بعقيدتهم بأبي بكر وعمر وعثمان - وهؤلاء مبتدعة هم وباقي الفرق الإسلامية كالشيعة والمعتزلة وغيرهم، يقول سفر الحوالي (أحد أئمتهم) في كتابه «منهج الأشاعرة في العقيدة»: «من خلال استعراضي لأكثر أمهات كتب الأشاعرة وجدت أن موضوع الصحابة هو الموضوع الوحيد الذي يتفقون فيه مع أهل السنة والجماعة، وقريب منه موضوع الإمامة، ولا يعني هذا الاتفاق التام: بل هم مخالفون في تفصيلات كثيرة،... تبين مما تقدم أن الأشاعرة فرقة من الثنتين والسبعين فرقة، وان حكم هذه الفرق الثنتين والسبعين هو: الضلالة والبدعة و الوعيد بالنار، وعدم النجاة». منهج الأشاعرة في العقيدة - ص ٣٠.

(٢) من يقرأ للسلفيين المحدثين ينتبه وبسرعة لما عليه شيوخهم من الاهتمام بالردود، حتى على أصغر المسائل، فيما بينهم وبينهم وبين غيرهم كالأشاعرة، وتفسيقهم واستعمال أساليب عنيفة في التجريح، لذا تجد كثيرا منهم ينساقون جبرا لهذا الأسلوب مع الخشية من مضاعفاته فضلا عن الأشاعرة الذين يخشون السلفيين والسنتهم السليطة، لذا تجد مثلا رأس الأشاعرة في عصرنا (الشيخ يوسف القرضاوي) نادرا ما يسمّي السلفيين باسمهم ويوجّه خطابا لهم لخشيته منهم فاقرأ مثلا قوله «ومثل ذلك من يسأل عن آيات الصفات مثل (على العرش استوى) ←

ولو أردنا أن نختصر رأي ابن تيميّة في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فنقول إن ابن تيميّة لم يجد لعلي فضيلة اختصَّ بها قط!.

فهو عندما يناقش الروايات الواردة في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فهو إمّا يكذبها إذا وجد لذلك سبيلا (وحتى لو كان على حساب مسلمات أخرى لديه!) وإما يفرغّها من محتواها، ويذهب بها في وادٍ أخر وبالتالي لا تكون فيها مزيّة لعلي عليه السلام، وإما يأتي بفضيلة (مزعومة) لغيره تشبهها فيضخّمها ويقلل من شأن فضيلة علي عليه السلام، وبالتالي فما مزية علي عليه السلام ولماذا كان عندهم خليفة رابعاً؟! هذا ما سيحيّر أهل السنة ممن سيقرأ له أساليبه الملتوية[1] في التقليل من شأن علي عليه السلام، وكل من يقرأ كتب ابن تيميّة بشيء من الإنصاف سيجد ما فعله ابن تيمية بما يسميّه جمهور المسلمين بأحاديث الفضائل، وبما نسميها روايات الفضائل والمقامات ودلائل النص والإمامة، بأنها فعلة نكراء لم يحتملها حتى أهل السنة فوصفه بعضهم بالزندقة والنفاق والنصب

وأحاديث الصفات، (ينزل ربنا كل ليلة ...) ويريد أن يسعِّر حربا بين دعاة السلفية، وأتباع الأشاعرة والماتريدية. فمع أني أؤمن بمذهب السلف، وأراه أسلم وأعلم وأحكم، لا أحب أن أفتت الجبهة الإسلامية الداخلية حول خلافات جزئية، وهي تحارب أعداء كثرا مدججين بكل سلاح، من يهود ماكرين، وصليبيين حاقدين، وشيوعيين ملحدين، ومستعمرين طامعين، ومرتدين مارقين» فتاوى معاصرة – يوسف القرضاوي.

(١) كل منصف سيلاحظ هذه الأساليب الماكرة، يقول سعيد عبد اللطيف فودة وهو من أهل السنّة «وابن تيمية هو واحد من دعاة التجسيم كما أراه، ولكنه يتميز عمن سبقه ومن تبعه بحسن التدبير لدعوته لذلك، وكثرة الاطلاع واستعمال اساليب كلامية عجيبة يحتار معها من لم يتقن فهم مذهبه، وقد قام عليه كبار العلماء..». الكاشف الصغير عن عقائد ابن تيمية– سعيد عبد اللطيف فودة – ص١٦.

والكفر[١].

ولم أجد من جميل الكلام فيما قيل في علي عليه السلام على لسان أهل السنة أروع مما قاله ابن أبي الحديد في شرحه لكتاب نهج البلاغة إذ يقول في سعة علمه ورجوع الأمّة إليه[٢] «أما فضائله عليه السلام، فإنها قد بلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغا يسمج معه التعرض لذكرها، والتصدي لتفصيلها، فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد: رأيتني فيما أتعاطى من وصف فضلك، كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر، الذي لا يخفى على الناظر، فأيقنت أني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز، مقصِّر عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الأخبار عنك إلى علم الناس بك. وما أقول في رجل أقرَّ له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه، ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيله في إطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعدوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة، أو يرفع له ذكرا، حتى حظروا أن يسمّى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعه وسموا، وكان كالمسك كلما سُتر انتشر عرفه، وكلما كُتم تضوع نشره، وكالشمس لا تُستر بالراح، وكضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة، أدركته عيون كثيره! وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة، وتنتهي إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عذرها، وسابق

---

(١) راجع: منهج الأشاعرة في العقيدة–سفر بن عبد الرحمن الحوالي– ص١٥ الهامش.

(٢) شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد – ج ١ – ص ١٦ – ٢٣.

مضمارها، ومجلي حلبتها، كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى. وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم. ومن كلامه عليه السلام اقتبس، وعنه نقل، وإليه انتهى، ومنه ابتدأ فإن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل، وأرباب النظر، ومنهم تعلم الناس هذا الفن - تلامذته وأصحابه، لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذه عليه السلام. وأما الأشعرية فإنهم ينتمون إلى أبي الحسن علي بن "إسماعيل بن" أبي بشر الأشعري، وهو تلميذ أبي علي الجبّائي، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة، فالأشعرية ينتهون بأخرة إلى أستاذ المعتزلة ومعلمهم وهو علي بن أبي طالب عليه السلام. وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر.

ومن العلوم: علم الفقه، وهو عليه السلام أصله وأساسه، وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه، أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما، فأخذوا عن أبي حنيفة، وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن، فيرجع فقهه أيضا إلى أبي حنيفة، وأما أحمد بن حنبل، فقرأ على الشافعي فيرجع فقهه أيضا إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد عليه السلام، وقرأ جعفر على أبيه عليه السلام، وينتهي الامر إلى علي عليه السلام. وأما مالك بن أنس، فقرأ على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عكرمة، وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس، وقرأ عبد الله بن عباس على علي بن أبي طالب، وإن شئت رددت إليه فقه الشافعي بقراءته على مالك كان لك ذلك، فهؤلاء الفقهاء الأربعة. واما فقه الشيعة: فرجوعه إليه ظاهر، وأيضا فإن فقهاء الصحابة كانوا: عمر بن الخطاب

وعبد الله بن عباس، وكلاهما أخذ عن علي عليه السلام. أما ابن عباس فظاهر، وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرة: لولا علي لهلك عمر، وقوله: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن. وقوله: لا يفتيَن أحد في المسجد وعلي حاضر، فقد عرف بهذا الوجه أيضا انتهاء الفقه إليه. وقد روت العامة والخاصة قوله صلى الله عليه وآله: أقضاكم علي، والقضاء هو الفقه، فهو إذا أفقههم. وروى الكل أيضا أنه عليه السلام قال له وقد بعثه إلى اليمن قاضيا: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه" قال: فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين، وهو عليه السلام الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر، وهو الذي أفتى في الحامل الزانية، وهو الذي قال في المنبرية: صار ثمنها تسعا. وهذه المسألة لو فكّر الفرضيُّ فيها فكرا طويلا لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنك بمن قاله بديهة، واقتضبه ارتجالا.

ومن العلوم: علم تفسير القرآن، وعنه أُخذ، ومنه فرِّع. وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحّة ذلك، لأن أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له، وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه وخريجه. وقيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطره من المطر إلى البحر المحيط. ومن العلوم: علم الطريقة والحقيقة، وأحوال التصوف، وقد عرفت أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام، إليه ينتهون، وعنده يقفون، وقد صرح بذلك الشبلي، والجنيد، وسري، وأبو يزيد البسطامي، وأبو محفوظ معروف الكرخي، وغيرهم. ويكفيك دلالة على ذلك الخرقة التي هي شعارهم إلى اليوم، وكونهم يسندونها بإسناد متصل إليه عليه السلام.

ومن العلوم: علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافه أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه، وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله، من جملتها الكلام كله ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف. ومن جملتها: تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات، لأن القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط.

وإن رجعت إلى الخصائص الخلقية والفضائل النفسانية والدينية وجدته ابن جلاها وطلّاع ثناياها. وأما الشجاعة: فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فرَّ قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحدا إلا قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية، وفي الحديث (كانت ضرباته وترا)، ولما دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو: لقد أنصفك، فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم! أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق! أراك طمعت في إمارة الشام بعدي! وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر، قالت أخت عمرو بن عبد ود ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته أبدا ما دمت في الأبد

لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى أبوه بيضة البلد

وانتبه يوما معاوية، فرأى عبد الله بن الزبير جالسا تحت رجليه على سريره، فقعد، فقال له عبد الله يداعبه: يا أمير المؤمنين، لو شئت أن أفتك بك لفعلت،

فقال: لقد شجعت بعدنا يا أبا بكر، قال: وما الذي تنكره من شجاعتي وقد وقفت في الصف إزاء علي بن أبي طالب! قال: لا جرم إنه قتلك وأباك بيسرى يديه، وبقيت اليمنى فارغة، يطلب من يقتله بها.

وجملة الأمر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينتهي، وباسمه ينادى في مشارق الأرض ومغاربها. وأما القوة والأيد: فبه يُضرب المثل فيهما، قال ابن قتيبة في (المعارف): ما صارع أحدا قط إلا صرعه. وهو الذي قلع باب خيبر، واجتمع عليه عصبه من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه، وهو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة، وكان عظيما جدا، وألقاه إلى الأرض. وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته عليه السلام بيده بعد عجز الجيش كله عنها، وأنبط الماء من تحتها.

وأما السخاء والجود: فحاله فيه ظاهرة، وكان يصوم ويطوي ويؤثر بزاده، وفيه أنزل:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً(٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً ﴾ (الانسان٨-٩).

وروى المفسرون أنه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم ليلا، وبدرهم نهارا، وبدرهم سرا، وبدرهم علانية، فأنزل فيه:

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً ﴾ (البقرة: من الآية٢٧٤).

وروي عنه أنه كان يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة، حتى مجلت يده، ويتصدّق بالأجرة، ويشدُّ على بطنه حجرا. وقال الشِعبي وقد ذكره عليه السلام: كان أسخى الناس، كان على الخلق الذي يحبه الله: السخاء والجود، ما قال: (لا) لسائل قط.

وقال عدوُّه ومبغضه الذي يجتهد في وصمه وعيبه (معاوية بن أبي سفيان) لمحفن بن أبي محفن الضبي لما قال له: جئتك من عند أبخل الناس، فقال: ويحك "! كيف تقول إنه أبخل الناس، لو ملك بيتا من تبر وبيتا من تبن، لأنفد تبره قبل تبنه. وهو الذي كان يكنس بيوت الأموال ويصلّي فيها، وهو الذي قال: يا صفراء، ويا بيضاء، غري غيري. وهو الذي لم يخلف ميراثا، وكانت الدنيا كلها بيده إلا ما كان من الشام.

وأما الحلم والصفح: فكان أحلم الناس عن ذنب، وأصفحهم عن مسيء، وقد ظهر صحة ما قلناه يوم الجمل، حيث ظفر بمروان بن الحكم – وكان أعدى الناس له، وأشدَّهم بغضا – فصفح عنه. وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد، وخطب يوم البصرة فقال: قد أتاكم الوغد اللئيم علي بن أبي طالب – وكان علي عليه السلام يقول: ما زال الزبير رجلا منا أهل البيت حتى شب عبد الله – فظفر به يوم الجمل، فأخذه أسيرا، فصفح عنه، وقال: اذهب فلا أرينك، لم يزده على ذلك. وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة، وكان له عدوا، فأعرض عنه ولم يقل له شيئا. قد علمتم ما كان من عائشة في أمره، فلما ظفر بها أكرمها، وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عمَّمهن بالعمائم، وقلَّدهن بالسيوف، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به، وتأففت وقالت: هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهن، وقلن لها: إنما نحن نسوة. وحاربه أهل البصرة وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف، وشتموه ولعنوه، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم، ونادى مناديه في أقطار العسكر: ألا لا يُتبع مولٍ، ولا يُجهز على جريح، ولا يُقتل مستأسر، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن تحيّز إلى عسكر

الإمام فهو آمن. ولم يأخذ أثقالهم، ولا سبى ذراريهم، ولا غنم شيئا من أموالهم، ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل، ولكنه أبى إلا الصفح والعفو، وتقبل سنة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة، فإنه عفا والأحقاد لم تبرد، والإساءة لم تُنس. ولما ملك عسكر معاوية عليه الماء، وأحاطوا بشريعة الفرات، وقالت رؤساء الشام له: اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشا، سألهم علي عليه السلام وأصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء، فقالوا: لا والله، ولا قطرة حتى تموت ظمأ كما مات ابن عفان، فلما رأى عليه السلام أنه الموت لا محالة تقدم بأصحابه، وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة، حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع، سقطت منه الرؤوس والأيدي، وملكوا عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية في الفلاة، لا ماء لهم، فقال له أصحابه وشيعته: أمنعهم الماء يا أمير المؤمنين، كما منعوك، ولا تسقهم منه قطرة، واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضا بالأيدي فلا حاجه لك إلى الحرب، فقال: لا والله لا أكافئهم بمثل فعلهم، إفسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حدِّ السيف ما يغني عن ذلك. فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصفح فناهيك بها جمالا وحسنا، وإن نسبتها إلى الدين والورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام!.

وأما الجهاد في سبيل الله: فمعلوم عند صديقه وعدوه أنه سيد المجاهدين، وهل الجهاد لأحد من الناس إلا له! وقد عرفت أن أعظم غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وأشدها نكاية في المشركين بدر الكبرى، قُتل فيها سبعون من المشركين، قتل علي نصفهم، وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر. وإذا رجعت إلى مغازي محمد بن عمر الواقدي وتاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحَّة ذلك، دع من قتله في غيرها كأحد والخندق

وغيرهما، وهذا الفصل لا معنى للإطناب فيه، لأنه من المعلومات الضرورية، كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوهما.

وأما الفصاحة: فهو عليه السلام إمام الفصحاء، وسيد البلغاء، وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين. ومنه تعلَّم الناس الخطابة والكتابة، قال عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع، ففاضت ثم فاضت. وقال ابن نباتة: حفظت من الخطابة كنزا لا يزيده الإنفاق إلا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب. ولما قال محفن بن أبي محفن لمعاوية: جئتك من عند أعيا الناس، قال له: ويحك! كيف يكون أعيا الناس! فوالله ما سنَّ الفصاحة لقريش غيره، ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالة على أنه لا يجارى في الفصاحة، ولا يبارى في البلاغة. وحسبك أنه لم يدون لأحد من فصحاء الصحابة العشر، ولا نصف العشر مما دون له، وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب (البيان والتبيين) وفي غيره من كتبه. وأما سجاحة الأخلاق، وبشر الوجه، وطلاقة المحيّا، والتبسّم: فهو المضروب به المثل فيه حتى عابه بذلك أعداؤه، قال عمرو بن العاص لأهل الشام: أنه ذو دعابة شديدة. وقال علي عليه السلام في ذاك: عجبا لابن النابغة! يزعم لأهل الشام أن في دعابة، وأني امرؤ تلعابة، أعافس وأمارس! وعمرو بن العاص إنما أخذها عن عمر بن الخطاب لقوله له لما عزم على استخلافه: لله أبوك لولا دعابة فيك! إلا أن عمر اقتصر عليها، وعمرو زاد فيها وسمجها. قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه: كان فينا كأحدنا، لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد، وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه. وقال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أبا حسن، فلقد كان هشّا بشّا، ذا

فكاهة، قال قيس: نعم، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يمزح ويبتسم إلى أصحابه، وأراك تسر حسوا في ارتغاء، وتعيبه بذلك! أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد مسّه الطوى، تلك هيبة التقوى، وليس كما يهابك طغام أهل الشام!. وقد بقي هذا الخلق متوارثا متناقلا في محبيه وأوليائه إلى الآن، كما بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر، ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك[١].

وأما الزهد في الدنيا: فهو سيّد الزهّاد، وبدل الأبدال، وإليه تُشد الرحال، وعنده تنفض الأحلاس، ما شبع من طعام قط. وكان أخشن الناس مأكلا وملبسا، قال عبد الله بن أبي رافع: دخلت إليه يوم عيد، فقدم جرابا مختوما، فوجدنا فيه خبز شعير يابسا مرضوضا، فقدم فأكل، فقلت: يا أمير المؤمنين، فكيف تختمه؟ قال: خفت هذين الولدين أن يلتّاه[٢] بسمن أو زيت. وكان ثوبه مرقوعا بجلد تارة، وليف أخرى، ونعلاه من ليف. وكان يلبس الكرباس الغليظ، فإذا وجد كمّه طويلا قطعه بشفرة، ولم يخطه، فكان لا يزال متساقطا على ذراعيه حتى يبقى سدى لا لحمة له، وكان يأتدم إذا ائتدم بخل أو بملح، فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل، ولا يأكل اللحم إلا قليلا، ويقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان. وكان مع ذلك أشدّ الناس قوة وأعظمهم أيدا، لا ينقض الجوع قوته، ولا يخون الإقلال منته. وهو

---

(١) رحم الله ابن أبي الحديد، كأنّه ينظر الى جمال الأخلاق وهيبة التقوى عند علماء الشيعة ووعورة الأخلاق والخشونة والجفاء عند الوهابيّة عندما قال قوله هذا!

(٢) اللتّ: الدقّ، والشدّ، والإيثاق، والفتّ، والسحق / القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ج١، ص١٥٦.

الذي طلق الدنيا وكانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلا من الشام، فكان يفرقها ويمزقها، ثم يقول: هذا جناي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه.

وأما العبادة: فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوما، ومنه تعلم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد وقيام النافلة، وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير، فيصلي عليه ورده، والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه يمينا وشمالا، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته! وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده. وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمنه من الخضوع لهيبته، والخشوع لعزته والاستخذاء له، عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أي قلب خرجت، وعلى أي لسان جرت!. وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام ـ وكان الغاية في العبادة: أين عبادتك من عبادة جدك؟ قال: عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وأما قراءته القرآن واشتغاله به: فهو المنظور إليه في هذا الباب، اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يكن غيره يحفظه، ثم هو أول من جمعه، نقلوا كلهم أنه تأخر عن بيعة أبي بكر، فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنه تأخر مخالفة للبيعة، بل يقولون: تشاغل بجمع القرآن فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن، لأنه لو كان مجموعا في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لما احتاج إلى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته صلى الله عليه وآله. وإذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه، كأبي عمرو بن العلاء وعاصم بن أبي النجود وغيرهما، لأنهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمي القارئ، وأبو عبد الرحمن كان تلميذه، وعنه أخذ القرآن، فقد صار هذا

الفن من الفنون التي تنتهي إليه أيضا، مثل كثير مما سبق.

وأما الرأي والتدبير: فكان من أسدّ الناس رأيا، وأصحِّهم تدبيرا، وهو الذي أشار على عمر بن الخطاب لما عزم على أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار. وهو الذي أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها، ولو قبلها لم يحدث عليه ما حدث. وإنما قال أعداؤه: لا رأي له، لأنه كان متقيدا بالشريعة لا يرى خلافها، ولا يعمل بما يقتضي الدين تحريمه. وقد قال عليه السلام: لولا الدين والتقى لكنت أدهى العرب. وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه ويستوقفه، سواء أكان مطابقا للشرع أم لم يكن. ولا ريب أن من يعمل بما يؤدي إليه اجتهاده، ولا يقف مع ضوابط وقيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه، تكون أحواله الدنيوية إلى الانتظام أقرب، ومن كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيوية إلى الانتثار أقرب.

وأما السياسة: فإنه كان شديد السياسة، خشنا في ذات الله، لم يراقب ابن عمه في عمل كان ولاه إياه، ولا راقب أخاه عقيلاً في كلام جبَّهه به. وأحرق قوما بالنار، ونقض دار مصقلة بن هبيرة ودار جرير بن عبد الله البجلي، وقطع جماعة وصلب آخرين. ومن جملة سياسته في حروبه أيام خلافته بالجمل وصفين والنهروان، وفي أقل القليل منها مقنع، فإن كل سائس في الدنيا لم يبلغ فتكه وبطشه وانتقامه مبلغ العشر مما فعل عليه السلام في هذه الحروب بيده وأعوانه.

فهذه هي خصائص البشر ومزاياهم قد أوضحنا أنه فيها الإمام المتبع فعله، والرئيس المقتفى أثره. وما أقول في رجل تحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة، وتعظّمه الفلاسفة على معاندهم لأهل الملَّة، وتصوِّر ملوك الفرنج والروم صورته في بِيَعِها وبيوت عباداها، حاملاً سيفه، مشمرا لحربه، وتصوِر ملوك الترك والديلم

صورته على أسيافها! كان على سيف عضد الدولة بن بويه وسيف أبيه ركن الدولة صورته، وكان على سيف ألب أرسلان وابنه ملكشاه صورته، كأنهم يتفاءلون به النصر والظفر. وما أقول في رجل أحب كل واحد أن يتكثر به، وود كل أحد أن يتجمّل ويتحسن بالانتساب إليه، حتى الفتوة التي أحسن ما قيل في حدها: ألا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك، فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه، وصنّفوا في ذلك كتبا، وجعلوا لذلك إسنادا أنهوه إليه، وقصروه عليه وسموه سيد الفتيان، وعضدوا مذهبهم إليه بالبيت المشهور المروي، انه سمع من السماء يوم أحد: لا سيف إلا ذو الفقا ر ولا فتى إلا علي.

وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيد البطحاء، وشيخ قريش، ورئيس مكة، قالوا: قلَّ أن يسود فقير، وساد أبو طالب وهو فقير لا مال له، وكانت قريش تسميه الشيخ. وفي حديث عفيف الكندي، لما رأى النبي صلّى الله عليه وآله يصلّي في مبدأ الدعوة، ومعه غلام وامرأة، قال: فقلت للعباس أي شيء هذا؟ قال: هذا ابن أخي، يزعم أنه رسول من الله إلى الناس، ولم يتبعه على قوله إلا هذا الغلام - وهو ابن أخي أيضا - وهذه ألامرأة، وهي زوجته. قال: فقلت: ما الذي تقولونه أنتم؟ قال: ننتظر ما يفعل الشيخ - يعني أبا طالب. وأبو طالب هو الذي كفل رسول الله صلى الله عليه وآله صغيرا، وحماه وحاطه كبيرا، ومنعه من مشركي قريش، ولقي لأجله عنتا عظيما، وقاسى بلاء شديدا، وصبر على نصره والقيام بأمره. وجاء في الخبر أنه لما توفي أبو طالب أوحي إليه عليه السلام وقيل له: اخرج منها، فقد مات ناصرك. وله مع شرف هذه الأبوة أن ابن عمه محمد سيد الأولين والآخرين، وأخاه جعفر ذو الجناحين، الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: (أشبهت خلقي وخلقي) "فمر يحجل فرحا. وزوجته سيدة نساء العالمين، وابنيه

سيدا شباب أهل الجنة، فآباؤه آباء رسول الله، وأمهاته أمهات رسول الله، وهو مسوط بلحمه ودمه، لم يفارقه منذ خلق الله آدم، إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله وأبي طالب، وأمهما واحدة، فكان منهما سيد الناس، هذا الأول وهذا التالي، وهذا المنذر وهذا الهادي!. وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى، وآمن بالله وعبده، وكل من في الأرض يعبد الحجر، ويجحد الخالق، لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلا السابق إلى كل خير، محمد رسول الله صلى الله عليه وآله».

إن الفرق بين ما قاله ابن أبي الحديد المعتزلي (السنّي) وبين ما قاله ابن تيمية في كتابه منهاج الاعتدال فرق شاسع، فهما رؤيتان مختلفتان اختلافاً جذرياً، فابن تيمية لم يجد مدحاً لعلي عليه السلام إلا قلل من شانه أو نفاه أو طمسه مع غيره من فضائل الصحابة! وما بين ذلك وذلك سبٌّ وتنقّصٌ، وشتمٌ خفيٌ وجليٌ لعلي عليه السلام. واحد أسباب ذلك هو انه يرى نفسه من الجند المجندة للدفاع عن دولة الإسلام الأموي الذي افتقده النواصب في عصر تفتت الدولة الإسلامية حيث كان الفقه المناهض للعلويين قائم بكل قوته مرتكز على سيف السلطان «إن مشكلة الوعّاظ عندنا أنهم يأخذون جانب الحاكم ويحاربون المحكوم، فتجدهم يعترفون بنقائص الطبيعة البشرية حين يستعرضون أعمال الحكام، فإذا ظلم الحاكم رعيته أو القى بها في مهاوي السوء قالوا: اجتهد فاخطأ وكل إنسان يخطيء، والعصمة لله وحده، أما حين يستعرضون أعمال المحكومين، فتراهم يرعدون ويزمجرون وينذرونهم بعقاب الله الذي لا مردَّ له، وينسبون إليهم سبب كل بلاء ينزل بهم»[1] لذا فأنت ترى أن ابن تيمية عندما يأتي لذكر أعمال عائشة وطلحة

---

(١) وعّاظ السلاطين – علي الوردي ص١٢ ط دار كوفان للنشر – لندن – ١٩٩٥ ومن طريف ما قرأت لمتطرفي الوهابية ما جاء في كتاب «لقاء الباب المفتوح» وهي لقاءات للشيخ محمد بن صالح ←

والزبير والملأ من قريش فهو يقول باجتهادهم وعدم وجود مآخذ عليهم حتى لو أدت أعمالهم إلى قتل الألوف، أما علي فلا عذر له عند ابن تيمية فهو الذي تسبّب بكل ما حصل من دماء ومأسٍ ووقف للفتوحات ومحاربة الكفّار!. وكما مرّ علينا فالصحابة وجدوا أنفسهم في حرب لا يعرفون كيف دخلوا فيها هذه الحرب أشعلها الناس الذين يحبون الفتن! وهذه من سخافات كبراء القوم، ففي كل مجتمع من يقوم بإشعال الحروب هم أصحاب الطموحات العالية وطلاب الدنيا، وزعماء المجتمع من السياسيين النفعيين، إلّا في المجتمع الإسلامي فوعّاظ السلاطين يمثلّون المجتمع بالغوغاء الذين يُدخلون زعماءهم المساكين في الحروب وهم لا يشعرون!

ولا اعلم كيف يحدث هذا من جهة بينما كان الطعن بعلي عليه السلام مستمراً لتسعين سنة على منابر المسلمين بلا رادع، المعروف أن «من خصائص الطبيعة

العثيمين في سؤال وجواب جاء فيها: «سؤال: سمعنا منكم أن من خاف على نفسه من قصص الصحابة والفتن التي جرت بينهم أنه لا يقرؤها، وقرأت مرة من المرات ما جرى على الحسين، وأقسمت أني لو كنت حضرته لنصرته، فماذا ترى في هذا، هل عليٌّ فيه خطيئة؟ الجواب: أنا أرى -كما سمعت- أن ما جرى بين الصحابة من المعارك والقتال لا يقرؤه إلا رجل يأمن على نفسه من الحيف على أحد الصحابة؛ وذلك لأن التاريخ فيه تزوير في الواقع، لا سيما ما يأتي من قبل الرافضة، فإنهم في الحقيقة حرّفوا التاريخ تحريفاً عظيماً، وكذبوا على بني أمية كذباً فاحشاً والعياذ بالله، والتاريخ المتوسط المعتدل كالبداية والنهاية لابن كثير قد يخشى الإنسان على نفسه لا من الميل إلى واحد منهم، فالميل لأحد منهم لا بأس به، لكن يخشى على نفسه من تضليل الآخرين، وتخطئتهم، وكراهتهم، وعداوتهم، وهذا هو المحظور، وعلى كل حال كل إنسان حسيب نفسه إذا خشي على نفسه الفتنة؛ فترك ما يخشى من الفتنة خير» فالرافضة! على رأي ابن عثيمين هي التي حرفت التاريخ وأوقعت بني أمية في مأزق وكرّهتهم للمسلمين! ولا حول ولاقوة إلّا بالله العلي العظيم.

البشرية أنها شديدة التأثر بما يوحي العرف الاجتماعي إليها من قيم واعتبارات، فالإنسان يودّ أن يظهر بين الناس بالمظهر الذي يروق في أعينهم، فإذا احترم الناس صفة معينة ترى الفرد يحاول شتى المحاولات للاتصاف بهذه الصفة وللتباهي بها والتنافس عليها»[1] فأهل الشام يحبون الأمويين لكونهم كانوا يرضونهم على حساب المسلمين من جهة، وهم ضحية غسل الأدمغة التي حصلت في صدر الدولة الإسلامية واستعمل الأمويون فيها جيشا من النواصب ليقولوا للناس إن بني أمية أقارب النبي وليس للنبي صلى الله عليه وآله غيرهم! لذا كان الشام النصراني يمجد بني أمية لا على الدين دائما ولكن على الدنيا في بعض الأحيان! «إن من المفارقات المضحكة أن نرى الأخطل الشاعر النصراني المعروف يمدح معاوية ويقول:

وطدت لنا دين النبي محمد بحلمك إذ هرت سفاها كلابها

ولا ينتهي ضحكي من هذا البيت العجيب حيث أجد فيه شاعرا مسيحيا يمدح معاوية لأنه وطّد له دين النبي محمد»[2]! والكتاب الذي بين أيديكم هو الرد الذي أحسب أنّه تناول عصارة الأفكار في كتاب (منهاج الاعتدال) المسمّى ظلماً (منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية) ولو سُمّي (منهاج السنّة الأموية) لكان صواباً! والكتاب مليء بالحشو وإعادة الإشكالات بصيغ مختلفة، أسأل الله قبول عملي دفاعاً عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وعن وصيّه وخير الصحابة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب واهل بيته عليهم السلام.

عبد الرحمن العقيلي / العشرون من جمادى الثاني ذكرى مولد الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام١٤٣٢ للهجرة المباركة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

---

(١) وعّاظ السلاطين – علي الوردي– ص١٨.

(٢) وعّاظ السلاطين – علي الوردي– ص٢٢٣.

ترجمة العلاّمة الحلّي صاحب الكتاب الأصل:

منهاج الكرامة في معرفة الإمامة[1]

العلامة الحلي: الحسن بن يوسف بن علي بن مطهَّر - بالميم المضمومة والطاء المعجمة والهاء المشددة والراء - أبو منصور الحلي مولدا ومسكنا. فاسمه: الحسن، كما ذكره هو بنفسه واتفق عليه أكثر المؤرخين.

اتفقت المصادر على أن ولادته في شهر رمضان عام ٦٤٨ هـ، إلا ما ذكره السيد الأمين في الأعيان نقلا عن خلاصة العلامة من أنه ولد سنة ٦٤٧ وهو خطأ بيّن، لمخالفته للمصادر كافة.... واختلفت المصادر في تحديد يوم ولادته. ففي نسخة الخلاصة المطبوعة قال العلامة: والمولد تاسع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وستمائة، ونقل المولى الأفندي عن الشهيد الثاني في بعض تعليقاته أنه وجد بخط الشهيد أنه نقل من خط العلامة هذه العبارة: وجدت بخط والدي رحمه الله ما صورته: ولد الولد البار أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر، ليلة الجمعة في الثلث الأخير من الليل رابع عشري رمضان، من سنة ثمان وأربعين

(١) مقدمة محقق كتاب إرشاد الأذهان - العلامة الحلي - ج ١ - ص ٢٣ - ٢٤- تحقيق: الشيخ فارس حسون- مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي- مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة -١٤١٠- بتصرّف.

وستمائة. وأرّخ ولادته في نخبة المقال كما عنه في الكنى والألقاب:

وآيـة الله بـن يوسـف الحـسن   سـبط مطهـر فريـدة الـزمن

نشأ علامتنا بين أبوين صالحين رؤوفين، فتربّى في حضن المرأة الصالحة بنت الحسن بن أبي زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلي، وتحت رعاية والده الإمام الفقيه سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر حتى أحضروا له معلما خاصا اسمه محرم ليعلمه القرآن والكتابة، مرّت على علامتنا الحلي في زمن صباه أيام صعبة مرة لم يكد ينساها. ففي العقد الأول من عمره المبارك وصل السلطان هولاكو إلى بغداد قبل أن يفتحها، وخافت منه الناس كافة، حتى هرب أكثر أهل مدينته - الحلة - إلى البطائح، إلا القليل الذين منهم والده المعظم.

وعلى يديه تشيّع السلطان خدابنده وبعد ما استبصر هذا السلطان لم يرض بمفارقة العلامة، بل طلب منه أن يكون دائما معه، وأسس له المدرسة السيّارة ليكون هو وتلاميذه دائما معه. ومن حُسن سيرة هذا السلطان إنصافه أنه بعد ما استبصر وعرف الحق لم يهمل بقية العلماء من فرق المسلمين، بل أبقى لهم منزلتهم واحترامهم، لحبه للعلم والعلماء، وأمر قسما كبيرا من مبرزيهم بالحضور معه في المدرسة السيارة.

وكان له ذكاء خارق للعادة، وبذكائه هذا وعلمه استطاع أن يفحم أعلم علماء السنة بمناظراته الحلوة الدقيقة، وبسببه تشيّع السلطان خدابنده وكثير من الأمراء ثم كثير من الناس.

أسلم السلطان غازان خان بن أرغون خان بن اباقاخان بن هولاكو خان وتولى السلطنة في سنة ٦٩٤ وسُمي بمحمود، واستبصر في عام ٧٠٢، فلما توفي

في الحادي عشر من شوال عام ٧٠٣ جاء أخوه محمد اولجايتو خان من خراسان في الثاني من ذي الحجة، وفي اليوم السادس عشر منه جلس على كرسي السلطنة، وكان أكثر تأييده لمذهب الحنفية ولعلمائه، لأنه كان قاطنا في خراسان في زمن أخيه محمود، وكان تواجد علماء الحنفية فيها.

ثم انتقل إلى مذهب الشافعية بعد مناظرات جرت بين المذهبين يأتي تفصيلها. وإنما لقِّب هذا السلطان باولجايتو لأنه في أول سلطنته صالح طوائف أروق جنكيز خان، بعد ما استحكمت المنازعة بينهم خمسين سنة، فأطاعوا السلطان محمد وأرسلوا إليه الرسل وارتفع النزاع عن العالم، ولذلك اعتقد الناس أن سلطنته مباركة ميمونة، فعرضوا عليه أن يلقَّب باولجايتو، لأنه في لغة الأتراك بمعنى السلطان الكبير المبارك. فاستقرّ لقبه على هذا.

وبعد ما أختار هذا السلطان مذهب الإمامية - وذلك بعد مناظرات عديدة جرت بين العلامة وسائر علماء المذاهب - لقب نفسه بخدابنده، بمعنى عبد الله واختيار هذا الملك مذهب التشيع لم يكن عن ميل النفس والهوى، أو احتياج لبقاء سلطنته. وإنما كان بعد مناظرات علّامتنا أبي منصور مع علماء الفرق كافة، فأوقعهم في مضيق الإلزام والافحام، وأثبت عليهم حقّيّة مذهب أهل البيت الكرام، حتى قال الخواجة نظام الدين عبد الملك المراغي - الذي هو أفضل علماء الشافعية. بل أفضل وأكمل علماء أهل السنة - بعد ما سمع أدلة العلامة على حقّيّة مذهب أهل البيت، قال: أدلة حضرة هذا الشيخ في غاية الظهور، إلا أن السلف منا سلكوا طريقا لإلجام العوام ودفع شقّ عصا أهل الإسلام سكتوا عن زلل أقدامهم، فبالحريّ أن لا تُهتك أسرارهم ولا يتظاهر في اللعن عليهم.

وكان هذا السلطان كما قال الحافظ الابرو الشافعي المعاصر له: صاحب ذوق سليم يحب العلم والعلماء بالأخص السادات، وذكر بعد هذا أن ممالك إيران عمرت في زمانه، واتفقت القبائل فيما بينها وأطاعت له الأمراء، حتى أجمعت العرب والعجم على إطاعته، وأسس هذا السلطان في جميع البلاد المدارس والمساجد.

وقال العلامة المترجم في حقه في ديباجة كتابه استقصاء النظر: كانت أكثر معاشرته ومؤانسته مع الفقهاء والزهاد والسادة والأشراف... وفقه الله لتأسيس صدقات جارية، منها أنه بنى ألف دار من بقاع الخير والمستشفيات ودور الحديث ودور الضيافة ودور السيادة والمدارس والمساجد، والخانقاهات، بحيث أراح الحاضر والمسافر، وكان زمانه من خير الأزمنة لأهل الفضل والتقى، ملك الممالك وحكم عليها ستة عشر سنة، وكان من بلاد العجم إلى إسكندرية مصر وإلى ما وراء النهر تحت سلطته. توفي سنة ٧١٧ أو ٧١٩، ودفن بمقبرته التي أعدها قبل موته في بلدة سلطانية.

أما سبب تشيع هذا السلطان وكيفيته، فالتاريخ ينقل لنا روايتين:

الأولى: ما ذكره المولى محمد تقي المجلسي في روضته وهو: أنه أي ـ السلطان ـ غضب على امرأته وقال لها: أنت طالق ثلاثا، ثم ندم وجمع العلماء، فقالوا: لابد من المحلل، فقال: عندكم في كل مسألة أقاويل مختلفة، أفليس لكم هنا اختلاف؟ فقالوا: لا. وقال أحد وزرائه: إن عالما بالحلة وهو يقول ببطلان هذا الطلاق، فبعث كتابه إلى العلامة وأحضره، ولما بعث إليه قال علماء العامة: إن له مذهبا باطلا ولا عقل للروافض ولا يليق بالملك أن يبعث إلى طلب رجل

خفيف العقل، قال الملك: حتى يحضر. فلما حضر العلامة بعث الملك إلى جميع علماء المذاهب الأربعة وجمعهم.

فلما دخل العلامة أخذ نعليه بيده ودخل المجلس وقال: السلام عليكم، وجلس عند الملك. فقالوا للملك: ألم نقل لك إنهم ضعفاء العقول. قال الملك: إسألوا منه في كل ما فعل.

فقالوا له: لم ما سجدت للملك وتركت الآداب؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان ملكا وكان يسلم عليه، وقال الله تعالى:

﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً ﴾ (النور: من الآية٦١).

ولا خلاف بيننا وبينكم أنه لا يجوز السجود لغير الله. قالوا له: لم جلست عند الملك؟ قال: لم يكن مكان غيره. وكل ما يقول العلامة بالعربي كان يترجم المترجم للملك. قالوا له: لأي شيء أخذت نعلك معك، وهذا مما لا يليق بعاقل بل إنسان؟! قال: خفت أن يسرقه الحنفية كما سرق أبو حنيفة نعل رسول الله صلى الله عليه وآله، فصاحت الحنفية: حاشا وكلا، متى كان أبو حنيفة في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ بل كان تولده بعد المائة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: فنسيت لعله كان السارق الشافعي. فصاحت الشافعية وقالوا: كان تولد الشافعي في يوم وفاة أبي حنيفة، وكان أربع سنين في بطن أمه ولا يخرج رعاية لحرمة أبي حنيفة، فلما مات خرج وكان نشوؤه في المائتين من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: لعله كان مالك. فقالت المالكية بمثل ما قالته الحنفية. فقال: لعله كان أحمد بن حنبل. فقالوا بمثل ما قالته الشافعية. فتوجه

العلامة إلى الملك فقال: أيها الملك علمت - أن رؤساء المذاهب الأربعة لم يكن أحدهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله ولا في زمن الصحابة، فهذه أحد بدعهم أنهم اختاروا من مجتهديهم هذه الأربعة، ولو كان منهم من كان أفضل منهم بمراتب لا يجوزون أن يجتهد بخلاف ما أفتاه واحد منهم.

فقال الملك: ما كان واحد منهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله والصحابة؟ فقال الجميع: لا.

فقال العلامة: ونحن معاشر الشيعة تابعون لأمير المؤمنين عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وأخيه وابن عمه ووصيه. وعلى أي حال فالطلاق الذي أوقعه الملك باطل، لأنه لم تتحقق شروطه، ومنها العدلان، فهل قال الملك بمحضرهما؟ قال: لا. وشرع في البحث مع علماء العامة حتى إلزامهم جميعا. فتشيع الملك وبعث إلى البلاد والأقاليم حتى يخطبوا للأئمة الاثني عشر في الخطبة، ويكتبوا أساميهم عليهم السلام في المساجد والمعابد. والذي في أصبهان موجود الآن في الجامع القديم الذي كتب في زمانه في ثلاث مواضع، وعلى منارة دار السيادة التي تمّمها سلطان محمد بعد ما أحدثها أخوه غازان أيضا موجود، وفي محاسن أصفهان موجود أن ابتداء الخطبة كان بسعي بعض السادات اسمه ميرزا قلندر، ومن المعابد التي رأيت معبد بيربر كان الذي في لنجان وبنى في زمانه الأسامي الموجودة الآن، وكذا في معبد قطب العارفين نور الدين عبد الصمد النطنزي الذي له نسبة إليه من جانب الأم موجود الآن.

الثانية: ما ذكره الحافظ الابرو الشافعي المعاصر للعلامة وجمع من المؤرخين، وهو: أن السلطان غازان خان - محمود - كان في عام ٧٠٢ في بغداد،

فاتفق أن سيدا علويا صلى الجمعة في يوم الجمعة في الجامع ببغداد مع أهل السنة، ثم قام وصلى الظهر منفردا فتفطنوا منه ذلك فقتلوه، فشكا ذووه إلى السلطان فتكدر خاطره ومست عواطفه وأظهر الملالة من أنه لمجرد إعادة الصلاة يقتل رجل من أولاد الرسول صلى الله عليه وآله ولم يكن له علم بالمذاهب الإسلامية، فقام يتفحص عنها، وكان في أمرائه جماعة متشيعون، منهم الأمير طرمطار بن مانجو بخشي، وكان في خدمة السلطان من صغره وله وجه عنده، وكانت نشأته في الري بلدة الشيعة، وكان يستنصر مذهب التشيع ولما رآه مغضبا على أهل السنة انتهز الفرصة ورغَّبه إلى مذهب التشيع فمال إليه، ولما سيطر الأمير غازان على الموضع وهدأت الضوضاء التي كانت في زمانه كان تأثير كلام الأمير طرمطار أكثر عند السلطان غازان، فقام في تربية السادة وعمارة مشاهد الأئمة عليهم السلام. فأسس دار السيادة في إصفهان وكاشان وسيواس روم وأوقف عليها أملاكا كثيرة، وكذا في مشهد أمير المؤمنين عليه السلام كما بقيت بعض الآثار لحد الآن، وكان ميله إلى مذهب الإمامية يزداد يوما فيوما. إلى أن توفي السلطان غازان وقام بالسلطنة من بعده ولي عهده أخوه محمد، وصار مائلا إلى الحنفية بترغيب جمع من علمائهم - لأن مسكنه في زمن أخيه غازان كان في خراسان، وتواجد علماء الحنفية آنذاك كان فيها - فكان يكرمهم ويوقرهم، كما أنهم انتهزوا الفرصة في التعصب لمذهبهم.

وكان وزير السلطان محمد خواجة رشيد الدين الشافعي ملولاً من ذلك، ولكن لم يكن قادرا على التكلم بشيء، إلى أن جاء قاضي القضاة نظام الدين عبد الملك من مراغة إلى خدمة السلطان، وكان الأوحد في علوم المعقول والمنقول، وصاحب المباحثات والمناظرات المتينة، وكان شافعي المذهب، فقدمه الوزير

خواجة رشيد الدين إلى السلطان فصار ملازما له وفوض إليه قضاء ممالك إيران.

وانتهز مولانا نظام الدين الفرصة وشرع في المباحثات مع علماء الحنفية في حضور السلطان في مجالس عديدة، حتى زيّف جميع أدلتهم. فمال السلطان إلى مذهب الشيعة، حتى سأل العلامة قطب الدين الشيرازي: إن أراد الحنفي أن يصير شافعيا فماله أن يفعل؟ فقال: هذا سهل، يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وجاء ابن صدر جهان الحنفي من بخارى إلى خدمة السلطان فشكا إليه الحنفية من القاضي نظام الدين، وأنه أذلنا عند السلطان وأمرائه، فألطف بهم وودعهم. إلى أن جاء اليوم المشهود يوم الجمعة حيث كان علماء الحنفية والشافعية عند السلطان محمد. فسئل القاضي عن جواز نكاح البنت المخلوقة من ماء الزنا على مذهب الشافعي فقرره القاضي وقال: هو معارض بمسألة نكاح الأخت والأم في مذهب الحنفية، فطال بحثهما وآل إلى الافتضاح وأنكر ابن صدر الحنفي ذلك. فقرأ القاضي من منظومة أبي حنيفة. فأفحموا وسكتوا.

فملَّ السلطان وأمراؤه، حتى قام السلطان من مجلسه مغضبا، وندم الأمراء على أخذهم مذهب الإسلام، وكان بعضهم يقول لبعض: ما فعلنا بأنفسنا تركنا مذهب آبائنا وأخذنا دين العرب المنشعب إلى مذاهب عديدة، وفيها نكاح الأم والأخت والبنت، فكان لنا أن نرجع إلى دين أسلافنا، وانتشر الخبر في ممالك السلطان، وكانوا إذا رأوا عالما أو مشتغلا يسخرون منه ويستهزؤون به ويسألونه عن هذه المسائل.

وفي هذه الأيام وصل السلطان في مراجعته إلى كلستان، وكان فيها قصر بناه أخوه السلطان غازان خان، فنزل السلطان مع خاصّته فيه، فلما كان الليل أخذهم

رعد وبرق ومطر عظيم في غير وقته بغتة، وهلك جماعة من مقربي السلطان بالصاعقة، ففزع السلطان وأمراؤه وخافوا، فرحلوا منه على سرعة. فقال له بعض أمرائه: إن على قاعدة المغول لا بد أن يمر السلطان على النار، فأمر بإحضار أساتيد هذا الفن فقالوا: إن هذه الواقعة من شؤم الإسلام.

فلو تركه السلطان تصلح الأمور. فبقي السلطان وأمراؤه متذبذبين في مدة ثلاثة أشهر في تركهم دين الإسلام، وكان السلطان متحيرا متفكرا، ويقول: أنا نشأت مدة في دين الإسلام وتكلّفت في الطاعات والعبادات، فكيف أترك دين الإسلام؟!

فلما رأى الأمير طرمطار تحيّره في أمره قال له: إن السلطان غازان خان كان أعقل الناس وأكملهم ولما وقف على قبائح أهل السنة مال إلى مذهب التشيع ولا بد أن يختاره السلطان، فقال: ما مذهب الشيعة؟ قال الأمير طرمطار: المذهب المشهور بالرفض، فصاح عليه السلام: يا شقي تريد أن تجعلني رافضياً! فأقبل الأمير يزيّن مذهب الشيعة ويذكر محاسنه له، فمال السلطان إلى التشيع. وفي هذه الأيام ورد على السلطان السيد تاج الدين الآوي الإمامي مع جماعة من الشيعة، فشرعوا في المناظرات مع القاضي نظام الدين في محضر السلطان في مجالس كثيرة، وكانت مناظرتهم بمثابة المقدِّمة للمناظرة الكبيرة التي وقعت بعد هذا بين علماء السنة والعلّامة الحلّي بمحضر السلطان وبعد مناظرة السيد الآوي عزم السلطان السفر إلى بغداد ثم الذهاب إلى زيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وعند القبر رأى مناما يدل على حقّيّة مذهب الإمامية، فعرض السلطان ما رآه في المنام على الأمراء، فحرّضه من كان منهم في مذهب الشيعة على اعتناق هذا المذهب الحق، فصدر الأمر بإحضار أئمة الشيعة، فطلبوا جمال الدين العلامة وولده فخر المحققين.

فأمر السلطان قاضي القضاة نظام الدين عبد الملك - وهو أفضل علماء العامة، أن يناظر آية الله العلامة، وهيأ مجلسا عظيما مشحونا بالعلماء والفضلاء من العامة، منهم المولى قطب الدين الشيرازي وعمر الكاتبي القزويني وأحمد بن محمد الكيشي والمتسيّد ركن الدين الموصلي. فناظرهم العلامة وأثبت عليهم بالبراهين العقلية والحجج النقلية بطلان مذاهبهم العامية وحقيقة مذهب الإمامية، على وجه تمنوا أن يكونوا جمادا أو شجرا وبهتوا كأنهم التقموا حجرا. وعند ذلك قال المولى نظام الدين: قوة أدلة حضرة هذا الشيخ في غاية الظهور، إلا أن السلف منا سلكوا طريقا. والخلف - لإلجام العوام ودفع شق عصا أهل الإسلام - سكتوا عن زلل أقدامهم، فبالحري أن لا نهتك أسرارهم ولا يتظاهر باللعن عليهم. فعدل السلطان والأمراء، والعساكر وجمٌّ غفير من العلماء والأكابر عن مذهب بقية الطوائف واعتنقوا مذهب الحق - الشيعة - الذي يأخذ أحكامه عن الأئمة عليهم السلام عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله عز وجل.

وأمر السلطان في تمام ممالكه بتغيير الخطبة وإسقاط أسامي الثلاثة عنها وبذكر أسامي أمير المؤمنين وسائر الأئمة عليهم السلام على المنابر، وبذكر (حي على خير العمل) في الأذان وبتغيير السكَّة وحذف أسماء الثلاثة منها ونقش الأسامي المباركة عليها.

وكيفما كان فتشيِّع هذا السلطان ومن معه على يد العلامة أمر مقطوع به مهما كان سببه، وكان تغيير السكة عام ٧٠٧ أو ٧٠٨، فحذف أسماء الثلاثة منها، فكانت السكَّة - الدينار - مدورة مخمَّسة الأضلاع في وسطها ثلاثة سطور متوازية الأبعاض، متكافئة الأجزاء (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله)

وذكرت الأسامي المباركة للأئمة عليهم السلام على الترتيب على حاشيتها.

ولما انقضت المناظرة جعل السلطان السيد تاج الدين محمد الآوي - المتقدم ذكره - نقيب الممالك. وشرع العلّامة بعد ذلك بمعونة هذا السلطان المستبصر في تشييد أساس الحق وترويج المذهب، وكتب باسم السلطان عدة كتب ورسائل بعضها كانت بطلب من السلطان، فألّف باسمه كتاب منهاج الكرامة، ونهج الحق. والرسالة السعدية، ورسالة في نفي الجبر، وغيرها. وكان العلّامة رحمه الله في القرب والمنزلة عند السلطان بحيث لم يرض بعد استبصاره بمفارقة العلامة في حضر أو سفر، لذا أمر بترتيب المدرسة السيارة له ولتلاميذه، وهذه المدرسة السيارة ذات حجرات ومدارس من الخيام الكرباسية، فكانت تحمل مع الموكب السلطاني وكانت هذه المدرسة المباركة تستقي من الحلة، وتخرّج من هذه المدرسة كثير من العلماء الصلحاء، ونقل أنه وجد في أواخر مؤلفات العلامة وقوع الفراغ منه في المدرسة السيارة السلطانية في كرمانشاه، وفي جملة من أواخر أجزاء التذكرة أنه وقع الفراغ منه في السلطانية، ويؤيده ما ذكره الصفدي من أن العلامة كان يصنف وهو راكب. وأمر السلطان أيضا كبار علماء العامة بالحضور في المدرسة تنمية للحركة العلمية واستمرار للمباحثات الحرة السليمة بين المذاهب، وممن كان في هذه المدرسة المولى بدر الدين التستري والمولى نظام الدين عبد الملك المراغي والمولى برهان الدين والخواجة رشيد الدين والسيد ركن الدين الموصلي والكاتبي القزويني والكيشي وقطب الدين الفارسي وغيرهم.

فلما تشيع السلطان وتمّ الأمر توجه الملّا محسن- وهو مصاحب للعلامة- إلى السلطان وقال: أريد أن أصلي ركعتين على مذهب الفقهاء الأربعة وركعتين على المذهب الجعفري، وأجعل السلطان حاكما بصحة أي الصلاتين. فقال الملّا

محسن: أبو حنيفة مع أحد الفقهاء الأربعة يجوز الوضوء بالنبيذ، وكذا يذهب إلى أن الجلد بالدباغة يطهر، وكذا يجوز بدل قراءة الحمد وسورة قراءة آية واحدة حتى إذا كانت بالترجمة ويجوز السجود على نجاسة الكلب، ويجوز بدل السلام بعد التشهد إخراج ريح. فتوضأ الملّا محسن بالنبيذ، ولبس جلد الكلب، ووضع خرء الكلب موضع سجوده وكبر، وبدل قراءة الحمد وسورة قال: دوبرك سبز، بمعنى: مدهامتان ثم ركع، ثم سجد على خرء الكلب، وأدى الركعة الثانية مثل الأولى، ثم تشهد، وبدل السلام أخرج ريحاً، وقال: هذه صلاة أهل السنة. ثم مع كمال الخضوع والخشوع صلّى تمام الركعتين على مذهب الشيعة.

فقال السلطان: معلوم أن الأولى ليست صلاة، بل الصلاة الموافقة للعقل. هي الثانية. نعم وبعد هذه المناظرة العظيمة وببركة هذا الخرِّيت العلّامة استبصر السلطان وعدد كبير من الأمراء وعلماء العامة، فعمت البركة في جميع الممالك وهدأت.

وذكر السخاوي كما في هامش نسخة (أ) من الدرر الكامنة عن شيخه أنه بلغه أن ابن المطهر لما حج اجتمع هو وابن تيمية وتذاكرا، فأعجب ابن تيمية بكلامه، فقال له: من تكون يا هذا؟ فقال: الذي تسميه ابن المنجَّس، فحصل بينهما أنس ومباسطة.

ترجمة الشيخ تقيّ الدين ابن تيميّة صاحب كتاب

(منهاج السنّة النبويّة في الرد على الشيعة والقدرية)[1]

هو احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الخضر أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الحرّاني ثم الدمشقي الحنبلي، ووالدته ست النعم بنت عبدوس الحرانية (ت ٧١٦ /١٣١٦) أنجبت تسعة بنين، عرف منهم غير تقي الدين بدر الدين محمد وهو أخي تقي الدين لامه (ت ١٣١٧/٧١٧) وشرف الدين عبد الله (ت ١٣٢٧/٧٢٧) ثم زين الدين عبد الرحمن (ت ١٣٤٧/٧٤٧).

ولد تقي الدين بحران يوم الاثنين عاشر ربيع القرآن ربيع الأول سنة ٢٢/٦٦١ كانون الأول ١٢٦٣ أي بعد مضي خمس سنوات على سقوط بغداد في يد المغول، وحران موطن ابن تيمية الأول هي بلدة من الجزيرة بين دجلة والفرات على الطريق التجاري الذي يربط بلاد الشام بالعراق، وبينها وبين الرها يوم واحد وبين الرقة يومان، ويستفاد من كتب المسالك بأنها قصبة ديار مضر ينسب بناؤها الى هاران أخي إبراهيم الخليل فسميت باسمه ثم عربت فقيل حران وإنها أول مدينة

(١) هذه المقدم مأخوذة باختصار من ترجمة ابن تيمية في كتاب «الشيخ تقي الدين ابن تيمية دراسة في فكره واجتهاداته» احمد حطيط/ المقدمة، نقلناها للتعريف فقط.

بنيت على الأرض بعد الطوفان.

كانت حرّان موطنا للصابئة، وهؤلاء قوم من أصول يونانية وآرامية وتسميتهم جاءت من قولهم صبأت إذا خرجت من شيء إلى شيء، والصابئون هم الخارجون من دين إلى دين وقد ورد اسمهم في القرآن الكريم بين طوائف المؤمنين.

عاش الصابئة في حران منذ ما قبل الإسلام وبها سدنتهم السبعة عشر وتلّ عليها مصلّى لهم يعظمونه ينسب الى إبراهيم الخليل، وكانوا يتكلّمون الآرامية ويتّبعون ديانة نجومية سرّية لها أسرارها وطقوسها، ومن يُتح له الاطلاع على أسرارها يبلغ الخلاص، وكانوا يمارسون طقوسهم في معابدهم أو في الخلاء حول العيون ومجاري المياه، ولهم لباس خاص بهم يميزهم عمن حولهم.

استمر حضور الصابئة كثيفا في حران إلى حين دخولها في عهدة المسلمين صلحا أيام الخليفة عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنم، لتصبح بعد ذلك موئلا لجماعة كثيرة من أهل العلم عموما ومعقلا للمذهب الحنبلي على وجد الخصوص.

أما لفظة (تيميّة) فهي لقب لجد تقيّ الدين الأعلى ومعناها ينطوي على شيء من الالتباس، ولو أن بعض المرويات التاريخية يحيلها إلى حكاية منسوبة إلى محمد بن الخضر الحرّاني المعروف بفخر الدين ابن تيمية (ت ٦٢٢ /١٢٢٥) مفادها أن جدّه حجّ وله امرأة حامل، فلما كان بتيماء رأى طفلة خرجت من خباء فلما رجع إلى حرّان وجد امرأته قد ولدت بنتا، فلما رآها قال يا تيمية يا تيمية، فلقب به وفي رواية أخرى أن محمدا المذكور ذكر أن جده محمدا كانت أمّه تسمّى تيميّة

فنسب إليها وعرف بها.

لم يمض ست سنوات من عمره في حران حتى اضطر الطفل تقي الدين احمد إلى الانتقال مع ذويه إلى دمشق فرارا من خطر المغول الداهم على المدينة لتبدأ هناك مرحلة جديدة من حياته استمرت إلى حين وفاته في عشرين ذي القعدة سنة ٢٦/٧٢٨ أيلول ١٣٢٨ انكبّ خلالها على التحصيل العلمي والمطالعة، وصولا إلى مرتبة التدريس والمرجعية في مختلف حقول المعرفة الدينية والدنيوية.

ينتمي احمد ابن تيمية إلى أسرة دينية عريقة محافظة توارث أبناؤها العلم والنزوع إليه، فظهر من بينهم علماء كبار تولّوا مشيخة المذهب الحنبلي في حران مما كان له الأثر على شخصية تقي الدين ابن تيمية الدينية، فثمة تربية إسلامية تقليدية للأسرة من الجد إلى العم إلى الأب والأقارب أسهمت في تكوين أسرة من العلماء أسهمت بثبات وعزم في تطور الثقافة الإسلامية، منهم كبير الأسرة فخر الدين محمد المولود في حران أواخر شعبان عام ٥٤٢ /١١٤٧ وبعد وفاته خلفه في التدريس والفتوى ولده سيف الدين.

والأبرز في أسرة ابن تيمية كان الشيخ مجد الدين عبد السلام جده لأبيه وله كتب مشهورة في الفقه الحنبلي منها «كتاب المنتقى في الأحكام» و«كتاب منتهى الغاية في شرح الهداية» وله في الفقه «كتاب المسوّدة».

أما ابنه شهاب الدين عبد الحليم والد تقي الدين احمد فتوفر له تكوين معرفي محكم على يد أبيه مجد الدين فتولى بعد وفاته مشيخة الحنابلة وخطابة الجامع في حرّان.

وسرعان ما ذاع صيت الشيخ عبد الحليم في دمشق، واشتهر أمره لما عُرف

عنه من سعة علم ودماثة خلق وحلاوة معشر وتولّى في دمشق وظائف من قبيل التدريس والإفتاء في الجامع الأموي مشيخة دار الحديث السكَّرية في حيّ القصّاعين وبها كان سكنه. أنجب عبد الحليم ثلاثة أبناء هم كبيرهم تقي الدين احمد وأوسطهم زين الدين تعاطى التجارة وعاش بعد وفاة أخيه احمد وأصغرهم شرف الدين.

عاش ابن تيمية في زمن زهو عصر المماليك، وعاصر حكم أربعة من سلاطين المماليك البحرية هم الظاهر بيبرس البندقداري والمنصور قلاوون الألفي وولداه الأشرف خليل والناصر محمد، وهي مرحلة دقيقة وحرجة للديار المصرية والشاميّة على السواء، حيث تعرّضت فيها البلاد لحالة من التردّي في أوضاعها الداخلية بفعل التنافس على السلطة بين المماليك أنفسهم، وانعكاسات ذلك على السكّان ولا سيما الأقليات منهم والأخطار الخارجية المتمثلة بالمغول والفرنج وحلفائهم من الأرمن.

عرفت بداية عصر المماليك حالة من الاضطراب الداخلي والقلق السياسي، وتمثلت التحديات السياسية بالبيت الأيوبي الذي كان يحكم الشام وبعض حركات الشيعة في الشام ومصر.

الشام، ولبعدها النسبي عن مصدر القرار مصر، ولتنوعها الإثني والديني والمذهبي وبسبب طموحات بعض أمرائها شهدت على امتداد العصور الإسلامية باستثناء العصر الأموي محاولات جادّة للتملّص من الولاء التام للسلطة المركزية ولإحكام السيطرة عليها، حرص سلاطين المماليك على توطيد الاستقرار فيها بتقسيمها إلى ست نيابات هي: نيابة دمشق، ونيابة حلب، ونيابة طرابلس، ونيابة

حماة، ونيابة صفد، ونيابة الكرك، ثم أضيف إليها غزة حمص والقدس وملطية.

ونظام الحكم في تلك النيابات فهو صورة مصغرة لنظام السلطنة في الديار المصرية.

الشام عبارة عن فسيفساء من الأديان والمذاهب، ومن ابرز فرق الشيعة المتواجدة في بلاد الشام في عصر ابن تيمية: الإمامية الإثني عشرية والإسماعيلية والنصيرية والموحدون الدروز.

بعد إحكام سيطرته على الجزيرة الفراتية سار هولاكو في شهر رمضان ١٢٥٩/٦٥٧ باتجاه شمال غربي الشام فاجتاز نصيبين وحران والرها والبيرة وحلب، وخضعت اثر ذلك حمص وحماه سلما ثم دخل دمشق سلما، ثم اضطر هولاكو للعودة بجيشه إلى بلاده على عجل لوضع حد للاضطرابات الداخلية فيها، وبعدها بقليل حصلت معركة عين جالوت بين بقايا الجيش المغولي الذي يتراوح بين ١٠ إلى ٢٠ ألف جندي وبين جيوش المماليك في ٢٥ رمضان ٢/٦٥٨ أيلول ١٢٦٠ التي أسفرت عن هزيمة المغول ومقتل قائدهم (كتبغا).

ومنذ بداية عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون شرع الزعيم المغولي بإعادة الكرّة على المماليك لاحتلالها وضمّها إلى مملكته، فالتقت جيوش الطرفين في قرية مجمع المروج في وادي الخزندار بين حمص وحماة في ٢٧ ربيع الأول ١٢٩٩/٦٩٩ وانتصر المغول وانهزم المماليك وعندها تراجع السلطان المملوكي إلى القاهرة فنهب المغول المدن الشاميّة وصولاً إلى دمشق، فسارع فقهاؤها وأعيانها إلى مقابلة قائد المغول في قرية النبك بين حمص ودمشق وكان من بينهم تقي الدين ابن تيمية وقيل أنهم نجحوا في الحصول على الأمان.

وقد تردّد أن ابن تيميّة كان له دور في ذلك، بينما تذكر مصادر أخرى أن القائد المغولي قازان كان له رأي بان يدخل دمشق دون تخريبها وعندما قابل فقهاء دمشق وعدهم بذلك تأكيداً.

إضافة لأخطار المغول، كان عصر ابن تيمية يعجُّ بأخطار الفرنج والأرمن من النصارى، فقد عايش ابن تيمية آخر حلقات الحروب الصليبية والتي تصدّى فيها الظاهر بيبرس وقلاوون والأشرف خليل، ونجحوا بإخراج الصليبيين من الشام في عام ٦٩٠ /١٢٩١.

ومن الشمال كان الخطر ألأرمني المتمثل في قوتهم بالربط بين إمارات الفرنج في الشام، وعلاقاتهم بالمغول في الشرق وقد نجح المماليك في إزالة الخطر بعدّة حملات بدأت في العام ٦٦٣/ ١٢٦٥ إلى العام ١٣٣٧/٧٣٧.

أسهمت الخلافات الفقهية والعقائدية وربما الخصومات الشخصية أيضا بين ابن تيمية ومعظم علماء عصره في إقدام هؤلاء على استغلال الفرص السانحة للنيل من خصمهم، والحطِّ من قدره لدى الحكّام بذريعة مخالفة الشريعة بما ذهب إليه في عقائده وفتاويه، حتى نجحوا في تأليب الحكام عليه فعصفت به سبع محن تعرض في بعضها للضرب والإهانة والسجن إلى أن انتهى به الأمر ميِّتا في معتقله بقلعة دمشق ليلة العشرين من ذي القعدة ١٣٢٨/٧٢٨ ودُفن في مقابر الصوفية.

منهاج السنّة الأمويّة في ضوء منهاج السنّة المحمّديّة

ابن تيميّة والشيعة

قال ابن تيميّة في كلامه عن الشيعة «والقوم من أكذب الناس في النقليّات، ومن أجهل الناس في العقليات، يصدقون من المنقول بما يعلم العلماء بالاضطرار أنه من الأباطيل، ويكذّبون بالمعلوم من الاضطرار المتواتر أعظم تواتر في الأمة جيلاً بعد جيل، ولا يميّزون في نَقَلة العلم ورواة الأحاديث والأخبار بين المعروف بالكذب أو الغلط أو الجهل بما ينقل، وبين العدل الحافظ الضابط المعروف بالعلم بالآثار، وعمدتهم في نفس الأمر على التقليد، وإن ظنّوا إقامته بالبرهانيات، فتارة يتّبعون المعتزلة والقدرية وتارة يتبعون المجسّمة والجبرية، وهم من أجهل هذه الطوائف بالنظريّات، ولهذا كانوا عند عامة أهل العلم والدين من أجهل الطوائف الداخلين في المسلمين، ومنهم من أدخل على الدين من الفساد مالا يحصيه إلا رب العباد، فملاحدة الإسماعيلية والنصيرية وغيرهم من الباطنية المنافقين من بابهم دخلوا، وأعداء المسلمين من المشركين وأهل الكتاب بطريقهم وصلوا واستولوا بهم على بلاد الإسلام وسبوا الحريم وأخذوا الأموال وسفكوا الدم الحرام، وجرى على الأمّة بمعاونتهم من فساد الدين والدنيا ما لا يعلمه إلا رب العالمين إذ كان أصل المذهب من إحداث الزنادقة المنافقين الذين عاقبهم في حياته علي أمير

المؤمنين رضي الله عنه فحرق منهم طائفة بالنار، وطلب قتل بعضهم ففرّوا من سيفه البتّار، وتوعّد بالجلد طائفة مفترية فيما عرف عنه من الأخبار، إذ قد تواتر عنه من الوجوه الكثيرة أنه قال على منبر الكوفة وقد أسمع من حضر: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. وبذلك أجاب ابنه محمد بن الحنفية فيما رواه البخاري في صحيحه وغيره من علماء الملّة الحنيفية، ولهذا كانت الشيعة المتقدِّمون الذين صحبوا علياً أو كانوا في ذلك الزمان لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر»[(١)].

الجواب: –

في كلامه عن كون الشيعة من أجهل الطوائف تخليط عجيب! فعلاوة على أنّه لم يأتِ بدليل على صدق كلامه بل ذراه ذرواً، فهو كشف عن جهله بالعلاقة بين الشيعة من جهة والمعتزلة وغيرهم من جهة أخرى، وعن علاقة الشيعة الذين ردّ عليهم بكتابه (وهم الإمامية) وبين غيرهم ممن حكم الأئمة عليهم السلام بزيغهم ومروقهم من الدين بسبب العقائد الفاسدة.

فهو في قوله «والقوم من أكذب الناس في النقليات، ومن أجهل الناس في العقليات، يصدِّقون من المنقول بما يعلم العلماء بالاضطرار أنه من الأباطيل ويكذِّبون بالمعلوم من الاضطرار المتواتر أعظم تواتر في الأمة جيلاً بعد جيل» لم يستدل بدليل واحد لنعرف ما هو الأمر الذي يعلم العلماء بالاضطرار بطلانه وقد صدّقه الشيعة، ولا باقي كلامه يحمل الدليل الذي يُردُّ أو يناقش! وعندما يأتي أصحابه بدليل سندلي بدلونا.

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية – ابن تيمية – ج١ – ص٤.

والفقه والحديث التاريخ يشهد بكذب مقالته، كيف وتلميذه شمس الدين الذهبي يقول «غلاة المعتزلة، وغلاة الشيعة، وغلاة الحنابلة، وغلاة الأشاعرة، وغلاة المرجئة، وغلاة الجهمية، وغلاة الكرامية، قد ماجت بهم الدنيا، وكثروا، وفيهم أذكياء وعبّاد وعلماء، نسأل الله العفو والمغفرة لأهل التوحيد، ونبرأ إلى الله من الهوى والبدع، ونحب السنة وأهلها، ونحب العالم على ما فيه من الاتباع والصفات الحميدة، ولا نحب ما ابتدع فيه بتأويل سائغ، وإنما العبرة بكثرة المحاسن»[1]. فماذا نفعل بقوله «وفيهم أذكياء وعبّاد وعلماء»!.

وقال ابن القيم في مناقشته لوقوع الحلف بالطلاق من عدمه فقال[2] «إن فقهاء الإمامية من أولهم إلى آخرهم ينقلون عن أهل البيت أنه لا يقع الطلاق المحلوف به، وهذا متواتر عندهم عن جعفر بن محمد وغيره من أهل البيت. وهب أن مكابرا كذبهم كلّهم، وقال: قد تواطئوا على الكذب عن أهل البيت، ففي القوم فقهاء وأصحاب علم ونظر في اجتهاد، وإن كانوا مخطئين مبتدعين في أمر الصحابة فلا يوجب ذلك الحكم عليهم كلهم بالكذب والجهل، وقد روى أصحاب الصحيح عن جماعة من الشيعة، وحملوا حديثهم واحتجَّ به المسلمون، ولم يزل الفقهاء ينقلون خلافهم ويبحثون معهم، والقوم وإن أخطأوا في بعض المواضع لم يلزم من ذلك أن يكون جميع ما قالوه خطأ حتى يرد عليهم هذا لو انفردوا بذلك عن الأمة، فكيف وقد وافقوا في قولهم من قد حكينا قولهم وغيره

---

(١) سير أعلام النبلاء – الذهبي / تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة / بيروت / الطبعة التاسعة: ج٢٠، ص٤٥ – ٤٦/ عقيدة أدعياء السلفية في ميزان أهل السنة والجماعة / أبو عبد الله، محمد بن النيّت المراكشي / دار البيارق الطبعة الثانية ١٩٩٩م ص٤.

(٢) الصواعق المرسلة – ابن القيم – ص ٦١٦.

ممن لم تقف على قوله».

فهاذا شهادة ابن القيّم وهو الإمام المقدّم عندهم وهو تلميذ ابن تيميّة، فهل نصدقه أم نصدّق ابن تيمية؟!

وقول ابن تيميّة «ومنهم من أدخل على الدين من الفساد مالا يحصيه إلا رب العباد، فملاحدة الإسماعيلية والنصيرية وغيرهم من الباطنية المنافقين من بابهم دخلوا» قوله هذا من أعظم الافتراء! فكون هذه الفرق كانت تشاطر الإمامية عقيدتها ثم انحرفت لا يحمّل الإمامية مسؤولية انحرافها، فكما لا نستطيع القول بأن المنافقين في المدينة المنورة والذين آذوا رسول الله قد دخلوا من باب المسلمين، بل وهذا القول هرطقة لا يقولها إلا من يكيد للإسلام وأهله. ولا ان نقول لولا وجود النبي صلى الله عليه وآله لما وُجد المنافقون، ولما وُجدت الحروب التي مات فيها عشرات الألوف من العرب في فتوح الإسلام!.

وهذا من الأساليب الملتوية التي يجدها كل قاريء لكتب ابن تيمية، فهو يتكلم عن أمور يتفق الناس على إنكارها ثم يقرب من العدو المقصود الصاقها به فيفهم القاريء أن هذا العدو يعتقد بهذه الأمور!

قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (النحل:١٠٥).

فالأئمة عليهم السلام قبل غيرهم جاهدوا المنحرفين ممن يدّعي حبهم، ولم يألوا جهداً في تبيين زيفهم وكذبهم وكُتب محدِّثي الشيعة تغصُّ بأخبار المناظرات العلمية التي كان يقيمها الأئمة لإبعاد شرّ وفتنة هؤلاء.

لذا فابن تيميّة استعمل أسلوب الختل والتدليس في توجيه كلامه للقاريء المسكين! فهو وفي غمرة توجيه كلامه للعلامة الحلّي (وهو الشيعي الإماميّ) يُدخل في الاتهام باقي فرق الشيعة والتي تبرّأ منها اهل البيت عليهم السلام وأتباعهم الإمامية (أعزهم الله)، فهو يدخل الفرق الضالّة كالملاحدة الإسماعيلية والنُصيرية وغيرهم ممّن عُلم مباينتهم للإمامية في الأصول والفروع إلّا النزر اليسير وحسبك أن بعض العلماء عليهم السلام كان يلقِّب الواقفة الجاحدة لإمامة الرضا عليه السلام بالكلاب المطورة[1]! مبالغة في التشنيع عليهم وتحذير الناس منهم، ولو كان اشتراكهم مع الإمامية بتقديمهم لعلي عليه السلام أو ببعض الصفات الخاصة به يجعلهم مشمولين للعنوان لكان انتساب من يتبرأ منهم السلفيون (ومنهم ابن تيميّة) إليهم أقرب من ذلك، ومن هؤلاء المعتزلة والأشاعرة والماتريدية[2]!

---

(١) خاتمة المستدرك – الميرزا النوري– ج٥ – ص٢٠.

(٢) أنظر تناقضهم في تحديد أهل البدعة وأهل السنّة وحسبك من ذلك كتاب «منهج الأشاعرة في العقيدة» للشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي وفيه يرد على الشيخ الفوزان في دعواه أن الفرق بين السلفية والأشاعرة هي في مسألة الصفات فقط، ويصل في نهاية الكتاب الى نتيجة فحواها أن الأشاعرة والسلفية يتفقون في مسألة الصحابة وحكمهم وعدالتهم فقط ويختلفون في كل شيء عدا ذلك، وأن حكم الأشاعرة (وهم أتباع المذاهب الأربعة اليوم) هو الضلال ودخول النار!.

وانظر كتاب «حوار مع أشعري» وملحقه «الماتريردية ربيبة الكلابية» للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميّس، وستجد العجب العجاب من التبديع و التضليل والتفسيق لمن هم يشتركون معهم في قضية الصحابة! بل ولع بعضهم بالرد على بعض وتضليلهم ألّفوا فيه الكتب لعلاجه وهذا مما يلفت الانتباه فلو كانوا متفقين على أصول واحدة لكانت قلوبهم واحدة، إقرأ قول أحدهم وهو من المبرّزين عندهم تحت عنوان: فتنة التجريح والهجر من بعض أهل السنَّة في هذا ←

→

العصر، وطريق السلامة منها « حصل في هذا الزمان انشغال بعض أهل السنَّة ببعض تجريحاً وتحذيراً، وترتَّب على ذلك التفرُّق والاختلاف والتهاجر، وكان اللائقُ بل المتعيَّن التوادّ والتراحم بينهم، ووقوفهم صفًّا واحداً في وجه أهل البدع والأهواء المخالفين لأهل السنَّة والجماعة، ويرجع ذلك إلى سببين: أحدهما: أنَّ من أهل السنَّة في هذا العصر من يكون دَيْدَنُه وشغلُه الشاغل تتبُّع الأخطاء والبحث عنها، سواء كانت في المؤلفات أو الأشرطة، ثم التحذير مِمَّن حصل منه شيءٌ من هذه الأخطاء، ومن هذه الأخطاء التي يُجرَّح بها الشخص ويُحذَّر منه بسببها تعاونه مثلاً مع إحدى الجمعيات بإلقاء المحاضرات أو المشاركة في الندوات، وهذه الجمعية قد كان الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد بن عثيمين رحمهما الله يُلقيان عليها المحاضرات عن طريق الهاتف، ويُعاب عليها دخولها في أمر قد أفتاها به هذان العالمان الجليلان، واتِّهام المرء رأيه أولى من اتِّهامه رأي غيره، ولا سيما إذا كان رأياً أفتى به كبار العلماء، وكان بعضُ أصحاب النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بعدما جرى في صلح الحُديبية يقول: يا أيُّها الناس! اتِّهموا الرأي في الدِّين.

ومن المجروحين مَن يكون نفعه عظيماً، سواء عن طريق الدروس أو التأليف أو الخطب، ويُحذَّر منه لكونه لا يُعرف عنه الكلام في فلان أو الجماعة الفلانية مثلاً، بل لقد وصل التجريح والتحذير إلى البقيَّة الباقية في بعض الدول العربية، مِمَّن نفعهم عميم وجهودهم عظيمة في إظهار السنَّة ونشرها والدعوة إليها، ولا شكَّ أنَّ التحذير من مثل هؤلاء فيه قطع الطريق بين طلبة العلم ومَن يُمكنهم الاستفادة منهم علماً وخلقاً. والثاني: أنَّ من أهل السنَّة مَن إذا رأى أخطاء لأحد من أهل السنَّة كتب في الردِّ عليه، ثم إنَّ المردودَ عليه يُقابل الردَّ بردٍّ، ثم يشتغل كلٌّ منهما بقراءة ما للآخر من كتابات قديمة أو حديثة والسماع لِمَا كان له من أشرطة كذلك؛ لالتقاط الأخطاء وتصيُّد المثالب، وقد يكون بعضُها من قبيل سبق اللسان، يتولَّى ذلك بنفسه، أو يقوم له غيرُه به، ثم يسعى كلٌّ منهما إلى الاستكثار من المؤيِّدين له المُدينين للآخر، ثم يجتهد المؤيِّدون لكلِّ واحد منهما بالإشادة بقول من يؤيِّده وذم غيره، وإلزام من يلقاه بأن يكون له موقف مِمَّن لا يؤيِّده، فإن لم يفعل بدَّعه تبَعاً لتبديع الطرف الآخر، وأتبع ذلك بهجره، وعَمَلُ هؤلاء المؤيِّدين لأحد الطرفين الذامِّين للطرف الآخر من أعظم الأسباب في إظهار الفتنة ونشرها على نطاق

←

وأمّا قوله عن أمير المؤمنين عليه السلام «إذ قد تواتر عنه من الوجوه الكثيرة أنه قال على منبر الكوفة وقد أسمع من حضر: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. وبذلك أجاب ابنه محمد بن الحنفية فيما رواه البخاري في صحيحه وغيره من علماء الملّة الحنيفية»

فهو من الباطل، فقد عرّف السلفيّون التواتر بأنه «ما رواه جماعة يستحيل في العادة أن يتواطئوا على الكذب وأسندوه الى شيء محسوس»(١) وهذا الحديث قد رواه أربعة من الصحابة على قول سليمان ابن الأشعث(٢) بينما ادّعى ابن تيميّة في (الوصية الكبرى)(٣) أنّه متواتر عن أمير المؤمنين عليه السلام. مع أن من صنف

واسع، ويزداد الأمر سوءاً إذا قام كلٌّ من الطرفين والمؤيّدين لهما بنشر ما يُذمُّ به الآخر في شبكة المعلومات (الانترنت)، ثم ينشغل الشباب من أهل السنَّة في مختلف البلاد بل في القارات بمتابعة الاطلاع على ما يُنشر بالمواقع التي تنشر لهؤلاء وهؤلاء من القيل والقال الذي لا يأتي بخير، وإنَّما يأتي بالضرر والتفرُّق، ممَّا جعل هؤلاء وهؤلاء المؤيّدين لكلٍّ من الطرفين يشبهون المتردّدين على لوحات الإعلانات للوقوف على ما يجدُّ نشره فيها، ويُشبهون أيضاً المفتونين بالأندية الرياضية الذين يشجّع كلٌّ منهم فريقاً، فيحصل بينهم الخصام والوحشة والتنازع نتيجة لذلك».

رفقاً أهل السنة بأهل السنة – عبد المحسن العبّاد – ص٤١ / فلو كانت دعوتهم إلهية كما يدّعون فلم تكالبوا بينهم على الدنيا تفسيقا وتضليلا وتكفيرا وهم يلهجون بأنّهم أهل السنّة وأهل القرآن، ومن لا يتّبع طريقهم فإلى الضلال والانحراف!

(١) مصطلح الحديث – محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى٢٠٠٧م: ص٦.

(٢) سؤالات الآجري لابن داود – سليمان ابن الأشعث – تحقيق عبد العليم عبد العظيم البستوي – ط مكتبة دار الاستقامة – ١٩٩٧م – ج٢ ص٩٩.

(٣) الوصية الكبرى – ابن تيميّة – تحقيق إياد عبد اللطيف إبراهيم – طبعة مكتب التراث الأعظميّة ١٩٨٩م – ص٤٨.

في الأحاديث المتواترة من المتأخرين والذين اطّلعوا على ما جاء به الأوّلون لم يضمِّنه كتابه كالسيوطي[١] مثلا.

والحقّ عدم تواتره على مبانيهم مع أنه باطل منكر في نفسه، يخالف ما ورد في أصحِّ الكتب عندهم مثل صحيح مسلم وسنأتي على حديثه لاحقا، إذ ورد هذا الحديث في مسند أحمد من خمس طرق [٢] :-

الطريق الأولى: فيها عاصم بن أبي النجود وزر بن حبيش وهما معدودان في النواصب![٣]

الطريق الثانية والثالثة: فيها الشعبي وهو من الأربعة الذين لا يؤمنون على عليّ ابن أبي طالب كما قال ابن أبي الحديد المعتزلي[٤]، وابن أبي الحديد هو من أهل السنّة بالعنوان العام كما أقر بذلك ابن تيميّة فقال وهو يتكلم عن الشيعة «فمن صنف منهم تفسير القرآن فمن تفاسير أهل السنة يأخذ كما فعل الطوسي والموسوي، فما في تفسيره من علم يستفاد هو مأخوذ من تفاسير أهل السنة وأهل السنة في هذا الموضع من يقر بخلافة الثلاثة فالمعتزلة داخلون في أهل السنة»[٥].

والرابعة فيها شريك القاضي ومن يقرأ سيرته في ثقات العجلي[٦] ولماذا لقبه

---

(١) انظر: ألأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة.

(٢) مسند أحمد - دار صادر (بدون تاريخ) ج١ - ص ١٠٦.

(٣) لاحظ في ترجمتهما: معجم نواصب المحدّثين — للمؤلف.

(٤) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد المعتزلي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم -ط دار إحياء الكتب العربية - ج٤ - ص٩٨.

(٥) منهاج السنة - ابن تيميّة- ج٦ ص٣٧٩.

(٦) معرفة الثقات — العجلي-ط مكتبة الدار- ١٩٨٥ -ج١ - ص٤٥٦.

الناس (ابن قاتل الحسين) لا يجد بدّاً من عدم تعديله.

الطريق الخامسة: وفيها خالد الزيّات وهو مجهول عند من ترجم لرواة مسند أحمد مثل محمد بن علي بن حمزة[١].

وقد بذل الشيخ محمد ناصر الدين الألباني[٢] في تحقيقه على كتاب السنة لعمرو بن أبي عاصم جهده الوسيع في لملمة أطراف الحديث وألفاظه في كل كتب الحديث السنّيّة فلم تتجاوز اثني عشر حديثاً بألفاظ شتّى، بين ضعيف وصحيح والصحيح منها لا يخلو سنده من نواصب.

والغريب انك تجد ابن تيميّة الوحيد الذي ادّعى التواتر طوال خمسة عشر قرناً. وما يمنع من التواتر هنا هو الداعي للكذب، فأكثر طرق الحديث فيه نواصب أو مجهولون، والحديث يدخل في الأحاديث السياسية التي يحذر منها بدخيلة الزمان والمكان، فالحديث انتشر في زمان الأمويين الذين بالغوا في التنقيص من مكانة أمير المؤمنين عليه السلام وقد مرّ علينا نقل ابن أبي الحديد عن المدائني قوله[٣] «ثم كتب – معاوية– إلى عماله: أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب الا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحبّ إلي وأقرّ لعيني وادحض لحجة أبي تراب

---

(١) من له رواية في مسند أحمد – محمد بن علي بن حمزة – تحقيق الدكتور عبد المعاطي أمين قلعجي – ط جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، الباكستان – ص١١٩.

(٢) كتاب السنة – عمرو بن أبي عاصم – تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني – طبعة بيروت ١٩٩٣ – ص ٥٥٦ – ٥٥٩.

(٣) شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد – ج ١١ – ص ٤٤ – ٤٦.

وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وأُلقي إلى معلمي الكتاتيب فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله».

فهذا الحديث أحد تلكم الأكاذيب الموضوعة على لسان الإمام في زمن معاوية.

وقال ابن أبي الحديد[1] «وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه[2] وهو من

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١١ - ص ٤٦

(٢) قال الذهبي «إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان العتكي الواسطي. أبو عبد الله نفطويه النحوي. قيل إنه من ولد المهلب بن أبي صفرة. سكن بغداد، وصنف تصانيف. قال الخطيب: إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي. روى عن إسحاق بن وهب العلّاف، ومحمد بن عبد الملك الدقيقي، وشعيب بن أيوب، وأحمد بن عبد الجبار العطاردي، وطبقتهم. روى عنه: المعافى الجريري، وأبو بكر بن شاذان، وابن حيويه، وأبو بكر ابن المقرئ، وغيرهم. مولده سنة أربع وأربعين، وكان متفننا في العلوم. ينكر الاشتقاق ويحيله. وكان يحفظ نقائض جرير والفرزدق، وشعر ذي الرمة. وأخذ العربية عن: ثعلب، والمبرد، ومحمد بن الجهم. وخلط نحو الكوفيين بنحو البصريين. وتفقه على مذهب، أهل الظاهر، ورأس فيه. وكان دينا، ذا سنة، ومروءة، وفتوة، وكيس، وحسن خلق. صنف: غريب القرآن، والمقنع في النحو، وكتاب البارع وغير ذلك. وله شعر رائق. توفي قبل الذي قبله بيوم واحد في صفر، كلاهما ببغداد. وله تاريخ الخلفاء في مجلدتين» تاريخ الإسلام - الذهبي - ج ٢٤ - ص ١٢٥ — ١٢٦.

أكابر المحدثين وأعلامهم - في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بنى أمية تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم».

وهذا هو الحق والذي ترشد إليه ملابسات الواقع المظلم في العهد الأموي إذ الدواعي موجودة بقوة لذمِّ علي والتنقيص منه، واختراع الفضائل لأعدائه لينصروهم سياسيا، لكونهم من أسّس النظام السياسي الذي قامت عليه شرعية الحكم الأموي، وبالتالي تدخل الدنيا التي ينالها من يرضي بني أمية لتكون عاملا حاسما في إذاعة هذه الأخبار الكاذبة.

ولا أعرف كيف يقول أمير المؤمنين عليه السلام هذا الكلام بينما يصف هؤلاء القوم وبالكتب نفسها بأقذع الأوصاف؟! فهذا مسلم القشيري يروي حديث نزاع الإرث والذي ينقل عمر فيه عن عليٍّ سبّه لأبي بكر وعمر، قال مسلم[1] «حدثني عبد الله بن محمد بن أسماء الضبعي حدثنا جويرية عن مالك عن الزهري أن مالك بن أوس حدثه قال أرسل إليّ عمر بن الخطاب فجئته حيث تعالى النهار، قال: فوجدته في بيته جالساً على سرير مفضياً إلى رماله، متكِّئا على وسادة من ادم، فقال لي: يا مال انه قد دف أهل أبيات من قومك وقد أمرت فيهم برضخ فخذه فاقسمه بينهم، قال: قلت لو أمرت بهذا غيري، قال: خذه يا مال قال: فجاء يرفأ[2] فقال: هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد فقال عمر: نعم فأذِن لهم فدخلوا، ثم جاء فقال: هل لك في عباس وعلي، قال: نعم فأذِن لهما، فقال عباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين

(١) صحيح مسلم - مسلم النيسابوري - دار الفكر - بيروت - ج ٥ - ص ١٥١ — ١٥٣.

(٢) هو أحد غلمان عمر بن الخطّاب.

هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن، فقال القوم أجل يا أمير المؤمنين فاقض بينهم وأرحهم (فقال مالك بن أوس يخيّل إليّ أنهم قد كانوا قدموهم لذلك) فقال عمر اتئدا أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا نورث ما تركنا صدقة؟ قالوا: نعم، ثم اقبل على العباس وعليّ فقال: أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركناه صدقة؟ قالا: نعم، فقال عمر أن الله عز وجل كان خصّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها أحد غيره، قال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ (الحشر: من الآية٧) (ما أدري هل قرأ الآية التي قبلها أم لا) قال فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم أموال بني النضير، فوالله ما استأثر عليكم ولا أخذها دونكم حتى بقي هذا المال، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه نفقة سنة ثم يجعل ما بقي أسوة المال ثم قال: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون ذلك قالوا: نعم ثم نشد عبّاساً وعليّاً بمثل ما نشد به القوم أتعلمان ذلك؟ قالا: نعم، قال فلمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر: أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها فقال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما نورث ما تركنا صدقة، فرأيتماه كاذبا آثما غادرا خائنا، والله يعلم أنه لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفي أبو بكر وأنا وليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ووليّ أبي بكر، فرأيتماني كاذبا آثماً غادراً خائنا، والله يعلم إنّي لصادق بار راشد تابع للحق فوليتها ثم جئتني أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحد، فقلتما ادفعها إلينا فقلت إن شئتم دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله أن تعملا فيها

بالذي كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذتماها بذلك، قال: أكذلك؟ قالا: نعم قال ثم جئتماني لأقضي بينكما ولا والله لا اقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما عنها فردّاها إليّ».

وهذا النصّ الصحيح على موازين اهل السنّة وهو على لسان عمر - وهو غير متّهم عندهم- يكشف الرأي الصريح لأمير المؤمنين عليه السلام بالشيخين. فهو يصفهما بأنهما: كاذبان، آثمان، غادران، خائنان!

وأمّا ما احتجّ به أمير المؤمنين عليه السلام على أفضليته على غيره بعد النبي صلّى الله عليه وآله من طرقنا فنصوص تملأ المجلدات وإنما ليس من منهجنا الرد بما جاء عن طرقنا، وهو خلاف ما يفعله ابن تيميّة وأشباهه فهم يحّتجون علينا بما لا حجّة علينا به ولم نعرف له طريقاً بل ولا يخجلون الاستشهاد بما روته من يعترفون هم بأنهم نواصب!.

وقوله عليه السلام في خطبته الشقشقية[1] «والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إلي الطير، لكني سَدَلت دونها ثوبا، وطويت دونها كشحا، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا من أن أرى تراثي نهبا، إلى أن حضره أجله فأدلى بها إلى عمر، فيا عجبا! بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته. لشد ما

---

(١) الإرشاد - الشيخ المفيد - دار المفيد للطباعة والنشر - تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث -١٩٩٣ - ج ١ - ص ٢٨٧ — ٢٨٩/ وقد أقر ابن أبي الحديد السنّي بهذه الخطبة وكونها لأمير المؤمنين عليه السلام، لذا فهي حجّة عليهم.

تشطرا ضرعيها. شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر فصيرها والله في ناحية خشناء، يجفو مسها، ويغلظ كلمها فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرق وإن أسلس لها عسف، يكثر فيها العثار ويقل منها الاعتذار، فمني الناس - لعمر الله - بخبط وشماس وتلون واعتراض، إلى أن حضرته الوفاة فجعلها شورى بين جماعة زعم أني أحدهم. فيا للشورى ولله هم، متى اعترض الريب في مع الأولين منهم حتى صرت الآن أقرن بهذه النظائر لكني أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا، صبرا على طول المحنة وانقضاء المدة، فمال رجل لضغنه، وصغا آخر لصهره، مع هن وهن، إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وأسرع معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، إلى أن نزت به بطنته وأجهز عليه عمله».

هذا القول من الإمام عليه السلام خير دليل على مقام هذين الشخصين عند الإمام ولكن أين الإنصاف.

قال تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً ﴾ (النساء:٦١)

قال ابن تيمية[١] في الشيعة «يعادون خيار أولياء الله تعالى من بعد النبيين من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، ويوالون الكفار والمنافقين من اليهود والنصارى والمشركين وأصناف الملحدين كالنصيرية والإسماعيلية وغيرهم من الضالين، فتجدهم أو كثيرا منهم إذا

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج١- ص٧.

اختصم خصمان في ربهم من المؤمنين والكفار واختلف الناس فيما جاءت به الأنبياء فمنهم من آمن ومنهم من كفر، سواء كان الاختلاف بقول أو عمل كالحروب التي بين المسلمين وأهل الكتاب والمشركين تجدهم يعاونون المشركين وأهل الكتاب على المسلمين أهل القرآن، كما قد جرّبه الناس منهم غير مرة في مثل إعانتهم للمشركين من الترك وغيرهم على أهل الإسلام بخراسان والعراق والجزيرة والشام وغير ذلك، وإعانتهم للنصارى على المسلمين بالشام ومصر وغير ذلك في وقائع متعددة من أعظمها الحوادث التي كانت في الإسلام في المائة الرابعة والسابعة، فإنه لما قدم كفار الترك إلى بلاد الإسلام وقتل من المسلمين ما لا يحصى عدده إلا رب الأنام كانوا من أعظم الناس عداوة للمسلمين ومعاونة للكافرين، وهكذا معاونتهم لليهود أمر شهير حتى جعلهم الناس لهم كالحمير».

قلت في الجواب:

إن قوله «وهكذا معاونتهم لليهود أمر شهير حتى جعلهم الناس لهم كالحمير» من أعظم الافتراء، فاليهود لم تكن تقم لهم دولة أو كيان منذ الشتات الأعظم حوالي عام ٧٠ للميلاد والى اصطناع الكيان الصهيوني فكيف تعاون الشيعة مع اليهود؟ وأين؟!.

ثم إن الشيعة كانوا في المشرق الإسلامي واليهود تشتتوا في بلاد المغرب من إفريقيا وأوروبا فأين التقوا وتعاونوا؟! وهذا يكشف عن جهله بالتاريخ!.

بل هذا يدل عن أنّه لما رأى أن المسلمين يذمون اليهود أكثر من غيرهم استعمل هذا الأسلوب للربط في الأذهان بين اليهود والشيعة لتنفير المسلمين عنهم في وقت كان الألوف يتشيعون في الهند وخراسان جرّاء تشيع السلطان المغولي

خدابنده! وهو الداعي لتأليف كتابه (منهاج الاعتدال) أي أن القاريء سيرى أمر ابن تيمية عجيباً في ربط الشيعة باليهود في كثير من إشكالاته وليس ذلك إلّا للتنفير عنهم بما يعلم هو نفسه بأنه باطل لا أساس له!.

بل أننا إذا جعلنا التاريخ المعاصر بعد قيام دويلة الكيان الصهيوني في فلسطين لرأينا أن الأنظمة السنية هي التي تسبَّبت بضياع فلسطين، ووقوع أولى القبلتين في أيدي اليهود، والأنظمة في فعلها هذا مسكوت عنها من قبل المؤسسات الدينية الوهابية في السعودية، إذ كانوا يساندون عبد العزيز آل سعود وأبناءه مع علم الجميع بما كان يعقده من اتفاقيات مع البريطانيين والأمريكيين، وهما رعاة اليهود في العالم، والذي حصل بعد اتفاق أوسلو ١٩٩٣م أن أصدرت الهيئات الدينية في السعودية فتاوى تجيز السلام وتشجعه مع اليهود! ومن أشهر هذه الفتاوى فتوى عبد العزيز ابن باز الشهيرة في جواز السلام والتي فنَّدها الشيخ يوسف القرضاوي وغيره من العلماء في سجال استمر على صفحات الجرائد. بينما رفضت الهيئات الشيعية في لبنان وإيران والعراق وباكستان الاتفاقية وإدانتها وأمدّت الفلسطينيين بالسلاح والمال والدعم المادي لتخليص أرضهم من العدو.

وقد نقلت مجلة (العالم) المساجلات على صفحاتها ومنها كلمة الدكتور يوسف القرضاوي إذ قال:

«سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز واحد من كبار علماء المسلمين المرموقين في هذا العصر، وفتاواه معتبرة في الأوساط العلمية والدينية وهو رجل يوثق بعلمه ودينه، نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله تعالى. ولكنه ـ على كل حال ـ ليس بمعصوم، فكل بشر يصيب ويخطيء وقد تعلمنا من سلفنا الصالح: ان كل واحد

يؤخذ من كلامه ويترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أجل هذا جاء التحذير من (زلات العلماء) ومن (زيفة الحكيم) كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه، فيما رواه أبو داود[1]. وقد قال معاذ: احذروا زيفة الحكيم، ولا يثنيكم ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع. وفتوى العلامة ابن باز التي نشرت حول السلام مع (إسرائيل) ـ إن صحت عنه ـ يخالف فيها الكثير من علماء المسلمين. وأنا منهم وعلى الرغم من مودتي وتقديري الكبير له، ولكن كما قال الحافظ الذهبي عن شيخه الإمام ابن تيمية شيخ الإسلام حبيب إلينا ولكن الحق أحب إلينا منه! وفي رأيي أن موضع الخطأ في فتوى الشيخ حفظه الله ليست في الحكم الشرعي والاستدلال له، فالحكم في ذاته صحيح، والاستدلال له لاغبار عليه، ولكن الخطأ هنا في تنزيل غير صحيح، وهو ما يسميه الأصوليون (تحقيق المناط) فالمناط الذي

---

(١) يعتبر كتاب السنن لأبي داود من أجل الكتب عند السلفية بما يسمون به الى الصحيحين يقول عبد المحسن العبّاد أحد علمائهم «كتاب السنن لأبي داود كتابٌ ذو شأن عظيم، عُنِيَ فيه مؤلِّفه بجمع أحاديث الأحكام وترتيبها وإيرادها تحت تراجم أبواب تَدلُّ على فقهه وتَمَكُّنه في الرواية والدراية، قال فيه أبو سليمان الخطابي في أول كتاب "معالم السنن": "وقد جَمع أبو داود في كتابه هذا من الحديث في أصول العلم وأمهات السنن وأحكام الفقه ما لا نعلم متقدِّماً سبقه إليه ولا متأخراً لحقه فيه". وللحافظ المنذري تهذيب لسنن أبي داود وللإمام ابن القيم تعليقات على هذا التهذيب، وقد وصف ابن القيم – رحمه الله – "سنن أبي داود" و"تهذيب" المنذري وما علقه عليه فقال: "ولَمَّا كان كتاب السنن لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني – رحمه الله – من الإسلام بالموضع الذي خصَّه الله به، بحيث صار حكماً بين أهل الإسلام، وفصلاً في موارد النزاع والخصام، فإليه يتحاكم المنصفون، وبِحُكمه يرضى المحققون، فإنَّه جمع شَملَ أحاديث الأحكام، ورتَّبها أحسن ترتيب، ونظمها أحسن نظام، مع انتقائها أحسن انتقاء، واطّراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء».

كيف نستفيد من الكتب الحديثية الستة– عبد المحسن العباد– ص٢٠.

بني عليه الحكم لم يتحقق وأوضح ذلك فيما يلي: بنى الشيخ ابن باز فتواه على أمرين أو على دليلين:

الأول: قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنفال:٦١).

الثاني: أن الهدنة تجوز شرعاً مؤقتة ومطلقة، وكلاهما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين، فقد صالح النبي صلى الله عليه وسلم مشركي مكة على ترك الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس، يكفّ بعضهم عن بعض، وصالح كثيراً من قبائل العرب صلحاً مطلقاً، فلما فتح مكة نبذ إليهم عهودهم، وأجّل من لاعهد له أربعة أشهر. وعلى أساس هذين الدليلين قال الشيخ: يجوز لولي الأمر أن يعقد الهدنة إذا رأى المصلحة في ذلك. وينظر في الدليل الأول للشيخ العلامة، وهو الآية الكريمة من سورة الأنفال، نقول لا مشاحة في أن العدو إذا جنح للسلم ينبغي نحن أن نجنح لها متوكلين على الله، ولكن تطبيق هذا على واقع اليهود معنا غير صحيح، لان اليهود الغاصبين لم يجنحوا للسلم يوما، وكيف يعتبر اليهود جانحين للسلم بعد ان اغتصبوا الأرض، وسفكوا الدماء، وشردوا الأهل واخرجوا الناس من ديارهم بغير حق؟ وما مثل اليهود من أهل فلسطين إلا كمثل رجل اغتصب دارك. واحتلها بأهله وأولاده وأتباعه بالقوة والسلاح وأخرجك واهلك وعيالك منها، وشردك في العراء وظللت أنت وعيالك تقاومه وتحاربه ويحاربك، وتقاتله ويقاتلك، كي تسترجع دارك، وتسترد حقك.. وبعد مدة طالت من الزمن قال لك: تعال أصالحك وأسالمك، سأترك لك حجرة من الدار الكبيرة ـ

دارك أنت ـ على أن تسالمني ولا تحاربني، وتسالمني ولا تنازعني فسأترك لك الأرض مقابل سلامي، مع أن الأرض أو الحجرة التي سيتنازل عنها في زعمه أرضك أنت مقابل سلامه هو! فهل يعتبر مثل هذا المغتصب المصر على اغتصابه جانحاً للسلم؟!

إن الآية التي ذكرها هنا ليست آية سورة الأنفال، بل آية سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد:٣٥).

وننظر في الدليل الثاني للشيخ، وهو أن الهدنة تجوز مؤقتة ومطلقة فنقول: إن الهدنة معناها وقف القتال ولكن هل الذي وقع مع اليهود مجرد هدنة تترك فيها الحرب ويوقف فيها القتال ويكف الناس بعضهم عن بعض؟ الواقع يقول: إن الذي حدث بين اليهود والفلسطينيين ليس مجرد هدنة، بل هو شيء أكبر وأخطر، واعتراف اليهود بأن الأرض التي اغتصبوها بالحديد والنار، شردوا أهلها بالملايين، أصبحت ملكاً لهم أصبحت لهم السيادة الشرعية عليها، وغدت حيفاً ويافا وعكا واللد والرملة وبئر السبع، بل القدس نفسها أرضاً إسرائيلية وان هذه البلاد العربية الإسلامية التي ظلت أكثر من ثلاثة عشر قرناً مع المسلمين، صارت جزءاً من دولة (إسرائيل) اليهودية الصهيونية، ولم يعد لنا حق فيها، ولا حتى مجرد المطالبة بها، ومعنى هذا: إن ما أخذ بالسلاح والقوة اكتسب الشرعية! ما حدث إذاً ليس مجرد هدنة كما تصور شيخنا الكريم، بل هو اعتراف كامل بحق (إسرائيل) في أرضنا الإسلامية العربية، وفي سيادهم عليها، وأنها أُخرجت من أيدينا إلى

الأبد! قد وقعنا على ذلك العقود وأشهدنا على ذلك الشهود! إننا هنا نخالف سماحة الشيخ في تطبيق الحكم الشرعي على الواقع الراهن، فهو تطبيق ـ في نظرنا ـ غير سليم... وكان على الشيخ الكبير في هذا الموضوع الخطير الذي يتعلق بعدو ظللنا نحاربه لبغيه وعدوانه ـ ما يقارب من خمسين سنة بعد قيام دولته، وعشرات السنين الأخرى قبل قيام الدولة ــ أن يستمع إلى رأي الخبراء في السياسة والسلم والحرب، الخبراء الثقات المأمونين الذي لا يدورون في فلك الحكام الخونة أو المتخاذلين ليعلم منهم: هل جنح اليهود للسلم فعلا؟ هل ان ما حدث هو مجرد هدنة أم اعتراف كامل يسقط حقنا بالكلية؟ والمسلمون في ديار الإسلام يعجبون من العرب كيف تغيروا ما بين عشية وضحاها، وجعلوا العدو صديقاً ووضعوا أيديهم في يد من قاتلهم وقتلهم أخرجهم من ديارهم وأبنائهم، والموقف السلمي هنا ماحكاه القرآن: ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾ (البقرة: من الآية٢٤٦) اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتّباعه، وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، آمين».

وقال الدكتور هشام سعيد (نائب أردني وعالم في الحديث النبوي) «الحقيقة أن كلام الشيخ ابن باز بجواز الهدنة الدائمة أو الصلح الدائم مع اليهود هو ليس في محله، وليس من الشرع، وذلك لان الهدنة الدائمة والصلح الدائم مع اليهود المغتصبين للأرض وللمسجد الأقصى والقدس تقر لهم ذلك الاغتصاب والاحتلال، وهذا تنازل كامل وسلخ لفلسطين كلها والمسجد الأقصى المبارك عن الهوية الإسلامية وقدسيتها، واعتراف ومباركة دوليّة تمكن اليهود من هذا الاحتلال وانه شرعي، وضمن قرارات الأمم المتحدة، كما أن في ذلك اعتداء على الوقف الإسلامي الذي أوقفه عمر بن الخطاب، ولا يجوز بيعه أو التنازل عنه

والتفريط به. وكنا نأمل من ابن باز أن يفتي بالجهاد ودعم المجاهدين وتحرير الأرض المقدسة، وجمع الأموال لتلك الغاية، إمّا أن تكون تلك الفتوى من أجل استقرار وأمن هذا المغتصب فبأي حق يكون ذلك. كما أن ابن باز عندما دعا إلى زيارة المسجد الأقصى فهو يفتح الباب أمام الزيارات، وعدد كبير من هؤلاء الزائرين يذهبون لتحقيق الشهوات من خلال العلاقة مع اليهود وليس من أجل الصلاة، إذا كانت زيارة المسجد الأقصى سنُة فالعلاقات مع اليهود هي حرام، فكيف نهتم بتحقيق السنّة ونرتكب الحرام، كما انه من المؤسف أن تكون هذه الفتوى مطابقة لتصرفات بعض الأنظمة والحكام، ويجب علينا أن لا ننسى أيضا فتوى ابن باز الماضية بجواز قدوم القوات الأجنبية إلى المنطقة[1] وجعلها أمراً مقبولا فنأمل أن يراجع ابن باز موقفه هذا وينظر إلى خطورة فتواه لأنه ربما يمكن اليهود من احتلال مكة والمدينة أمام حكام متخاذلين ونتبع تخاذلهم بفتاوى إسلامية».

وقال الدكتور محمد فارس (أحد علماء الشريعة في الأردن) «ما نشر في الصحف هو كلام عام، والفتوى في واقعة وليست في كلام عام، والأصل أن يكون ابن باز صريحاً وان يقول الموقف الشرعي عن ما يجري على أرض فلسطين أو خارج أرض فلسطين، وأن يذكر حكم الشرع فيه، حيث فهم الناس انه موافق على ما يجري وان الشرع يسمح بذلك. وما يجري هو ليس هدنة وإنما اليهود احتلوا وقاتلوا المسلمين في دينهم وأقاموا دولتهم على أرض المسلمين، فكيف تكون الهدنة والصلح هي الحكم بل يجب أن يكون القتال والجهاد، فمن هنا الموقف الشرعي الأصل أن يكون واضحاً، لا لبس فيه ولا عرض، ومطلوب من

(١) كان ابن باز ضمن جوقة الملك فهد والذين أفتوا بجواز الاستعانة بالكفّار لردع المسلم فاستدعوا قوّات صليبية ويهودية الى بلاد المقدّسات بحجّة حماية المملكة من صدّام!

ابن باز أن يتأكد، ما يطرح عليه من المسائل والأخذ بالحيطة والحذر، لما نعرفه من حقيقة العدو، وإذا تغاضى ابن باز عن تلك البديهية وأعطى فتواه فتلك كبيرة من كبائر. يكون قد اقترفها ابن باز، ومن يقول بقوله فنحن ننكر عليه هذا ونناشده أن يتراجع عن ذلك، لان في كلامه إقرار لليهود بأرض فلسطين الإسلامية، ويا عجبي أن يقوم (الشيخ) شمعون بيريز بتأييد فتوى ابن باز وهو مسرور منها جداً[1] لأنها تحقق لذلك (الشيخ) ما يريده اليهود ويبدو أنها فتوى سياسية وليست شرعية أو دينية، وفقهاء السلطان موجودون في كل مكان وهؤلاء الناس لا يؤخذ بفتواهم».

لذا فالتقرب من اليهود والتآمر معهم على المسلمين من شأن الوهابيين وحكامهم الذين يسمونهم (أولي الأمر) وهم يشركون بجعل طاعتهم في عرض طاعة الله.

يقول تعالى:

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (التوبة: من الآية٣١).

فهؤلاء لم يعبدوا أحبارهم ورهبانهم بل اتبعوهم بتحليل حرام الله وتحريم حلال الله فأطاعوهم في عرض طاعة الله وهذه هي العبادة من دون الله.

إما قول ابن تيميّة «تجدهم يعاونون المشركين وأهل الكتاب على المسلمين أهل القرآن كما قد جرّبه الناس منهم غير مرة في مثل إعانتهم للمشركين من

---

(١) طار اليهود فرحاً بتلك (الفتوى) من الشيخ ابن باز كما فعلوا بعد ذلك في حرب تمّوز إذ أفتى لهم الشيخ ابن جبرين بحرمة مساعدة حزب الله حتى بالدعاء! ونشرت صحيفة يديعوت أحرونوت الصهيونية تلك الفتوى مشفوعة بتشجيع على «الاعتدال» ونبذ التطرف الشيعي ضد اليهود! وسيأتيك ذلك.

الترك وغيرهم على أهل الإسلام بخراسان والعراق والجزيرة والشام وغير ذلك، وإعانتهم للنصارى على المسلمين بالشام ومصر وغير ذلك في وقائع متعددة، من أعظمها الحوادث التي كانت في الإسلام في المائة الرابعة والسابعة، فإنه لما قدم كفار الترك إلى بلاد الإسلام وقتل من المسلمين ما لا يحصى عدده إلا رب الأنام كانوا من أعظم الناس عداوة للمسلمين ومعاونة للكافرين».

فهذا مما يشهد التاريخ بخلافه ومن المعلوم أن عامة المؤرخين من أهل السنة بالعنوان العام، وبالتالي فهم غير متّهمين في ما ينقلونه عن تعاون سلاطين أهل السنة مع الصليبيين وغيرهم ضد مسلمين آخرين، ومن نماذج ذلك:

ما سطره ابن كثير الدمشقي وهو من تلاميذ ابن تيميّة ومن أبرز نواصبهم في كتابه (البداية والنهاية) فقال:[1] «ثم دخلت سنة خمس عشرة وستمائة... وفيها أقبل ملك الروم كيكاريس سنجر يريد أخذ مملكة حلب، وساعده على ذلك الأفضل بن صلاح الدين صاحب سميساط، فصدّه عن ذلك الملك الأشرف موسى بن العادل وقهر ملك الروم وكسر جيشه ورده خائبا».

فهذا ابن صلاح الدين الأيوبي يتحالف مع الملك الصليبي لاغتصاب أرض الإسلام! قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ (النساء:١٣٩).

وقال ابن كثير[2] «دخلت سنة ست وعشرين وستمائة استُهلّت هذه السنة

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ج ١٣ ـ ص ٩٣ — ٩٤.

(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ج ١٣ ـ ص ١٤٤ — ١٤٥.

وملوك بني أيوب مفترقون مختلفون، قد صاروا أحزابا وفرقا، وقد اجتمع ملوكهم إلى الكامل محمد صاحب مصر، وهو مقيم بنواحي القدس الشريف، فقويت نفوس الفرنج لعنهم الله بكثرتهم بمن وفد إليهم من البحر، وبموت المعظّم واختلاف من بعده من الملوك، فطلبوا من المسلمين أن يردوا إليهم ما كان الناصر صلاح الدين أخذ منهم، فوقعت المصالحة بينهم وبين الملوك أن يردوا لهم بيت المقدس وحده، وتبقى بأيديهم بقية البلاد فتسلموا القدس الشريف، وكان المعظّم قد هدم أسواره، فعظم ذلك على المسلمين جدا وحصل وهن شديد وإرجاف عظيم، فإنا لله وإنا إليه راجعون».

فهل هناك ذلٌ اكبر من هذا؟! والغريب أن قضية تسليم بيت المقدس الى الصليبيين لا تذكر إطلاقاً من وهابية اليوم في منابرهم الوعظية، لكنهم يذكرون خبرا اختلف فيه المؤرخون حول دور رجل يقال انه شيعي في سقوط بغداد! فهل مدينة بغداد أكثر قدسية من أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين؟! أم أن دينهم السياسة دائماً فأينما يريد الحكّام تجد الفتاوى مشرعة!.

وقال ابن أعثم الكوفي في الفتوح في تفاصيل معركة صفّين[1] «فنادى علي في الناس فجمعهم، ثم خطبهم خطبة بليغة وقال: أيها الناس! إن معاوية بن أبي سفيان قد وادع ملك الروم[2]، وسار إلى صفين في أهل الشام عازما على

---

(١) كتاب الفتوح - أحمد بن أعثم الكوفي - ج٢ - ص٥٣٩- تحقيق د علي شيري -الأولى- ١٤١١- دار الأضواء.

(٢) وقد ذكرت مصادر البيزنطيين والعرب أن معاوية دفع الجزية للروم مقابل سكوتهم عنه ليتفرغ لحرب المسلمين في صفين / تاريخ العرب - فيليب حتي - ص٢٥٨ بل كانت هذه سياسته تجاه النصارى من اتباع دولة الروم، وقد يكون هذا بتأثير بلاطه الآرامي النصراني فقد كان رئيس الموظفين في بلاط ←

→ الملك معاوية هو سرجون الرومي وهو كان مدبر السياسة في قصره، وكان شاعره الأول الأخطل نصراني وكان طبيبه الأول (إبن أثال) نصراني، وزوجته ميسون كذلك نصرانية، وقد سرى هذا النفاق والمجاهرة في الطعن في الإسلام الى ولاة الامويين فنرى خالد القسري يبني لأمه النصرانية كنيسة في العراق! لذا فقد نال المسلمون من معاوية وبني أمية ما لم ينالوه من الروم، والمتمعن في سياسة معاوية أخزاه الله أنه اتبع سياسة البطش مع الثائرين عليه في المدن الإسلامية مثل الكوفة والبصرة ولكنه كان رحيما رؤوفا بالمتمردين على الدولة الإسلامية من النصارى مثل عصابات (المردة) وهم عصابات نصرانية اوجدها القيصر البيزنطي في الشام لإحداث القلاقل الداخلية واضعاف الدولة الاسلامية، قال فيليب حتي المؤرخ المعروف «وكان معاوية قد صالح إمبراطور الروم على قدر كبير من المال يؤديه كل سنة شرط ان يقطع الامبراطور الاعانات عن هذا العدو الداخلي وقبل في الوقت نفسه ان يؤدي جزية للمردة انفسهم ايضا... وفي سنة ٩٨٦م عاد الامبراطور يوستيانوس الثاني الى تحريض اهل الجبل المردة وحضهم على الفتنة، والعبث بالأمن في ارض الشام، فاضطر الخليفة عبد الملك جريا على سياسة معاوية قبله ان يقبل بالشروط التي فرضها عليه الامبراطور وان يصالح الجراجمه (المردة) على الف دينار كل اسبوع» تاريخ العرب – فيليب حتي – ص ٢٦٦، وعبد الملك بن مروان هذا هو الذي يقول «من قال برأسه كذا قلنا له بسيوفنا كذا) لكنه مع الروم كان يدفع الاموال لإسكاتهم فما السر ياترى؟!! وهل من الصدف أن يظل القائم على أدارة بيت المال في دمشق في العهد البيزنطي هو نفسه في العهد الاموي ايام الامارة والخلافة (منصور ابن سرجون) والذي سيخلفه فيما بعد ابنه في المنصب نفسه والمفارقة ان حفيده الذي خلف اهله في المنصب نفسه سيكون (القديس يوحنا الدمشقي) وهو من أهم رجال الدين النصارى في ذلك العهد «ومن مؤلفاته محاورة مع مسلم في موضوع ألوهية المسيح وحرية الإرادة البشرية وهو بمثابة دفاع عن النصرانية» تاريخ العرب – ص٣١٠.

من هذا نعلم أن البلاط الاموي كان نقطة انطلاق لإفشال المشروع النبوي الإسلامي الذي صوروه على انه إمبراطورية تمتد من الصين الى الاندلس! لكنها في الحقيقة إمبراطورية بلا روح وبلا عنوان فهي لا تمت الى دين النبي صلى الله عليه وآله بصلة بل هي ملك كسروي قيصري دنيوي نصراني المضمون يهودي العقيدة ويكفي مماثلتهم لليهود في قضيّة التجسيم لتعرف ذلك.

حربكم، فإن غلبتموهم استعانوا عليكم بالروم، وإن غلبوكم فلا حجاز ولا عراق، وقد زعم معاوية لأهل الشام أنهم أصبر منكم على الحرب، وهذا كلام يستحيل عن الحق، لأنكم المهاجرون والأنصار والتابعون، والقوم أهل شبهة وباطل، وإنما سميت شبهة لأنها تشبه الحق ولا يخلو أن يكون فيها رشح من الهدى، فخذوا في أهبة الحرب فقد تقارب إهراق دماء القاسطين، ألا! وإن المشورة فيها البركة، فهاتوا رحمكم الله ما عندكم».

لا حول ولا قوة إلاّ بالله، فكبيرهم معاوية يسالم الصليبيين ليتفرغ لقتال المسلمين على الدنيا فيتسبب بقتل عشرات الألوف في سبيل تملّكه الخلافة! وهو ما اعترف به بنفسه فقال عند دخوله الكوفة بعد مقتل أمير المؤمنين عليه السلام «أيها الناس إني والله ما قاتلتكم على الصوم والصلاة والزكاة وإني لأعلم أنكم تصومون وتصلون وتزكون ولكن قاتلتكم لأتأمّر عليكم»[1].

«ولتعرف مدى عصبية هؤلاء القوم فإن الذهبي الذي لا يترك كلمة في معاجم الشتائم إلا وينهال بها على من يتهمهم زورا، إن الذهبي حين يذكر خيانة الملك العادل أبي بكر أخي صلاح الدين الأيوبي وتسليمه مدينة يافا للصليبيين وكذلك مغل اللد والرملة ومصالحته لهم، وأن الصليبيين قويت نفوسهم بذلك حين يذكر هذا في كتاب سير أعلام النبلاء يكتفي بأن يعلق على هذه الخيانة بقوله: فالأمر لله، بعد أن كان قد أغدق عليه من قبل كل وصف جميل. وكذلك فإنه حين يذكر خيانة الملك الأيوبي الآخر مظفر الدين يونس وانضمامه إلى الصليبيين ومشاركته لهم في قتالهم للمسلمين في وقعة قلنسوة من أعمال نابلس

(١) تاريخ مدينة دمشق – ابن عساكر – ج ٥٢ – ص ٣٨٠ بثلاثة أسانيد/ شرح نهج البلاغة – ابن ابي الحديد –ج١٦ –ص١٥/ البداية والنهاية –ابن كثير الدمشقي –ج٨ –ص١٤٠.

التي قتل فيها ألف مسلم، إن الذهبي هذا يقتصر في تأنيب هذا الأيوبي الخائن على قوله عنه: سامحه الله تعالى. وإذا كان قال هذه الكلمة فإنه لم يقل حتى مثلها عن الخائن الأيوبي الآخر إسماعيل الذي ذكر هو أنه اعتضد على أقربائه بالفرنج، فسلم القدس للصليبيين فضلا عن طبرية وعسقلان حتى إن الرهبان وضعوا قناني الخمر على الصخرة، وأبطل الأذان بالحرم». [(١)]

لكنّهم عندما يصلون الى سقوط بغداد ينقلون بحماسة وبتحريف ما اختلف حوله المؤرخون وفرية المؤامرة الشيعية لإسقاط الدولة العباسيّة!

والغريب أنهم يكفِّرون من فعل ذلك من غير الصحابة! جاء في كتاب شرح أصول السنة «ما رأيكم فيمن يقول: اليهود والنصارى ليس بيننا وبينهم عداوة دينية.

الجواب: هذا قد أفتى فيه العلماء أن هذا من الضلال والكفر ونعوذ بالله»[(٢)].

فكيف يكون الصلح مع الصليبيين والصهاينة جائز لكون الملوك تفعله ويكفّر العامة على كلمة يقولونها؟

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة:٥١).

(١) الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي – حسن الأمين – ص ١٤٣.

(٢) شرح أصول السنة –ربيع بن هادي المدخلي –ص٨٢.

الشِعبي والشيعة

قال ابن تيميـة[1] «كمـا روى أبـو حفـص بـن شـاهين في كتـاب اللطيـف في السنة... قال لي الشعبي أحذركم هذه الأهواء المضلّة، وشـرّها الرافـضة لم يـدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة، ولكن مقتا لأهل الإسلام وبغيـا علـيهم، قـد حـرّقهم علي رضي الله عنه بالنار، ونفاهم إلى البلدان، منهم عبد الله ابن سبأ يهودي مـن يهود صنعاء[2] نفاه الى ساباط وعبد الله بن يسار نفاه إلى خازر وآية ذلك أن محنـة

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية– ابن تيمية – ج١ – ص٧.

(٢) هم مولعون بنسبة الشيعة لليهود تارة وللمجوس تـارة أخـرى! بـل وحـتى مـن ينتـسب للـشيعة بالاسم وهم منه براء، يقول ابـن قـيم الجوزيـة في المجـوس «والمجـوس تعظّـم الأنـوار، والـنيران، والماء، والأرض. ويقرّون بنبوّة زرادشت. ولهم شرائع يصيرون إليهـا. وهـم فـرق شـتى. منـهم: المزدكية، أصحاب مـزدك الموبـذ. والموبـذ عنـدهم: العـالم القـدوة. وهـؤلاء يـرون الاشـتراك في النساء والمكاسب كمـا يـشترك في الهـواء، والطـرق، وغيرهـا. ومنـهم الخرّميـة: أصـحاب بابـك الخرّمي. وهم شـر طـوائفهم، لا يقـرون بـصانع، ولامعـاد، ولا نبـوة، ولا حـلال، ولا حـرام. وعلى مذهبهم: طوائف القرامطة، والإسماعيلية، والنصيرية، والبشكية، والدرزيـة، والحاكميـة، وسائر العبيدية، الذين يسمون أنفسهم الفاطمية، وهم من أكفر الكفـار، كمـا سـتأتي ترجمتـهم. فكل هؤلاء يجمعهم هذا المذهب ويتفاوتون في التفصيل. فالمجوس شيوخ هؤلاء كلـهم وأئمتـهم وقدوتهم. وإن كان المجوس قد يتقيدون بأصل دينهم وشرائعهم. وهؤلاء لا يتقيـدون بـدين مـن ديانات العالم، ولا بشريعة من الشرائع» اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان– ابـن قـيّم الجوزيّـة– ←

الرافضة محنة اليهود:

«قالت اليهود لا يصلح الملك إلا في آل داود، وقالت الرافضة لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي».

الجواب:

لم تقل الشيعة ذلك بل قالها النبي صلى الله عليه وآله في الحديث المتفق عليه من قبل الأمة «يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[(١)] حسنّه الترمذي وحكم بغرابته! وهو حديث صحيح بحكم الألباني[(٢)] وغيره، وسيأتيك تخريجه من مصادر عديدة بألفاظ عديدة.

قال ابن تيمية[(٣)] نقلا عن الشعبي وارتضاه «وقالت اليهود لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجّال وينزل سيف من السماء، وقالت الرافضة لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي وينادي منادٍ من السماء».

قلت: وهذا من الكذب، فأما نزول السيف عند اليهود فلا رواية به عندهم

ج٢/ فإذا كانت الطوائف المارقة كافرة فإن أكفرهم من ينتسب الى الشيعة! وإذا كانت الطوائف المارقة تنتمي للإسلام فيجب أن يكون من ينتسب للشيعة على عقائد المجوس واليهود والنصارى وهكذا دواليك!

(١) سنن الترمذي – الترمذي – ج ٥ – ص ٣٢٨.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة –الألباني– ج٢ –ص٣٣.

(٣) دأبت السلفية المحدثة على انه إذا ألزم ابن تيمية بنص أدرجه في كتبه سارعت الى القول «هذا الكلام ليس له بل حكاه عن فلان» وهذا القول ما أسخفه فهو لا يعدو عندما حكاه إما للاستشهاد به وتعزيز كلامه وإما بالعكس فإن كان الأول كان هذا تأييداً للكلام وبالتالي يتحمل مسؤوليته ويحاسب كمن قاله وإن يكن الثاني فأي عاقل يفعل ذلك وينقض غرضه؟!

وقد أخرجه ابن تيميّة من كيس أبي هريرة!.

وأمّا المماثلة بعدم الجهاد حتى ظهور المخلّص فهذا من المضحك المبكي! فمن الذي هزم الدول العربية السبع في حرب ١٩٤٨م ومن الذي اجتاح البلاد الإسلامية وأذلّها في عام ١٩٦٧م الم يكن اليهود؟! وخلال هذه الحروب كان دور الحاخامات اليهود محوريًا في دعم الروح الدينية والقتالية للجيش الصهيوني، ولولا حزب الله الشيعي لبقت أنوف الوهابيّة ممرغة في التراب من سلسلة الهزائم التي أخزهم.

وأمّا ما حكاه عن الشيعة والجهاد فكذب، وسأستشهد بنصوص من عاصروا ابن تيمية من الإمامية في حديثهم عن الجهاد وكانت كتبهم مشتهرة:

قال أبو المجد الحلبي[1] «أما الكلام في الجهاد فهو فرض على الكفاية، وشرائط وجوبه: الحرّية والذكورة والبلوغ وكمال العقل والقدرة عليه بالصحّة والآفات المانعة منه، والاستطاعة له بالخلوّ من العجز عنه، والتمكن منه وما لا يتم كونه جهاد إلا به من ظهر وآلة وكلفة ونفقة وغير ذلك مع أمر الإمام الأصل به أو من نصّبه وجرى مجراه أو ما حكمه حكم ذلك من حصول الخوف الطارئ على كلمة الإسلام، أو المفضي إلى احتياج الأنفس أو الأموال فتكاملها يجب وبارتفاعها أو الإخلال بشرط منها يسقط، فكل من أظهر الكفر أو خالف الإسلام من سائر فرق الكفار يجب مع تكامل ما ذكرناه من الشروط جهادهم».

وقال المحقق الحلي[2] «كتاب الجهاد وهو فرض كفاية على الذكر البالغ

---

(١) شارة السبق – أبو المجد الحلبي – ص ١٤٢.

(٢) الرسائل التسع – المحقق الحلي – ص ٣٦٢.

العاقل الصحيح الحر.... بشرط وجود الإمام أو نائبه». فانتبه لقوله «أو نائبه».

وقال في المعتبر[1] «قد يجب الجهاد وإن لم يكن الإمام موجودا، لقوله عليه السلام": ادفنوهم بثيابهم". وما روي عن الأئمة عليهم السلام من طرق منها: أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "الذي يقتل في سبيل الله يدفن كما هو في ثيابه، إلا أن يدركه المسلمون وبه رمق ثم يموت بعد، فإنه يغسل ويكفّن ويحنط ويصلّى عليه" وعن أبي خالد قال: " اغسل كل الموتى إلا من قتل بين الصَفَّين».

وقال يحيى بن سعيد الحلي[2] «هذا الكتاب يحتوي على وجوب الجهاد، وكيفية وجوبه، ومن يجب عليه ومن يجاهد وكيفية الجهاد، وأحكام الغنيمة، والفيء، والجزية. أما وجوبه: فمن الكتاب ومما علم من دين النبي صلى الله عليه وآله ضرورة. ووجوبه على الكفاية إذا غلب الظن أن فيمن قام به كفاية كفى، ويسقط فرضه عن المتمكن منه بإقامة غيره مقامه. ووجوبه على كل حر، ذكر، بالغ، كامل العقل مطبق له، صحيح من المرض والعمى والعرج، بشرط حضور إمام الأصل داعيا إليه أو من يؤمره، وهو محرم من دون إذنه. وقد يتعين فرضه إذا دهم المسلمين عدو يخاف منه بواره أو بوار بعض المسلمين، فيجب الجهاد دفعا له، لا دعاءً له إلى الإسلام وإن لم يحضر الإمام».

ثم إن القول الذي تعتبره الشيعة بأن جهاد الدعوة يجب مع الإمام المعصوم وإما جهاد الدفع فلا يلزم منه وجود الإمام بل هو فرض عين فهذا القول مطابق لآرائهم الفقهية فيما يخص أولي الأمر، فعندهم لا يجب جهاد الدعوة إلاّ مع أولي

---

(١) المعتبر – المحقق الحلي – ج ١ – ص ٣١١.

(٢) الجامع للشرايع – يحيى بن سعيد الحلي – ص ٢٣٣.

الأمر، وهم عندهم كل من تمكن من السلطة بأي طريقة كانت، بل وحتى جهاد الدفع أفتى بعضهم بانه لا يجوز إلّا بإذن أولي الأمر، وقد شهدنا الكثير في أيّامنا من المفتين السلفيين يقولون ذلك من خلال الفضائيّات السلفيّة، وذلك لردع بعض السعوديين من عبور الحدود العراقية للاشتراك في الحرب ضد الأميركيين!. ثم أن القول بعدم الخروج في جهاد الدعوة مع غير المعصوم يرجع لعلّة خشية الاستئصال، وعدم وجود الإخلاص يجعل الأمر خالٍ من التوفيق الإلهي، والعودة بالوبال على بلاد الإسلام وقد وافقتنا الحنابلة -ومنهم السلفيون- في ذلك فقد نقل ابن قدامة الحنبلي عن أحمد بن حنبل قوله «قال أحمد لا يعجبني أن يخرج مع الإمام أو القائد إذا عرف بالهزيمة وتضييع المسلمين وإنما يغزو مع من له شفقة وحيطة على المسلمين فإن كان يعرف بشرب الخمر والغلول يغزى معه إنما ذلك في نفسه»[(١)]

لذا فالقول الذي تقوله ابن تيمية من الكذب الصريح على الشيعة وعلى اليهود!

قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه «واليهود يؤخِّرون الصلاة إلى اشتباك النجوم وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم، والحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال لا تزال أمتي على الفطرة مالم يؤخِّروا المغرب إلى اشتباك النجوم».

الجواب:

وهذا من الكذب الصريح، فالكل يعلم أن اليهود يجعلون يوم السبت كلّه

(١) الشرح الكبير - عبد الرحمن بن قدامه - ج ١٠ - ص ٣٧١.

للعبادة لا فرق بين وقت اشتباك النجوم وغيره، جاء في سفر التثنية وهو السفر الذي جمع الأحكام الفقهية عند اليهود [١] «١ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم. اسمع يا إسرائيل الفرائض والأحكام التي أتكلّم بها في مسامعكم اليوم وتعلموها واحترزوا لتعملوها. ٢ الرب إلهنا قطع معنا عهدا في حوريب. ٣ ليس مع آبائنا قطع الرب هذا العهد بل معنا نحن الذين هنا اليوم جميعنا أحياء. ٤ وجها لوجه تكلم الرب معنا في الجبل من وسط النار. ٥ أنا كنت واقفا بين الرب وبينكم في ذلك الوقت لكي أخبركم بكلام الرب. لأنكم خفتم من أجل النار ولم تصعدوا إلى الجبل. فقال. ٦ أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. ٧ لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. ٨ لا تصنع لك تمثالا منحوتا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من أسفل وما في الماء من تحت الأرض. ٩ لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور. أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء وفي الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضونني ١٠ وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي. ١١ لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا. لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا. ١٢ إحفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلهك. ١٣ ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك. ١٤ وأما اليوم السابع فسبتٌ للرب إلهك لا تعمل فيه عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذي في أبوابك لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك. ١٥ واذكر أنك كنت عبدا في أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة. لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت. ١٦ أكرم

---

(١) الكتاب المقدس (العهد القديم) – الكنيسة – ص ٢٨٧ – ٢٨٨ –الإصحاح الخامس– نداء الرجاء– شتوتغارت – المانيا – طبعة فنلندا ١٩٩٣م.

أباك وأمك كما أوصاك الرب إلهك لكي تطول أيامك ولكي يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب إلهك. ١٧ لا تقتل. ١٨ ولا تزن. ١٩ ولا تسرق. ٢٠ ولا تشهد على قريبك شهادة زور. ٢١ ولا تشتهِ امرأة قريبك ولا تشتهِ بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك. ٢٢ هذه الكلمات كلم بها الرب كل جماعتكم في الجبل من وسط النار والسحاب والضباب وصوت عظيم ولم يزد. وكتبها على لوحين من حجر وأعطاني إياها».

فأين كذبة اشتباك النجوم التي ابتدعها ابن تيميّة؟!

وأمّا الإمامية: قال الشريف المرتضى في رسائله في مسألة وقت صلاتي المغرب والعشاء[1] «هل بين عشاء المغرب والآخرة فرق غير الأربع ركعات النافلة؟ وأول صلاة المغرب لسقوط القرص أم إذا بدت ثلاثة أنجم لا ترى بالنهار؟ الجواب: إذا غربت الشمس دخل وقت صلاة المغرب من غير مراعاة لطلوع النجم فإذا مضى من الوقت مقدار ما يؤدي فيه ثلاث ركعات، اشتراك الوقت بين صلاة المغرب وبين صلاة عشاء الآخرة».

وقال الطوسي[2] «أول وقت صلاة المغرب عند غيبوبة الشمس. وعلامته سقوط القرص. وعلامة سقوطه عدم الحمرة من جانب المشرق. وآخر وقته سقوط الشفق، وهو الحمرة من ناحية المغرب. ولا يجوز تأخيره من أول الوقت إلى آخره إلا لعذر».

لذا فمن البهتان القول الذي ذكره ابن تيمية.

---

(١) رسائل المرتضى – الشريف المرتضى – ج ١ – ص ٢٧٤ /جواهر الفقه – القاضي ابن البراج – ص ٢٥٥.

(٢) النهاية – الشيخ الطوسي – ص ٥٩.

قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه «واليهود تزول عن القبلة شيئا وكذلك الرافضة».

قلت:

وهذا من الكذب الصريح، فقد اشترط الاستقبال كل فقهاء الشيعة بلا استثناء، ومنهم مثلا العلامة الحلي[1] المعاصر لابن تيمية والذي ملأت كتبه الآفاق حتى وصلت لابن تيميّة نفسه، ولولا ذلك لما رأى آراءه في (منهاج الكرامة) فكيف وصل منهاج الكرامة ولم تصل كتبه الفقهية؟! هذا ما يؤكد الكذب عن حيلة وخبث!.

قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه «واليهود تنود[2] في الصلاة وكذلك الرافضة»

قلت: وهذا من الكذب الصريح، فقد اجمع الفقهاء على عدم جواز الحركة أو كراهتها مطلقاً في الصلاة بعد تكبيرة الإحرام بلا استثناء.

قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه «واليهود تسدل أثوابها في الصلاة وكذلك الرافضة».

قلت: وهذا من الكذب الصريح فالمطلوب الستر للعورة في الصلاة ولا ذكر لإسدال الثياب عند الإمامية! فإن كان يشير الى إسبال اليدين في الصلاة وعدم التكتّف فنقول: إنه أحد الرأيين المنقولين عن مالك بن أنس – إمام دار الهجرة

---

(١) تحرير الأحكام – العلامة الحلي –ج١ –ص١٨٧ / ذكرى الشيعة – الشهيد الأول – ج٣ – ص١٨٨/ جامع المقاصد –المحقق الحلي – ج٢ – ص٥٩.

(٢) قال ابن الأثير «ناد ينود، إذا حرّك رأسه وأكتافه» النهاية في غريب الحديث – ابن الأثير – ج ٥ – ص ١٢٤.

كما يسمّونه- فهل هو قد شابه اليهود بذلك؟! قال الشيخ جعفر سبحاني نقلا عن الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه الفقه على المذاهب الخمسة «إن قبض اليد اليسرى باليمنى مما اشتهر ندبه بين فقهاء أهل السنة. فقالت الحنفية: إن التكتّف مسنون وليس بواجب، والأفضل للرجل أن يضع باطن كفه اليمنى على ظاهر كفّه اليسرى تحت سرته، وللمرأة أن تضع يديها على صظدرها. وقالت الشافعية: يُسنُّ للرجل والمرأة، والأفضل وضع باطن يمناه على ظهر يسراه تحت الصدر وفوق السرَّة مما يلي الجانب الأيسر. وقالت الحنابلة: إنه سنّة، والأفضل أن يضع باطن يمناه على ظاهر يسراه، ويجعلها تحت السرّة. وشذت عنهم المالكية فقالوا: يندب إسدال اليدين في الصلاة الفرض، وقالت جماعة أيضا قبلهم، منهم: عبد الله بن الزبير، وسعيد بن المسيّب، وسعيد بن جبير، وعطاء، وابن جريج، والنخعي، والحسن البصري، وابن سيرين، وجماعة من الفقهاء. والمنقول عن الإمام الأوزاعي التخيير بين القبض والسدل»[1].

ومن هنا ترى كذب ابن تيمية!.

قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه «واليهود لا يرون على النساء عدة وكذلك الرافضة».

قلت:

وهذا من الكذب الصريح فكتب الشيعة مليئة بأحكام العدّة للمطلقة والأرملة وبعناوين مستقلة! بل لا نحتاج لذلك نقل الأدلة، وهل نحتاج لدليل على وجود الشيعة في بلاد المسلمين؟!.

---

(١) البدعة، مفهومها، حدها، آثارها - الشيخ جعفر السبحاني - مطبعة اعتماد قم - ١٤١٣هـ- ص ١٥٢.

قال ابن تيميّة نقلا عن الشعبي وارتضاه «واليهود حرّفوا التوراة وكذلك الرافضة حرفوا القرآن».

قلت:

وهذا من الكذب الصريح، فالروايات التي يفهم منها التحريف وردت عند الأخباريين شيعة وسنة وما ورد في كتب الحشويين من أهل السنة مثل التي ظاهرها عند الشيعة توحي بذلك ولم يلتفت لها الفقهاء. ولم يلتفتوا لظاهرها وأوّلوها بما يتناسب مع الثابت المبرهن عليه.

قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه «واليهود قالوا افترض الله علينا خمسين صلاة وكذلك الرافضة».

قلت:

وهذا من الكذب الصريح على الإمامية ولا ذكر لها عندهم!.

قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه «واليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين إنما يقولون: السأم عليكم، والسأم: الموت، وكذلك الرافضة».

قلت:

وهذا من الكذب الصريح، فالشيعة تخالط السنة في كل بلاد العالم ولم يُسمع أن قال احدهم أن شيعياً قال له السأم عليكم! بل حتى ابن تيمية ما ادّعاها لنفسه وهو يخالط الشيعة في الشام، وكانت مدينة حلب من حواضر الشيعة آنذاك!.

قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه «واليهود لا يأكلون الجري والمرماهي والذناب وكذلك الرافضة».

قلت:

أمّا هذه فقد وصلت الأخبار الصريحة الصحيحة عن الثقلين الموصّى بالتمسك بهما خشية الضلال بالنهي عن أكلها فقال سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: من الآية٥٩).

وأولوا الأمر قالوا بحرمتها:

روى الشيخ الكليني في (الكافي)[1] عن محمد بن مسلم قال «أقرأني أبو جعفر عليه السلام شيئا من كتب علي عليه السلام فإذا فيه: أنهاكم عن الجري والزمير والمارماهي والطافي والطحال قال: قلت: يا ابن رسول الله يرحمك الله إنا نؤتى بالسمك ليس له قشر؟ فقال: كُلْ ماله قشر من السمك وما ليس له قشر فلا تأكله».

ومن غرائب ابن تيمية أن ما قاله في التفصيل عن حرمة المارماهي والجري عند اليهود غير موجود في كتب اليهود على الإطلاق! فمن أين جاء به أم أن أبا هريرة ترك كيسيه عنده!؟ قال صاحب قاموس الكتاب المقدس [2] «أن الناموس ميز بين السمك الطاهر والسمك النجس، فالذي له زعانف وحراشف طاهر، والذي ليس له زعانف وحراشف كان نجسا. وكان لسليمان الملك معرفة بأسماك فلسطين غير أن الكتاب المقدس لا يحدثنا عن أنواع السمك، بل يذكر النوع عموما».

وكَذِب ابن تيمية المتواصل وكلامه عن أمور غير موجودة في كتب النصارى

(١) الكافي – الشيخ الكليني – ج ٦ – ص ٢١٩.

(٢) قاموس الكتاب المقدس – مجمع الكنائس الشرقية – ص ٤٨٤.

واليهود جعل عميان البصيرة من أتباعه يظنون أنه عالم بما في كتب الأديان من دون أن يكلِّفوا أنفسهم عناء البحث البسيط، ليكتشفوا البهتان العظيم والقدرة الفائقة على الكذب عند شيخهم.

ولا تثريب أن تتشابه بعض أحكام أهل الديانات فالأديان لا تُنسخ كلها فقد تبقى بعض الأحكام مشتركة بين الأديان، ومنها بين اليهودية والإسلام، مثل تحريم الخمر والزنا وغيره فما ذنبنا إن جاءت الروايات الصحيحة عن أهل البيت عليهم السلام بذلك؟ فهل نتركها حتى لا نشابه اليهود وهل يخلو الفقه والعقيدة عند السنّة من أمور يشتركون بها مع باقي الأديان[1]؟! ومن ضروريات الدين وما نزل به القرآن تحريم الخنزير وكونه نجس، وكذلك ورد ذلك عند اليهود في توراتهم إذ جاء فيها[2] «لا تأكل رجسا ما. ٤ هذه هي البهائم التي تأكلونها. البقر والضأن والمعز. ٥ والإبل والظبي واليحمور والوعل والرئم والثيتل والمهاة. ٦ وكل بهيمة من البهائم تشق ظلفا وتقسمه ظلفين وتجتر فإياها تأكلون. ٧ إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف المنقسم. الجمل والأرنب والوبر لأنها تجتر لكنها لا تشق ظلفا فهي نجسة لكم. ٨ الخنزير لأنه يشق الظلف لكنه لا يجتر فهو نجس لكم. فمن لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا ٩ وهذا تأكلونه من كل ما في المياه. كل ما

---

(١) من العقائد التي يشترك بها السلفيّون مع اليهود والنصارى هي (رؤية الله) قال ابن القيّم «قال المزني: ابن خزيمة هو أعلم بالحديث مني ولم يكن في وقته مثله في العلم بالحديث والفقه جميعا وقال في كتابه: فمن ينكر رؤية الله تعالى في الآخرة فهو عند المؤمنين شر من اليهود والنصارى والمجوس وليسوا بمؤمنين عند جميع المؤمنين». اجتماع الجيوش الاسلامية- ابن قيم الجوزية- ص٨٩/ فعندهم من يوحّد الله حق توحيده يكون شرا من اليهود والنصارى لكونهم يرون رؤية الله واجبة في الدنيا والآخرة!

(٢) الكتاب المقدس (العهد القديم) - دار الكتاب المقدس - ١٩٨٠- ص٣٠٢.

له زعانف وحرشف تأكلونه. ١٠ لكن كل ما ليس له زعانف وحرشف لا تأكلوه. إنه نجس لكم».

فهل نأكل الخنزير لنخالف اليهود فقط؟!!

بل يريد ابن تيمية أن نبتدع مثله فهو الذي يقول في بعض المستحبات الثابتة عند الشيعة والسنة «ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعارا لهم، فلا يتميز السنّي من الرافضي، ومصلحة التميز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة هذا المستحب، وهذا الذي ذهب إليه يحتاج إليه في بعض المواضع إذا كان في الاختلاط والاشتباه مفسدة راجحة على مصلحة فعل ذلك المستحب»(١)

والاستحباب والكراهة أحكام فقهية يجب أن نرجع فيها إلى الكتاب والسنة لا أن نبتكر ونبتدع الأساليب التي تؤدي بنا إلى أحكام بدعية بعقولنا الناقصة، يقول تعالى:

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (النحل:١١٦).

لذا تجد الفتاوى عند هؤلاء مجاناً فالابتداع عندهم سنة حتى قال بعضهم:

«قال الشيخ محمد بن عبد الرحمن الدمشقي في كتاب (رحمة الأمة في اختلاف الأئمة) المطبوع بهامش الميزان للشعراني: السنة في القبر التسطيح، وهو أولى على الراجح من مذهب الشافعي.

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية –ابن تيمية – ج٤ – ص ١٥٤.

وقال أبـو حنيفـة ومالـك وأحمد: التـسنيم أولى لأن التـسطيح صـار شـعارا للشيعة. وقال الغزالي والماوردي: إن تسطيح القبور هـو المشروع لكـن لما جعلتـه الرافضة شعارا لهم عدلنا عنه إلى التسنيم.

وقال مصنف (الهداية) من الحنفية: إن المشروع التختّم في اليمين ولكـن لما اتخذته الرافضة جعلناه في اليسار». [1]

وقد نقل البيهقي روايات متعارضة في كـون قـبر الـنبي مـسطّحا ام مـسنّما ثم قال «ومتى ما صحت رواية القاسم بن محمد - قبورهم مبطوحة ببطحـاء العرصـة - فذلك يدل على التسطيح، وصحت رؤية سفيان التمار قبر النبي صلى الله عليـه وسلم مسنّما فكأنه غُيِّر عما كان عليه في القديم، فقد سقط جـداره في زمـن وليـد بن عبد الملك، وقيل في زمن عمر بن عبد العزيز ثم أصلح، وحـديث القاسـم بـن محمد في هذا الباب أصحّ وأولى أن يكون محفوظـا، الا أن بعـض أهـل العلـم مـن أصحابنا استحب التسنيم في هذا الزمان لكونه جائزا بالإجماع، وان التسطيح صار شعارا لأهل البدع فلا يكون سببا لإطالة الألسنة فيه ورميه بما هـو مـنزه عنـه مـن مذاهب أهل البدع وبالله التوفيق»[2].

وهو واضح في ترجيحه أن قبر النبي صلى الله عليه وآله نفسه كـان مـسطحا لكنه عدل وغير لكون اهل البدع تسطح قبورها، (وبالله التوفيق) على البدعة؟!!

قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه «واليهود لا يرون المسح على الخفَّين وكذلك الرافضة».

---

(١) الغدير - الشيخ الأميني - ج ١٠ - ص ٢٠٩ — ٢١٠.

(٢) السنن الكبرى - البيهقي - ج ٤ - ص ٣ — ٤.

الجواب:

ليس هناك وضوء عند اليهود حتى يروا أو لا يروا المسح على الخفَّين! وهو من الافتراءات المضحكة!. فليس عند اليهود طهارة مائيّة في العبادات أصلا!.

قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه «واليهود يستحلون أموال الناس كلهم وكذلك الرافضة وقد أخبرنا الله عنهم بذلك في القرآن أنهم قالوا: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ (آل عمران: من الآية٧٥) وكذلك الرافضة»

وهذا من الكذب الصريح فلا تستحلُّ الشيعة هذا الفعل، وحقا قالوا «رمتني بدائها وانسلت» فقد رأينا في عصرنا هذا من أقام إمارة إسلامية في العراق على المذهب الوهابي وأصدر فتاويه باستحلال دماء وأموال ونساء الشيعة لأنهم كفار!!

بل إن السلفيين أتباع ابن تيمية وسالكي طريقه يستحلّون أموال الناس ببدعة الارتداد، حتى عند مزاحهم! إذ قال محمد بن عبد الوهاب «ويقال أيضا إذا كان الأولون لم يكفَّروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب؟ (باب حكم المرتد) وهو المسلم الذي يكفَّر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعا كثيرة كل نوع منها يكفِّر ويُحلُّ دم الرجل وماله، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب» [1]

فمن الذي يستحل مال المسلمين حتى بالمزاح؟! ومن غريب مفارقات ابن

---

(١) كشف الشبهات في التوحيد – محمد بن عبد الوهاب– دار القاسم للنشر – الطبعة الاولى – ١٩٩٥م – ص١٩.

تيمية أنه وفيما عدَّ هذا الفعل من موبقات الشيعة اعترف بتطبيقه متفاخرا في كتاب آخر! قال ابن تيمية في الرسالة القبرصية[1] والتي أرسلها الى سرجواس ملك قبرص «... وكان التتار من أعظم الناس شتيمة لصاحب سيس، وإهانة له، ومع هذا فإنا كنا نعامل أهل ملتكم بالإحسان إليهم، والذب عنهم. وكذلك السبي الذي بأيدينا من النصارى، يعلم كل احد إحساننا ورحمتنا ورأفتنا بهم، كما أوصانا خاتم المرسلين».

هذا ابن تيمية مع النصارى ودودٌ، مسالمٌ، يفتخر بإحسانه إلى أهل الذمة والى أسرى الروم الذين كانوا يذبحون المسلمين! لكنّه لم يدع كتابا من كتبه إلّا وتطرق فيه للـ «رافضة» تكفيرا وتفسيقا وتحريضا وسبّا بحجج واهية لا تجدها في كتبهم! فمن الأولى بما ذكره؟!

قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه «واليهود تسجد على قرونها في الصلاة وكذلك الرافضة».

قلت:

وهذا من الكذب الصريح، فالسجود يكون على الجبهة بالمسمّى العرفي لها وكل كتب الشيعة تنصُّ على ذلك بلا استثناء!

قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه «واليهود لا تسجد حتى تخفق برؤوسها مرارا شبه الركوع وكذلك الرافضة».

قلت:

وهذا من الكذب الصريح فلا وجود لذلك عند الشيعة ثم أن اليهود لا

(١) الرسالة القبرصية –ابن تيمية – ص٢٩.

تسجد في صلاتها! والمعروف عنها أنهم قديماً كانوا يجثون على الركب ليتلوا ادعيتهم جاء في التوراة «. ٥٤عندما انتهى سليمان من الصلاة إلى الرب والتضرع إليه، نهض من أمام المذبح حيث كان جاثيا على ركبتيه وباسطا يديه نحو السماء. ٥٥ ووقف وبارك الشعب كله بصوت عال قائلا: . ٥٦ تبارك الرب الذي منح راحة لشعبه إسرائيل بمقتضى وعده، ولم يخلف كلمة واحدة من وعوده الصالحة التي نطق بها على لسان عبده موسى» [١]

وقال في قاموس الكتاب المقدس[٢] «أما ترتيب الصلاة فكان كما يأتي: كان الواعظ بعد اجتماع الشعب يعلو المنبر ويتلو الصلاة العمومية فيقف عندها كل الشعب في أماكنهم على غاية من الخشوع والوقار، ويرددون متحدين كلمة "آمين". وكانت الصلوات تسع عشرة طلبة يعقبها تلاوة بعض الآيات، ثم كانت تكرَّر بعض الصلوات ثم يقرأ الناموس والأنبياء. وأما الناموس فكان مقسما إلى أربعة وخمسين فصلا مع بعض إضافات من أقوال الأنبياء يقرأ منها فصل كل سبت إلى أن تقرأ بجملتها على مدار السنة».

فهذه صلاة اليهود! فلا ركوع فيها ولا سجود.

قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه «واليهود تبغض جبريل، ويقولون: هو عدونا من الملائكة، وكذلك الرافضة يقولون: غلط جبريل بالوحي على محمد صلى الله عليه وسلم».

قلت:

---

(١) التوراة والإنجيل – موقع - arabicbible – ص ٦٠٠.

(٢) قاموس الكتاب المقدس – مجمع الكنائس الشرقية – ص ٢٧١.

وهذا من أقبح الكذب، بل البهتان ولا تقول الشيعة بهذا مطلقا! ولو كان أحد قد قال بهذا في زمن من الأزمان لكان يمكن القول أن ابن تيمية توهم في نسبة هذا الفعل للجميع كيف ولم يقل به أحد!

قال تعالى:

﴿ وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (النور:١٦).

قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه «وكذلك الرافضة وافقوا النصارى في خصلة، النصارى ليس لنسائهم صداق، إنما يتمتّعون بهن تمتّعا، وكذلك الرافضة يتزوجون بالمتعة، ويستحلّون المتعة».

قلت: وهذا من الكذب القبيح فالنصارى لا ترى ذلك! قال في قاموس الكتاب المقدس[1] «قد أعطت المسيحية للعريس الحرية الكاملة في اختيار عروسه. وكانت الخطبة تعقد بعد اختيار العروس وكان العقد يتم بيمين عطاء وتقديم هدايا. وكان المهر من العريس إلى أبي العروس. وكان المهر أحيانا بالعمل، كما فعل يعقوب وموسى وعثنيئل» ومن المعروف إن الأحكام الواردة في التوراة هي عينها عند النصارى سوى ما يقول النصارى أن يسوع استثناه «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. ١٨ فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. ١٩ فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلّم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السماوات. وأما من عمل وعلّم فهذا يدعى

---

(١) قاموس الكتاب المقدس – مجمع الكنائس الشرقية – ص ٦١٧.

عظيما في ملكوت السماوات». [١] فهذه نصوص النصارى واليهود، وهي تثبت وجود المهر عندهم.

ثم إن الذين لا يرون جواز المتعة يقولون هو زواج نزل به الوحي ثم حُرّم، قال النووي في شرحه على مسلم في باب[٢] «نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة»: «قال المازري: ثبت أن نكاح المتعة كان جائزا في أول الإسلام ثم ثبت بالأحاديث الصحيحة المذكورة هنا أنه نسخ، وانعقد الإجماع على تحريمه»

فنقول لابن تيميّة هل كان النبي صلى الله عليه وآله والصحابة مشابهين للنصارى بالانحراف عندما احلّوا المتعة في وقتها؟! فإن قال: نعم، فقد حكم على نفسه بالردّة، وان قال: كلا، فقد حكم لنا!

وقد ثبت استحلال بعض أئمة مدرسة الصحابة للمتعة مثل عبد الملك بن جريج إذ روى له أصحاب الكتب الستّة كما قال الذهبي «عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو خالد المكي، أحد الأعلام الثقات، يدلس، وهو في نفسه مجمع على ثقته مع كونه قد تزوج نحوا من سبعين امرأة نكاح المتعة، كان يرى الرخصة[٣] في ذلك. وكان فقيه أهل مكة في زمانه».[٤] وقد اجمع الحفّاظ الستة

(١) الكتاب المقدس (العهد الجديد) - الكنيسة - ص ٨.

(٢) شرح مسلم - النووي - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٨٧م - ج ٩ - ص ١٧٩.

(٣) قوله (كان يرى الرخصة في ذلك) هو إيجاد للعذر له بالاجتهاد! وما الفرق بين اجتهاد ابن جريج في المتعة واستحلاله لها وكون ذلك لا ينقص من قدره و اجتهاد الشيعة باستحلالها يكون منقصة بل زنا؟!

(٤) ميزان الاعتدال - الذهبي - ج ٢ - ص ٦٥٩- علي محمد البجاوي-الأولى-١٣٨٢ - ١٩٦٣م- دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت — لبنان.

على تخريج أحاديثه!

فكيف يروي عنه أئمة الحديث وهو بهذا الحال عندهم؟!

ثم أن هذا اجتهاد في الفروع فكيف يعاتب الإنسان عليه على مبانيكم وانتم أجزتم الاجتهاد في الأصول قال ابن تيمية في كتاب (النبوات)[(١)] : «الأشعري أعلم من الشهرستاني بالمقالات، والشهرستاني أعلم من الغزالي بها ولكنّ بعضهم أقرب إلى السنة من بعض، وقد يكون هذا أقرب في بعض، وهذا أقرب في مواضع؛ وهذا لكون أصل اعتمادهم لم يكن على القرآن والحديث؛ بخلاف الفقهاء؛ فإنّهم في كثيرٍ ممّا يقولونه إنّما يعتمدون على القرآن والحديث، فلهذا كانوا أكثر متابعة، لكن ما تكلّم فيه أولئك أجلّ، ولهذا يُعظَّمون من وجه، ويذمّون من وجه؛ فإنّ لهم حسنات، وفضائل، وسعياً مشكوراً، وخطأهم بعد الاجتهاد مغفورٌ».

وقال في كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم)[(٢)] في الخلاف بين أهل السنة «وإن حصل بينهم تنازع في شيء مما يسوغ فيه الاجتهاد، لم يوجب ذلك تفرقاً ولا اختلافاً، بل هم يعلمون أن المصيب منهم له أجران، وأن المجتهد المخطئ له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور له».

فما الفرق في اجتهاد السنّي عن غيره والمفروض أن المسألة ترجع لاستفراغ الجهد وعدم غش المسلمين والإحاطة بما وصل من النصوص وقامت به الحجّة؟!

قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه «وفُضِّلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين سُئلت اليهود من خير أهل ملّتكم؟ قالوا: أصحاب موسى،

---

(١) النبوّات – ابن تيمية –ج١ – ص٦٣٢.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم – ابن تيمية – ج٢ – ص ٣١٨.

وسُئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى، وسُئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمروا بالاستغفار لهم فسبّوهم».

قلت:

الإنصاف أن يقول الشعبي: وسُئلت الشيعة من خير أهل ملّتكم فسيقولون: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله الذين أمر بالتمسك بهم مع الكتاب في الحديث الصحيح. لا أن يدلّس بهذا الكلام على السذّج والعوام.

ومن الغريب أن يشبّه الشعبي وابن تيمية حال المسلمين مع الصحابة بحال أصحاب موسى وعيسى، فالمعلوم أن القرآن قصّ علينا نصوصا عدة عن عناد أصحاب موسى:

قال تعالى:

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (المائدة:٢٤).

وقال تعالى:

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾ (النساء:١٥٣).

وقال تعالى:

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا

تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة:٦١).

وقال تعالى ذماً لأصحاب موسى بعد حادثة البقرة:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة:٧٤).

وهذا أبلغ الذم فما قيمة كلام الشعبي وما افتراه ونقله عن اليهود! ام أنكم دائما تبقون أذناباً لليهود؟!

ثم إن كان ما قاله الشعبي كلاما عن صلاح وخيرية عامة أصحاب موسى وعيسى فهذا كذب بيّنه النبي صلى الله عليه وآله، فلا يصلح لأخذ شهادة اليهود به روى الحاكم في المستدرك[1] عن «الفضل الأسفاطي (قالا) حدثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثني كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن زيد عن أبيه عن جده قال كنا قعودا حول رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده فقال:

---

(١) المستدرك - الحاكم النيسابوري - ج ١ - ص١٢٩/ قال الألباني في الفاظ هذا الحديث «وقد جزم بنسبته إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ابن عبدالبر في "التمهيد" وكأنه لشواهده». سلسلة الأحاديث الصحيحة -ج٧- حديث ٣٣١٢.

لتسلكن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل، ولتأخذن مثل أخذهم إن شبرا فشبر، وان ذراعا فذراع، وان باعا فباع، حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتم فيه، ألا إن بني إسرائيل افترقت على موسى على إحدى وسبعين فرقة كلها ضالة إلّا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم، وإنها افترقت على عيسى ابن مريم على إحدى وسبعين فرقة كلها ضالة إلاّ فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم، ثم إنهم يكونون على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة إلاّ فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم».

ومن المعلوم أن المسلمين يعتقدون بأن بعض الحواريين قام بتحريف دين عيسى وهذا الذي حصل والحديث من مغيبات النبي بأن يخبر بذلك قبل حدوثه.

وروى الصنعاني[١] «أخبرنا معمر عن قتادة أن حذيفة قال: لتركبن سنن بني إسرائيل حذو القذّة بالقذّة، وحذو الشراك بالشراك، حتى لو فعل رجل من بني إسرائيل كذا وكذا، فعله رجل من هذه الأمة، فقال له رجل: قد كان في بني إسرائيل قردة وخنازير، قال: وهذه الأمة سيكون فيها قردة وخنازير».

فالتشبه بمن قبلكم حجة عليكم وليس لكم، فبعض أصحاب موسى وعيسى عليهم السلام وبعض أصحاب النبي محمد عليه الصلاة والسلام خالفوا أنبياءهم وركبوا سنن بعض حذو القذّة بالقذّة[٢]!.

نعم خواصّ الأنبياء كالنقباء الاثني عشر لموسى عليه السلام مما قصه الله

---

(١) المصنف – عبد الرزاق الصنعاني – ج ١١ – ص ٣٦٩.

(٢) قال ابن الاثير في مادة (قذذ) «في حديث الخوارج " فينظر في قذذه فلا يرى شيئا " القذذ: ريش السهم، واحدتها: قذة ومنه الحديث " لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة " أي كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبتها وتقطع. يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان»... النهاية في غريب الحديث – ابن الأثير – ج ٤ – ص ٢٨.

تعالى بقوله:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة:١٢).

وكالحواريين الاثني عشر لعيسى عليه السلام مما قصّه الله تعالى فقال عزّ وجلّ:

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:٥٢).

وقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (الصف:١٤).

والأئمة من أهل البيت الذين عناهم النبي صلى الله عليه وآله بقوله عن سؤال لبعض الصحابة عن عدة من يملك أمور الأمة بعده فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«اثنا عشر، عدة نقباء بني إسرائيل»[1].

---

(١) المستدرك – الحاكم النيسابوري – ج ٤ – ص ٥٠١ / قال المنّاوي: «بعض طرقه صحيحة» فيض القدير– ج٢ –ص٥٨٢.

وأنت ترى الأمر متّسق بلا خلاف بين حواريي الأنبياء الثلاثة ومتسق كذلك بلا خلاف بين أغلبية أتباع هؤلاء الأنبياء الثلاثة!

فذم الأكثرية من أتباع موسى والأكثرية من أتباع عيسى بقوله تعالى:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ (النساء:١٧١).

وكذلك الأكثرية من أتباع النبي صلى الله عليه وآله فقال تعالى:

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ (الأنعام:١١٦).

وقوله تعالى:

﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يس:٧).

فأكثرهم لن يؤمنوا لكن ابن تيمية وأصحابه من شياطين الأنس والجن يقولون لنا: لقد انتهى النفاق وأصبحت الأمة مؤمنة بمجرد موت النبي!!

فأين قوله تعالى:

﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (التوبة:٧٧).

فقد كان هناك منافقون سيظلون كذلك الى يوم يلقون الله وقد كان بعضهم يأتي لحذيفة بن اليمان صاحب سرِّ المنافقين ليسأله عند موت رجل من المسلمين:

أهو من المنافقين[١]؟!

ثم إن النبي صلى الله عليه وآله أنذر أمّته من أن كثيرا منهم سيُمنعون من لقاء النبي على الحوض ومن شرب ماءه بسبب التبديل بعده!

روى البخاري[٢] بسنده عن سهل بن سعد قال «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدا، ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يُحال[٣] بيني وبينهم، قال أبو حازم فسمعني النعمان بن أبي أبي عياش وأنا أحدثهم هذا فقال: هكذا سمعت سهلا؟ فقلت: نعم قال: وأنا اشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه قال: إنهم منّي، فيقال: انك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدَّل بعدي[٤]».

---

(١) رويت عن حذيفة أحاديث تظهر ان النفاق تفشى بعد النبي صلى الله عليه وآله روى احمد بن حنبل «أبو الرقاد قال خرجت مع مولاي وأنا غلام فدفعت إلى حذيفة وهو يقول: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير منافقا واني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات، لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتحاضّن على الخير أو ليسحتنكم الله جميعا بعذاب أو ليؤمرن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم».

مسند احمد ـ الإمام احمد بن حنبل ـ ج ٥ ـ ص ٣٩٠ تعليق شعيب الأرناؤوط: أثر حسن وهذا إسناد ضعيف.

(٢) صحيح البخاري ـ البخاري ـ ج ٨ ـ ص ٨٧.

(٣) سيأتي أن الذي يحول بين النبي صلى الله عليه وآله وبينهم هو (الرجل) الذي حذفت الروايات اسمه!

(٤) كان أبو بكر يقرّ بالتبديل بأسلوب غير مباشر، روى النسفي في تفسيره في أحدى آيات الرقائق

←

وفي لفظ آخر لحديث الحوض للبخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال [(١)] «بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: أين، قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم، قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، قلت: أين قال إلى النار والله، قلت: ما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلّا مثل همل النعم».

وهمل النعم هي الإبل الضالة على طريق القوافل وتكون قليلة جداً، والـ(رجل) هنا هو امير المؤمنين عليه السلام بدليل الرواية التي رووها «حج معاوية بن أبي سفيان وحج معه معاوية بن خديج، فمرَّ في مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - والحسن بن علي جالس، فدعاه، فقال له الحسن: أنت السابّ لعلي رضي الله عنه؟ أما والله لتردنّ عليه الحوض، وما أراك أن ترده، فتجده مشمر الإزار عن ساق يذود عنه. رايات المنافقين ذود غريبة الإبل. قول الصادق المصدوق، وقد خاب من افترى». [(٢)]

فانتبه في رواية البخاري لقول النبي «حتى إذا عرفتهم» فهم أناس معروفون وليسوا من عموم الناس، بدليل أن الصحابة الذين حجّوا عام الوداع كانوا

«عن أبي بكر رضي الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر إليهم فقال هكذا كنّا حتى قست القلوب» تفسير النسفي - النسفي - ج ٤ - ص٢١٧.

(١) صحيح البخاري - البخاري - ج ٧ - ص ٢٠٨ — ٢٠٩.

(٢) ما روي في الحوض والكوثر - ابن مخلد القرطبي - ص ١٣٥.

يناهزون المائة ألف، فهل كان النبي صلى الله عليه وآله يعرفهم كلهم؟! وإنما هؤلاء بعضهم ممن أخفى التاريخ أسماءهم[١] في حادثة العقبة التي دبروها لاغتيال النبي صلى الله عليه وآله قبل أن يستخلف عليّا بشكل علني قاطع للنزاع لا يستطيعون ردّه وتأويله، روى مسلم في صحيحه[٢] عن قيس بن عبّاد قال «قلت لعمار أرأيتم صنيعكم هذا الذي صنعتم في أمر علي أرأيا رأيتموه أو شيئا عهده إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده إلى الناس كافة[٣]، ولكن حذيفة اخبرني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابي اثنا عشر منافقا فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة وأربعة لم أحفظ ما قال شعبة فيهم!».

والدبيلة (وهي قرحة تظهر في الظهر وتنقب البطن على ما قالوا) هي التي مات بها معاوية[٤]!

وروى البخاري في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (سترون بعدي أمورا تنكرونها) قال «وقال عبد الله بن زيد قال النبي صلى الله عليه وسلم اصبروا

---

(١) راجع كتاب (فلان وفلانة) للمؤلف لترى كيف يخفون أسماء هؤلاء من الروايات!.

(٢) صحيح مسلم – مسلم النيسابوري – ج ٨ – ص ١٢٢.

(٣) أي ليس هناك نص للخواص في علي عليه السلام بل ما نزل فيه أعلنه النبي صلى الله عليه وآله امام الناس.

(٤) قال ابن قتيبة في المعارف: قال: (وولي معاوية الخلافة عشرين سنة إلا شهراً، وتوفي سنة ستين وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وقال ابن إسحاق: مات وله ثمان وسبعون سنة وكانت علته النقابات وهي الدبيلة» المعارف – ابن قتيبة – ج١ – ص٧٩.

حتى تلقوني على الحوض»[١].

فهذه الأمور التي أنكرها الصحابة المستضعفون وفدوا بها على النبي صلى الله عليه وآله وهو على الحوض، وعندها قام أمير المؤمنين وهو الرجل الواقف بين النبي وبين من يرد الحوض بطرد كبار الذين بدلوا وارتدّوا إلى النار!

وتبديل الدين ابتدأ من بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وتوقف في زمان أمير المؤمنين يسيرا، ثم انطلق يسحق مباديء الإسلام سحقا ولم يبق منه إلّا معالم يسيرة!

ومن مظاهر التبديل وتغيير المعالم ما رواه البخاري[٢] عن الزهري قال «دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت له ما يبكيك؟ فقال: لا اعرف شيئا مما أدركت إلّا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت».

قال ابن بطّال مخففا من لهجة الحديث «قال المهلب: وقول أنس في الصلاة: (أليس قد ضُيعتْ)، وفى حديث آخر: (أليس قد ضيعتم فيها)، يعنى تأخيرها عن الوقت المستحب لا أنهم أخرجوها عن وقتها كله. وقد قيل في قوله تعالى:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾ (مريم:٥٩).

قال: والله ما ضيعوها بأن تركوها ولو تركوها كانوا كفارًا، ولكنهم أخروها عن أوقاتها».[٣]

---

(١) صحيح البخاري – البخاري – ج ٨ – ص ٨٧.

(٢) صحيح البخاري – البخاري – ج ١ – ص ١٣٤.

(٣) شرح صحيح البخاري – ابن بطّال – ج٢ – ص١٧٥.

وهذا التغيير نسبوه لعثمان وقد فعله عثمان اجتهادا أمام النصوص لأمر أعجبه! روى البيهقي وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه وابن عبد البر في التمهيد وغيرهم واللفظ للبيهقي[١] في سننه بسنده عن مغيث بن سمي قال «صلّيت مع ابن الزبير صلاة الفجر وكان يسفر بها فلما سلّم قلت لعبد الله بن عمر ما هذه الصلاة؟ وهو إلى جانبي قال: هذه صلاتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما قتل عمر أسفر بها عثمان».

وروى محدّث المغرب ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله في باب «باب في إنكار أهل العلم ما يجدونه من الأهواء والبدع» قال «حدثنا عبد الله بن محمد بن أسد حدثنا علي ين عبد العزيز قال حدثنا القعنبي عن مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة»[٢].

وروى البخاري[٣] بسنده عن أم الدرداء قالت «دخل على أبو الدرداء وهو مغضب فقلت ما أغضبك؟ فقال: والله ما اعرف من أمة محمد صلى الله عليه وسلم شيئا إلاّ أنهم يصلّون جميعا» وفي لفظ ابن بطّال «ما أعرف من محمد عليه السلام شيئا إلاّ أنهم يصلّون جميعا»[٤].

فماذا بقي بعد تبديل الصلاة وتغيير معالمها حتى لقد رآها الصحابة مُضَيّعة! ومن هم الذين تسلّطوا على الأمّة حتى ضُيّعت الصلاة في عصرهم؟!

---

(١) السنن الكبرى – البيهقي – ج ١ – ص ٤٥٦.

(٢) جامع بيان العلم وفضله – ابن عبد البر – ج ٢ – ص ١٩٩.

(٣) صحيح البخاري – البخاري – ج ١ – ص ١٥٩.

(٤) شرح صحيح البخاري – ابن بطال – ج٢ –ص٢٧٨.

قال ابن تيمية نقلا عن الشعبي وارتضاه وهو يتكلم عن الشيعة «فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة ولا تُجاب لهم دعوة، دعوتهم مدحوضة وكلمتهم مختلفة وجمعهم متفرق كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله. قلت (ابن تيمية) هذا الكلام بعضه ثابت عن الشعبي كقوله لو كانت الشيعة من البهائم لكانوا حمرا، ولو كانت من الطير لكانوا رخما، فإن هذا ثابت عنه قال ابن شاهين حدثنا محمد بن العباس النحوي حدثنا إبراهيم الحربي حدثنا ابو الربيع الزهراني حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا مالك بن مغول فذكره وأما السياق المذكور فهو معروف عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه عن الشعبي».

الجواب:

إن الاستشهاد بقول الشعبي – وهو المتّهم بالنصب –في ردٍّ من هذا القبيل لا يعدو الاستشهاد بقول ابن تيمية فكيف يكون حجّة؟!

ويكفي للحكم على الشعبي ودوره الخبيث في الرواية الأولى وموقفه من الفرق الإسلامية التحقيق الرائع الذي قام به المستشرق البروفيسور آيرلينغ ليدوك بيترسن في كتابه «علي ومعاوية – في الرواية العربية المبكرة»[١] وأثبت فيه سهولة التأرجح عند رواة العهد الأول بين من يدفع أكثر ومن عنده الدنيا الزائلة، وقد مرّ علينا قول ابن أبي الحديد في الشعبي في شرحه على نهج البلاغة «وهو من الأربعة الذين لا يؤمنون على عليّ ابن أبي طالب»[٢] وابن أبي الحديد من أهل السنّة

(١) علي ومعاوية – بيترسن– الأميرة للطباعة والنشر – بيروت – ٢٠٠٩م.

(٢) شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد المعتزلي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – ط دار إحياء الكتب العربية –ج٤ – ص٩٨.

بالعنوان العام كما أقرّ بذلك ابن تيميّة فقال وهو يتكلم عن الشيعة «فمن صنّف منهم تفسير القرآن فمن تفاسير أهل السنة يأخذ كما فعل الطوسي والموسوي، فما في تفسيره من علم يستفاد هو مأخوذ من تفاسير أهل السنة، وأهل السنة في هذا الموضع من يقرُّ بخلافة الثلاثة فالمعتزلة داخلون في أهل السنة» [(١)] ونقل عنه قوله أيضا «وأما المعطلون (المعتزلة والجهمية وكل من أوَّل تلك الصفات ن أهل السنّة)...». [(٢)]

ويكفي في الاسترابة بحاله ما ذكره كبار أئمة الجرح والتعديل من تشكيكهم بروايته المباشرة عن أمير المؤمنين عليه السلام، هذا مع إكثاره من تلك الرواية بصيغة المباشرة ومن هؤلاء من ذكرهم العيني في شرحه على صحيح البخاري إذ قال «اختُلِف في سماع الشعبي عن علي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنه، فقال الدار قطني: لم يسمع منه إلا حرفا ما سمع غيره. وقال الحازمي: لم تثبت أئمة الحديث سماع الشعبي من علي. وقال ابن القطان: منهم من يدخل بينه وبينه عبد الرحمن بن أبي ليلى، وسنه محتملة لإدراك علي. وقال صاحب (التلويح): فكأن البخاري لمح هذا في علي لا في شريح، لأنه مصرح فيه بسماع الشعبي منه، فينظر في تمريضه الأثر عنه، على رأي من يقول: إنه إذا ذكر شيئا بغير صيغة الجزم لا يكون صحيحا عنده، وكأنه غير جيد، لأنه ذكر في العتمة. ويذكر عن أبي موسى: كنا نتناوب بصيغة التمريض، وهو سند صحيح عنده» [(٣)].

---

(١) منهاج السنة – ابن تيميّة – ج٦ –ص٣٧٩.

(٢) الشيخ تقي الدين تبن تيمية – دراسة في فكره واجتهاداته– احمد حطيط –ط مؤسسة التراث الدرزي– ٢٠٠٩م– نقلا عن العقيدة الحموية الكبرى لابن تيميّة.

(٣) عمدة القاري – العيني – دار إحياء التراث العربي– ج ٣ – ص ٣٠٦.

وقال الرازي في كتابه «الجرح والتعديل» «حدثنا صالح بن أحمد بن حنبل حدثنا علي يعني ابن المديني قال سمعت يحيى يقول: قال شعبة: عامر الشعبي عن علي، وعطاء يعني - ابن أبي رباح - عن علي إنما هي من كتاب. فاسترجعت انا».[(١)] وهو اتهام صريح بالكذب عندما يقول الشعبي: رأيت علياً.... وسمعت علياً... وقال عليٌ فكل هذا من كيس أبي هريرة!. والظاهر أنّه يدعي الرواية عن علي لأنه كان متّهما بالانحراف عنه فيريد أن يكذب عليه وينقل عنه حتى لا يدع مجالا للشك!

ولو تمعّنت في أحاديثه السياسية لعرفت اتجاه الرجل بلا تكلف فمثلاً يروي في طبقات ابن سعد[(٢)] «جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة رهط من الأنصار معاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبو زيد وسعد بن عبيد». ولا يجعل لأمير المؤمنين عليه السلام نصيباً في ذلك!

ويروي له ابن سعد أيضاً [(٣)] «أن الحسن بن علي صلى على علي بن أبي طالب فكبّر عليه أربع تكبيرات، ودُفن علي بالكوفة عند مسجد الجماعة في الرحبة مما يلي أبواب كندة قبل أن ينصرف الناس من صلاة الفجر، ثم انصرف الحسن بن علي من دفنه فدعا الناس إلى بيعته فبايعوه».

ومن المعلوم سيرة علي عليه السلام وآل بيته في التكبير خمساً في صلاة الميت، ومن المقطوع به أيضاً مكان دفن الإمام في ربوة النجف، والشعبي لم يحضر

---

(١) الجرح والتعديل - الرازي - مطبعة مجلس دار التراث العثمانية بحيدر آباد - الدكن - الهند الطبعة الأولى- ١٩٥٣م - ج ١ - ص ١٣٠.

(٢) الطبقات الكبرى - محمد بن سعد - دار صادر -ج ٢ - ص ٣٥٥.

(٣) الطبقات الكبرى - محمد بن سعد - ج ٣ - ص ٣٧ - ٣٨.

الدفن لكونه جرى في الليل فكيف عرف بمكانه وقد ظل سرّاً حتى منتصف القرن الثاني الهجري؟!

ومن أحاديثه السياسية ما رواه له ابن ماجّة في سننه[١] وإسناده كذبا لأمير المؤمنين عليه السلام عبر الحرث «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين. لا تخبرهما يا علي! ما داما حيين».

مع أن الجنة ليس فيها كهول بل شباب إذ روى البخاري في تاريخه الكبير بسنده عن انس بن مالك قال «أهل الجنة شباب جرد مرد مكحولون ينتهي بهم إلى شجر الجنة فيكسون منها ثيابا، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم»[٢].

والحديث وُجد لمواجهة حديث النبي صلى الله عليه وآله المتّفق عليه «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة»[٣]!!

---

(١) سنن ابن ماجة – محمد بن يزيد القزويني – طبعة دار الفكر – تحقيق فؤاد عبد الباقي – ج ١ – ص ٣٦.

(٢) التاريخ الكبير – البخاري – ج ٨ – ص ٢١٩.

(٣) قرب الإسناد / الحميري – مطبعة مهر –قم – ١٤١٣هـ / الخصال – الشيخ الصدوق – تصحيح وتحقيق علي أكبر غفاري – ١٤٠٣هـ – منشورات جماعة المدرسين – قم / مسند أحمد – دار صادر – ج٣ –ص ٣ / نظم المتواتر من الحديث المتواتر – محمد جعفر الكتاني– ١٩٦.

من الشِعبي الى ابن تيميّة

قال ابن تيمية «وما ذكره (الشعبي) موجود في الرافضة وفيهم أضعاف ما ذكر مثل:

«تحريم بعضهم للحم الإوزّ والجمل مشابهة لليهود».

قلت:

وهذا من البهتان! فلا اليهود حرَّمت لحم الإوزّ ولا الشيعة! جاء في العهد القديم (التوراة) «١٣وهذه تكرهونها من الطيور. لا تؤكل. إنها مكروهة. النسر والأنوق والعقاب ١٤ والحدأة والباشق على أجناسه ١٥ وكل غراب على أجناسه ١٦ والنعامة والظليم والسأف والباز على أجناسه ١٧ والبوم والغواص والكركي ١٨ والبجع والقوق والرخم ١٩ واللقلق والببغا على أجناسه والهدهد والخفاش»[١].

وليس فيها الإوَزّ!

وأما عند الشيعة فليس لقول ابن تيميّة أصل وهو كذب قبيح، وكتب

(١) الكتاب المقدس (العهد القديم) – الكنيسة – ص ١٧٢ – ١٧٣

الشيعة منذ القدم تملأ الأرض ولم تحرّمه تبعا لأئمة أهل البيت عليهم السلام، فالشيعة لا تبتدع الأحكام بل هي تتبع المفترض طاعته من أولي الأمر.

قال ابن تيمية «ومثل جمعهم بين الصلاتين دائما فلا يصلون إلا في ثلاثة أوقات مشابهة لليهود»

قلت :

وأما الجمع بين الصلاتين فقد وجدنا القرآن لم يأت إلا بثلاثة أوقات وكذلك السنة لم تمنع من ذلك، قال تعالى :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (هود:١١٤).

وقال تعالى :

﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾ (الإسراء:٧٨).

وقد وردت بها الأخبار في كتبهم كما كتبنا إلاّ أنهم أوّلوها بزمان بالمطر! جمعا بين أمر النبي صلى الله عليه وآله وبين نهي عمر، قال الشافعي[1] «أخبرنا مالك عن أبي الزبير المكي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء في سفره إلى تبوك فأخذنا نحن وأنتم به وخالفنا فيه غيرنا، فروى عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجمع إلا بالمزدلفة، وروى عن عمر أنه كتب أن الجمع بين الصلاتين إلا من عذر من الكبائر، فكانت حجتنا عليه أن ابن مسعود وإن قال لم

(١) كتاب الأم – الإمام الشافعي – دار الفكر –ط ٢ –١٩٨٣م – ج ٧ – ص ٢٠٣.

يفعل فقال غيره فعل، فقول من قال فعل أولى أن يؤخذ به لأنه شاهد، والذي قال لم يفعل غير شاهد، وليس في قول أحد خالف ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم حجة لما وصفت من أنّا إذا علمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال شيئا وغيره قال غيره فلا يشك مسلم في أن ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم كان أولى أن يؤخذ به» وهو واضح في نسبة الشافعي من خالفه الى اتباع قول عمر وترك قول النبي صلى الله عليه وآله.

وقد ألّف الشيخ أبي الفيض احمد بن محمد بن الصدّيق الغماري وهو من شيوخ السلفية كتابا مستقلاً أسماه «إزالة الخطر عمّن جمع بين الصلاتين في الحضر» أثبت فيه النصوص الصحيحة الصريحة في جواز ذلك[1]. وأثبت أسماء أئمة أهل السنة الذاهبين لذلك ومنهم مبرّزون في المذهب المالكي خصوصاً.

قال ابن تيميّة «ومثل قولهم إنه لا يقع الطلاق إلا بإشهاد على الزوج مشابهة لليهود».

قلت:

فإنّا قد تبعنا القرآن في ذلك والتشكيك بهذا الأمر طعن في القرآن إذ يقول تعالى:

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾ (الطلاق:٢).

---

(١) إزالة الخطر عمّن جمع بين الصلاتين في الحضر- احمد الغماري - مكتبة القاهرة.

فقوله:

﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ .

صريح في الأمر باستشهاد عدلَين وخلاف ذلك بدعة. والرجل مولع بالكذب على الجميع بلا استثناء! إذ ليس في شريعة اليهود استشهاد على الطلاق! بل يكتب الرجل لزوجته كتابا بتاريخ تخليه عنها وينتهي الأمر، جاء في قاموس الكتاب المقدس في معرض حديثه عن اليهود[1] «أما الطلاق فلم يكن أمرا قضائيا، بل كان الرجل يطلّق زوجته بواسطة كتابة كتاب طلاق، وكانت المطلقة تتزوج بمن تشاء».

وقديما قيل: إذا لم تستح فاصنع ما شئت!

قال ابن تيميّة «ومثل تنجيسهم لأبدان غيرهم من المسلمين وأهل الكتاب، وتحريمهم لذبائحهم، وتنجيس ما يصيب ذلك من المياه والمائعات وغسل الآنية التي يأكل منها غيرهم، مشابهة للسامرة الذين هم شر اليهود ولهذا يجعلهم الناس في المسلمين كالسامرة في اليهود».

قلت:

وهذا من الكذب الصريح فالإمامية لا تحكم بنجاسة أبدان المسلمين إلّا النواصب، وهذا ما جاءت به الأخبار الصريحة عن المعصومين عليهم السلام، واختلفوا في المجسِّمة تبعا لأئمتهم الثقل الثاني الذي أوصانا النبي صلى الله عليه وآله به. ولم يوصِ باتّباع الطلمنكي والبربهاري ومن لفّ لفهما. وأما القول

---

(١) قاموس الكتاب المقدس – مجمع الكنائس الشرقية –مكتبة المشغل – بيروت بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية – الطبعة السادسة –ص ٦١٧.

بنجاسة أهل الكتاب فهي مسالة خلافية في المذهب والمشهور في العصور المتأخرة ويكاد يكون إجماعا هو القول بطهارتهم.

والغريب أن تكون الفتوى بالحكم بنجاسة أهل الكتاب مثار اعتراض، فتارة يتهمنا ابن تيميّة بأننا نتبع اليهود بالفروع والأصول وتارة يتهمنا بأننا نشتد عليهم بالأحكام! فلو كنّا تبعا لليهود وقائدنا هو ابن سبأ اليهودي لكنّا متساهلين معهم نعقد معهم الاجتماعات بحجج مختلفة مثل التقريب بين الأديان وغيرها وتجويز السلام معهم! بينما ثبت الشيعة تبعا للقرآن على رفض ذلك قال تعالى:

﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران:٢٨).

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ (النساء:٨٢).

أمّا تحريم ذبائح أهل الكتاب فهي مسألة خلافية بين علماء المذهب، وأصل الخلاف حصل جرّاء اختلاف فهم العلماء من مقصود أهل الكتاب إذا سَمّوا على الذبيحة هل يسمّون بالله الذي هو ما عليه المسلمون إم ما يؤمن به أهل الكتاب من تثليث وما شابه، قال الشيخ المفيد في حلّية الذبيحة «ومن الشروط الأساسية، أن يذكر اسم (الله) عليه عند ذبحه. وقد وافق أهل الكتاب، شريعة الإسلام، في أصل هذا الشرط ومجمل ما قررته الشريعة. لكن فقهاء المسلمين اختلفوا في (ذبائح أهل الكتاب) هل يحل أكلها للمسلمين، أو لا؟ وأساس هذا الخلاف هو: هل أن تسمية أهل الكتاب على ذبائحهم، صحيحة يمكن اعتبارها، أو لا؟ فقولهم:

(باسم الله) هل يقصدون به: اسم (الإله الواحد الأحد، الفرد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد) هذا المسمّى الذي هو شرط الذبح عند المسلمين؟ بينما أهل الكتاب: النصارى منهم يقولون بالتثليث! واليهود منهم يقولون: (عزير ابن الله) جل وعلا!!»[1].

وقد وافقنا علماء أهل السنّة ممن يسميهم ابن تيميّة علماء السلف الصالح، قال الشافعي «أحل الله طعام أهل الكتاب وكان طعامهم عند بعض من حفظت عنه من أهل التفسير ذبائحهم، وكانت الآثار تدل على إحلال ذبائحهم، فإن كانت ذبائحهم يسمونها لله تعالى فهي حلال، وإن كان لهم ذبح آخر يسمّون عليه غير اسم الله تعالى مثل اسم المسيح أو يذبحونه باسم دون الله تعالى لم يحل هذا من ذبائحهم»[2].

ومن غرائب السلفيين أنّهم يفتون بحرمة أكل الطعام الذي يذبح في ايّام عاشوراء بنيّة إهداء ثواب الإطعام الى روح الإمام الحسين عليه السلام وصحبه الشهداء، بحجّة أنّه مذبوح للحسين وليس لله! مع أنّهم يعرفون أن الشيعة تذكر اسم الله على الذبيحة، بينما يحلّلون ذبيحة النصراني واليهودي! بل لقد أفتى عالمهم ابن جبرين في عام ١٩٩٩م بحرمة ذبيحة الرافضي وحلّية ذبيحة الكتابي!

قال ابن تيمية «ومثل استعمالهم التقيّة، وإظهار خلاف ما يبطنون من العداوة، مشابهة لليهود ونظائر ذلك كثير».

---

(١) ذبائح أهل الكتاب – الشيخ المفيد – ص ٥/ وراجع: مختلف الشيعة – العلامة الحلي – ج ٨ – ص ٢٩٦/ كشف اللثام –العلامة الهندي–ج٩–ص٢١٤/ جامع المدارك–الخوانساري–ج٥–ص١١٥.

(٢) كتاب الأم – الإمام الشافعي – ج ٢ – ص ٢٥٤.

قلت:

أما التقيّة فهي ثابتة عند جميع المسلمين، وإلّا فلِمَ ذهب ابن تيمية لقازان قائد المغول عندما قرر الأخير دخول دمشق واسترحموه ليعفو عن المدينة! الم تكن هذه مداهنة وتقية لِمَ لَمْ يعطوه السيف ويجاهدونه حتى الشهادة؟! والحنابلة ممن استعمل التقيّة لدريء شر الشوافع والمالكية في فتنة ابن تيميّة إذ كانوا يتقوهم بالقول أنهم شافعية، لكنهم يشهرون مذهبهم وعقيدتهم عند أقرب فرصة! قال ابن حجر «ونودي بدمشق من اعتقد عقيدة ابن تيمية حلَّ دمه وماله، خصوصا الحنابلة فنودي بذلك وقُريء المرسوم، وقرأها ابن الشهاب محمود في الجامع ثم جمعوا الحنابلة من الصالحية وغيرها واشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الإمام الشافعي!»[1].

فهذه هي التقيّة وكفى الله المؤمنين القتال!

وقد اتّقى ابن عباس معاويةَ في مسائل فقهية، قال البيهقي[2] «فعلى هذا الوجه كان إنكار ابن عباس على معاوية فيما كان يعتقد خلافه، فكيف يصحّ ما قال هذا الشيخ في تصويب ابن عباس وِتر معاوية؟! ولكن من يريد تصحيح الأخبار على مذهبه لا نجد بدا من أن يحمل السلام من الصلاة على التشهد دون السلام، ووتر عثمان وسعد بركعة على الوهم، وتصويب ابن عباس معاوية على التقيّة، ورواية أبي أيوب الأنصاري على مخالفة الإجماع والله المستعان».

فهل هناك صراحة أكبر من هذه في استعمال التقيّة من حبر الأمّة؟!

---

(١) الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة- ابن حجر- ص٤٦.

(٢) معرفة السنن والآثار - البيهقي - ج ٢ - ص ٣١٦.

وقال الشوكاني [1] «حكى البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: إنّا نبشُّ في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم، ويدل على جواز التقيّة» [2]

وقال الأشعري[3] في الطبعة السلفية للإبانة «ذكر سفيان ابن وكيع قال:

---

(١) فتح القدير - الشوكاني - ج ١ - ص ٣٣٢.

(٢) القوم عندهم مشكلة مع العناوين وإذا قمت بتغيير العنوان وأبقيت المضمون قبلوا ذلك! ومما أثار انتباهي انهم يحلّون زواج المتعة إذا لم تسمّه متعة! فقد سألوا ابن باز في ذلك فقال له أحدهم «سمعت لك فتوى على أحد الأشرطة بجواز الزواج في بلاد الغربة، وهو ينوي تركها بعد فترة معينة، لحين انتهاء الدورة أو الابتعاث. فما هو الفرق بين هذا الزواج وزواج المتعة، وماذا لو أنجبت زوجته طفلة، هل يتركها في بلاد الغربة مع أمها المطلَّقة أرجو الإيضاح؟

ج ٤: نعم لقد صدرت فتوى من اللجنة الدائمة وأنا رئيسها بجواز النكاح بنية الطلاق إذا كان ذلك بين العبد وبين ربه، إذا تزوج في بلاد غربة ونيته أنه متى انتهى من دراسته أو من كونه موظفا وما أشبه ذلك أن يطلّق فلا بأس بهذا عند جمهور العلماء، وهذه النية تكون بينه وبين الله سبحانه، وليست شرطا. والفرق بينه وبين المتعة: أن نكاح المتعة يكون فيه شرط مدة معلومة كشهر أو شهرين أو سنة أو سنتين ونحو ذلك، فإذا انقضت المدة المذكورة انفسخ النكاح، هذا هو نكاح المتعة الباطل، أما كونه تزوجها على سنة الله ورسوله ولكن في قلبه أنه متى انتهى من البلد سوف يطلقها، فهذا لا يضره، وهذه النية قد تتغير وليست معلومة وليست شرطا بل هي بينه وبين الله فلا يضره ذلك، وهذا من أسباب عفَّته عن الزنى والفواحش، وهذا قول جمهور أهل العلم، حكاه عنهم صاحب المغني موفق الدين ابن قدامة رحمه الله». مجموع فتاوى ومقالات ابن باز- ج٤ - سؤال ٤.

والمتعة هي أيضا عقد بين المتزوجَين بإشهاد الله! ثم إن السلفيين لا يضعون شرطا بإلّا يكون هناك شرط للفترة في الزواج حتى يحرّموا المتعة ويحللوا الزواج بنيّة الطلاق! فتبين بأنّهم يبيحون زواج المتعة ولكنّهم يكرهون متابعة الشيعة على حليّتها فيعطونها عنوانا آخر! ولابد من صنعاء مهما طال السفر.

(٣) الإبانة عن أصول الديانة - «وهو آخر ما صنفه الإمام الأشعري وأقام فيه الحجة البالغة لمذهب السلف» -ص٧٧.

سمعت عمر بن حمّاد بن أبي حنيفة قال: اخبرني أبي قال: الكلام الذي استتاب فيه ابن أبي ليلى أبا حنيفة هو قوله: القران مخلوق. قال: فتاب منه وطاف به في الخلق. قال أبي: فقلت له كيف صرت إلى هذا؟ قال: خفت والله أن يقوم علي فأعطيته التقيّة». فهذا الإمام الأعظم عندهم يصرّح بالتقيّة من مسلم.

وروى الزبير بن بكار في «الموفقيّات» فقال «عن عمرو بن عبيد قال: كنّا جلوسا عند الحسن بن ابي الحسن إذ أتاه رجل فوقف على رأسه، فقال له: يا أبا سعيد انك سُئلت عن علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - فقلت له: لو كان في المدينة يأكل من حشفها وتمرها كان خيرا مما صنع. فرفع رأسه اليه فقال: يا ابن أخي كلمة باطل حقنت بها دمي، أما والله لقد فقدتموه سهما من سهام الله صائبا لعدو الله ليس بالسروقة مال الله، ولا بالنؤومة عن أمر الله ربّاني هذه الأمة في علمها وفضلها وقدمها، أعطى القرآن عزائمه فيما عليه وله، حرّم حرامه وأحلَّ حلاله حتى أورده ذلك على رياض مونقة وحدائق مغدقة، ذاك علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يا لكع»[1].

فانتبه لقوله «فقال: يا ابن أخي كلمة باطل حقنت بها دمي» وهذه هي التقيّة التي عند الشيعة كلمة كانت تقولها عندما كان الذبح أسهل شيء عند الظالمين لرقاب الشيعة، أمّا الآن وللشيعة جمهوريّة إسلامية، وحقوق يسترجعونها في كل مكان هم فيه، فهم لا يستعملون التقيّة التي استعملها ابو حنيفة وابن عباس والحسن البصريّ.

وهؤلاء استعملوا التقيّة في العصر الإسلامي الأوّل وكلهم أئمة كبار معترف

(١) الموفّقيات - الزبير بن بكار- ص١٦٨

بهم عند ابن تيميّة وغيره، وليس في زمان المشركين أفهل شابهت الصحابة اليهود في هذا؟!

وقال الكوثري في مقدمة السيف الصقيل في رد ابن زفيل[1] «وقال التقي الحصني: كان ابن تيمية ممن يعتقد ويفتي بأنَّ شدّ الرحال إلى قبور الأنبياء حرام، لا تقصر فيه الصلاة، ويصرّح بقبر الخليل وقبر النبي صلى الله عليهما وسلم، وكان على هذا الاعتقاد تلميذه ابن قيّم الجوزيّة الزرعي وإسماعيل بن كثير الشركويني، فاتفق أن ابن قيّم الجوزية سافر إلى القدس الشريف ورقى على منبر في الحرم ووعظ وقال في أثناء وعظه بعد أن ذكر المسألة: وها أنا راجع ولا أزور الخليل. ثم جاء إلى نابلس وعمل له مجلس وعظ وذكر المسألة بعينها حتى قال: فلا يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقام إليه الناس وأرادوا قتله فحماه منهم والي نابلس، وكتب أهل القدس وأهل نابلس إلى دمشق يعرفون صورة ما وقع منه فطلبه القاضي المالكي فتردّد وصعد إلى الصالحية إلى القاضي شمس الدين بن مسلم الحنبلي وأسلم على يديه فقبل توبته، وحكم بإسلامه وحقن دمه ولم يعزره لأجل ابن تيمية.. ثم أحضر ابن قيّم الجوزية وادّعى عليه بما قاله في القدس الشريف وفي نابلس فأنكر، فقامت عليه البينة بما قاله فأُدِّب وحُمل على جمل ثم أعيد في السجن ثم أحضر إلى مجلس شمس الدين المالكي وأرادوا ضرب عنقه فما كان جوابه ألا أن قال إن القاضي الحنبلي حكم بحقن دمي وبإسلامي وقبول توبتي، فأعيد إلى الحبس إلى أن أحضر الحنبلي فأخبر بما قاله فأحضر وعُزِّر وضُرب بالدرّة، وأركب حماراً وطيف به في البلد والصالحية وردّوه إلى الحبس..».

---

(١) السيف الصقيل في رد ابن زفيل - التقي السبكي تقديم الكوثري.

والأمور التي تكلّم فيها ابن تيمية وزعم مشابهة الشيعة لليهود بها هي في الفروع التي يقرّ هو انّه يسوغ فيها الاجتهاد على أسوأ تقدير، لكن أين ذلك مما يملأ كتب السلف من روايات اليهود في كل فروع الشريعة أصولا وغيرها، حتى باتوا لا يفرّقون بين ألفاظ النبي وبين ألفاظ التوراة والإنجيل التي اكتبها الطواغيت! قال ابن تيمية[1] «وفي حديث الرُقية الذي رواه أبو داود وغيره: ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، وأمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، انزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع».

وهذه الجمل وردت بألفاظ قريبة في إنجيل متي إذ ورد «٩ أبانا الذي في السماوات. ليتقدس اسمك. ١٠ ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض. ١١ خبزنا كفافنا أعطنا اليوم. ١٢ واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا. ١٣ ولا تدخلنا في تجربة. لكن نجنا من الشرير. لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد. آمين».[2]

وهي عين الألفاظ بتغيير يسير!

وقد نقل عن ابن تيمية ذهابه الى أن الخلق بُديء يوم الأحد وتم على يوم الجمعة ويوم التعطيل يوم السبت[3] وهو عين قول اليهود في التوراة إذ جاء في التوراة التي عند اليهود «١ فأكملت السماوات والأرض وكل جندها. ٢ وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله

(١) الفتوى الحموية الكبرى- ابن تيمية - ص٩.

(٢) الكتاب المقدس (العهد الجديد) - الكنيسة - ص ١٠ — ١١.

(٣) فيض الباري شرح صحيح البخاري - محمد أنور شاه الكشميري - ج ٤ - ص٣٦٢.

الذي عمل. ٣ وبارك الله اليوم السابع وقدسه. لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا»[١].

فابن تيميّة إما أن يقبل أن الديانات تتشابه ببعض الوجوه وأمّا أن لا يقبل فإن قبل يجب أن يقر بذلك له ولنا، وإن لم يقبل فكيف وهو ينقل من الإنجيل والتوراة مباشرة!!

(١) الكتاب المقدس (العهد القديم) - الكنيسة - ص ٥.

ابن تيميّة.. والتوت الشامي.. والعدد عشرة!

قال ابن تيمية عن الشيعة «وأما سائر حماقاتهم فكثيرة جدا مثل كون بعضهم لا يشرب من نهر حفره يزيد مع أن النبي صلى الله عليه وسلم والذين معه كانوا يشربون من آبار وأنهار حفرها الكفار، وبعضهم لا يأكل من التوت الشامي، ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه كانوا يأكلون مما يجلب من بلاد الكفار من الجبن، ويلبسون ما تنسجه الكفار بل غالب ثيابهم كانت من نسج الكفار، ومثل كونهم يكرهون التكلم بلفظ العشرة أو فعل شيء يكون عشرة حتى في البناء، لا يبنون على عشرة أعمدة ولا بعشرة جذوع ونحو ذلك لكونهم يبغضون خيار الصحابة وهم العشرة المشهود لهم بالجنة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، يبغضون هؤلاء إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويبغضون سائر المهاجرين والأنصار من السابقين الأولين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة وقد أخبر الله أنه قد رضي عنهم»[1].

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية– ابن تيمية – ج١ – ص١٣

الجواب :

وهذا من أقبح الكذب، فلم يكن شيء من هذا الذي حكاه ابن تيميّة ولا حكاه احد صاحب عقل حتى من أعداء الشيعة وإنما هي من كيس ابن تيمية الذي سيلاقي ربّه ليسأله عن كل حرف من بهتانه.

وأما الصحابة فبعضهم كانت منه هنّات، ثم تابوا بدليل متابعتهم عليا في حروبه في الجمل وصفين والنهروان، والعجب من ابن تيمية كيف يقول «ويبغضون سائر المهاجرين والأنصار من السابقين الأولين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة وقد أخبر الله أنه قد رضي عنهم» وهو يعلم أن كتب الشيعة تطفح بالأخبار الدالة على أن جملة من الصحابة لم يميلوا حتى في السقيفة فضلا عمّا بعدها من أحداث مثل حذيفة وسلمان والمقداد وأبو ذر الغفاري – وهو خامس أهل الإسلام– ويسمّون عند علماء الشيعة بالأركان الأربعة، وعمار بن ياسر–جلدة ما بين عيني رسول الله– والهيثم بن التيهان وعبد الله بن دبيل وجابر بن عبد الله الأنصاري ومالك الأشتر وكثير غيرهم ممن ثبت من الصحابة، وبعضهم كان في أمره تهاون في البداية ثم ما لبث أن عرف حق الإمام عليه السلام.

ولكن أليس الأولى من ابن تيميّة أن يحاسب معاوية على إشعاله حربا أدّت الى إزهاق أرواح أكثر من ثلاثمئة من أهل بيعة الشجرة، والعشرات من البدريين، وآلاف المسلمين بدل أن يبهت الشيعة بهذه الأقوال؟!

ابن تيميّة وسرداب سامرّا

قال ابن تيمية «ومن حماقتهم أيضا أنهم يجعلون للمنتظر عدة مشاهد ينتظرونه فيها، كالسرادب الذي بسامرّا الذي يزعمون أنه غاب فيه، ومشاهد أخر وقد يقيمون هناك دابة إما بغلة وإما فرسا وإما غير ذلك ليركبها إذا خرج، ويقيمون هناك إما في طرفي النهار وإما في أوقات أخر من ينادي عليه بالخروج: يا مولانا أخرج يا مولانا أخرج، ويشهرون السلاح ولا أحد هناك يقاتلهم وفيهم من يقول في أوقات الصلاة دائما لا يصلّي خشية أن يخرج وهو في الصلاة فيشتغل بها عن خروجه وخدمته، وهم في أماكن بعيدة عن مشهده كمدينة النبي صلى الله عليه وسلم إما في العشر الأواخر من شهر رمضان وإما في خير ذلك يتوجهون إلى المشرق وينادونه بأصوات عالية يطلبون خروجه»[1].

الجواب:

وهذا مما لا يستحق الرد لفحشه في الكذب والاختلاق، ومن أين أتى ابن تيمية بهذا؟! أم هل رآه بعينه؟!

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج١- ص١٥.

والعجب من السلفية الذين يصدّقون هذه السفاسف ألا يسألون أنفسهم لماذا لم ينقل هذه الأمور غير ابن تيميّة؟! فهناك العديد من المؤرخين ومصنّفي الفرق لم يأت أحدهم على هذه التوافه!.

والمعاصرون من السلفية عندما يذكرون هذه الأمور فهم ينسبونها إلى ابن تيميّة فقط وكأنه الشاهد الوحيد من دون الملايين الذي رأى الشيعة تحرّم لحم الأوزّ والجمال[١]!!

قال تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (البقرة:١٦٥).

---

(١) من نظريات ابن تيميّة الطريفة هي قوله بتشابه الأخلاق بين الحيوانات وبين من يسوسونها ويحتكّون بها إذ يتأثر الإنسان بأخلاق الحيوان إذ يقول «وكذلك: الآدمي إذا عاشر نوعاً من الحيوان اكتسب بعض أخلاقه، ولهذا صار الخيلاء والفخر في أهل الإبل، وصارت السكينة في أهل الغنم، وصار الجمّالون، والبغالون فيهم أخلاق مذمومة، من أخلاق الجمال والبغال، وكذلك الكلّابون، وصار الحيوان الإنسي، فيه بعض أخلاق الناس من المعاشرة والمؤلفة وقلة النفرة. فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة، توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي». اقتضاء الصراط المستقيم- ابن تيمية-ج١-٥٤٨/ وقد تكون هذه النظرية كاشفة عن سبب وعورة أخلاق الوهابيّة! وعقولهم الصحراوية الجافية.

الشيعة وفرية تعظيم أبي لؤلؤة الفيروزي

قال ابن تيمية «ومنهم يعظّم أبا لؤلؤة المجوسي الكافر الذي كان غلاما للمغيرة بن شعبة لما قتل عمر، ويقولون واثارات أبي لؤلؤة فيعظِّمون كافرا مجوسيا باتفاق المسلمين لكونه قتل عمر رضي الله عنه»[1].

الجواب:

أن أبا لؤلؤة كان نصرانياً ولم يكن مجوسياً[2]، وهذه من حماقات النواصب فهم كالببغاوات يكررون ما قاله ابن تيميّة بدون التأكد من جهله بالتاريخ.

وفي قوله «لكونه قتل عمر» إرجاع علة مجوسيته وكفره لهذا الفعل، وليت شعري لِمَ يكون قاتل عثمان أشقى الناس، وقاتل عمر مجوسيا كافراً لكونه قتله، أمّا قاتل أمير المؤمنين عليه السلام فيوردون رواياته في أصح كتبهم (البخاري) بل ويجدون له الأعذار، بل أن له أجرا واحداً بقتله نفس النبي صلى الله عليه وآله كما فعل ابن حزم في المحلّى[3] إذ يقول «لا خلاف بين أحد من الأمة في أن عبد

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية– ابن تيمية – ج١– ص١٦.

(٢) تاريخ الطبري – ج٣ –ص٢٦٣ / الكامل في التاريخ – ابن الأثير– ج٣ –ص٤٩.

(٣) المحلّى – ابن حزم –ط دار الفكر – ج ١٠ – ص ٤٨٤.

الرحمن ابن ملجم لم يقتل علياً رضي الله عنه إلاّ متأولاً مجتهدا مقدّراً انه على صواب».

وعلى قوله هذا فإن ابن ملجم لا يدخل تحت التكفير الذي رموا به أبا لؤلؤة قاتل عمر، ولا قاتل عثمان، أو قاتل الزبير لكونهم قالوا «ومن شروط الحكم على المسلم المعيّن بالكفر... أن يكون عالماً بتحريم هذا الشيء..».[1]

ويقول سلفي آخر في الأمر المكفِّر «أن يكون أمر ذلك العمل غير مشتبه عليه لتأويل سائغ تأوله»[2].

وفي الوقت نفسه فهم يروون لمادح قاتل الإمام عليه السلام الحديث مع أنهم يشترطون في الراوي «الضبط والعدالة»[3] بلا خلاف بينهم فبهذه القرائن يصبح المماليء والمحرّض على قتل أمير المؤمنين عليه السلام عادلاً، والعادل بتعريف الشافعي هو «العامل بطاعة الله تعالى، فمن رؤي عاملا بها فهو عدل، ومن عمل

---

(١) ضوابط تكفير المعيَّن – عبد الله بن عبد العزيز الجبرين – قراءة وتقديم عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين وعبد الله بن عبد العزيز الراجحي وعبد الرحمن بن ناصر البراك – ط٣ – ص٨.

(٢) عقيدة أدعياء السلف – ابو عبد الله محمد بو النِّيت المراكشي –ط دار البيارق –ط ٢ – ٢٠٠١ م.

(٣) فتح الملك العلي – محمد الصديق المغربي – مطابع نقاش جهان – ١٤٠٣هـ تحقيق محمد هادي الاميني– ص٢٥ / تحفة الأحوذي – المباركفوري –ط دار الكتب العلمية –١٩٩٠م – ج١ – ص٣٠٤ / تناقضات الألباني الواضحات – حسن بن علي السقاف– دار الإمام النووي – عمان – ١٩٩٢م – ج٢ – ص٢٨٤ / معرفة الثقات – العجلي – مكتبة الدار المدينة المنورة – ط ١ – ١٤٠٥هـ – ج١ – ص ١٠٤ / الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة – الذهبي –تقديم محمد عوامة – تخريج نصوص احمد محمد نمر الخطيب – ط دار القبلة – جدة – ١٩٩٢ – ج١– ص٣٧.

بخلافها كان خلاف العدل».[(١)]

بل قال أبو ثور «من كان أكثر أمره الخير وليس بصاحب جريمة في دين ولا مصرّ على ذنب وإن صغر قبل وكان مستورا، وكل من كان مقيما على ذنب وإن صغر لم تقبل شهادته».[(٢)]

وبتعريف الخطيب البغدادي[(٣)] الحبر في مجاله «والواجب أن يقال في جميع صفات العدالة أنها اتّباع أوامر الله تعالى والانتهاء عن ارتكاب ما نهى عنه مما يسقط العدالة، وقد علم مع ذلك أنه لا يكاد يسلم المكلف من البشر من كل ذنب ومن ترك بعض ما أمر به حتى يخرج الله من كل ما وجب له عليه وان ذلك يتعذر، فيجب لذلك أن يقال إن العدل هو من عُرف بأداء فرائضه ولزوم ما أمر به وتوقي ما نهى عنه وتجنب الفواحش المسقطة وتحرى الحق والواجب في أفعاله ومعاملته والتوقّي في لفظه مما يثلم الدين والمروءة، فمن كانت هذه حاله فهو الموصوف بأنه عدل في دينه ومعروف بالصدق في حديثه وليس يكفيه في ذلك اجتناب كبائر الذنوب التي يسمى فاعلها فاسقا حتى يكون مع ذلك متوقّيا لما يقول كثير من الناس انه لا يعلم أنه كبير، بل يجوز أن يكون صغيرا نحو الكذب الذي لا يقطع على أنه كبير ونحو التطفيف بحبّة، وسرقة باذنجان، وغش المسلمين بما لا يقطع عندهم على أنه كبير من الذنوب، لأجل أن القاذورات وان لم يقطع على أنها كبائر يستحق بها العقاب فقد اتفق على أن فاعلها غير مقبول الخبر والشهادة».

---

(١) عمدة القاري – العيني – ج ١٣ – ص ٢٠٠.

(٢) عمدة القاري – العيني – ج ١٣ – ص ٢٠٠.

(٣) الكفاية في علم الرواية – الخطيب البغدادي – تصحيح احمد عبد السلام – ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٤– ص ١٠٣.

فهل جعلتم إثم قتل أمير المؤمنين عليه السلام أقل من إثم سرقة باذنجانة؟!! لا بل قتل أمير المؤمنين فيه ثواب واحد فهو اجتهاد خاطيء لا إثم فيه!!

وقالوا الأمر نفسه مع عمّار رضي الله عنه فقاتله مأجور وقاتل عثمان ملعون! قال ابن حزم «وعمار رضي الله عنه قتله أبو الغادية يسار بن سبع السلمي، شهد (عمار) بيعة الرضوان فهو من شهداء الله له بأنه علم ما في قلبه، وأنزل السكينة عليه ورضي عنه، فأبو الغادية رضي الله عنه متأوِّل مجتهد مخطيء فيه، باغ عليه مأجور أجرا واحدا، وليس هذا كقتلة عثمان رضي الله عنه لأنهم لا مجال للاجتهاد في قتله، لأنه لم يقتل أحدا ولا حارب ولا قاتل ولا دافع ولا زنا بعد إحصان ولا ارتد فيسوغ المحاربة تأويل، بل هم فساق محاربون سافكون دما حراما عمدا بلا تأويل على سبيل الظلم والعدوان، فهم فساق ملعونون»[1].

فهؤلاء هم:

﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ (الحجر:٩١).

(١) الفِصَل – ابن حزم– ج ٤ ص ١٦١

ابن تيميّة والإمامة

قال ابن تيمية «أن الإمامة بتقدير الاحتياج إلى معرفتها لا يحتاج إليها من مات على عهد النبي صلى الله عليه وسلَّم من الصحابة، ولا يحتاج إلى التزام حكمها من عاش منهم إلى بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف يكون أشرف مسائل المسلمين وأهم المطالب في الدين لا يحتاج إليه أحد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أو ليس الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته واتبعوه باطنا وظاهرا ولم يرتدّوا ولم يبدّلوا هم أفضل الخلق باتفاق المسلمين أهل السنة والشيعة، فكيف يكون أفضل المسلمين لا يحتاج إلى أهم المطالب في الدين وأشرف مسائل المسلمين»[1].

الجواب:

في قوله «ولا يحتاج إلى التزام حكمها من عاش منهم إلى بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم».

كيف يكون ذلك وتعالى سبحانه يقول:

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية– ابن تيمية – ج١– ص٢٦

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (النساء:٥٩).

وأولو الأمر هنا هم أصحاب الإمامة الذين فرض ابن تيميّة «تقدير الاحتياج إلى معرفتها».

وهم الذين قصدهم الرسول صلى الله عليه وآله بقوله «"يا أيها الناس! إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله و عترتي أهل بيتي"» وربط عدم الضلال بالأخذ بهما ولن يفيد الارتباط بأحدهما دون الآخر وهو حديث اتفق المسلمون عليه. وصححه إمامهم الألباني في صحيحته. وقال «بعد تخريج هذا الحديث بزمن بعيد، كتب علي أن أهاجر من دمشق إلى عمان، ثم أن أسافر منها إلى الإمارات العربية، أوائل سنة (١٤٠٢) هجرية، فلقيت في (قطر) بعض الأساتذة والدكاترة الطيبين، فأهدى إلي أحدهم رسالة له مطبوعة في تضعيف هذا الحديث، فلما قرأتها تبين لي أنه حديث عهد بهذه الصناعة، وذلك من ناحيتين ذكرتهما له: الأولى: أنه اقتصر في تخريجه على بعض المصادر المطبوعة المتداولة، ولذلك قصر تقصيرا فاحشا في تحقيق الكلام عليه، وفاته كثير من الطرق والأسانيد التي هي بذاتها صحيحة أو حسنة فضلا عن الشواهد والمتابعات، كما يبدو لكل ناظر يقابل تخريجه بما خرجته هنا.. الثانية: أنه لم يلتفت إلى أقوال المصححين للحديث من العلماء ولا إلى قاعدتهم التي ذكروها في "مصطلح الحديث": أن الحديث الضعيف يتقوى بكثرة الطرق، فوقع في هذا الخطأ الفادح من تضعيف الحديث الصحيح. وكان قد نمى إليّ قبل الالتقاء به واطّلاعي على رسالته أن أحد الدكاترة في (الكويت) يضعف هذا الحديث، وتأكدت من ذلك حين جاءني خطاب

من أحد الإخوة هناك، يستدرك علي إيرادي الحديث في "صحيح الجامع الصغير" بالأرقام (٢٤٥٣ و٢٤٥٤ و٢٧٤٥ و٧٧٥٤) لأن الدكتور المشار إليه قد ضعفه، وأن هذا استغرب مني تصحيحه! ويرجو الأخ المشار إليه أن أعيد النظر في تحقيق هذا الحديث، وقد فعلت ذلك احتياطا، فلعله يجد فيه ما يدله على خطأ الدكتور، وخطئه هو في استرواحه واعتماده عليه، وعدم تنبهه للفرق بين ناشئ في هذا العلم، ومتمكن فيه، وهي غفلة أصابت كثيرا من الناس اللذين يتبعون كل من كتب في هذا المجال، وليست له قدم راسخة فيه. والله المستعان».

ولو لم يستلزم معرفة الإمامة لمن عاش بعد النبي فلماذا كانت بيعة الأول فلتة! ولم كانت الحروب التي خاضها طلحة والزبير طمعا في الخلافة وخاضتها عائشة بغضاً بعلي عليه السلام!؟ ولم قتل معاوية من المسلمين عشرات الآلاف وفيهم المئات من الصحابة في سبيلها؟!

أما قول ابن تيمية «فكيف يكون أشرف مسائل المسلمين وأهم المطالب في الدين لا يحتاج إليه أحد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أو ليس الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته واتبعوه باطنا وظاهرا ولم يرتدّوا ولم يبدلوا هم أفضل الخلق باتفاق المسلمين أهل السنة والشيعة فكيف يكون أفضل المسلمين لا يحتاج إلى أهم المطالب في الدين وأشرف مسائل المسلمين».

الجواب:

كونهم اتبعوه باطنا وظاهرا لو اتفقنا على هذا لما ألّف العلّامة الحلّي كتابه، ولما اضطر ابن تيمية للرد عليه ولما كتبنا هذا الكتاب! فهذا غير متفق عليه ونقله ذلك عن الشيعة كذب مفضوح، وأما نقله عن السنة فكيف يدّعي ذلك وقد رووا

عن النبي صلى الله عليه وآله «وددت أني لقيت إخواني، فقال أصحابه: أوليس نحن إخوانك ؟ قال: أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني».[١] والواضح في الحديث أن الصحابة لما فهموا من الإخوّة اقرب من الصحبة قالوا كلمتهم «أوليس نحن إخوانك؟» وهكذا هو ابن تيميّة حاطب ليل له علم في المرويّات!.

وأما قول ابن تيمية «واتبعوه باطنا وظاهرا ولم يرتدّوا ولم يبدلوا».

وغريب كلام ابن تيمية عن الباطن والظاهر فلو كانت الكتب تنقل ظاهر الصحابة فأنّى له بمعرفة باطنهم؟! وحسبك قوله تعالى:

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٠١) سورة التوبة.

على أن الروايات تذكر صريحا وجود الذين ينافقون في باطنهم، ولن تنفع كلمات ابن تيمية ولا غيره في إخفاء ذلك وأخبار صحيحة البخاري التي نقلها في طرد الصحابة عن الحوض خير دليل على ذلك.

روى الطبراني في معجمه الكبير[٢] «حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان حدثنا عبيدة بن أسود عن مجالد عن الشعبي قال قلنا كيف أصاب حذيفة ما لم يصب أبو بكر ولا عمر؟ قال صلة بن زفر: قد والله سألنا حذيفة عن ذلك فقال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في

---

(١) جلباب المرأة المسلمة- الألباني- ص٢٥ - ط دار السلام.

(٢) المعجم الكبير - الطبراني - ج ٣ - ص١٦٤.

مسير ذات ليلة فأدلجنا دلجة فنعس رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته، فقال أناس لو دفعناه الساعة فوقع فاندقّت عنقه استرحنا منه، فلمّا سمعتهم تقدمتهم فسرت بينه وبينهم فجعلت أقرأ سورة من القرآن فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من هذا؟ قلت: حذيفة يا رسول الله قال: أدن، فدنوت فقال: ما سمعت هؤلاء خلفك ما قالوا؟ قلت: بلى يا رسول الله ولذلك سرت بينك وبينهم قال: أما إنهم منافقون، فلان وفلان وفلان».

فهؤلاء الذين تخصّهم هذه الروايات صحابة ظاهرا، وقد حملوا بين جوانحهم نفاقاً وغدرا وغيظا على النبي صلى الله عليه وآله، وقد أرادوا قتل النبي ليلة العقبة في العام التاسع للهجرة في عودته من تبوك ولم يعلم غير حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر أسماءهم حتى كان عمر بن الخطاب في خلافته يأتي لحذيفة عند موت أحد المسلمين (ظاهراً!) ليسأله هل هو من المنافقين؟ لكي يصلي عليه أو يتركه!

بل إن حذيفة كان يفضح بعضهم روى الترمذي في سننه[1] «حدثنا سويد، أخبرنا عبد الله، أخبرنا شعبة عن قتادة عن مجلز: "أن رجلا قعد وسط الحلقة، فقال حذيفة: ملعون على لسان محمد. أو: لعن الله على لسان محمد من قعد وسط الحلقة"». قال الترمذي[2] «هذا حديث حسن صحيح». وقد جعلوا الخبر عن حذيفة دليلا شرعيا على كراهة الجلوس في وسط الحلقة! إمعاناً في حرف الحديث عن حقيقته! قال المرزبان في «ذمِّ الثقلاء» «حدثنا أبو محمد حدثنا عمر بن الصامت حدثنا يونس بن حماد عن قتادة: أن رجلا قعد وسط الحلقة فقال لحذيفة: إن فلانا

---

(١) سنن الترمذي – الترمذي – ج ٤ – ص ١٨٣.

(٢) سنن الترمذي – الترمذي – ج ٤ – ص ١٨٣.

أخاك مات، قال وأنت أحق على الله أن يميتك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعن الجالس وسط الحلقة»[١].

ولكن بعض أصحاب الضمائر ممكن ان يصرح بالحقيقة في لحظة صحوة ضمير! قال البيهقي «قال الشيخ يحتمل أن يكون قد عرف منه نفاقا»[٢].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أسرَّ إلى حذيفة أسماء المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة. وقد ناشده عمر: أأنا من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أزكي أحدا بعدك[٣]. فهل استعمل حذيفة التقيّة مع عمر كما مرّ علينا أن ابن عباس استعملها مع معاوية؟!

ولا أعلم كيف يكون عمر بن الخطّاب مبشّرا بالجنة وهو يسأل من لم يبشّره الله بالجنة: هل أنا في المنافقين الذين يقول الله عنهم:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (النساء:١٤٥).

والفرق شاسع بين الجنة والدرك الأسفل من النار! ومن مضحك تخريجاتهم ما قالوه في الأثر المروي عن حذيفة في تفسيره لقوله تعالى:

﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ (التوبة:١٢).

قال حذيفة: قال ما قوتل أهل هذه الآية بعد[٤] قال ابن حجر[٥] عن

---

(١) ذم الثقلاء – محمد بن خلف بن المرزبان – ص ٢٠.

(٢) السنن الكبرى – البيهقي – ج ٣ – ص ٢٣٥.

(٣) سير أعلام النبلاء – الذهبي – ج ٢ – ص ٣٦٤.

(٤) فتح الباري – ابن حجر – ج ٨ – ص ٢٤٣.

(٥) فتح الباري – ابن حجر – ج ٨ – ص ٢٤٣.

بعضهم «والمراد بكونهم لم يقاتَلوا أن قتالهم لم يقع لعدم وقوع الشرط، لأن لفظ الآية:

﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ (التوبة:١٢).

فلما لم يقع منهم نكث ولا طعن لم يقاتَلوا وروى الطبري من طريق السدي قال المراد بأئمة الكفر كفار قريش ومن طريق الضحاك قال أئمة الكفر رؤوس المشركين من أهل مكة».

ولم يسأل أحد نفسه كيف يقول حذيفة وهو صاحب سرِّ النبي في المنافقين باتفاق الأمة، كيف يقول لم يقاتَل أصحاب هذه الآية وهم الآن في عصر ما بعد النبي صلى الله عليه وآله، ولم يحصل بعد فتح مكة قتال مع رؤوس المشركين من أهل مكة ولا غيرهم من معلني الكفر؟! وإنما قصد حذيفة قد يكون متوجها للمنافقين أو مرضى القلوب الاثني عشر الذين أرادوا قتل النبي ليلة العقبة، والذين لم يعرفهم سوى حذيفة وعمار وهم من مشاهير المسلمين بدليل معرفة عمار لهم بأسمائهم بل ومعرفته لرواحلهم التي تحملهم[(١)]! فهل كان عمار يعرف كل جِمال المسلمين! أم من كانت له مكانة معلومة مميزة يعرف من خلالها الناس اسم سيفه واسم درعه واسم دابته؟!

قال ابن تيمية «فإن قيل بل الإمامة في كل زمان هي الأهم والنبي صلى الله عليه وسلم كان نبيا إماما، وهذا كان معلوما لمن آمن به أنه كان إمام ذلك الزمان، قيل الاعتذار بهذا باطل من وجوه: أحدها أن قول القائل الإمامة أهم المطالب في أحكام الدين إما أن يريد به إمامة الاثني عشر أو إمام كل زمان بعينه

(١) السنن الكبرى – البيهقي –ج٩ – ص٣٣.

في زمانه، بحيث يكون الأهم في زماننا الإيمان بإمامة محمد المنتظر، والأهم في زمان الخلفاء الأربعة الإيمان بإمامة علي عندهم والأهم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بإمامته، وإما أن يراد به الإيمان بأحكام الإمامة مطلقا غير معين وإما أن يراد به معنى رابعا. أما الأول فقد علم بالاضطرار أن هذا لم يكن معلوما شائعا بين الصحابة ولا التابعين بل الشيعة تقول إن كل واحد إنما يعين بنص من قبله فبطل أن يكون هذا أهم أمور الدين، وأما الثاني فعلى هذا التقدير يكون أهم المطالب في كل زمان الإيمان بإمام ذلك الزمان ويكون الإيمان من سنة ستين ومائتين إلى هذا التاريخ إنما هو الإيمان بإمامة محمد بن الحسن ويكون هذا أعظم من الإيمان بأنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ومن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، ومن الإيمان بالصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الواجبات وهذا مع أنه معلوم فساده بالاضطرار من دين المسلمين فليس هو مذهب الإمامية، فإن اهتمامهم بعلي وإمامته أعظم من اهتمامهم بإمامة المنتظر كما ذكره هذا المصنف وأمثاله من شيوخ الشيعة، وأيضا فإن كان هذا هو أهم المطالب في الدين فالإمامية أخسر الناس صفقة في الدين لأنهم جعلوا الإمام المعصوم هو الإمام المعدوم الذي لم ينفعهم في دين ولا دنيا، فلم يستفيدوا من أهم الأمور الدينية شيئا من منافع الدين ولا الدنيا فإن قالوا إن المراد أن الإيمان بحكم الإمامة مطلقا هو أهم أمور الدين كان هذا أيضا باطلا للعلم الضروري أن غيرها من أمور الدين أهم منها وإن أريد معنى رابع فلا بد من بيانه لنتكلم عليه»[1].

الجواب:

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج١ - ص٢٦.

إن قوله «أن قول القائل الإمامة أهم المطالب في أحكام الدين إما أن يريد به إمامة الاثني عشر أو إمام كل زمان بعينه في زمانه بحيث يكون الأهم في زماننا الإيمان بإمامة محمد المنتظر والأهم في زمان الخلفاء الأربعة الإيمان بإمامة علي عندهم والأهم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بإمامته وإما أن يراد به الإيمان بأحكام الإمامة مطلقا غير معين وإما أن يراد به معنى رابعا. أما الأول فقد علم بالاضطرار أن هذا لم يكن معلوما شائعا بين الصحابة ولا التابعين بل الشيعة تقول إن كل واحد إنما يعين بنص من قبله فبطل أن يكون هذا أهم أمور الدين».

قلت:

إما أن يقول بغير علم فهو إذن جهل قبيح فكيف جوّز لنفسه الرد على ما لا يعلمه وإما أن يكون عالماً بحديث «النقباء اثنا عشر» الوارد في كتبهم فيكون بذلك مدلّساً كاذباً، كيف يكون هذا غير شائع بين الصحابة والتابعين وقد صحح[1] الألباني حديث «لا يزال هذا الدين قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة كلهم من قريش ثم يكون الهرج» "؟! وكان الصحابة يعلمون إن هذا الدين يلي أمره اثنا عشر أميرا، ولم تجتمع الأمة على أحد كما اجتمعت على أئمة أهل البيت عليهم السلام حتى الذين لا يقولون بوجوب طاعتهم والنص عليهم لم يختلفوا في فضلهم بخلاف غيرهم إذ لم يتولّ احد أمر الأمة إلّا اختلف عليه المسلمون!

وأما قوله «بل الشيعة تقول إن كل واحد إنما يعين بنص من قبله فبطل أن يكون هذا أهم أمور الدين».

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزياداته - الألباني-ج٢ -١٢٧٤.

فهذه من مغالطاته فالشيعة لا تقول ذلك بل تقول إن الأئمة معروفون بعددهم، ومنصوص عليهم من لدن جدهم عليه الصلاة والسلام، ولكن أمر كل إمام يظهر في آخر دقيقة من حياة الإمام السابق لا أكثر، وهذا ليس نصّا وقتيا غير معروف بل هو إظهار للنص المعروف.

روى الصفار في بصائر الدرجات [١] «حدثنا أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن علي بن أسباط عن الحكم بن مسكين عن بعض أصحابه قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام متى يعرف الآخر ما عند الأول قال في آخر دقيقة تبقى من روحه». وفي معناه أحاديث.

وأما قول ابن تيميّة «وأيضا فإن كان هذا هو أهم المطالب في الدين فالإمامية أخسر الناس صفقة في الدين لأنهم جعلوا الإمام المعصوم هو الإمام المعدوم الذي لم ينفعهم في دين ولا دنيا فلم يستفيدوا من أهم الأمور الدينية شيئا من منافع الدين ولا الدنيا».

قلت:

أن قرب رجال الدين السنّة من السلطان جعل النفع الدنيوي مرتبطا برئاستهم الدينية ولا يستطيعون التفريق في المقام بين الأمرين! فتراهم يفتون كلٌ مع سلطانه ضد الآخر المسلم وكأنه من دين آخر، والأمر بسيط بينهم يكفي أن تعلم إن مراكزهم الدينية الموجودة لا تختار إمامها الأكبر بحريّة، بل تنصبه السلطات الزمانية المتسلطة بالقهر والقوة على الشعوب المظلومة، وبالتالي يكون رجل الدين بوقا لتعظيم السلطان كما كان ابن تيميّة وغيره، وخطّاً أول للدفاع

---

(١) بصائر الدرجات – محمد بن الحسن الصفار – ص ٤٩٧ – ٤٩٨.

لئلا تضج الناس من الظلم وتخرج على السلطان فالخروج «حرام» بل «أطع واصبر»!!

وقد رأينا مفتي النواصب (إبن باز) يفتي بجواز السلام مع الكيان الصهيوني بعد أن وقَّعوا اتفاقيات أوسلو عام ١٩٩٣م. بل قد رأينا في أيّامنا هذه (عام ٢٠١١م) من الأعاجيب من علمائهم ما يحار معه العقل، فقد رأينا خلال الثورة المصرّية مفتي الجمهورية في مصر يقول من خلال التلفزيون المصري إن بيعة الرئيس حسني مبارك بيعة شرعية ومن يخرج عليه يقتل! وقد أمر الملك السعودي عبد الله مفتي البلاط (وهو من نسل محمد عبد الوهّاب) بأن يفتي بأن المظاهرات بدعة، وقد رد الشيخ القرضاوي على هذين الشخصين بردود علميّة من خلال قناة الجزيرة، وأمر الرئيس اليمني علي عبد الله صالح مجموعة من رجال الدين- بعد ثمانية أشهر من بداية المظاهرات- أن يقوموا بإصدار فتوى بحرمة المظاهرات، وبعد نشر الخبر في الفضائيات العالمية خرجت الفتوى (الشرعية!) بحرمة المظاهرات! فأي إمامة هذه التي يكون فيها المجتهد تبعا لسكرتير الرئيس، يهرول وراءه عارضا فتاويه، وكل فتوى بحسابها!.

فمعرفة النبي والإمام لا تضرّ بعدم استطاعة هذا النبي أو الإمام من أداء مهمته لنقص في الناس، أو لحكمة إلهية معينة وإلا فهل بطلت نبوة النبي صلى الله عليه وآله وهو مختفٍ متوارٍ عن الأنظار عند خروجه من مكة في الهجرة؟! وقد كان بين خروجه من مكة ووصوله المدينة ما يقرب من خمسة عشر يوماً، ولكن هذا ظن الذين لا يوقنون، فالله لطيف بعباده ولا يمنع غياب الإمام عن النظر أن يكون له دور معين قد لا نعلمه، وهذا الإمام المهدي «عجل الله فرجه الشريف»

يقول للشيخ المفيد في رسالته إليه[١] «نحن وإن كنّا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب الذي أراناه الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإنا نحيط علما بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعا، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. أنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء أو اصطلمكم الأعداء فاتقوا الله جل جلاله وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم يهلك فيها من حم أجله ويحمى عنها من أدرك أمله، وهي أمارة لأزوف حركتنا ومباثّتكم بأمرنا ونهينا، والله متم نوره ولو كره المشركون. اعتصموا بالتقية! من شب نار الجاهلية، يحششها عصب أموية، يهول بها فرقة مهدية، أنا زعيم بنجاة من لم يرم فيها المواطن، وسلك في الطعن منها السبل المرضية، إذا حلَّ جمادى الأولى من سنتكم هذه فاعتبروا بما يحدث فيه، واستيقظوا من رقدتكم لما يكون في الذي يليه».

فانتبه لقوله (عجل الله فرجه الشريف) «أنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء أو اصطلمكم الأعداء» وهذا يدل على أن الإمام يتدخل بما فيه مصلحة شيعته والمؤمنين به ولكن من غير أن يعلموا ذلك، وهذا ما أوجزه الإمام عجل الله فرجه بقوله بتوقيع لإسحاق بن يعقوب[٢]

---

(١) الاحتجاج – الشيخ الطبرسي – ج ٢ – ص ٣٢٢ – تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان–١٣٨٦ – ١٩٦٦ م–دار النعمان للطباعة والنشر – النجف الأشرف.

(٢) إكمال الدين وتمام النعمة – الشيخ الصدوق – ص ٤٨٥ تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري– محرم الحرام ١٤٠٥ – ١٣٦٣ ش– مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

«أما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب، وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء».

ولا أحسب أن ابن تيميّة يعلم علل كل ما يحيط به، ولو أردنا أن نشكك بكل ما صح الإيمان به من دون معرفة علّته لكان لنا أن نأتي بمئات الأسئلة والتشكيكات حول ما ورد من سيرة النبي صلى الله عليه وآله، ولماذا حدث هذا ولم يحدث هذا، ولماذا انزل الله هذا ولم ينزل ذلك ولن ينتهي الأمر بسهولة، لكون إلقاء الشبهة ليس مثل استئصالها من القلوب والأذهان، فإلقاء الشبهة هيّن، يكفي لها أن لا يقتنع الشخص بجزئيّة معيّنة ليلقي إزاءها برأي آخر يحتمله الظرف، مما سيحتّم على من يريد صدّ الشبهة بأن يبذل الوسع ليردّها بأضعافها من النصوص، فليس عرض الحق كافيا لكي يتبعه الناس، ولكن الأسلوب الذي يُعرض به الحقّ يجب أن يكون كافياً ليقتنع به الآخر، لذا تجد أهل البدع من الوهّابيّة والزنادقة، والبهائيّة والقاديانية وغيرهم يوجّهون سهامهم بتشكيكات عقليّة، من السهل إيجادها دائما، لكون ما وصل عن التاريخ الواقعي للأحداث شيء قليل بالنسبة لما استغرقه الزمان، وعدد الأشخاص، وضخامة الوقائع، ولاختفاء الكثير من المصادر التاريخية خلال نوّب الزمان، ووقائع الدهور والعصور، لذا فلا تجد شخصا يحترم عقله قادرا على إعطاء أجوبة كافيّة لكثير من الجزئيات الواردة في التاريخ، نعم ما لدى الشيعة الإماميّة أعزّهم الله كافٍ، شافٍ، لكون مصادرهم، ومصادر غيرهم تؤيّده ببراهين لا يجد غير الشيعي لديه مثلها، والمذهب الشيعي هو المذهب الوحيد الذي - ولثقته بما عنده- يستدل دائما بما عند الآخرين على صدق ما عنده.

صاحب الزمان (عجل الله فرجه) والتكليف بما لا يطاق

قال ابن تيمية «وأيضا فصاحب الزمان الذي يدعون إليه لا سبيل للناس إلى معرفته ولا معرفة ما يأمرهم به وما ينهاهم عنه وما يخبرهم به فإن كان أحد لا يصير سعيدا إلا بطاعة هذا الذي لا يعرف أمره ولا نهيه، لزم أنه لا يتمكن أحد من طريق النجاة والسعادة وطاعة الله، وهذا من أعظم تكليف مالا يطاق، وهم من أعظم الناس إحالة له، وإن قيل بل هو يأمر بما عليه الإمامية، قيل فلا حاجة إلى وجوده ولا شهوده، فإن هذا معروف سواء كان هو حيا أو ميتا وسواء كان شاهدا أو غائبا، وإذا كان معرفة ما أمر الله به الخلق ممكنا بدون هذا الإمام المنتظر علم أنه لا حاجة إليه ولا يتوقف عليه طاعة الله ورسوله، ولا نجاة أحد ولا سعادته وحينئذ فيمتنع القول بجواز إمامة مثل هذا فضلا عن القول بوجوب إمامة مثل هذا، وهذا أمر بيّن لمن تدبره لكن الرافضة من أجهل الناس»[1].

الجواب:

إن ابن تيميّة لا يميّز بين الإمامة وهي طريق الهداية التي لا تنقطع حتى بغيبة صاحبها، وبين الحكم الزماني الذي كان ابن تيميّة يتنعّم بفتاته عند سلاطين الشام

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج١- ص ٢٩.

ومصر! ويتنعم به نواصب زماننا بدولارات الزكاة وسحت الظالمين في الخليج.

فللنبوة والإمامة هدف واحد لا ينتفي في حال عدم اهتداء الناس بسبب بذنوبهم، وانتكاس قلوبهم، كأمر نبي الله نوح عليه السلام الذي عاش في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً كما أخبر الله جلّ وعلا.

ولا ينتفي في حال قتل النبي كما هو حال النبي يحيى عليه السلام، ولا ينتفي الهدف في حال غيبة النبي أو الإمام كغيبة موسى أربعين ليلة كما في قوله تعالى:

﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف:١٤٢).

وغيبة النبي محمد صلى الله عليه وآله ما بين خروجه من المدينة إلى يوم وصوله إلى مكة وهي قرابة خمسة عشر يوما. فالحجَّة هي الحجَّة، لا تزول بمجرد عدم قدرة القائم بها على نشرها ومباشرته لها.

وهم يجعلون الإمام وصاحب الأمر الواجب طاعته هو الحاكم الزمني الذي يسوقهم بالقهر والقوة ويجمع المال من الفقراء بالغصب، ليتنعم به هو وفقهاء القصر.

ولو لم يكن قلبه منكوساً لكانت قراءته لنهج البلاغة تكفي لمعرفة منبع النور من هاوية الظُلمة، ولكن أنى له ذلك وهو ابن تيمية.

قال ابن تيمية «والمقصود بالإمام إنما هو طاعة أمره فإذا كان العلم بأمره ممتنعا كانت طاعته ممتنعة، فكان المقصود به ممتنعا، وإذا كان المقصود به ممتنعا لم يكن في إثبات الوسيلة فائدة أصلا بل كان إثبات الوسيلة التي لا يحصل بها

مقصودها من باب السفه والعبث والعذاب القبيح باتفاق أهل الشرع، وباتفاق العقلاء القائلين بتحسين العقول وتقبيحها بل باتفاق العقلاء مطلقا فإنهم إذا فسَّروا القبح بما يضرّ كانوا متفقين على أن معرفة الضار يعلم بالعقل والإيمان بهذا الإمام الذي ليس فيه منفعة، بل مضرّة في العقل والنفس والبدن والمال وغير ذلك قبيح شرعا وعقلا، ولهذا كان المتَّبعون له من أبعد الناس عن مصلحة الدين والدنيا، لا تنتظم لهم مصلحة دينهم فدنياهم إلا بالدخول في طاعة من هو خارج عن دينهم.... لأن مصلحة الدين والدنيا لا تحصل إلا به عندهم وهم لم يحصل لهم بعد المنتظر مصلحة في الدين ولا في الدنيا، والذين كذّبوا به لم تفتهم مصلحة في الدين ولا في الدنيا بل كانوا أقوم بمصالح الدين والدنيا من أتباعه، فعلم بذلك أن قولهم في الإمامة لا ينال به إلا ما يورث الخزي والندامة وأنه ليس فيه شيء من الكرامة وأن ذلك إذا كان أعظم مطالب الدين فهم أبعد الناس عن الحق والهدى في أعظم مطالب الدين، وإن لم يكن أعظم مطالب الدين ظهر بطلان ما أدعوه من ذلك فثبت بطلان قولهم على التقديرين وهو المطلوب»[1].

الجواب:

ما المقصود بقوله «فإذا كان العلم بأمره ممتنعا كانت طاعته ممتنعة فكان المقصود به ممتنعا»؟ فإن كان الهدف من وجود الإمام كما الفائدة من وجود الملوك الذين كان ابن تيميّة يقتات من موائدهم صحّ ذلك، ولكن الأمر مختلف فكما العلم بوجود رسول الله صلى الله عليه وآله في حقبة زمنية معينة واجب اعتقادي يوجب الأخذ بما جاء به من تعاليم، وما جاء به من قرآن كان أمر الإمام كذلك فما جاء به الأئمة من قبله متطابق لا يختلف فكان الواجب تجاه الإمام الثاني عشر

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج١ - ص٣١.

هو الاعتقاد بوجوده طاعة لإرادة الله والنبي فقد أمر اله بإطاعة النبي بقوله سبحانه :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (النور:٥٦).

ولما ثبت عند الفريقين قوله صلى الله عليه وآله واللفظ من حديث جابر بن سمرة «لا يزال هذا الأمر عزيزا إلى اثني عشر خليفة قال ثم تكلم بشيء لم افهمه فقلت لأبي ما قال فقال كلهم من قريش» [1] ولما كان «نقل الطائفتين المختلفتين المتباينتين في الاعتقاد يدل على صحة ما قد اتفقوا على نقله لان العادة جارية أن كل من اعتقد مذهبا وكان الطريق إلى صحة ذلك النقل، فإن دواعيه تتوفر إلى نقله، وتتوفر دواعي من خالفه إلى إبطال ما نقله أو الطعن عليه، والإنكار لروايته، بذلك جرت العادات في مدائح الرجال وذمهم وتعظيمهم والنقص منهم. ومتى رأينا الفرقة المخالفة لهذه الفرقة قد نقلت مثل نقلها ولم تتعرض للطعن على نقله ولم تنكر متضمن الخبر دل ذلك على أن الله تعالى قد تولى نقله وسخرهم لروايته، وذلك دليل على صحة ما تضمنه الخبر». [2]

ولّما دل الدليل السابق على أن هؤلاء الاثني عشر يلازمون الإسلام منذ ولادته الى يوم القيامة وهذا يدل على عدم جواز خلوِّ الأرض من حجّة على العباد، لذا كان الاعتقاد بوجود الإمام الثاني عشر واجبا تابعا لوجوب طاعة الله والنبي سواء رأينا هذا الإمام أم لم نره، عرفنا بتعاليمه أم لم نعلم. وتوطين النفس

---

(١) صحيح مسلم – مسلم النيسابوري – ج ٦ – ص ٣ / الخصال – الشيخ الصدوق –تصحيح وتعليق علي أكبر غفاري – منشورات جماعة المدرسين – قم – ١٤٠٣هـ.

(٢) الغَيبة – الشيخ الطوسي – ص ١٥٧.

على طاعته عند ظهوره، وانتظار ظهوره من اكبر القربات لكونه اختبار الطاعة الحقيقي.

وأما قوله «وإذا كان المقصود به ممتنعا لم يكن في إثبات الوسيلة فائدة أصلا بل كان إثبات الوسيلة التي لا يحصل بها مقصودها من باب السفه والعبث والعذاب القبيح باتفاق أهل الشرع وباتفاق العقلاء القائلين بتحسين العقول وتقبيحها بل باتفاق العقلاء مطلقا فإنهم إذا فسّروا القبح بما يضرّ كانوا متفقين على أن معرفة الضار يعلم بالعقل والإيمان بهذا الإمام الذي ليس فيه منفعة بل مضرة في العقل والنفس والبدن والمال وغير ذلك قبيح شرعا وعقلا ولهذا كان المتبعون له من أبعد الناس عن مصلحة الدين والدنيا لا تنتظم لهم مصلحة دينهم فدنياهم إلا بالدخول في طاعة من هو خارج عن دينهم».

قلت:

هذا تخليط عجيب! فابن تيمية انتقل من القول المردود بعدم وجود الفائدة من وجود إمام لا يُعرف إلى القول بمضرة ذلك وكونه ضد اعتقاد العقلاء جميعا فأبطل وجوب اتِّباع النبي بذلك؟!! وليت شعري هل يبطل الاعتقاد بوجود النبي طوال الفترة التي قضاها في طريق الهجرة بين مكّة والمدينة لعدم وجود الفائدة من ذلك إلّا بعد وصوله للمدينة؟ فهذا كهذا!وهل يبطل الاعتقاد بوجوب اتِّباع موسى عليه السلام طوال فترة غيابه لأربعين يوما لعدم وجود الفائدة (حسب كلام ابن تيمية) إلاّ بعد رجوعه لقومه؟!

ولو كان توقّف الحجّة عن ممارسة مهامه لخطب عارض يوجب على الأمة التصرّف بنفسها فتختار من تريد هي كما يراد القول! لكان على الصحابة أن لا

ينتظروا موت النبي صلى الله عليه وآله ثم يبايعوا أبا بكر! بل بمجرد كون النبي كان يفيق ثم يغمى عليه كما يصورونه في الأخبار وجب على العقلاء العلم بأن الحجة لم يعد بإمكانه ممارسة دوره فيجب نصب حجة ينوب عنه في ذلك! فلِـمَ لم يفعلوا ذلك؟!

الجواب واضح: لكون كل ما جاءوا به من بعد من الإشكالات حول عدم الفائدة من وجود الحجة إذا كان متوقفاً عن أداء دوره باطل بالضرورة، وإنما ألجأهم الى ذلك الإلزام الذي فرضه عليهم علماء أهل البيت تبعاً لأئمتهم، فلما رأوا قوّة الحجّة الشيعية ابتدعوا هذه السفاسف!

وأما قوله «ولهذا كان المتبعون له من أبعد الناس عن مصلحة الدين والدنيا لا تنتظم لهم مصلحة دينهم فدنياهم إلا بالدخول في طاعة من هو خارج عن دينهم».

فقد تكفل التاريخ برد هذه الترّهات فقد قامت دُوَل إسلامية شيعية وصلت مدى من التطور والقوة بما لم يجعل مجالا للشك بعدم استلزام كلامه لهذا اللازم الباطل، وعلى سبيل المثال الدولة الصفويّة والتي استمرت لقرنين من الزمان[1]، وجمهورية إيران الإسلامية، وعدة دول شيعية غيرهما، وإذا ألزمنا ابن تيمية بمن يعدّه من الشيعة لأدخلنا الدولة الفاطمية صاحبة السلطان العظيم من جبال أطلس إلى الشام واليمن، وغيرها من الدول القويّة عزيزة الجانب. بل لقد كانت بعض عصور الإسلام الأولى والبلاد بأغلبها شيعيّة يقول ابن كثير عن القرن الرابع الهجري «وقد امتلأت البلاد رفضا وسبا للصحابة من بني بويه وبني حمدان

---

(١) راجع كتاب: نشوء وسقوط الدولة الصفوية - عباس حسن الموسوي (كمال السيد) - ط سرور ٢٠٠٥م / الطبعة الأولى.

والفاطميين، وكل ملوك البلاد مصرا وشاما وعراقا وخراسان وغير ذلك من البلاد، كانوا رفضا، وكذلك الحجاز وغيره، وغالب بلاد المغرب، فكثر السب والتكفير منهم للصحابة».(١)

فلو كان الرافضة مذلولين - على منطق ابن تيمية - فكيف حكموا البلاد مصرا وشاما وعراقا وخراسان وغير ذلك من البلاد!

قال ابن تيمية وهو يتكلم عن الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف «ثم كيف يجوز أن يكلّفنا الله بطاعة شخص ونحن لا نعلم ما يأمر به ولا ما ينهانا عنه، ولا طريق لنا إلى معرفة ذلك بوجه من الوجوه، وهم من أشد الناس إنكارا لتكليف مالا يطاق فهل يكون في تكليف مالا يطاق أبلغ من هذا فقال إثبات هذا مبني على تلك المقدمات، قلت لكن المقصود لنا من تلك المقدمات هو ما يتعلق بنا نحن، وإلا فما علينا ما مضى إذا لم يتعلق بنا منه أمر ولا نهي وإذا كان كلامنا في تلك المقدمات لا يحصل لنا فائدة ولا لطفا ولا يفيدنا إلا تكليف مالا يقدر عليه علم أن الإيمان بهذا المنتظر من باب الجهل والضلال لا من باب المصلحة واللطف، والذي عنه الإمامية من النقل عن الأئمة الموتى إن كان حقا يحصل به سعادتهم فلا حاجة بهم إلى المنتظر، وإن كان باطلا فهم أيضا لم ينتفعوا بالمنتظر في رد هذا الباطل فلم ينتفعوا بالمنتظر لا في إثبات حق ولا في نفي باطل ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر ولم يحصل لواحد منهم به شيء من المصلحة واللطف المطلوب من الإمامة»(٢).

---

(١) البداية والنهاية - ابن كثير - ج ١١ - ص ٢٦٤.

(٢) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج١- ص٣٥و٣٦.

الجواب:

لقد كلف الله سبحانه بطاعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وهو لم يولد بعد! كما في قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (لأعراف:١٥٧).

وقوله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (لأعراف:١٥٨).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة:٨٩).

وقد جاء في تفسيرها عن السمعاني «ومعنى الآية: أن المشركين من قبل كانوا يؤذون اليهود فربما تكون الغلبة لهم على اليهود في القتال؛ فقالت اليهود -: اللهم انصرنا بالنبي الأمي الذي تبعثه في آخر الزمان، فكانوا ينصرون به، فلما

بعث كفروا به»[١].

وقد نقل عنهم ابن الجوزي قولهم «إن الله عهد إلينا أن نؤمن بالنبي الأمي»[٢].

وقال القرطبي في تفسر قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأعراف:١٦٧).

أي أعلم أسلافهم أنهم إن غيروا ولم يؤمنوا بالنبي الأمي بعث الله عليهم من يعذبهم»[٣].

وقال ابن كثير تلميذ ابن تيميّة في تفسيره للقرآن:

﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ (الأعراف: من الآية١٥٨).

"صفة الله تعالى في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الذي أرسلني

---

(١) تفسير السمعاني – السمعاني – ج ١ – ص ١٠٨ تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤١٨ – ١٩٩٧م المطبعة: السعودية – دار الوطن – الرياض الناشر: دار الوطن — الرياض.

(٢) زاد المسير – ابن الجوزي – ج ١ – ص ٦١ تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله الطبعة: الطبعة الأولى سنة الطبع: جمادى الأولى ١٤٠٧ – كانون الثاني ١٩٨٧ المطبعة: الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ملاحظات: تخريج الأحاديث أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول.

(٣) تفسير القرطبي – القرطبي – ج ٧ – ص ٣٠٩ الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤٠٥المطبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان الناشر: مؤسسة التاريخ العربي. بيروت.

هو خالق كل شيء وربه ومليكه الذي بيده الملك والإحياء والإماتة وله الحكم "وقوله:

﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﴾ (الأعراف: من الآية١٥٨).

"أخبرهم أنه رسول الله إليهم ثم أمرهم باتّباعه والإيمان به ﴿ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ " ﴾ أي الذي وعدتم به وبشرتم به في الكتب المتقدمة فإنه مبعوث بذلك في كتبهم ولهذا قال " ﴿ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ " ﴾ " وقوله:

﴿ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ﴾ (الأعراف: من الآية١٥٨).

"أي يصدق قوله عمله وهو يؤمن بما أنزل إليه من ربه "﴿ وَاتَّبِعُوهُ ﴾" أي اسلكوا طريقه واقتفوا أثره "﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾" أي الصراط المستقيم».[(١)]

وكل ما يورده ابن تيمية من تشكيكات هنا فهي من نفثات الشياطين، وكما قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران: من الآية٧).

وإنما الإسلام من التسليم فعند التسليم لما يريد الله والنبي تحصل الطاعة التي يثاب عليها الإنسان، وأمّا أن يريد ابن تيمية أن يعلم ما في السموات والأرض وإلاّ لن يؤمن! فليس في هذا الإيمان خير قال تعالى:

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ

---

(١) تفسير ابن كثير – ابن كثير – ج ٢ – ص ٢٦٦ لطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤٠٥المطبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان الناشر: مؤسسة التاريخ العربي – بيروت.

إِلاّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (الأحقاف:٩).

وقول ابن تيمية «والذي عنه الإمامية من النقل عن الأئمة الموتى إن كان حقا يحصل به سعادهم فلا حاجة بهم إلى المنتظر، وإن كان باطلا فهم أيضا لم ينتفعوا بالمنتظر في رد هذا الباطل».

فهذا مردود، فأمّا قوله المُشعر بالتهكّم «الأئمة الموتى» فهذا طعن بالقرآن الذي يقول:

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (الزمر:٣٠).

فإن كان موت النبي صلى الله عليه وآله لا يجعل فائدة في ما تركه من سنّة فكيف يتّبع ابن تيمية الروايات التي وردت عن ميت، والمنصف لا يجد فرقا في المقام.

ونحن هنا نقول: إن كان ما تركه النبي صلى الله عليه وآله حقّا يحصل به سعادة ابن تيمية فلم أتعب نفسه في معرفة هؤلاء الاثني عشر الذين يبقى الدين عزيزا، منيفا، منيعا في ظلّهم؟! وأتى بالقرائن والشواهد على أهم بني أميّة!

ولكنّا نقول أن ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله تحصل به سعادة الدارين بشرط أن يؤخذ كله، ومنه الوصية بالتمسك بالثقلين حتى يأمن المسلم الضلال، والإمام المنتظر هو الإمام الثاني عشر الموصى به، والذي يجب علينا إطاعة للنبي الذي لا ينطق عن الهوى أن نعرفه ونوطن النفس على اتباعه. ومتى فعلنا ذلك انطبق علينا عنوان المؤمن المسلِّم، قال تعالى:

﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (النساء:٦٥).

النزاع في الإمامة.. ومسؤوليّة علي عليه السلام؟

قال ابن تيمية «وذلك أن النزاع في الإمامة لم يظهر إلا في خلافة علي رضي الله عنه، وأما على عهد الخلفاء الثلاثة فلم يظهر نزاع إلا ما جرى يوم السقيفة وما انفصلوا حتى اتفقوا ومثل هذا لا يُعدّ نزاعا»[1].

الجواب:

فأقول: إن الخلاف كان منذ يوم السقيفة ولم ينتهِ إلى الآن، قال الشهرستاني[2] «وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سُلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سُلّ على الإمامة في كل زمان».

فانتبه لقوله «في كل زمان»! والأمر كذلك فالأحزاب الإسلامية (الحزب العلوي والحزب الأموي) ظهرت إلى العلن في يوم السقيفة واستمرت ليومنا هذا.

وقوله يستلزم أن دعوى الزبير وطلحة ومعاوية المطالبَة بدم عثمان كانت كذبا وسلّما للوصول إلى الإمامة! إذن هذا ليس تأولا واجتهادا بل طمعا في الدنيا.

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج١- ص٤١.

(٢) الملل والنحل - الشهرستاني - ج ١ - ص ٢٤ دار المعرفة- دار المعرفة - بيروت — لبنان.

بيان ذلك: أن النزاع الذي ظهر في زمان علي عليه السلام كان بين علي عليه السلام من جهة وبين طلحة والزبير وعائشة ومعاوية، وهو إمّا على دم عثمان حيققة وإما على شيء آخر، ونحن نقول أن عائشة خرجت لبغضها عليا وخرج الزبير وطلحة ومعاوية طمعا في وصول الخلافة إليهم، وابن تيمية هنا يوافقنا على ذلك! وإن كان في مكان آخر قد ناقض نفسه، فالرجل يبدل عقيدته حسبما يريد والمهم عنده أن لا يعذر عليا في شيء وان يدينه بكل ما جرى:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (الصف:٨).

ودعوى الاتفاق في السقيفة دعوى سمجة، فعلى ماذا اتفقوا؟! ولو كان الثلاثة متفقين مع الإمام فأين ذكره خلال الأعوام الخمسة والعشرين التي حكموا فيها، ولماذا اختار اعتزالهم ولا تجد له ذكرا إلّا نادرا هنا وهناك؟!

ولو وجدوا له ذكرا لأتوا به تأييدا لقولهم انه كان وزيرا للشيخين، فلما لم يجدوا إلّا القليل من استعانة الشيخين به عند المعضلات عُلم أن ذلك إما أن يكون طمسا متعمدا لاسم الإمام، وبالتالي يتمُّ كلامنا حول موقف حواشي الثلاثة مثل كعب الأحبار وزير عمر، ومروان بن الحكم وزير عثمان وبني أمية، و معاوية منه وإما انه اختار العزلة وعدم المشاركة بالحروب التي شنّوها لشرههم للسلطة، والأنا التي ما زالوا يلهثون وراءها حتى أردتهم.

الأولياء... وأولوا الأمر

قال ابن تيمية «الوجه الثالث أن قوله «إنه نصب أولياء معصومين لئلا يخلى الله العالم من لطفه ورحمته»... فإن قيل المراد بنصبهم أنه أوجب على الخلق طاعتهم فإذا أطاعوهم هدوهم لكن الخلق عصوهم فيقال فلم يحصل بمجرد ذلك في العالم لا لطف ولا رحمة بل إنما حصل تكذيب الناس لهم ومعصيتهم إياهم وأيضا فالمؤمنون بالمنتظر لم ينتفعوا به ولا حصل لهم به لطف ولا مصلحة مع كونهم يحبونه ويوالونه، فعلم أنه لم يحصل به لطف ولا مصلحة لا لمن أقر بإمامته ولا لمن جحدها، فبطل ما يذكرون أن العالم حصل فيه اللطف والرحمة بهذا المعصوم، وعلم بالضرورة أن هذا العالم لم يحصل فيه بهذا المنتظر شيء من ذلك لا لمن آمن به ولا لمن كفر به بخلاف الرسول والنبي الذي بعثه الله وكذبه قوم فإنه انتفع به من آمن به وأطاعه فكان رحمة في حق المؤمن به المطيع له، وأما العاصي فهو المفرط وهذا المنتظر لم ينتفع به لا مؤمن به ولا كافر به وأما سائر الاثني عشر سوى علي فكانت المنفعة بأحدهم كالمنفعة بأمثاله من أهل العلم والدين من جنس تعليم العلم والتحديث والإفتاء ونحو ذلك، وأما المنفعة المطلوبة من الأئمة ذوي السلطان والسيف فلم تحصل لواحد منهم فتبين أن ما ذكره من اللطف

والمصلحة بالأئمة تلبيس محض وكذب»[١].

الجواب:

وما الذي عطف أيجاب الله سبحانه للطاعة بواقع عدم طاعة الناس؟! فالله سبحانه وتعالى أوجب طاعة الخلق للأنبياء ولم يطع الناسُ أغلب الأنبياء فهل حصل الفساد من وجود الأنبياء جراء ذلك؟! أم هل حصل العبث والعياذ بالله جرّاء إرسال الله لنبي لا يُطاع في قومه؟! أم أن الفساد يحصل من لعصيان الناس للمراد الإلهي؟!وما علاقة هذا بذاك، فالتخليط في كلام الرجل واضح.

والمقارنة التي أوردها بقوله «بخلاف الرسول والنبي الذي بعثه الله وكذبه قوم فإنه انتفع به من آمن به وأطاعه، فكان رحمة في حق المؤمن به المطيع له، وأما العاصي فهو المفرط» فهذا غريب، فهب أن رجلاً مؤمنا بالنبي صلى الله عليه وآله اضطرّته الظروف الى عدم الهجرة للنبي صلى الله عليه وآله اليس ينتفع بإيمانه عند الله، فالإيمان بالإمام الغائب، والإيمان بالإمام الذي لم يستطع ممارسة الجانب الحكومي من إمامته كذلك، فالإيمان بالأئمة رحمة للمؤمنين والمعصية لهم وعدم الإيمان تفريط بطاعة الله والنبي لكونها طاعة واحدة، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (النساء:٥٩).

وربط الطاعة لأولي الأمر بالطاعة للنبي المعصوم وللإرادة الإلهية يكشف عن وحدة الطاعة من جهة، وعن معصومية هؤلاء المأمور بطاعتهم من جهة أخرى

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية– ابن تيمية – ج١ – ص٤٦.

ولم يدعِ العصمة لأولي الأمر وهم الأئمة غير الشيعة الاثني عشرية أيدهم الله ونصرهم. وأما كون أولي الأمر هم الحكّام الزمنيون الذين يصلون للحكم بطرق عديدة منها تزوير الانتخابات ورشوة رجال الدين والانقلابات العسكرية وما شابه فكلام مضحك، وإنما لم يجدوا حلاًّ لهذا الإشكال فقالوا كلامهم، وليت شعري ما المصالح الدينية والدنيوية من وجود حكام ينخر حكوماتهم الفساد المالي والانحلال الخلقي، والقسوة والطغيان على الشعب المسكين، الذي ذنبه الوحيد أن رجال دينه يحوطهم الحاكم الطاغي بعطفه فيفتون له ويسبحون بحمده!.

ولو كان الغرض من وجود الإمام هو مصالح الدين والدنيا للدولة والشعب فنظرة سريعة على الحكّام المسلمين منذ شهادة النبي صلى الله عليه وآله والى الآن فستجد أن الحكم عبارة عن فرصة ذهبيّة لاكتناز الذهب والفضّة، والقصور الفارهة، والبساتين والجنان المونقة، وفي كل قصر آلاف الجواري، وفي كل قصر إباحيّة جنسية من نوع غريب تكشف عن الانحراف النفسي عند هؤلاء الطغاة، هذا الانحراف الذي جعل بلاد الإسلام «بستان قريش» على ما عبّر أحد ولاة عثمان، فبينما يتلوّى الفقراء والمعدمون في بلاد المسلمين من الجوع يترفّه البعض بأموال بيت المال فترى اليوم العوائل الحاكمة وهي تملك القصور المحلّاة بالذهب والفضّة والتي تضم مسابح تطلى أرضيّتها بالذهب، وأرصدة هؤلاء الولاة المسروقة من أفواه الفقراء تذهب لتتكدّس في مصارف الغرب فتدخل في استثمار دور اللهو والدعارة والقمار ومصانع الخمور ولا من آمرٍ بالمعروف ولا ناهٍ عن المنكر! لكون أفواه رجال الدين قد ارتشفت الرشى، وعاد آخرهم يفتي كما أفتى أوّلهم[1] بأن المال لولي الامر وهو يصرفه بما يراه من مصلحة!.

---

(١) قال ابن أبي الحديد «قال معاوية يوما: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال، فإذا أيسر قضى؟ فقال ←

وإلاّ فكيف يأمر الله بطاعتهم مطلقا بغير تحديد وهم يقومون بكل أنواع المعاصي بل بعضهم يرتد عن دينه لكي يكون (من أولوا الأمر)!! كما حصل مع الملك مغيث الدين طغرل شاه ملك السنة الأتراك في آسيا الصغرى، قال ابن الأثير[1] «كان أهل مملكة الكرج لم يبق منهم غير امرأة، وقد انتهى الملك إليها فوليته وقامت بالأمر فيهم وحكمت فطلبوا لها رجلا يتزوجها ويقوم بالملك نيابة عنها ويكون من أهل بيت مملكة فلم يكن فيها من يصلح لهذا الأمر. وكان صاحب أرزن الروم هذا الوقت هو مغيث الدين طغرل شاه بن

كعب الأحبار: لا بأس بذلك، فقال له أبو ذر: يا بن اليهوديين، أتعلمنا ديننا! فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتولعك بأصحابي، الحق بالشام. فأخرجه إليها، فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية ثلاثمائة دينار، فقال أبو ذر: إن كانت هذه من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا قبلتها، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها، وردها عليه. وبنى معاوية الخضراء بدمشق، فقال أبو ذر: يا معاوية، إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة وإن كانت من مالك فهو الاسراف. وكان أبو ذر رحمه الله تعالى يقول: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه، والله إني لأرى حقا يطفأ وباطلا يحيا، وصادقا مكذبا، وأثرة بغير تقى، وصالحا مستأثرا عليه، فقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية إن أبا ذر لمفسد عليكم الشام، فتدارك أهله إن كانت لكم حاجة فيه. فكتب معاوية إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: أما بعد، فاحمل جندبا إلى علي أغلظ مركب وأوعره، فوجه به مع من سار به الليل والنهار، وحمله على شارف ليس عليها إلا قتب، حتى قدم به المدينة، وقد سقط لحم فخذيه من الجهد، فلما قدم أبو ذر المدينة، بعث إليه عثمان أن الحق بأي أرض شئت، فقال: بمكة؟ قال: لا، قال: فبيت المقدس؟ قال: لا، قال: فأحد المصرين؟ قال: لا، ولكني مسيرك إلى الربذة، فسيره إليها، فلم يزل بها حتى مات». شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد – ج ٣ – ص ٥٤ — ٥٥/ وهذا مصير المصلحين أما الحياة بشرف وإما الموت بشرف.

(١) الكامل في التاريخ – ابن الأثير – ج ١٢ – ص ٤١٦ — ٤١٧.

قلج أرسلان بن مسعود قلج أرسلان، وبيته مشهور من أكابر ملوك الإسلام وهم من الملوك السلجوقية، وله ولد كبير فأرسل إلى الكرج يطلب الملكة لولده ليتزوجها فامتنعوا من إجابته وقالوا لا نفعل هذا لأننا لا يمكننا أن يملك أمرنا مسلم، فقال لهم: إن ابني يتنصّر ويتزوجها فأجابوه إلى ذلك! فأمر ابنه فتنصّر ودان بالنصرانية وتزوج الملكة وانتقل فيها وأقام عند الكرج حاكما في بلادهم واستمر على النصرانية».

فهذا مِن أولوا الأمر الذين أمر الله بطاعتهم على رأي ابن تيميّة والأمويين! فهل يقبل بذلك مسلم؟!

ولم تتوقف مخازي أمرائهم عند هذا فقد فعل عبد العزيز بن موسى بن نصير من العار ما لا تغسله بحار الدنيا، قال ابن الأثير في سبب قتله «وكان سبب قتله أن أباه استعمله على الأندلس، كما ذكرنا عند عوده إلى الشام فضبطها وسدد أمورها وحمى ثغورها، وافتتح في إمارته مدائن بقيت بعد أبيه، وكان خيّرا فاضلا وتزوج امرأة لذريق (الملك النصراني) فحظيت عنده وغلبت عليه فحملته على أن يأخذ أصحابه ورعيته بالسجود له إذا دخلوا عليه كما كان يفعل لزوجها لذريق، فقال لها: إن ذلك ليس في ديننا، فلم تزل به حتى أمر ففتح باب قصير لمجلسه الذي كان يجلس فيه فكان أحدهم إذا دخل منه طأطأ رأسه فيصير كالراكع فرضيت به وصار كالسجود عندها» [1] فهل يأمر الله بطاعة أولي الأمر إذا أمروا بالركوع والسجود لهم من دون الله؟!.

وبعض هؤلاء الحكام من يقدّم أقدس مقدَّسات المسلمين للحفاظ على

---

(١) الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ج ٥ - ص ٢٢.

الحكم، كما في قصّة تسليم بيت المقدس للروم، قال ابن الأثير[١] «في هذه السنة أول ربيع الآخر تسلم الفرنج لعنهم الله بيت المقدس صلحا أعاده الله إلى الإسلام سريعا. وسبب ذلك ما ذكرناه سنة خمس وعشرين وستمائة من خروج الأنبرور وملك الفرنج من بلاد داخل البحر إلى ساحل الشام، وكانت عساكره قد سبقته، ونزلوا بالساحل وأفسدوا من يجاورهم من بلاد المسلمين ومضى إليهم وهم بمدينة صور طائفة من المسلمين يسكنون الجبال المجاورة لمدينة صور، وأطاعوهم وصاروا معهم وقوي طمع الفرنج بموت الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق. ولما وصل الأنبرور إلى الساحل نزل بمدينة عكا وكان الملك الكامل صاحب مصر قد خرج من الديار المصرية يريد الشام بعد وفاة أخيه المعظم وهو نازل بتل العجول يريد أن يملك دمشق من صلاح الدين داود بن المعظم وهو صاحبها يومئذ، وكان داود لما سمع بقصد عمه الملك الكامل له قد أرسل إلى عمه الملك الأشرف صاحب البلاد الجزرية يستنجده ويطلب منه المساعدة على دفع عمّه عنه فسار إلى دمشق فترددت الرسل بينه وبين أخيه الملك الكامل في الصلح فاصطلحا واتفقا وسار الملك الأشرف إلى الملك الكامل واجتمع به. فلما اجتمعا ترددت الرسل بينهما وبين الأنبرور ملك الفرنج دفعات كثيرة فاستقرت القاعدة على أن يسلِّموا إليه بيت المقدس ومعه مواضع يسيرة من بلاده ويكون باقي البلاد مثل الخليل ونابلس والغور وطبرية وغير ذلك بيد المسلمين، ولا يسلّم إلى الفرنج إلا بيت المقدس والمواضع التي استقرت معه. وكان سور بيت المقدس خرابا قد خربه الملك المعظم وقد ذكرنا ذلك وتسلّم الفرنج بيت المقدس واستعظم المسلمون ذلك وأكبروه، ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه يسر الله فتحه

---

(١) الكامل في التاريخ – ابن الأثير – ج ١٢ – ص ٤٨٢ – ٤٨٣.

وعوده إلى المسلمين بمنه وكرمه، آمين».

فهذا من (أولوا الأمر) الذين أمر الله بطاعتهم على رأي ابن تيمية!

وكم لهم من مخازٍ سوّدت وجه التاريخ لا يذكرها أحد لكونهم من ناصري السنّة!! «فالكامل والأشرف مثلا سلما القدس للملك الصليبي فريدريك الثاني... وقد مر تسليم خلفاء صلاح الدين القدس للصليبيين بالأدوار التالية:

١: بعد تسليم الكامل والأشرف القدس للملك الصليبي فريدريك الثاني سنة ٦٥٥ هـ ١٢٢٨ م ظلت في يد الصليبيين حتى استردها منهم الناصر صاحب الكرك سنة ٦٣٧ / ١٢٣٩ م.

٢: استنجد الصالح إسماعيل صاحب دمشق بالصليبيين ليساعدوه على ابن أخيه الصالح أيوب صاحب مصر، وعلى الناصر داود صاحب الكرك مسترد القدس. وأعاد إليهم لقاء ذلك القدس ٦٤١/ ١٢٤٤ م، كما سلمهم صفد وعسقلان وطبرية وأعمال كل منهما، وجميع جبل عامل بما منه قلاع هونين وتبنين والشقيق ومدينة صيدا أو سائر بلاد الساحل، وهكذا عادت القدس مرة ثانية إلى الصليبيين. ووعد الصالح إسماعيل الصليبيين أيضا بأنه إذا ملك مصر أعطاهم بعضها. فاستعد الصليبيون لمهاجمة مصر وزحفوا إلى غزة، في حين كوّن الصالح إسماعيل حلفا من بعض الملوك الأيوبيين في شمال الشام وزحفوا جميعا إلى حلفائهم الفرنج عند غزة. أما الصالح نجم الدين أيوب فقد تقدم من مصر إلى غزة لمواجهة هذا الهجوم. ولمّا بيّن لعساكر الشام حقيقة الموقف تمرّدوا على قوّادهم ومالوا على الفرنج مع الصالح أيوب فالتزم الفرنج وانسحبوا إلى عسقلان، وفاوضوا الصالح أيوب سنة ٦٣٨ /١٢٤٠ م فاعترف لهم بحقهم في

ملكية الشقيق ونهر الموجب أرنون وإقليم الجليل بالإضافة إلى القدس وبيت لحم ومجدل بابا وعسقلان. وهكذا فلم يكن الصالح أيوب خيرا من الصالح إسماعيل. وهنا تحالف الصالح إسماعيل مع الناصر داود واستنجدا من جديد بالصليبيين مقابل جعل سيطرتهم على القدس كاملة، بمعنى أن يستولي الصليبيون على الحرم الشريف بما فيه المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وهي الأماكن التي ظلت، ولو نظريا في حوزة المسلمين عند ما سلَّم الكامل ولأشرف القدس للصليبيين سنة ٦٢٥ /١٢٢٨ م. وهنا تقدم الصالح أيوب إلى الصليبيين طالبا مساعدتهم مقابل الثمن نفسه الذي عرضه منافساه. وبذلك يكون الملوك الأيوبيون الثلاثة: الصالح أيوب والصالح إسماعيل والناصر داود قد أقروا مبدأ استيلاء الصليبيين على الحرم الشريف على حد تعبير بعض المؤرخين»[١].

وأفضل من وجدوا من (أولوا الأمر) الذين يبجّلونهم هو صلاح الدين الأيوبي والذي يعدونه القائد المسلم المثالي، ونموذج لأولوا الأمر المأمور بطاعتهم ولا أدري! ألا يقرأ هؤلاء تاريخهم المخزي؟! فهذا الرجل وأمثاله كانوا يؤخرون وجود الإفرنج على بلاد المسلمين إذا كان ذلك في جانب بقائهم في السلطة، قال ابن الأثير[٢] «في هذه السنة جرت أمور أوجبت أن تأثر نور الدين من صلاح الدين، ولم يُظهر ذلك وكان سببه أن صلاح الدين يوسف بن أيوب سار عن مصر في صفر من هذه السنة إلى بلاد الفرنج غازيا ونازل حصن الشوبك وبينه وبين الكرك يوم وحصره وضيق على من به من الفرنج، وأدام القتال، وطلبوا الأمان واستمهلوه عشرة أيام فأجابهم إلى ذلك. فلما سمع نور الدين بما فعله صلاح

(١) مستدركات أعيان الشيعة – حسن الأمين – ج ٢ – ص ٣٥٧ – ٣٥٨.

(٢) الكامل في التاريخ – ابن الأثير – ج ١١ – ص ٣٧١ – ٣٧٢.

الدين سار عن دمشق قاصدا بلاد الفرنج أيضا ليدخل إليه من جهة أخرى فقيل لصلاح الدين إن دخل نور الدين بلاد الفرنج وهم على هذه الحال أنت من جانب ونور الدين من جانب ملكها ومتى زال الفرنج عن الطريق وأخذ مُلكهم لم يبق بديار مصر مقام مع نور الدين، وإن جاء نور الدين إليك وأنت ههنا فلا بد لك من الاجتماع به وحينئذ يكون هو المتحكِّم فيك بما شاء، إن شاء تركك أولا فقد لا يقدر على الامتناع عليه والمصلحة الرجوع إلى مصر. فرحل عن الشوبك عائدا إلى مصر ولم يأخذه من الفرنج وكتب إلى نور الدين يعتذر باختلال البلاد المصرية لأمور بلغته عن بعض شيعته العلويين وإنهم عازمون على الوثوب بها فإنه يخاف عليها من البعد عنها أن يقوم أهلها على من تخلف بها فيخرجوهم وتعود ممتنعة وأطال الاعتذار».

فانتبه الى قوله «يعتذر باختلال البلاد المصرية لأمور بلغته عن بعض شيعته العلويين» فهذا العذر قديم عندهم! فكلما وقعوا في حرج في الفتوى مثلا أو في السياسة كان الخوف من الشيعة أو مماثلتهم في الفتوى وما شابه عذراً يقبله كلهم!

ولم يكتف صلاح الدين نفسه بالسماح للصليبيين بالبقاء في فلسطين إذا كان بقاؤهم يسمح له بالتسلط على مصر، بل إنّه يقوم بحماية ملك الفاطميين الذين يعدهم هو ومن بعدهم الوهّابيّون (ملاحدة)! وذلك في سبيل عدم وصول حكم نور الدين زنكي لمصر قال ابن الأثير[1] «كان سبب الخطبة العباسية بمصر أن صلاح الدين يوسف بن أيوب لما ثبّت قدمه بمصر وأزال المخالفين له وضعف أمر الخليفة بها العاضد وصار قصره يحكم فيه صلاح الدين ونائبه قراقوش وهو خصي كان

(١) الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ج ١١ - ص ٣٦.

من أعيان الأمراء الأسدية كلهم يرجعون إليه، فكتب إليه نور الدين محمود بن زنكي يأمره بقطع الخطبة العاضدية وإقامة الخطبة المستضيئية، فامتنع صلاح الدين واعتذر بالخوف من قيام أهل الديار المصرية عليهم لميلهم إلى العلويين. وكان صلاح الدين يكره قطع الخطبة لهم ويريد بقاءهم خوفا من نور الدين، فإنه كان يخافه أن يدخل إلى الديار المصرية يأخذها منه، فكان يريد أن يكون العاضد معه حتى إن قصده نور الدين امتنع به وبأهل مصر عليه».

والأمر كما ترى فالمجاهد (صلاح الدين)[(١)] يريد بقاء سلطة (الملاحدة) كما يسموهم حتى لا يأخذ المجاهد نور الدين زنكي مصر منه وهو الذي يطمع أن يليها! وهذه القصص وغيرها تدلك على تفكيرهم الدنيوي البحت، ولو أنهم كانوا يجاهدون الفرنج لإعلاء كلمة الله لكانوا تنازلوا عن هذه الأمور الصغيرة ووحّدوا صفوفهم. فهل هذه هي المصالح الدينية والدنيوية التي نالها السلفيّون من خلال بيعة أولئك الملوك؟!

وبعد هذا كله يكابرون في تغطية عار هؤلاء لعدم وجود بديل يوافق عقيدتهم القلقة، قال ابن الأثير[(٢)] «قال شبيب بن شبة: كنا جلوسا عند المهدي فذكروا الوليد فقال المهدي: كان زنديقا، فقام أبو علاثة الفقيه فقال: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل أعدل من أن يولّي خلافة النبوة وأمر الأمة زنديقا، لقد أخبرني من كان يشهد في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في طهارته وصلاته، فكان إذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التي عليه المطايب المصبغة، ثم يتوضأ فيحسن

(١) قال ابن تيمية عن صلاح الدين الأيوبي بأنه من «ملوك المسلمين المجاهدين في سبيل الله» الفتاوى الكبرى ج٤ص ٢٥٠ وبانه «من ملوك السنة» مسألة المرابطة في الثغور – ص١٩.

(٢) الكامل في التاريخ – ابن الأثير – ج ٥ – ص ٢٩١.

الوضوء ويؤتى بثياب نظاف بيض فيلبسها ويصلّي فيها، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب فلبسها واشتغل بشربه ولهوه، فهذا فعال من لا يؤمن بالله؟ فقال المهدي بارك الله عليك يا أبا علاثة!».

ولا أعلم بعد هذا كيف يكون مؤمنا بالله! وهو إذا فرغ من الصلاة المزعومة يشتغل بشربه ولهوه والله تعالى يقول:

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٥).

وكيف لا يبارك الله بأبي علاثة الغبيّ الدنيوي وكلامه يصب في صالح (الخليفة)[1]؟! وهؤلاء الفقهاء هم سبب البلاء على الأمة منذ أربعة عشر قرنا! فبواسطتهم يغيّر الدين، وبهم يحرّم الحرام ويحرم الحلال، وتهلك الأمة بواسطة بإفساد هذه الأغيلمة.

فحاجة الناس للمعصومين وعدم احتياج المعصومين للناس لا ينكره إلا مكابر.

لذا فيجب على أولي الأمر ان يكونوا من المعصومين وإلّا جرى ما نقلناه.

---

(١) فهذه النظرية تعني أن وصول أي شخص لسدة الخلافة يعني كونه منزّه عن الزندقة وما يشابهها وهو حكم بتعديله في الحقيقة وهذا ما دغدغ مشاعر الخليفة المهدي العباسي!

ابن تيمية والنصّ على علي عليه السلام

قال ابن تيمية «والمقصود هنا أن أقوال الرافضة معارضة بنظيرها فإنّ دعواهم النصّ على علي كدعوى أولئك النصّ على العباس، وكلا القولين مما يعلم فساده بالاضطرار ولم يقل أحد من أهل العلم شيئا من هذين القولين، وإنما ابتدعهما أهل الكذب كما سيأتي إن شاء الله تعالى بيانه، ولهذا لم يكن أهل الدين من ولد العباس وعلي يدعوان هذا ولا هذا، بخلاف النصّ على أبي بكر فإن القائلين به طائفة من أهل العلم... والتحقيق أن النبي صلى الله عليه وسلم دل المسلمين على استخلاف أبي بكر وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهدا ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك، ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس ثم لما حصل لبعضهم شك هل ذلك القول من جهة المرض أو هو قول يجب اتباعه ترك الكتابة اكتفاء بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه النبي صلى الله عليه وسلم بيانا قاطعا للعذر لكن لما دلتهم دلالات متعددة على أن أبا بكر هو المتعين وفهموا ذلك حصل المقصود والأحكام يبينها صلى الله عليه وسلم تارة

بصيغة عامة وتارة الصيغة خاصة، ولهذا قال عمر بن الخطاب في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار وليس فيكم من يقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر رواه البخاري ومسلم»[١].

الجواب:

قوله «فإن دعواهم النص على علي كدعوى أولئك النص على العباس وكلا القولين مما يعلم فساده بالاضطرار».

فهل هناك عاقل يقرن بين الأدلة العديدة القرآنية والحديثية الدالة على استخلاف أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله، وبين دعوى العباسيين الخالية من أي حديث موجود إطلاقاً! غير ترويجهم بأحقية وراثة العباس العم على البنت!!

ولو كانت مجرد الدعوى والكلام الذي لا طائل بعده يوجب قرنها بما ثبت وتواترت حوله النصوص لكان جائزا أن يقول قائل إن مسيلمة كان نبيا لكونه جاء بآيات زعم أنها من جبريل وقد قتله المسلمون ظلماً وجورا، وليس لهذا القائل دليل سوى ادعاء مسيلمة ذلك وابتداعه بعض النصوص السخيفة، فهذه كتلك!

ولو قال قائل إن كوكب الأرض هرميّ الشكل، فيردّ عليه آخر بأن الصور الملتقطة من الفضاء، والأدلة العلميّة التي لا صارت يقينيّة تثبت بأن الأرض مفلطحة، فيأتي ثالث فيقول: إن قول الأول بقبال قول الثاني فيتساقطان! أليس تنسبون الرجل الثالث الى الجنون! فأين اليقينيّات والمبرهنات من الترّهات؟!

ولما عُلم بطلان هذه الدعوى عُلم بطلان دعوى العباسيين الذين لم يبق

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج١ - ص١٩٧و٢٠٠.

معتقد بدعوى الوصية فيهم في زمان ابن تيمية أحد، وهذا كان كافيا للحكم ببطلان دعواهم فالنبي صلى الله عليه وآله بأن الأمة لا تخلو من القول بالحق!

وأما قوله «ولهذا لم يكن أهل الدين من ولد العباس وعلي يدعوان هذا ولا هذا بخلاف النص على أبي بكر فإن القائلين به طائفة من أهل العلم».

ألا ذكر لنا من الذين هم «من اهل الدين» هؤلاء؟! ومن هم الذين قال عنهم أنهم «طائفة من أهل العلم» الذين قالوا بالنصِّ على أبي بكر[1].

أن كلامه حول النص باستخلاف أبي بكر وختام قوله بنص من البخاري ومسلم هو لإرهاب المفكرين حتى لا تبلغ عندهم الجرأة لنقض كلامه، بل ولا تفكير بذلك حتى فكلامه مختوم بنص من البخاري!

---

(١) قال القرطبي في حديث عائشة «وقول السائل لعائشة: «من كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مستخلفًا لو استخلف؟» يدلّ على: أن من المعلوم عندهم أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يستخلف أحدًا» المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم- أبو العباس القرطبي.

وغريب شأن الذين يقولون بالنص على أبي بكر وهم الشذاذ بهذا الرأي كابن تيمية فأين يتيهون عن النصوص التي صححوها وهي تناقضهم فالفصل الهزلي في السقيفة بدأ بقول أبي عبيدة لعمر «ابسط يدك أبايعك» لسان العرب - ابن منظور - ج ١٣ - ص ٥٢٥ ثم ردها عمر له فقال لأبي عبيدة «ابسط يدك حتى أبايعك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنت أمين هذه الأمة» مسند احمد - الإمام احمد بن حنبل - ج ١ - ص ٣٥.

ثم انتهى بقول عمر لأبي بكر «أبسط يدك أبايعك، قال: فبسط يده فبايعته، فبايعه المهاجرون، وبايعه الأنصار» المصنف - عبد الرزاق الصنعاني - ج ٥ - ص ٤٤٤.

فأين النص على أبي بكر فلو كان هناك نص فكيف وقعوا في حيص بيص أيّهم يقدمونه ليرضي الأنصار وهم الذين اتفقوا على صاحبهم؟! كل هذا يعطينا صورة جزمية ان النص المدعى وضعوه في زمن متأخر حتما لكونهم رأوا قوة الدليل العقلي لوجوب نصب الإمام بعد النبي وقوة الدليل النقلي عند أهل البيت.

وكيف فهم ابن تيميّة من واقعة خميس الرزية أن الكتاب لأبي بكر وليس لغيره؟! وإذا فهم الصحابة غير ذلك فبمن نأخذ بفهمهم أم بفهم ابن تيميّة؟! والأغرب من ذلك إن أكثر الصحابة منافحة عن أبي بكر وهو عمر اعترف بأن الكتاب الذي أراد النبي صلى الله عليه وآله كتابته هو لعلي عليه السلام وليس لغيره، بل لم يدر في خلد أحد انه لغيره إلّا النواصب! قال ابن أبي الحديد المعتزلي(١) «وروى ابن عباس رضي الله عنه، قال: دخلت على عمر في أول خلافته وقد ألقى له صاع من تمر على خصفة فدعاني إلى الأكل، فأكلت تمرة واحدة واقبل يأكل حتى أتى عليه، ثم شرب من جر كان عنده واستلقى على مرفقة له وطفق يحمد الله يكرر ذلك، ثم قال: من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد، قال: كيف خلفت ابن عمك؟ فظننته يعنى عبد الله بن جعفر قلت: خلفته يلعب مع أترابه، قال: لم اعن ذلك، إنما عنيت عظيمكم أهل البيت قلت: خلفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان وهو يقرأ القرآن قال: يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتنيها! هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله نصَّ عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك سالت أبي عما يدعيه، فقال: صدق، فقال عمر: لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله في أمره ذرو من قول لا يثبت حجة، ولا يقطع عذرا ولقد كان يربع في أمره وقتا ما ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقا وحيطة على الإسلام، لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبدا، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله أني علمت ما في نفسه، فامسك وأبى الله إلا إمضاء ما حتم. ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر صاحب

---

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١٢ - ص ٢٠ – ٢١.

كتاب تاريخ بغداد في كتابه مسندا».

وروى الطبري[١] عن ابن عباس «خرجت مع عمر في بعض أسفاره فإنا لنسير ليلة وقد دنوت منه إذ ضرب مقدم رحله بسوطه وقال:

كذبتم وبيت الله يقتل أحمد ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم قال أستغفر الله ثم سار فلم يتكلم قليلا ثم قال:

وما حملت من ناقة فوق رحلها أبرّ وأوفى ذمّة من محمد

وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السابق المتجرّد

ثم قال أستغفر الله يا ابن عباس ما منع علياً من الخروج معنا؟ قلت: لا أدري، قال: يا ابن عباس أبوك عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت ابن عمه فما منع قومكم منكم؟ قلت: لا أدري، قال: لكني أدري، يكرهون ولايتكلم لهم، قلت: لم ونحن لهم كالخير؟ قال: اللهم غفرا يكرهون أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة فيكون بجحا بجحاً، لعلكم تقولون إن أبا بكر قفل ذلك لا والله ولكن أبا بكر أتى أحزم ما حضره، ولو جعلها لكم ما نفعكم مع قربكم».

وهذه النصوص يعضدها الواقع الاجتماعي والديني في ذلك الزمان، لذا تجد أهل السنة المتحرّرين فهموا كل هذا بلا تبرّم من واقعها المر عليهم، مثل ابن أبي الحديد، وطه حسين.

ولو قرأنا رواية رزية الخميس في صحيح البخاري[٢] عن ابن عباس قال «لما

(١) تاريخ الطبري – الطبري – ج ٣ – ص ٢٨٨.

(٢) صحيح البخاري – البخاري – ج ٧ – ص ٩.

حضر رسول اله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي صلى الله عليه وسلم هلم اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول: قرِّبوا يكتب لكم النبي صلى الله عليه وسلم كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قوموا قال عبيد الله: وكان ابن عباس يقول إن الرزيّة كل الرزيّة ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم».

والنص لا يحتاج لشرح فمن السهل الوقوف على الحقيقة لو وجد قلب منشرح يطلب الحق، فلو كان الكتاب لأبي بكر فلِمَ يمنع منه عمر فإن كان لرأي رآه عمر في أصل الاستخلاف فكيف أجاز استخلاف أبي بكر له؟! وإن كان الذي منعه من إمضاء ما أراد النبي خلاف مع أبي بكر فهذا ما يخالفه الواقع وحسبك كلامه في السقيفة. فلم يبق غير أن عمر فهم أن النبي سيكتب الكتاب لمن لا يريد عمر أن يكون خليفةً بعد النبي صلى الله عليه وآله. ومن الغريب أنّا في هذا المقام نشرح ما هو غني عن الإثبات!

ولما كان ابن تيمية يتتبّع في كثير من منهجه أقوال ابن حزم فقد وضع نفسه في موقع الأزمة التي دخلها ابن حزم ولم يخرج منها بقوله[1] «أمّا أمر الكتاب الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتبه يوم الخميس قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بأربعة أيام، فإنما كان في النصِّ على أبي بكر رضي الله عنه، ولقد

---

(١) الإحكام - ابن حزم - ج ٨ - ص ١٠٥٧.

وهل عمر وكل من ساعده على ذلك، وكان ذلك القول منهم خطأ عظيما، ولكنهم الخير أرادوا، فهم معذورون مأجورون، وإن كانوا قد عوقبوا على ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بالخروج عنه، وإنكاره عليهم التنازع بحضرته. ولقد ولّد الامتناع من ذلك الكتاب من فرقة الأنصار يوم السقيفة ما كاد يكون فيه بوار الإسلام، لولا أن الله تداركنا بمنّه، وولد من اختلاف الشيعة وخروج طوائف منهم عن الإسلام، أمرا يشجي نفوس أهل الإسلام، فلو كتب ذلك الكتاب لانقطع الاختلاف في الإمامة، ولما ضل أحد فيها، لكن يقضي الله أمرا كان مفعولا. وقد أبى ربك إلا ما ترى. وهذه زلّة عالم، نعني قول عمر رضي الله عنه يومئذ، قد حذرنا من مثلها».

فانظر لتهافت كلامه ومدى ضعفه! فكيف تكون زلّة العالم وهو يعصي النبي بعدم إمضاء أمره بالكتاب والدواة[1]!

وقد قال الشريف المرتضى في رد دعوى النص على أبي بكر فأجاد وأحسن

---

(١) قضيّة تحريف حادثة الدواة والقلم وصلت حدّا أن قلبوها لصالح أبي بكر وعدّوها من أدلّة صحّة خلافته بالوصيّة! قال عبد المحسن العبّاد في استدلال ركيك ومتهافت «وأمَّا الخلافة، فمعاذ الله أن يتولاَّها أبو بكر رضي الله عنه وهي حقٌّ لغيره، وإنَّما تولاَّها بمبايعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إيَّاه، وتحقَّق بهذه البيعة ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "ويأبَى الله والمؤمنون إلاَّ أبا بكر"، فقد روى البخاري (٥٦٦٦) ومسلم (٢٣٨٧) في صحيحيهما ـ واللفظ لمسلم ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: "قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتبَ كتاباً؛ فإنِّي أخاف أن يَتمنَّى مُتمنٍّ ويقول قائل: أنا أولَى، ويأبى الله والمؤمنون إلاَّ أبا بكر"». أغلوّ في بعض القرابة وجفاء في الأنبياء والصحابة- عبد المحسن العباد - ص٤١ / فكيف تولاها بالمبايعة ثم يقول بوجود النصّ؟!!

فقال[1] «الذي يدل على فساد النص على أبي بكر، وبعد المعارضة لمدعيه وجوه: منها، إنا نجد هذا المذهب حاصلا في جماعة لا تثبت بهم الحجة، ولا ينقطع العذر، وإنما حكى المتكلمون هذه المقالة في جملة المقالات وأضافوها في الأصل إلى جماعة قليلة العدد، معلوم حدوثها، وكيفية ابتداعها لمقالتها، كما حكوا في جملة المقالات قول الشذّاذ والإغفال من ذوي النحل المبتدعة، والمقالات المعلوم سبق الإجماع إلى خلافها، ثم إنا لا نجد في وقتنا هذا ممن لقيناه أو أخبرنا عنه منهم إلا الواحد والاثنين، ولعل أحدنا يمضي عليه عمره كله لا يعرف فيه بكريّا بعينه، ولو كان إلى إحصاء من ذهب إلى هذه المقالة في العراق كله، وما والاه وجاوزه من البلدان سبيل لما بلغ عددهم خمسين إنسانا، وليس يمكن فيما كان طريقه الوجود إلا الإشارة والتنبيه، فالاعتراض بمن وصفنا حاله، وادعاء مساواته للشيعة مع تفرقها في البلاد، ومع انتشارها في الآفاق، فإنه لا يخلو كل بلد، بل كل محلة من جماعة كثيرة منهم، هذا إلى ما نعلمه من غلبتهم على كثير من كوَر البلاد، حتى أن مخالفهم في تلك المواطن يكون شاذّا مغمورا، إلى ما نعلمه من كثرة العلماء فيهم والمتكلمين والفقهاء والرواة، ومن صنّف الكتب، ولقي الرجال، وناظر الخصوم، واستفتي في الأحكام في نهاية البعد، والمعول عليه على غاية الظلم، وليس لأحد أن يقول: كيف يصح أن تضعفوا هذه المقالة وأصحاب الحديث، أو أكثرهم داخلون فيها، لأن هذا القول غفلة من قائله، وتكثر في المذاهب لمن هو خارج عن جملته، لأن أصحاب الحديث كلهم ينكرون النص على أحد بعد الرسول صلى الله عليه وآله، ويثبتون إمامة أبي بكر من طريق الاختيار، وإجماع المسلمين، وليس يذهب من جملتهم إلى النص على أبي بكر من ذهب إليه من حيث كان صاحب

---

(١) الشافي في الإمامة – الشريف المرتضى – ج ٢ – ص ١٠٨ – ١١٦.

الحديث، وإنما يذهب إلى النص من حيث ارتضاه مذهبا يتميز به عن جملة أصحاب الحديث، ويلحق بأهل المقالة المخصوصة التي أخبرنا عن شذوذها، وقلة عددها فالتكثير بأصحاب الحديث لا وجه له. ومنها، إن الذي ترويه هذه الفرقة، وتحتج به للنص على أبي بكر ليس في صريحه ولا فحواه نص على إمامته، هذا على أن طريقه كله الآحاد، ولو سلم لراويه، ولم ينازع في صحته لما أمكن المعتمد عليه أن يبين فيه وجها للنص بالإمامة، وذلك مثل تعلقهم بالصلاة وتقديمه فيها، وبما يروون من قوله: " اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر " و (إن الخلافة بعدي ثلاثون) وقد ذكر في غير موضع الكلام على هذه الأخبار وبطلان دلالتها على نص بإمامة فشتّان بين قولهم وقول الشيعة، لأن الشيعة تدّعي نصّا صريحا لا مجال للتأويل عليه، وما تدّعيه من النصوص التي يمكن أن تدخل شبهة فيها، وفي تأويلها قد بيّنوا كيفية دلالتها على النص، وبطلان ما قدح به خصومهم فيها، وسنذكر ذلك في مواضعه وكل هذا غير موجود في البكريّة. ومنها، ظهور أفعال وأقوال من ادعي النص عليه ومن غيره تنافي النص وتبطل قول مدعيه مثل احتجاج أبي بكر على الأنصار لما نازعت في الأمر، ورامت جره إليها بقوله عليه السلام: (الأئمة من قريش) وعدوله عن ذكر النص، وقد علمنا أن النص عليه لو كان حقا كما تدعيه البكريّة لما جاز من أبي بكر مع فطنته ومعرفته بمواقع الحجة أن لا يحتج به ويذكر الأنصار سماعه إن كانوا سهوا عنه أو نسوه، أو أظهروا تناسيه، أو يفيدهم إياه إن كانوا لم يسمعوا به - وإن كان ذلك بعيدا - كما أفادهم حصر (الأئمة من قريش) وهم لا يسمعوه إلا من جهته فيقبله من يقبله منهم حسن ظن به، ونحن نعلم أن الاحتجاج بالنص في ذلك المقام أولى وأحرى، لأن الاحتجاج به يتضمن حظر ما رامته الأنصار في الحال، لأن المنصوص عليه إن

كان أبو بكر لم يجز لأحد من الأنصار في تلك الحال الإمامة، ويتضمن أيضا تخصيص الإمامة في من خصه الرسول بها، وليس لأحد أن يجعل الحجّة بالخبر الذي احتج به أبو بكر أثبت من جهة أن فيه إخراجا لكل من عدا قريشا من الإمامة، وليس مثله في ذكر النص على أبي بكر، لأنه وإن كان كذلك ففي الاحتجاج بغير النص إخلال بتعيين موضع الإمامة الذي عينه رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوجب على من أشار إليه باستحقاق القيام به، والذبُّ عنه فلا أقل من أن يجب ادعاؤه وإمراره على سمع الحاضرين، وإن لم يسغ الاقتصار على الاحتجاج بالخبر الذي رواه لما بيناه من الإخلال لم يسغ أيضا الاقتصار على ذكر النص لما ذكروه وسلمناه تبرعا، فالواجب الجمع بين الأمرين في الاحتجاج ليكون أخذا للحجة بأطرافها ومزيلا للشبهة في أنه ليس بمنصوص عليه، وليس لهم أن يقولوا: مثل هذا لازم لكم من قبل أن أمير المؤمنين عليه السلام مع أنه منصوص عليه عندكم لم يحضر السقيفة ولا احتج بالنص عليه على من رام دفعه في ذلك الموطن، ولا في غيره من المواطن كالشورى وغيرها لأن الفرق بين قولنا وقولهم في هذا الموضع ظاهر واضح من قبل. إن أمير المؤمنين عليه السلام أولا لم يحضر السقيفة ولا اجتمع مع القوم، ولا جرى بينه وبينهم في الإمامة خصام ولا حجاج وأبو بكر حضر وخاصم ونازع واحتج واستشهد، وعذر أمير المؤمنين عليه السلام إذا قيل فما باله لم يحضر ويحاج القوم وينازعهم؟ ظاهر لائح لأنه عليه السلام رأى من إقدام القوم على الأمر وإطراحهم للعهد فيه وعزمهم على الاستبداد به مع البدار منهم إليه، والانتهاز له ما آيسه من الانتفاع بالحجة وقوي في نفسه صلوات الله عليه ما تعقبه المحاجة لهم من الضرر في الدين والدنيا، هذا إلى ما كان متشاغلا به من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه عليه السلام لم يفرغ من

بعض ما وجب عليه من تجهيزه ونقله إلى حفرته، حتى اتصل به تمام الأمر ووقوع العقد، وانتظام أمر البيعة، وليس هذا ولا بعضه في أبي بكر لأنه لم يشغله عن الحضور والمنازعة شاغل، ولا حال بينه وبين الاحتجاج حائل، ولا كانت عليه من القوم تقية لأنه كان في حيز المهاجرين الذين لهم القدم والتقدم، وفيهم الأعلام، ثم انحاز إليه أكثر الأنصار، وكل أسباب الخوف والاحتشام عنه زائلة لا سيما وعند جماعة مخالفينا أن القوم الحاضرين بالسقيفة إنما حضروا للبحث والتفتيش والكشف عمن يستحق الإمامة ليعقدوها له، ولم يكن حضورهم لما تدعيه الشيعة من إزالة الأمر عن مستحقيه، والعدول به عن وجهه، فأي عذر لمن لم يذكر من حاله في الإنصاف وطلب الحق هذه بعهد الرسول صلى الله عليه وآله ونصه عليه، وهذا أوضح من أن يحتاج إلى زيادة في كشفه فأما المانع لأمير المؤمنين عليه السلام من الاحتجاج بالنص في الشورى فهو المانع الأول مع أنه في تلك الحال قد ازداد شدة واستحكاما لأن من حضر الشورى من القوم كان معتقدا لإمامة المتقدمين، وبطلان النص على غيرهما، وأن حضورهم إنما كان للعقد من جهة الاختيار فكيف يصح أن يحتج على مثل هؤلاء بالنص الذي لا شبهة في أن الاحتجاج به تظليم للمتقدمين وتضليل لكل من دان بإقامتهما، وامتثل حدودهما، وليس بنا حاجة إلى ذكر ما كان عليه صلوات الله عليه في ذلك لظهوره. ومما يدل من أقواله على بطلان النص عليه قوله مشيرا إلى أبي عبيدة وعمر في يوم السقيفة: بايعوا أي الرجلين شئتم، وليس هذا قول من لزمه فرض الإمامة، ووجب عليه القيام بها لأنه قد عرض بهذا القول عقد الرسول للحل وأمره للرد وليس يجوز هذا عند مخالفينا على أبي بكر جملة ولا عندنا فيما يختص به ويرجع إليه، وقوله في خلافته لجماعة المسلمين " أقيلوني " وليس يجوز أن يستقيل الأمر

من لم يعتقده له ولا تولاه من جهته، وقوله عند وفاته: " وددت أني كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذا الأمر فيمن هو فكنا لا ننازعه أهله ". وهذا قول صريح في إبطال النص عليه ويدل أيضا على ذلك قول عمر: " كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه ". وليس يصح أن يوصف ما عقده الرسول وعهد فيه بأنه فلتة، وقوله لأبي عبيدة: " أمدد يدك أبايعك ". حتى قال له أبو عبيدة: " ما لك في الإسلام فهة غيرها " لأن النص على أبي بكر لو كان حقا لكان عمر به أعلم، ولو علمه لم يجز منه أن يدعو غيره إلى العمل بخلافه، ولا حسن من أبي عبيدة أيضا: ما روي عنه من الجواب لأن المروي " مالك في الإسلام فهة غيرها أتقول هذا وأبو بكر حاضر " على سبيل التفصيل لأبي بكر، والتقديم له على نفسه، وذكر النص على أبي بكر لو كان حقا في الجواب أولى وأشبه بالحال، وقول عمر أيضا لما حضرته الوفاة: " إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني " يعني أبا بكر " وإن أترك فقد ترك من هو خير مني ". يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ومثل هذا لا يجوز أن يقوله عمر وهو يعلم بحال النص على أبي بكر، ولو قاله بحضرة المسلمين لما جاز أن يمسكوا عن رده لو كان النص على أبي بكر حقا. ومنها، أنه لو كان النص عليه حقا لوجب أن يقع العلم به لكل من سمع الأخبار على حد وقوعه بما كان منه من النص على عمر، وبما وقع من نص عمر على أصحاب الشورى، إلى غير ما ذكرناه من الأمور الظاهرة، وفي علمنا بمفارقة ما يدعى من النص على أبي بكر لما عددناه دليل على انتفائه وإنما أوجبنا وقوع العلم به على الحد الذي نعتناه من حيث كانت جميع الأسباب الموجبة لخفاء ما تدعيه الشيعة من النص على أمير المؤمنين عليه السلام عنه مرتفعة، وجميع ما يقتضي الظهور وارتفاع الشك

والشبهات فيه حاصلا لأن الرئاسة بعد الرسول صلى الله عليه وآله لـه انعقـدت، وفيه حصلت، ولم يكن بعد استقرار إمامته مـن أحـد خـلاف ولا رغبـة عنـه، ثم استمرت ولايته على هـذا الحـد وتلاهـا مـن الولايـات مـا كانـت كالمبنيـة عليهـا، والمشيدة لها، فلا سبب يقتضي خفاء النص عليه وانكتامه..... فلا بد من الظهور، وكيف يجوز أن لا يدعي النص – لو كانت لـه حقيقـة – أبـو بكـر نفسه في طـول ولايته، وفي حال العقد لنفسه، ويقول لمن قصد إلى أن يعقد الإمامـة لـه ويوجبـها من طريق الاختيار – لا حاجة إلى اختياركم إياي إماما وقـد اختـارني رسـول الله صلى الله عليه وآله لكـم، ورضـيني للتقـدم علـيكم. وكيـف يجـوز أن يمـسك مـع سلامة الحال وزوال كل سبب للخوف والتقية عما ذكرناه وفي إمساكه عـن ذلـك تضييع لما لزمه، وإغفال لتنبيه القوم على موضـع الـنص عليـه وأقـل الأحـوال أن يكون الإمساك موهما لارتفاع النص وموقعا للشبهة؟. وكيف يجوز أيضا إذا لم يدع ذلك هو لنفسه أن لا يدعيه له أحد في طول أيامه وأيام عمر التي تجري مجرى أيامه ولا يذكره ذاكر؟ ونحـن نعلـم يقينـا أن الرؤسـاء وذوي الـسلطان والمـالكين للأمـر والنهي والرفع والوضع يتقرب إليهم في الأكثر بما يقتضي تعظيمهم وتبجيلهم وإن كان باطلا توضع فيهم الأخبار ويوضع لهم المدائح، وإذا كانت هذه العادة مستقرة فكيف يجوز أن يعلموا تفضيله الـذي يجـري مجـرى الـنص بالإمامـة فـلا يـذكروها ويشدون بها ولا تقية عليهم، ولا مانع لهم، وهذا أظهر من أن يخفى، وليس لأحد أن يقول: إنكم جعلتم حصول الأمر في أبي بكر وإجماع الناس عليه سـببا لظهـور النص وهو بالضد ممـا ذكرتمـوه لأنـه وإن كـان انعقـد لـه فإنمـا انعقـد بالاختيـار لا بالنص، فكيف يكون حصول ضد الشيء سببا لظهوره؟ وذلك أن الأمر وإن كان جاريا على ما ذكره هذا المعترض ففيه أوضح دلالة على بطلان الـنص لأن وقـوع

العقد له من جهة الاختيار لو كان هناك نص عليه لم يجز أن يقع من تلك الجهة لأنه إذا كان القوم الذين عقدوا له لم يرغبوا عنه، ولا عدلوا إلى غيره، ولا همت نفس أحدهم بجر الأمر إليها والاستبداد به، فلا بد من امتثالهم النص ولو كانت له حقيقة والعمل عليه دون غيره، اللهم إلا أن يكون القوم إنما كان قصدهم خلاف الرسول صلى الله عليه وآله مجردا لأنهم غير متهمين بقصد المنصوص عليه، وقد عقدوا له واجتمعوا معه وناضلوا من خالفه حتى استوسق الأمر له وانتظم، ولم يبق في عدولهم عن ذكر النص وامتثاله مع ارتفاع التهمة عنهم فيما رجع إلى المنصوص عليه إلا أن يكونوا قصدوا إلى خلاف الرسول صلى الله عليه وآله الذي وقع النص منه وليس القوم عند مخالفينا ولا عندنا بهذه الصفة. ومنها، اتفاق الكل على ارتفاع العصمة عن أبي بكر، وإذا كنا قد دللنا فيما تقدم على أن الإمام لا بد أن يكون معصوما وجب نفي الإمامة عمن علمنا انتفاء العصمة عنه، ووجب علينا القضاء ببطلان النص عليه، لأن النص من الرسول صلى الله عليه وآله لا يجوز أن يقع على من لا يصلح أن يكون إماما».

والفرق الأكبر بين ادعاء النص بين العلويين والبكريين هو أن النصوص التي تدل على علي عليه السلام اتفق الطرفان على صحتها كُلاً أو بعضا واختلفوا في معناها وفي أخبار النص على أبي بكر اختلفوا في أصل وجودها فأنكرها الشيعة وحكموا بوضعها بينما اختلف أهل السنة في إثباتها واختلفوا في مداليلها! فأين المجمع عليه من المختلف فيه والمختلف به؟!

ولما كان أمر النصّ ضعيفا لا يؤبه له ولم يكن هناك إجماع على خلافة أبي بكر كما قال ابن أبي الحديد المعتزلي[1] «قلت: أما إذا احتج أصحابنا على إمامة

---

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٣ - ص ٦.

أبي بكر بالإجماع، فاعتراض حجتهم بخلاف سعد وولده وأهله اعتراض جيد، وليس يقول أصحابنا في جوابه: «هؤلاء شذّاذ فلا نحفل بخلافهم، وإنما المعتبر بالكثرة التي بإزائهم» وكيف يقولون هذا، وحجتهم الإجماع ولا إجماع ولكنهم يجيبون عن ذلك «بأن سعدا مات في خلافة عمر، فلم يبق من يخالف في خلافة عمر، فانعقد الإجماع عليها، وبايع ولد سعد وأهله من قبل، وإذا صحت خلافة عمر صحت خلافه أبي بكر، لأنها فرع عليها» ومحال أن يصح الفرع، ويكون الأصل فاسدا، فهكذا يجيب أصحابنا عن الاعتراض بخلاف سعد إذا احتجوا بالإجماع».

وهذا استدلال جيد على من قال بالإجماع على خلافة أبي بكر كما ادعى ذلك ابن تيمية. فلم يبق غير النص على من لم يضعوه في موضعه حيث وضعه الله وهو الوحيد الذي رويت عنه روايات النص هو الوحيد الذي ادعى ذلك وتحدى الناس عليه فلم يقدروا رده بالعلم فخرجوا عليه مرّاقا وناكثون وقاسطون!

ثم لوكان هناك نص فلم لم يدعه احد في السقيفة والمسلمون كانوا على حافة حرب أهلية تأكل الأخضر واليابس ولم اكتفى عمر وأبو بكر بذلك «الائمة من قريش» وكيف يقول عمر في خلافته ناقلا قول احد الصحابة ومؤكده «إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت الا وأنها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها» [1] فكيف تكون فلتة أي أمر متسرع مفاجيء غير محكم وقد أوصى به النبي على ما زعم الزاعم؟!

---

(١) صحيح البخاري – البخاري – ج ٨ – ص ٢٦ /قال الفراهيدي «والفلتة: الأمر الذي يقع من غير إحكام، يقال: كان ذلك الأمر فلتة أي مفاجأة». كتاب العين – الخليل الفراهيدي – ج ٨ – ص ١٢٢.

قال ابن تيمية «والكلام هنا في مقامين أحدهما في كون أبي بكر كان هو المستحق للإمامة وأن مبايعتهم له مما يحبه الله ورسوله فهذا ثابت بالنصوص والإجماع والثاني أنه متى صار إماما فذلك بمبايعة أهل القدرة له وكذلك عمر لما عهد إليه أبو بكر إنما صار إماما لما بايعوه وأطاعوه ولو قدر أنهم لم ينفذوا عهد أبي بكر ولم يبايعوه لم يصر إماما سواء كان ذلك جائزا أو غير جائز فالحل والحرمة متعلق بالأفعال»[١].

الجواب: وكيف يحب الله ورسوله خلاف علي والنبي يقول[٢] «علي مع الحق أو الحق مع علي حيث كان» وقول حذيفة صاحب علم الفتن «كيف أنتم وقد خرج أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وسلم فرقتين يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف فقلنا يا أبا عبد الله وإن ذلك لكائن فقال بعض أصحابه يا أبا عبد الله فكيف نصنع إن أدركنا ذلك الزمان قال انظروا الفرقة التي تدعو إلى أمر علي فالزموها فإنها على الهدى». وهو برواية الثقات.

وقول النبي صلى الله عليه وآله[٣] «ألا أخبركم بخياركم قالوا بلى قال الموفون المطيبون إن الله يحب الحفي التقي، قال ومر علي بن أبي طالب فقال الحق مع ذا الحق مع ذا». وهو برواية الثقات.

وقد أعلن علي خلافه على السلطة وطالب بحقه في خلافة الثلاثة وبعدها وحسبك الخطبة الشقشقية التي يقول فيها[٤] «أما والله لقد تقمصها فلان وإنه

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج١- ص٢٠٤.

(٢) مجمع الزوائد - الهيثمي - ج ٧ - ص ٢٣٥ – ٢٣٦.

(٣) مجمع الزوائد - الهيثمي - ج ٧ - ص ٢٣٤ – ٢٣٥.

(٤) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ١ - ص ٣٠ – ٣١.

ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى. ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير. فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا. وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير. ويشيب فيها الصغير. ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى. وفي الحلق شجا أرى تراثي نهبا».

فهل ياترى ابن تيمية يتهم عليا بأنه كان يعلم باستخلاف أبي بكر ثم يعد الخلافة تراثه المنهوب، ومن أخذها تقمصها تقمصاً؟!

نعم اثبت ابن أبي الحديد وهو النحرير في مجاله صحة الخطبة الشقشقية وهذا المعتزلي من أهل السنة هنا كما اقر بذلك ابن تيمية بقوله عن الشيعة «فمن صنف منهم تفسير القرآن فمن تفاسير أهل السنة يأخذ كما فعل الطوسي والموسوي فما في تفسيره من علم يستفاد هو مأخوذ من تفاسير أهل السنة وأهل السنة في هذا الموضع من يقر بخلافة الثلاثة فالمعتزلة داخلون في أهل السنة»[1].

وأما الإجماع فقد كفانا ابن أبي الحديد المعتزلي[2] مؤنة ادعائها فقال: قلت: أما إذا احتج أصحابنا على إمامة أبي بكر بالإجماع، فاعتراض حجتهم بخلاف سعد وولده وأهله اعتراض جيد، وليس يقول أصحابنا في جوابه: هؤلاء شذّاذ فلا نحفل بخلافهم، وإنما المعتبر بالكثرة التي بإزائهم.

وكيف يقولون هذا، وحجتهم الإجماع ولا إجماع ولكنهم يجيبون عن ذلك: بأن سعدا مات في خلافة عمر، فلم يبق من يخالف في خلافة عمر، فانعقد الإجماع عليها، وبايع ولد سعد وأهله من قبل، وإذا صحت خلافة عمر صحت

(١) منهاج السنة – ابن تيميّة – ج٦ – ص٣٧٩.

(٢) شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد – ج ٣ – ص ٦.

خلافه أبي بكر، لأنها فرع عليها، ومحال أن يصح الفرع، ويكون الأصل فاسدا، فهكذا يجيب أصحابنا عن الاعتراض بخلاف سعد إذا احتجوا بالإجماع».

وهو كلام جميل.

أما قوله «أنه متى صار إماما فذلك بمبايعة أهل القدرة له وكذلك عمر لما عهد إليه أبو بكر إنما صار إماما لما بايعوه وأطاعوه، ولو قدر أنهم لم ينفذوا عهد أبي بكر ولم يبايعوه لم يصر إماما سواء كان ذلك جائزا أو غير جائز فالحل والحرمة متعلق بالأفعال».

فأقول:

ما الدليل على ذلك؟! إنما ذلك رأي رآه ابن تيمية. فما دخل القدرة بالقيام بالإمامة بكونها شرط في النص عليه أو استحقاقها له، فهذا نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام كان امة على قلة من كان معه، وهذا يحيى عليه السلام يُقتل ولا احد يمنع حوزته وهذا زكريا يذبح وغيرهم من الأنبياء، فهل يشترط لاستحقاقه للنبوة أن يضمن كونه سينجح في هداية الناس وأن تطيعه الناس؟ ولو كان ذلك كذلك لكان نبي الله نوح اكبر الفاشلين والعياذ بالله لكونه أعطي ألف سنة إلّا خمسين عاما ولم يؤمن غير ثمانين نفسا على ما قيل.

وقد اختار الله موسى وقد كان في لسانه لثغة على ما رووا فقال تعالى:

﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ (القصص:٣٤).

فطلب إعانة أخيه على الأمر! فلو كان يرى بنفسه الوقوف لوحده لما طلب هذا الأمر، ومن هنا فالاختيار الإلهي يأتي لحكمة قد نقف عليها وقد لا نقف

والحكم التسليم.

والملاحظ أنهم يتبعون سنة بني أمية في كون المؤهل للخلافة هو من يصل إليها ولو على تلال الهياكل العظمية والجماجم وظهور الدبابات وموجات الإعدامات، وإلا كيف نفسر وقوف وعاظ السلاطين وراء اغلب أن لم نقل كل الطواغيت من حكّام أهل السنة؟!

قال ابن تيمية «والمقصود أن الخلاف في خلافة علي وحروبه كثير منتشر بين السلف والخلف، فكيف تكون مبايعة الخلق له أعظم من مبايعتهم للثلاثة قبله رضي الله عنهم أجمعين فإن قال: أردت بقولي أن أهل السنة يقولون إن خلافته انعقدت بمبايعة الخلق له لا بالنص، فلا ريب أن أهل السنة وإن كانوا يقولون إن النص على أن عليا من الخلفاء الراشدين لقوله خلافة النبوة ثلاثون سنة، فهم يروون النصوص الكثيرة في صحَّة خلافة غيره وهذا أمر معلوم عند أهل العلم بالحديث يروون في صحة خلافة الثلاثة نصوصا كثيرة، بخلاف خلافة علي فإن نصوصها قليلة فإن الثلاثة اجتمعت الأمة عليهم فحصل بهم مقصود الإمامة وقوتل بهم الكفار وفتحت بهم الأمصار، وخلافة علي لم يقاتل فيها كفار ولا فتح مصر، وإنما كان السيف بين أهل القبلة وأما النصّ الذي تدّعيه الرافضة فهو كالنصّ الذي تدعيه الراوندية على العباس وكلاهما معلوم الفساد بالضرورة عند أهل العلم، ولو لم يكن في إثبات خلافة علي إلا هذا لم تثبت له إمامة قط كما لم تثبت للعباس إمامة بنظيره»[1].

الجواب:

مقصود الإمامية أن خلافة علي عليه السلام أعظم من خلافة غيره بل وما

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج١- ٢٠٩.

القياس بينه وبينهم إلا كما قال عليه السلام «متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر» [١] كونها جاءت للمعصوم المنصوص عليه بالاسم والصفة، بل ولو لم ينص عليه لكان الأسلم للأمة توليته لأفضليته وعدم وجود مغمز لا في صفاته ولا أعماله على الإطلاق بخلاف غيره، وحسبك ما يقوله عليه السلام [٢] «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك. فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك. اللهم إني أول من أناب وسمع وأجاب، لم يسبقني إلا رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة».

فهو ما تصدى إلاّ ليرد معالم الدين بعدما مُسِخت من قبل من تصدّى للخلافة، ولو تمعّنت في الصفات التي استعرضها الإمام لوجدت انه الوحيد الذي يخلو من هذا الصفات لو قورن بالثلاثة من قبله، وهذا الذي يجعله الخيار الأوحد للمسلمين لو لم يكن عليه نص فكيف الحال ومخالفته ضلال؟!

ومخالفوه كانوا يعلمون ذلك فهذا عمر يقول فيه «أن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق المستقيم»[٣].

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ١ - ص ٣٤ - ٣٥.

(٢) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٢ - ص ١٣ - ١٤.

(٣) الاستيعاب - ابن عبد البر - ج ٣ - ص ١١٥٤.

وقول أبي بكر[١] «فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم» وهو يشير لعليٍّ في كلامه لأنه ليس غير علي كان ينازعه عند الناس.

وأما كلام ابن تيمية حول النصوص القليلة والكثيرة فإن النصوص التي في علي قال فيها الإمامية أنها نصوص استخلاف، وقال فيها المعتزلة من أهل السنة أن فيها ترشيحاً وتفضيلاً لعلي، وقال بقيّة أهل السنة من غير المعتزلة أنها فضائل، أمّا ما ادُّعي في الثلاثة فقد أنكرها وكذبها الإمامية، وقال المعتزلة وبعض المنصفين من الأشاعرة بوضع أكثرها، وقال بقيّة أهل السنة بما صحّ منها أنها فضائل فأين ما ينسب لعلي من نصوص على جلالتها بما ينسب لغيره على ضعتها؟!

ويكفي هنا أن نورد ما قاله أحمد بن حنبل الخبير بأحاديثهم إذ يقول «ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن علي بن أبي طالب» [٢] وهو يشير إلى عظمة المرويّات في حقه، وصحّتها واختصاصها به دون غيره، هذا مع ما جاهد بنو أمية وأشياعهم في إخفائه ومنعه حتى لقد سنّوا قتل من يتسمّى بعلي! فكان أحد فقهاء أهل السنة وهو (عُلي بن رباح) يقول إن أبي سمّاني عُليّا (بالتصغير) وليس عَليّا![٣].

وأما قوله «فإن الثلاثة اجتمعت الأمة عليهم فحصل بهم مقصود الإمامة وقوتل بهم الكفار، وفتحت بهم الأمصار وخلافة علي لم يقاتل فيها كفار ولا فتح مصر وإنما كان السيف بين أهل القبلة».

قلت:

---

(١) الثقات – ابن حبان – ج ٢ – ص ١٥٧.

(٢) فتح الباري–ابن حجر – ج٧ – ص٦١.

(٣) سير أعلام النبلاء – الذهبي– ج٥ – ص١٠٢.

إن اجتماع الأمّة لو كان به رضا الله فأنعم به لو وُجد، ولكن (الأمة) التي يقصدها ابن تيمية خالفت النصّ ورضا الله والنبي، وهذه منقصة وليست كرامة، يقول تعالى:

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (النحل:١٢٠).

فوصفه بالأمة لكونه على الحق ولو كان واحدا وليست الكثرة من علامات الصحة يقول تعالى:

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (الأنعام: من الآية١١٦)

والأمة لم تجتمع على الثلاثة، ففيهم شيعة علي لم يقبلوا بأحد غيره، إذن ليس هناك إجماع! وقد مرّ علينا ما قاله ابن أبي الحديد حول دعوى الإجماع على أبي بكر.

ثم إن القضايا التي يراد التقرّب بها الى الله تقاس بقربها وبعدها عن الحق، وأنّى يكون في نياتهم الإخلاص وقد حرصوا على الدنيا وآذوا النبي في أهل بيته وخالفوا النصوص وإنما يطاع الله من حيث يريد لا من حيث يريد الناس.

ثم أن المفسدة التي حصلت بتولية غير علي عليه السلام كانت عظيمة، نعم هم استولوا على أراضي الكفّار من الدول القائمة من الصين الى الأندلس، ولكن الإسلام جاء ليستولي على القلوب والأرواح، وليس على الأراضي، فالإسلام دين إقناع، لذا فمازالت المناطق التي فتحها المتقمّصون للخلافة تعيش الى الآن عُقد الأقليّات الدينية والتشذّر والتطيّف، والعنصريات القومية والنعرات الفكريّة

الى غيرها من مفاسد لم تكن لو ان من فتح البلاد كان على مستوى مؤهل للقيـادة وإقناع الناس بالدين الجديد، لذا فما أسّسه الأوّلون سار عليه الآخرون فبنوا على بنيان معـوجّ، انهـار عنـد أول اختبـار أمـام الزحـف الفكـري الغـربي المـادي فتـرى البلدان تسمّى إسلامية وهي خاليـة مـن الإسـلام وخاويـة مـن الهـدى، فالعـادات جاهليّة، والثقافات لقيطة من هنا وهناك، وتطبيق الإسلام بـين مـدٍّ وجـزر تطـرف هنا وميوعة هناك، والكل يدّعي أنه هو الإسلام، هذا يسند رأيه بما فعله عمر عن رأيه، وذاك يستشهد بما ابتدعه معاوية في فعلـه، الى الكـثير مـن الأمـور الـتي نبتـت نابتتها منذ يوم السقيفة ولله الأمر.

وكلام ابن تيمية يدل على بغضه لأمير المؤمنين عليـه الـسلام ونـصبه العـداء الجلي له، وإلّا فما ذنب علي أن خرج عليه الخارجون الرافضون له وللنبي ولحكـم الله بل وللمسلمين، فلو كان مقصود الإمامة حصل باجتماع الأمة والمقـصود بهـم أهل المدينة ثم الناس فأهل المدينة بايعوا عليا بالإجماع فلماذا لا يعامـل مـن يخـرج عليه كما يعامل من خرج على يزيد الفاسق؟! فيزيـد علـى فسقه وفجـوره قـالوا بعدم جواز خروج الخـارج عليـه لاسـتلزامه المفـسدة، هـذا وكـل مـن استـشهد في خروج من خرج عليـه في كـربلاء والحَـرّة ومكـة عـدة مئـات بينمـا بلغـت ضـحايا الحروب التي قادها المتمـردون علـى خلافـة علـي عليـه الـسلام في الجمـل وصـفين والنهروان أكثر من سبعين ألفاً مـن المـسلمين، فلِـمَ يتحمـل علـيٌّ المـسؤولية وهـو المظلوم وليس الظالم؟!

قال ابن تيمية «فلو قُدِّر أن ما تدعيه الرافضة من النص هو حق موجود وأن الناس لم يولوا المنـصوص عليـه لكـانوا قـد تركـوا مـن يجـب توليتـه، وولـوا غـيره وحينئـذ فالإمـام الـذي قـام بمقـصود الإمامـة هـو هـذا المـولّى دون ذلـك المنـوع

المقهور، نعم ذلك يستحق أن يولّى لكن ما ولِّي فالإثم على من ضيع حقه وعدل عنه لا على من لم يضيع حقه ولم يعتد وهم يقولون إن الإمام وجب نصبه لأنه لطف ومصلحة للعباد فإذا كان الله ورسوله يعلم أن الناس لا يولون هذا المعين إذا أمروا بولايته كان أمرهم بولاية من يولونه وينتفعون بولايته أولى من أمرهم بولاية من لا يولونه ولا ينتفعون بولايته، كما قيل في إمامة الصلاة والقضاء وغير ذلك فكيف إذا كان ما يدعونه من النص من أعظم الكذب والافتراء والنبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أمته بما سيكون وما يقع بعده من التفرق فإذا نص لأمته على إمامة شخص يعلم أنهم لا يولونه بل يعدلون عنه ويولون غيره يحصل لهم بولايته مقاصد الولاية وأنه إذا أفضت النوبة إلى المنصوص حصل من سفك دماء الأمة ما لم يحصل قبل ذلك ولم يحصل من مقاصد الولاية ما حصل بغير المنصوص كان الواجب العدول عن المنصوص، مثال ذلك أن ولي الأمر إذا كان عنده شخصان ويعلم أنه إن ولى أحدهما أطيع وفتح البلاد وأقام الجهاد وقهر الأعداء وأنه إذا ولي الآخر لم يُطَع ولم يفتح شيئا من البلاد بل يقع في الرعية الفتنة والفساد كان من المعلوم لكل عاقل أنه ينبغي أن يولّي من يعلم أنه إذا ولاه حصل به الخير والمنفعة لا من إذا ولاه لم يطع وحصل بينه وبين الرعية الحرب والفتنة» (١)

الجواب:

قوله «وأن الناس لم يولوا المنصوص عليه» استبعاد لعصيان الناس كلهم لهذا النص الثابت وهذا باطل فالمسألة لا تفهم بعدد الناس الذين عصوا وكلما زاد عددهم استبعد العصيان بل تقاس بدرجة الوعي الذي يحمله الناس لمعنى النص وهل كانوا يرونه نصا مقدسا؟! وهذا مما لا يستفاد من السنة الصحيحة المروية

(١)منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج١ - ص ٢١٢.

فهم كثيرا ما ناقشوا النبي في ما يقوله من كلام عن الله! قال ابن أبي الحديد[1] «سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد وقد قرأت عليه هذه الأخبار - فقلت له: ما أراها إلا تكاد تكون دالة على النص، ولكني أستبعد أن يجتمع الصحابة على دفع نص رسول الله صلى الله عليه وآله على شخص بعينه كما استبعدنا من الصحابة على رد نصه على الكعبة وشهر رمضان وغيرهما من معالم الدين، فقال لي رحمه الله: أبيت إلا ميلا إلى المعتزلة! ثم قال: إن القوم لم يكونوا يذهبون في الخلافة إلى أنها من معالم الدين وأنها جارية مجرى العبادات الشرعية، كالصلاة والصوم، ولكنهم كانوا يجرونها مجرى الأمور الدنيوية ويذهبون لهذا مثل تأمير الأمراء وتدبير الحروب وسياسة الرعية وما كانوا يبالون في أمثال هذا من مخالفة نصوصه صلى الله عليه وآله إذا رأوا المصلحة في غيرها ألا تراه كيف نص على إخراج أبي بكر وعمر في جيش أسامة ولم يخرجا لما رأيا أن في مقامهما مصلحة للدولة وللملة وحفظا للبيضة ودفعا للفتنة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخالف وهو حي في أمثال ذلك فلا ينكره لا يرى به بأسا ألست تعلم أنه نزل في غزاة بدر منزلا على أن يحارب قريشا فيه، فخالفته الأنصار وقالت له: ليس الرأي في نزولك هذا المنزل فاتركه، وانزل في منزل كذا، فرجع إلى آرائهم! وهو الذي قال للأنصار عام قدم إلى المدينة: (لا تؤبِّروا النخل)، فعملوا على قوله فحالت نخلهم في تلك السنة ولم تثمر حتى قال لهم: (أنتم أعرف بأمر دنياكم وأنا أعرف بأمر دينكم) وهو الذي أخذ الفداء من أسارى بدر فخالفه عمر، فرجع إلى تصويب رأيه بعد أن فات الأمر وخلص الأسرى ورجعوا إلى مكة، وهو الذي أراد أن يصالح الأحزاب على ثلث تمر المدينة ليرجعوا عنه، فأتى سعد

---

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١٢ - ص ٨٢ – ٨٧.

بن معاذ وسعد بن عبادة فخالفاه، فرجع إلى قولهما وقد كان قال لأبي هريرة: اخرج فناد في الناس (من قال لا إله إلا الله مخلصا بها قلبه دخل الجنة) فخرج أبو هريرة فأخبر عمر بذلك فدفعه في صدره، حتى وقع على الأرض، فقال: لا تقلها، فإنك إن تقلها يتكلوا عليها، ويدعوا العمل فأخبر أبو هريرة رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، فقال: (لا تقلها وخلِّهم يعملون)، فرجع إلى قول عمر! وقد أطبقت الصحابة إطباقا واحدا على ترك كثير من النصوص لما رأوا المصلحة في ذلك كإسقاطهم سهم ذوي القربى وإسقاط سهم المؤلفة قلوبهم وهذان الأمران أدخل في باب الدين منهما في باب الدنيا وقد عملوا بآرائهم أمورا لم يكن لها ذكر في الكتاب والسنة، كحد الخمر فإنهم عملوه اجتهادا، ولم يحد رسول الله صلى الله عليه وآله شاربي الخمر وقد شربها الجم الغفير في زمانه بعد نزول آية التحريم ولقد كان أوصاهم في مرضه أن أخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب فلم يخرجوهم حتى مضى صدر من خلافه عمر، وعملوا في أيام أبي بكر برأيهم في ذلك باستصلاحهم وهم الذين هدموا المسجد بالمدينة وحولوا المقام بمكة، وعملوا بمقتضى ما يغلب في ظنونهم من المصلحة ولم يقفوا مع موارد النصوص، حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعد، فرجّح كثير منهم القياس على النص، حتى استحالت الشريعة وصار أصحاب القياس أصحاب شريعة جديدة. قال النقيب: وأكثر ما يعملون بآرائهم فيما يجرى مجرى الولايات والتأمير والتدبير وتقرير قواعد الدولة وما كانوا يقفون مع نصوص الرسول صلى الله عليه وآله وتدبيراته إذا رأوا المصلحة في خلافها كأنهم كانوا يقيدون نصوصه المطلقة بقيد غير مذكور لفظا وكأنهم كانوا يفهمونه من قرائن أحواله وتقدير ذلك القيد (افعلوا كذا إن رأيتموه مصلحة). قال: وأما مخالفتهم له فيما هو محض الشرع والدين

وليس بمتعلق بأمور الدنيا وتدبيراتها فإنه يقل جدا، نحو أن يقول: (الوضوء شرط في الصلاة)، فيجمعوا على رد ذلك ويجيزوا الصلاة من غير وضوء، أو يقول: (صوم شهر رمضان واجب) فيطبقوا على مخالفة ذلك ويجعلوا شوالا عوضا عنه، فإنه بعيد، إذ لا غرض لهم فيه، ولا يقدرون على إظهار مصلحة عثروا عليها خفيت عنه صلى الله عليه وآله. والقوم الذين كانوا قد غلب على ظنونهم أن العرب لا تطيع علياً عليه السلام، فبعضها للحسد، وبعضها للوتر والثأر وبعضها لاستحداثهم سنة، وبعضها لاستطالته عليهم ورفعه عنهم، ، وبعضها كراهة اجتماع النبوة والخلافة في بيت واحد وبعضها للخوف من شدة وطأته وشدته في دين الله وبعضها خوفا لرجاء تداول قبائل العرب الخلافة إذا لم يقتصر بها على بيت مخصوص عليه فيكون رجاء كل حي لوصولهم إليها ثابتاً مستمراً، وبعضها ببغضه، لبغضهم من قرابته لرسول الله صلى الله وآله - وهم المنافقون من الناس، ومن في قلبه زيغ من أمر النبوة فأصفق الكل إصفاقاً واحداً على صرف الأمر عنه لغيره، وقال رؤساؤهم: إنّا خفنا الفتنة وعلمنا أن العرب لا تطيعه ولا تتركه، وتأولوا عند أنفسهم النصّ، ولا يُنكَر النصّ وقالوا: إنه النصّ ولكن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب والغائب قد يترك لأجل المصلحة الكلية وأعانهم على ذلك مسارعة الأنصار إلى ادعائهم الأمر وإخراجهم سعد بن عبادة من بيته وهو مريض لينصبوه خليفة - فيما زعموا - واختلط الناس وكثر الخبط وكادت الفتنة أن تشتعل نارها، فوثب رؤساء المهاجرين، فبايعوا أبا بكر وكانت فلتة - كما قال قائلهم - وزعموا أنهم أطفئوا بها نائرة الأنصار، فمن سكت من المسلمين، وأغضى ولم يتعرض فقد كفاهم أمر نفسه، ومن قال سرّاً أو جهراً: إن فلاناً قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذكره أو نصّ عليه أو أشار إليه أسكتوه في

الجواب بأنّا بادرنا إلى عقد البيعة مخافة الفتنة واعتذروا عنده ببعض ما تقدم، إما أنه حديث السن أو تبغضه العرب، لأنه وترها وسفك دماءها، أو لأنه صاحب زهو وتيه، أو كيف تجتمع النبوة والخلافة في مغرس واحد! بل قد قالوا في العذر ما هو أقوى من هذا وأوكد قالوا: أبو بكر أقوى على هذا الأمر منه لا سيما وعمر يعضده ويساعده والعرب تحب أبا بكر ويعجبها لينه ورفقه وهو شيخ مجرِّب للأمور لا يحسده أحد ولا يحقد عليه أحد، ولا يبغضه أحد، وليس بذي شرف في النسب فيشمخ على الناس بشرفه ولا بذي قربى من الرسول صلى الله عليه وآله فيدل بقربه، ودع ذا كله فإنه فضل مستغنى عنه قالوا: لو نصبنا عليا عليه السلام، ارتد الناس عن الإسلام وعادت الجاهلية كما كانت، فأيما أصلح في الدين؟ الوقوف مع النصِّ المفضي إلى ارتداد الخلق ورجوعهم إلى الأصنام والجاهلية أم العمل بمقتضى الأصلح واستبقاء الإسلام واستدامة العمل بالدين وإن كان فيه مخالفة النص!.

قال رحمه الله: وسكت الناس عن الإنكار، فإنهم كانوا متفرّقين فمنهم من هو مبغض شانيء لعلي عليه السلام، فالذي تم من صرف الأمر عنه هو قرّة عينه، وبرد فؤاده، ومنهم ذو الدين وصحة اليقين، إلا أنه لما رأى كبراء الصحابة قد اتفقوا على صرف الأمر عنه، ظنَّ أنهم إنما فعلوا ذلك لنصٍّ سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله ينسخ ما قد كان سمعه من النص على أمير المؤمنين عليه السلام لا سيما ما رواه أبو بكر من قول النبي صلى الله عليه وآله (الأئمة من قريش) فإن كثيرا من الناس توهموا أنه ناسخ للنص الخاص، وأن معنى الخبر أنكم مباحون في نصب إمام من قريش من أي بطون قريش كان فإنه يكون إماماً. وأكد أيضا في نفوسهم رفض النص الخاص ما سمعوه من قول رسول الله صلى الله عليه

وآله: (ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن)، وقوله عليه السلام: (سألت الله ألا يجمع أمتي على ضلال، فأعطانيها فأحسنوا الظن بعاقدي البيعة). وقالوا: هؤلاء أعرف بأغراض رسول الله صلى الله عليه وآله من كل أحد فأمسكوا وكفّوا عن الإنكار ومنهم فرقة أخرى - وهم الأكثرون - أعراب وجفاة، وطغام أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، فهؤلاء مقلِّدون لا يَسألون ولا يُنكِرون، ولا يبحثون، وهم مع أمرائهم وولاتهم، لو أسقطوا عنهم الصلاة الواجبة لتركوها، فلذلك أمحق النص وخفى ودرس، وقويت كلمة العاقدين لبيعة أبي بكر، وقوّاها زيادة على ذلك اشتغال علي وبني هاشم برسول الله صلى الله عليه وآله وإغلاق بابهم عليهم وتخليتهم الناس يعملون ما شاءوا وأحبّوا من غير مشاركة لهم فيما هم فيه، لكنهم أرادوا استدراك ذلك بعد ما فات، وهيهات الفائت لا رجعة له!. وأراد علي عليه السلام بعد ذلك نقض البيعة فلم يتمّ له ذلك وكانت العرب لا ترى الغدر، ولا تنقض البيعة صواباً كانت أو خطأً وقد قالت له الأنصار وغيرها: أيها الرجل لو دعوتنا إلى نفسك قبل البيعة لما عدلنا بك أحداً ولكنا قد بايعنا فكيف السبيل إلى نقض البيعة بعد وقوعها!.

قال النقيب: ومما جرّأ عمر على بيعه أبي بكر والعدول عن علي - مع ما كان يسمعه من الرسول صلى الله عليه وآله في أمره - أنه أنكر مراراً على الرسول صلى الله عليه وآله أموراً اعتمدها فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله إنكاره بل رجع في كثير منها إليه وأشار عليه بأمور كثيرة نزل القرآن فيها بموافقته، فأطمعه ذلك في الإقدام على اعتماد كثير من الأمور التي كان يرى فيها المصلحة، مما هي خلاف النص، وذلك نحو إنكاره عليه في الصلاة على عبد الله بن أبي المنافق، وإنكاره فداء أسارى بدر وإنكاره عليه تبرج نسائه للناس، وإنكاره

قضية الحديبية وإنكاره أمان العباس لأبي سفيان ابن حرب وإنكاره واقعة أبي حذيفة بن عتبة وإنكاره أمره بالنداء: (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) وإنكاره أمره بذبح النواضح وإنكاره على النساء بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله هيبتهن له دون رسول الله صلى الله عليه وآله... إلى غير ذلك من أمور كثيرة تشتمل عليها كتب الحديث ولو لم يكن إلّا إنكاره قول رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه: (ائتوني بدواة وكتف أكتب لكم ما لا تضلون بعدي) وقوله ما قال، وسكوت رسول الله صلى الله عليه وآله عنه. وأعجب الأشياء أنه قال ذلك اليوم: حسبنا كتاب الله فافترق الحاضرون من المسلمين في الدار فبعضهم، يقول: القول ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعضهم يقول: القول ما قال عمر، فقال رسول الله: وقد كثر اللغط، وعلت الأصوات (قوموا عنى فما ينبغي لنبي أن يكون عنده هذا التنازع) فهل بقي للنبوة مزية أو فضل إذا كان الاختلاف قد وقع بين القولين وميل المسلمون بينهما، فرجّح قوم هذا وقوم هذا فليس ذلك دالا على أن القوم سوّوا بينه وبين عمر وجعلوا القولين مسألة خلاف، ذهب كل فريق إلى نصرة واحد منهما، كما يختلف اثنان من عرض المسلمين في بعض الأحكام فينصر قوم هذا وينصر ذاك آخرون فمن بلغت قوته وهمته إلى هذا كيف ينكر منه أنه يبايع أبا بكر لمصلحة رآها، ويعدل عن النص! ومن الذي كان ينكر عليه ذلك، وهو في القول الذي قاله للرسول صلى الله عليه وآله في وجهه غير خائف من الأنصار ولا ينكر عليه أحد لا رسول الله صلى الله عليه وآله ولا غيره وهو أشد من مخالفة النص في الخلافة وأفظع وأشنع.

قال النقيب: على أن الرجل ما أهمل أمر نفسه، بل أعدَّ أعذارا وأجوبة وذلك لأنه قال لقوم عرضوا له بحديث النص: إن رسول الله صلى الله عليه وآله

رجع عن ذلك بإقامته أبا بكر في الصلاة مقامه وأوهمهم أن ذلك جار مجرى النص عليه بالخلافة، وقال يوم السقيفة: أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله صلى الله عليه وآله في الصلاة! ثم أكد ذلك بأن قال لأبي بكر وقد عرض عليه البيعة: أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المواطن كلها، شدّتها ورخائها، رضيك لديننا أفلا نرضاك لدنيانا. ثم عاب علياً بخطبته بنت أبي جهل فأوهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله كرهه لذلك ووجد عليه، وأرضاه عمرو بن العاص، فروى حديثا افتعله واختلقه على رسول الله قال: سمعته يقول: (إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين) فجعلوا ذلك كالناسخ لقوله صلى الله عليه وآله: (من كنت مولاه فهذا مولاه).

قلت للنقيب: أيصح النسخ في مثل هذا؟ أليس هذا نسخا للشيء قبل تقضّي وقت فعله؟ فقال: سبحان الله! من أين تعرف العرب هذا! وأنى لها أن تتصوره فضلا عن أن تحكم بعدم جوازه فهل يفهم حذاق الأصوليين هذه المسألة، فضلاً عن حمقى العرب! هؤلاء قوم ينخدعون بأدنى شبهة ويستمالون بأضعف سبب وتبنى الأمور معهم على ظواهر النصوص وأوائل الأدلة وهم أصحاب جهل وتقليد لا أصحاب تفضيل ونظر.

قال: ثم أكد حسن ظن الناس بهم أنهم أطلقوا أنفسهم عن الأموال وزهدوا في متاع الدنيا وزخرفها وسلكوا مسلك الرفض لزينتها والرغبة عنها والقناعة بالطفيف النزر منها وأكلوا الخشن ولبسوا الكرابيس ولما ألقت إليهم الدنيا أفلاذ كبدها وفرقوا الأموال على الناس، وقسموها بينهم ولم يتدنسوا منها بقليل ولا كثير فمالت إليهم القلوب وأحبتهم النفوس وحسنت فيهم الظنون، وقال: من كان في نفسه شبهة منهم أو وقفة في أمرهم لو كان هؤلاء قد خالفوا النص لهوى

أنفسهم لكانوا أهل الدنيا ولظهر عليهم الميل إليها والرغبة فيها والاستئثار بها وكيف يجمعون على أنفسهم مخالفة النص وترك لذات الدنيا ومآربها فيخسروا الدنيا والآخرة! وهذا لا يفعله عاقل والقوم عقلاء ذوو الباب وآراء صحيحة، فلم يبق عند أحد شك في أمرهم ولا ارتياب لفعلهم وثبتت العقائد على ولايتهم وتصويب أفعالهم ونسوا لذة الرياسة وإن أصحاب الهمم العالية لا يلتفون إلى المأكل والمشرب والمنكح، وأنما يريدون الرياسة ونفوذ الأمر كما قال الشاعر:

وقد رغبت عن لذة المال أنفس وما رغبت عن لذة النهى والأمر»

وهو كلام نفيس لولا بعض الهفوات البسيطة كحادثة تأبير النخل وما شابه، وهذا التحليل الاجتماعي للأمور يمكن أن يوصل لنتائج باهرة وللأسف فهو قليل في كتب الاستدلال.

ثم إن ابن تيمية يصر على الكلام وفق مبانيه هو والتي لا تستند لأي نص بل هي أفعال وأقوال (صحابة) و(تابعون) بعضهم قالها خوفا وبعضهم قالها طمعا، بينما نتكلم عن إمامة إلهية بنص قاطع وبالتالي مخالفها يدخل في الضلال، يقول تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً (٦٤) فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (النساء: ٦٤-٦٥).

فأين التسليم من الصحابة الذين يعلنون مخالفتهم للنبي لمصالح يروها زعموا

كما يقول عمر: [١] «لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله في أمره ذرو من قول لا يثبت حجّة، ولا يقطع عذرا ولقد كان يربع في أمره وقتا ما ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقا وحيطة على الإسلام لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبدا ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها».

فعمر يعلم ما في نفس النبي صلى الله عليه وآله فخالفه وفق مبدأ الفوضى الخلّاقة فصخب القوم واختلفوا فطردهم النبي كما في خبر رزية الخميس فتحقق ما سعى إليه عمر.

وهذا معاوية يعلم قول النبي ويخالفه أمام الصحابة، يقول ابن أبي الحديد[٢] في معاوية «أما أفعاله المجانبة للعدالة الظاهرة، من لبسه الحرير، وشربه في آنية الذهب والفضة، حتى أنكر عليه ذلك أبو الدرداء، فقال له: إني سمعت رسول الله صلى عليه وآله يقول: (إن الشارب فيها ليجرجر في جوفه نار جهنم)، وقال معاوية: أما أنا فلا أرى بذلك بأسا، فقال أبو الدرداء: من عذيري من معاوية! أنا أخبره عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يخبرني عن رأيه! لا أساكنك بأرض أبدا».

وقد مر علينا في أخبار تضييع الصلاة أن المصلي في زمان ابن الزبير استغرب الصلاة التي صلاها في غلس الليل حتى قال له ابن عمر إنها صلاة النبي صلى الله عليه وآله وأبو بكر وعمر وقد غيرها عثمان ثم أرجعها ابن الزبير! فهل أنكرت الأمة تغيير وقت الصلاة من قبل عثمان؟! أم أنها أنكرت على من غير صلاة عثمان من بعد؟!

---

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١٢ - ص ٢٠ - ٢١.

(٢) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٥ - ص ١٣٠.

وروي عن عكرمة قوله «قال صلّيت خلف شيخ بمكة فكبّر في صلاة الظهر ثنتين وعشرين تكبيرة، فأتيت ابن عباس فقلت إنّي صليت خلف شيخ أحمق فكبر في صلاة الظهر ثنتين وعشرين تكبيرة، قال: ثكلتك أمك تلك سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم»(١).

فما الذي حصل في الإسلام حتى باتت صلاة أبي القاسم عليه الصلاة والسلام والذي يقول «صلوا كما رأيتموني أصلّي»(٢) باتت صلاته يصفها مولى حبر الأمة بأنها صلاة الحمقى! وهي «عمود الدين»(٣) وقد صلّاها بينهم طوال ثلاثة وعشرين عاماً، فماذا حدث في الدين من اضطراب إذن؟!

وبعد هذا أيصلح أن نتخذ ما فعلوه من شورى السقيفة المزعومة أو استخلاف بعضهم بعضا سنة في الأرض وهي بدعة(٤).

---

(١) مسند احمد - الإمام احمد بن حنبل - ج ١ - ص ٢٩٢ تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٢) الإقناع في حل الفاظ ابي شجاع - محمد الشربيني-ج١ - ص١١٥/ مواهب الجليل -الحطاب الرعيني-ج٢ -ص٥٢٩/ حاشية الدسوقي - الدسوقي-ج١ - ص٢٣٣/ الثمر الداني -الآبي الأزهري- ص١٣٧/ بدائع الصنائع - أبو بكر الكاشاني-ج١ - ص٩١/ بداية المجتهد ونهاية المقتصد- ابن رشد الحفيد- ج١ - ص٩٢/ احكام الجنائز- الألباني- ص٩٧.

(٣) فيض القدير-شرح الجامع الصغير- المناوي- ج٤- ص٣٢٦.

(٤) ومن غرائب النصوص وصحاحها ما روي عن أن المسلمين لم يكونوا يعرفون الزكاة الفطر حتى علّمهم ابن عباس وهو أمير على البصرة من قبل علي بن أبي طالب!! قال احمد بن حنبل «إن الحسن قال: خطب ابن عباس الناس في آخر رمضان فقال يا أهل البصرة أدّوا زكاة صومكم قال فجعل الناس ينظر بعضهم إلى بعض فقال من ههنا من أهل المدينة قوموا فعلموا إخوانكم فإنهم لا يعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض صدقة رمضان نصف صاع من بر ←

إن طريقة الاستخلاف التي يتكلم عنها ابن تيمية تصلح للتطبيق في عوائل منحرفة كبني أمية وبني العباس وبني عثمان، ومن لف لفهم فهؤلاء همّهم الدنيا من

أو صاعا من شعير أو صاعا من تمر على العبد والحر والذكر والأنثى» مسند احمد ـ الإمام احمد بن حنبل ـ ج ١ ـ ص ٣٥١.

وقد علق بعضهم بما يفيد انقطاع السند ما بين الحسن البصري راوي الحديث وابن عباس وقد وصله غيرهم وصحح الحديث قال العيني «إن قلت: قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: الحسن لم يسمع ابن عباس. قلت: جاء في (مسند أبي يعلى الموصلي) في حديث عن الحسن، قال: أخبرني ابن عباس، وهذا أن ثبت دل على سماعه منه، وقال البزار في (مسنده) بعد أن رواه: لا نعلم روى الحسن عن ابن عباس غير هذا الحديث، ولم يسمع الحسن من ابن عباس. قلت: ولئن سلمنا هذا فالحديث مرسل وهو حجة عندنا، ويؤيده طريق آخر عن ابن عباس، رواه الحاكم في (المستدرك) من حديث ابن جريج عن عطاء، (عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث صارخا بمكة صاح: إن صدقة الفطر حق واجب مدّان من قمح أو صاع من شعير أو تمر)، وصححه الحاكم، ورواه البزار بلفظ: (أو صاع مما سوى ذلك من الطعام). وطريق آخر عن ابن عباس أخرجه الدارقطني عن الواقدي: حدثنا عبد الله بن عمران بن أبي أنس عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن (عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بزكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير أو مدين من قمح). وأعله بالواقدي، فما للواقدي؟ وهو إمام مشهور وأحد مشايخ الشافعي؟ وطريق آخر عن ابن عباس أخرجه الدارقطني. عن سلام الطويل عن زيد العمي عن عكرمة عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صدقة الفطر عن كل صغير وكبير ذكر أو أنثى نصف صاع من بر...) الحديث وأعله بسلام». عمدة القاري ـ العيني ـ ج ٩ ـ ص ١١٤/ فقد بلغ التجهيل الهادف عند ولاة عثمان أن المسلمين لم يعرفوا زكاة الفطر وهم في البصرة منذ عشرين عاماً!

فالحديث صحيح وهو يفيد ان المسلمين في البصرة لم يكونوا قبل حلافة علي عليه السلام يعرفون صدقة الفطر! حتى «جعل الناس ينظر بعضهم إلى بعض» من جهلهم بماهيتها! ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

الولاية فيقتلون في سبيلها الأبرياء، ويخربون بلاد المسلمين ويستعينون بالنصارى وغيرهم، بل ويتنصر بعضهم كما مر علينا من احد سلاطين أهل السنة.

وما شهدناه في أنظمة الحكم المعاصرة في القرن العشرين من مخازي تجاه بعضها وتجاه شعوبها، إنما هي نتيجة هذه النظريات البشرية الناقصة والتي لا تستلهم أي تجربة نبوية في حياتها بل خلافة هنا تحصل بالخديعة والغصب، وخلافة هناك تحصل بسمٍّ المنافس، ومُلك هنا حصل بالاغتيال والختل والغدر، ولا احد منهم ينسب تجربته للنبي صلى الله عليه وآله، وإنما طريقة استخلاف الإمام عند الإمامية هي الوحيدة التي تنتسب لتعاليم الإسلام السمحاء والتي تروى عن المعصومين. ووصل الحد من سلاطين أهل السنة أن تنازلوا للصليبيين عن بيت المقدس أُولى القبلتين حرصا على المنصب!

وأما قول ابن تيمية «مثال ذلك أن ولي الأمر إذا كان عنده شخصان ويعلم أنه إن ولى أحدهما أطيع وفتح البلاد وأقام الجهاد وقهر الأعداء وأنه إذا ولي الآخر لم يُطَع ولم يفتح شيئا من البلاد بل يقع في الرعية الفتنة والفساد كان من المعلوم لكل عاقل أنه ينبغي أن يولّي من يعلم أنه إذا ولاه حصل به الخير والمنفعة لا من إذا ولاه لم يطع وحصل بينه وبين الرعية الحرب والفتنة».

قلت:

لم تكن هناك فتنة حتى يرد هذا المثال، وكيف تكون هناك فتنة والله تعالى يقول:

﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ

دِيناً ﴾ (المائدة: من الآية٣).

فالدين كامل والنعمة تامة فمن أين تأتي الفتنة؟!

والنبي صلى الله عليه وآله أقام الحجّة وهو الذي يقول «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا»[1].

لذا لم تكن هناك فتنة، بل كانت هناك سبل واضحة، وأدلة لائحة، والنصوص النبوية صريحة في اتباع علي اينما ذهب وكيفما قال، فحروب الناكثين والقاسطين والمارقين لم تكن حروب فتنة بل حروب بغي من بعض الصحابة، وقد أراهم الله السيف على يدي أمير المؤمنين عليه السلام فشفى الغليل.

قال ابن تيمية «أما قوله «لما عمت البليّة على كافة المسلمين بموت النبي صلى الله عليه وسلم واختلف الناس بعده وتعددت آراؤهم بحسب أهوائهم، فبعضهم طلب الأمر لنفسه بغير حق وبايعه أكثر الناس طلبا للدنيا كما اختار عمر بن سعد ملك الري أياما يسيرة لما خير بينه وبين قتل الحسين مع علمه بأن في قتله النار وإخباره بذلك في شعره» فيقال في هذا الكلام من الكذب والباطل وذم خيار الأمة بغير حق مالا يخفى وذلك من وجوه أحدها قوله «تعددت آراؤهم بحسب تعدد أهوائهم» فيكونون كلهم متبعين أهواءهم ليس فيهم طالب حق ولا مريد لوجه الله تعالى والدار الآخرة ولا من كان قوله عن اجتهاد واستدلال، وعموم لفظه يشمل عليا وغيره وهؤلاء الذين وصفهم بهذا هم الذين أثنى الله عليهم هو ورسوله ورضي عنهم ووعدهم الحسنى كما قال تعالى:

---

(١) مسند احمد ـ الإمام احمد بن حنبل ـ ج ٤ ـ ص ١٢٦.

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة:١٠٠).

قلت في الجواب:

تعميم خطاب المدح إلى جميع الصحابة غير مقبول، بل باطل، فمنهم من ذهب إلى النار كقزمان الصحابي، ومنهم من كان منافقا كابن أبي سلول ثم السبق هنا إلى ماذا فهلا بينتم التعلق ببيان قاطع؟! قال الشريف المرتضى في «الشافي»[(١)] «لنا في الكلام عليه وجهان: أحدهما أن ننازع في أن السبق ها هنا السبق إلى الإسلام، والوجه الآخر أن نسلم ذلك فنبين أنه لا حجة في الآية على ما ادعوه، والوجه الأول بين لأن لفظة (السابقين) في الآية مطلق غير مضاف، ويحتمل أن يكون مضافا إلى إظهار الإسلام، واتّباع النبي صلى الله عليه وآله بل المراد به السبق إلى الخيرات والتقدم في فعل الطاعات، ويكون قوله "الأولون" تأكيدا لمعنى السبق كما يقولون: فلان سابق في الفضل إلى الخيرات سابق فيؤكدون باللفظين المختلفين، وقد قال الله تعالى:

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (الواقعة:١٠ – ١١).

وقال تعالى:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (فاطر:٣٢).

(١) الشافي في الإمامة – الشريف المرتضى – ج ٤ – ص ٥٠ – ٥٢.

فإن قيل: إذا كان المراد ما ذكرتم فأي معنى لتخصيص المهاجرين والأنصار ولولا أنه أراد السبق إلى الإسلام. قلنا: لم نخصّ المهاجرين والأنصار دون غيرهم لأنه تعالى قال:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ (التوبة: من الآية١٠٠).

وهو عام في الجميع على أنه لا يمتنع أن يخص المهاجرين والأنصار بحكم هو لغيرهم، إما لفضلهم وعلو قدرهم أو لغير ذلك من الوجوه. فأما الوجه الثاني فالكلام فيه أيضا بيّن، لأنه إذا سلم أن المراد بالسبق هو السبق إلى إظهار الإسلام فلا بد من أن يكون مشروطا بالإخلاص في الباطن، لأن الله تعالى لا يعد بالرضا من أظهر الإسلام ولم يبطنه، فيجب أن يكون الباطن معتبرا ومدلولا عليه فيمن يدعي دخوله تحت الآية حتى يتناوله الوعد بالرضا، ومما يشهد بأن الإخلاص مشروط مع السبق إلى إظهار الإسلام قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ (التوبة: من الآية١٠٠).

فشرط الإحسان الذي لا بد أن يكون مشروطا في الجميع على أن الله تعالى قد وعد الصابرين والصادقين بالجنان، فقال:

﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (المائدة:١١٩).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا

إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (١٥٧) سورة البقرة ١٥٥–١٥٧.

ولم يوجب ذلك أن يكون كل صابر وصادق مقطوعا له بالجنة، بل لا بد من شروط مراعاة فكذلك القول في السابقين على أنه لا يخلو المراد بالسابقين من أن يكون هو الأول الذي لا أوَّل قبله أو يكون من سبق غيره، وإن كان مسبوقا والوجه الأول هو المقصود لأن الوجه الثاني يؤدي إلى أن يكون جميع المسلمين سابقين إلا الواحد الذي لم يكن بعده إسلام أحد، ومعلوم خلاف هذا فلم يبق إلا الوجه الأول ولهذا أكده تعالى بقوله: (الأولون) لأن من كان قبله غيره لا يكون أولا بالإطلاق، ومن هذه صفته بلا خلاف أمير المؤمنين عليه السلام وحمزة وجعفر وخباب بن الأرتَّ وزيد بن ثابت وعمار ومن الأنصار سعد بن معاد وأبو الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فأما أبو بكر ففي تقدم إسلامه خلاف معروف فعلى من ادعى تناول الآية أن يدل أنه من السابقين».

وهو كلام نفيس.

ثم السؤال هو هل ثبتوا على السبق لو كانوا كذلك؟! إن ما أورده القوم في كتبهم يناقض ذلك روى البخاري[1] «عن أبي هريرة انه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلَون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي فيقول انك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري».

---

(١) صحيح البخاري – البخاري – ج ٧ – ص ٢٠٨.

وروى البخاري[١] «حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن أبن شهاب عن ابن المسيب انه كان يحدث عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: يرد علي الحوض رجال من أصحابي فيحلؤون عنه فأقول يا رب أصحابي فيقول انك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري».

فكيف يكون التعميم بالصحابة والسبق ولا يعلم أعيان هؤلاء الذين ارتدوا القهقري بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله؟

(١) صحيح البخاري - البخاري - ج ٧ - ص ٢٠٨.

ابن تيميّة... وآيات الثناء على الصحابة

إن من الواضح ما افتعله القصّاصون والوضّاعون من منزلة للصحابة ككلّ ليدخلوا في ذلك الجمع مجموعة من الطلقاء، وليبرقعوا بالقدسيّة مجموعة من البغاة والعصاة والناكثين وغيرهم ممن كان لهم دور في إشعال الحروب ضد الحكومة الشرعية، حكومة العدل الإلهي التي كان على رأسها أمير المؤمنين عليه السلام، فتجد انهم يثرثرون كثيراً حول أحكام خاصّة لأهل بدر وكونهم جميعا من أهل الجنّة، زعموا! وأن من شارك ببدر خُتم له بالخير فلا يمكن أن يحاسب على سيئة فعلها من بعد! وكثير من هذه البدع التي قرأناها وشاهدنا اصحاب العقول المتّحجّرة يتحدّثون بها من خلال شاشات الفضائيّات الطائفية[1] لا تصمد أمام

(١) هؤلاء المتمسلفين يقدّمون نوعين من الخطاب بازدواجية مقيتة، فهم في الكتب (العلمية الدعوية المخصصة لإعداد الدعاة يتحدثون بهدوء وبأخلاق عالية ولكنهم عندما يخرجون على شاشات الفضائيات وهم يعلمون أن العامة تشاهدهم، وأن العامة لا تفهم في بعض الأحيان إلّا الصوت العالي والكلام العاطفي الخالي من الأدلة، فهم يتصرفون بلا ضوابط أخلاقية أو علمية فهذا أحدهم يقول في كتاب مخصص للدعاة «أن هناك صفات للداعية، لها أثر بالغ على المدعوين، يجب على الداعية أن يتحلى بها، ومن هذه الصفات:

الأولى: الإخلاص والتقوى.

←

قليل من التفكّر، إذا كان المفكّر منصفاً، وإلّا فالآيات القرآنية كفيلة بنسف هكذا عقائد بالية مفتعلة، وخذ على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى في سورة آل عمران:

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ

الثانية: العلم، والفقه بما يدعو إليه.

الثالثة: الصبر والحلم.

الرابعة: العفو والتسامح.

الخامسة: التواضع والمخالطة.

السادسة: حسن الخلق، وطيب العشرة.

السابعة حسن التصرف، وحكمة الجواب». منهج الدعوة ـ عدنان محمد آل عرعور ـ ص٤٨٢/

لكن هذا الشخص نفسه كان مثار سخريّة للكثير في الوطن العربي جرّاء أساليبه المنحطّة ـالتي لم تكن فيها أية صفة من هذه التي ذكر! في التطرق للعلماء الشيعة والأشاعرة والصوفيّة وغيرهم من غير السلفيين وبألفاظ نعفُّ عن ذكرها!!.

عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٥٥) سورة آل عمران

فهذه الآيات نزلت لتعاتب المسلمين بما فعلوا يوم أحد، وتظهر مكنونات بعض انفسهم فلو تمعَّن المنصف في ما أظهره الله من ضعف إيمان الكثرة الكاثرة منهم.

وقوله تعالى:

﴿مَنْكُم يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾.

وتذكّر أن القوم في المعركة وهم مقبلون على القتل والاستشهاد ويريد بعضهم الدنيا! علم المستوى الإيماني الضحل الذي كان عليه هؤلاء بل اقرأ قوله تعالى:

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾.

وهذه الآية تثير عجبي كلما قرأتها! فلو كان خروجهم لأجل الشهادة او النصر - والكلام حول الاكثرية التي تركت النبي وحيدا في ساحة القتال!- فما لهم أعطوا أدبارهم للمشركين[1] بل تركوا رسول الله صلى الله عليه وآله وحيدا وسط

(١) الفرار من الزحف من الموبقات التي يستحق عليها العبد النار راجع: كتاب الكبائر- محمد بن عبد الوهاب -ص٢٧-ط جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية/السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية-ابن تيمية- ق١-ص٨٧/ الفتاوى الكبرى- ابن تيمية- ج٤-ص٢٩٥/قاعدة في الانغماس في العدو-ابن تيمية-ص٤١/القواعد النورانية الفقهية- ابن تيمية- ص٢٤٧/رسالة التلخيص لوجوه التخليص-ابن حزم الاندلسي-ج٣-ص١٤٥/كتاب ←

سيوف الكفر حتى كُسرت رباعيته وشُجّ رأسه الشريف وظن بعضهم انّه قتل.

وتصوّر النبي يصيح في أخراهم وهم يفرون ذات اليمين وذات الشمال! فعلام خرجوا؟! اليس نصرة لله وللنبي! فمن ماذا يفرّون وماذا ينتظرون ويرجون!؟ الدنيا الدنيّة؟! بل لو شئت قرات قوله تعالى:

﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾.

واعجب مما كان هؤلاء يضمرونه في صدورهم من شكوك بالرسالة، بل إنهم لّما رأوا ما حصل بفعل انفسهم لم يقفوا مع انفسهم وقفة صدق ويندموا على ما فعلوا بل ظنوا بالله ظن الجاهلية الكافرة ! واعجب مما تحمله جملة.

﴿ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴾.

من شكوك بل من جاهلية نكراء فهم إما ينتصرون ويغنمون ويرجعون الى نسائهم محمّلين بما غلا ثمنه وعندها يكون النبي صادقا ويكون الله هو الحق وما دونه هو الباطل، وإما ينهزمون فيجب الوقوف والتوجه بالسؤال الذي يكشف سوء النيّات وضعف الإيمان وهو:

الحدود- ابن حزم الاندلسي-ج١١-ص٢٢٢٥/أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة- حافظ بن أحمد حكمي- تحقيق حازم القاضي/ارشاد الفحول-الشوكاني-ج١-ص١٤٦-ط دار الكتاب العربي -١٩٩٩م والدراري المضية-الشوكاني-ج١-ص١٣٠والدرر البهية في المسائل الفقهية- الشوكاني-ج١-ص٩٥١/الجواب الشافي لمن سأل عن الدواء الشافي- ابن قيم الجوزية-ص١٤٨/ بدائع الفوائد ابن قيم الجوزية-ج٣-ص٢٢٢/فتاوى إمام المفتين ورسول رب العالمين-ابن قيم الجوزية/ مجموع فتاوى ومقالات ابن باز-ج٢-ص١١٩.

﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾.

فهو إقرار بعدم وجود رسالة مؤيَّدة من الله، ولو كانت هناك رسالة سماوية لنصر الله رسوله ولم يتركه بين ايدي المشركين!

فهل هذا منطق موحّد مضحٍ بدمه وماله في سبيل الرسالة، ولنذكر انّنا في العام الخامس عشر للبعثة على المشهور فبعد كل هذه السنين لم يكن هناك إيمان عند الأكثرية الكاثرة على أن تفدي النبي صلى الله عليه وآله بأنفسها، بل فرّوا بأنفسهم وتركوا نفس رسول الله بين سيوف المشركين ولم يبقَ معه سوى علي عليه السلام ونفر من بني هاشم وسيأتي في الأوراق القادمة بعض تفاصيل ما حدث من مخازٍ من الفارّين والذين وصل بعضهم للبحر الاحمر هرباً ووصل الأمر لبعضهم الى ان أراد طلب الصلح من المشركين بحجّة[1] «إنهم لعشائرنا وإخواننا!» والله تعالى يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ سورة التوبة ٢٣-٢٤.

وأين هذا من الذين قال الله تعالى عنهم:

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا

---

(١) جامع البيان - إبن جرير الطبري - ج ٤ - ص ١٥١.

مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧٥) سورة آل عمران ١٧٢–١٧٥.

فهؤلاء من القوم لكنهم مؤمنون لم يبالوا بما حصل في أُحد، فخرجوا بعد المعركة على إصاباتهم وما أصابهم في المعركة نصرة لله والرسول صلى الله عليه وآله فتراهم عندما يبثّ الطابور الخامس شائعاته عن قوة جيش المشركين تكون قلوبهم أصلب من زبر الحديد ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ولّما صدقوا الموقف مع الله ورسوله ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ وهذا ما يكافيء الله به المؤمنين من المسلمين.

ولكن الكلام كل الكلام حول الذين ارتعدوا خوفا وارادوا مد يد العلاقة للمشركين بعدما قطع الله العلائق والولائج بالإسلام وآخى بين المؤمنين وعادى بين المسلمين والكفار فهؤلاء وصفهم الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ فالذين خافوا وهربوا وأعطوا أدبارهم اتبّعوا الشيطان الذي ألقى الرهبة في قلوبهم من المشركين ووالوا الشيطان في تلك اللحظات الرهيبة، التي كادت أن تودي بالرسالة الى المجهول لولا صمود النبي صلى الله عليه وآله وأخيه أمير المؤمنين عليه السلام ثم التحق بهم الناس، والبون شاسع في الإيمان والتصديق والتضحية بينهم وبين الصابرين الصادقين كعلي عليه السلام وخلّص الصحابة.

وبعد كل هذا يقول قائل إن الكلام على الصحابة يؤدي بالالتزام الى القول بفشل الرسالة!!

والآن لنرجع الى عواهن ابن تيمية!

قال ابن تيمية وهو يشير الى فضائل الصحابة في القرآن: «وقال تعالى:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْأِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (الفتح:٢٩).

الجواب عليها:

من هم الذين معه؟! أننا نقول بكل بساطة بأن بعض الصحابة ليسوا معه، لأن بعضهم مردوا على النفاق، وبعضه ارتدَّ كما روى البخاري وغيره. ولا يخلو قوله تعالى «والذين معه» إما أن يكونوا معه دائما بقلوبهم وأفعالهم، وإما بعض الوقت فإن قال قائل هم معه دائما بقلوبهم وأفعالهم خالف الضرورة التي اتفق عليها الجميع بعصيان كثير من الصحابة في حياة النبي وبعده[1] وإن قال بعض

(١) روى ابن حزم عن جحادة بن دثار «أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شربوا الخمر بالشام وأن يزيد بن أبي سفيان كتب فيهم إلى عمر فذكر الحديث، وفيه أنهم احتجوا على عمر بقول الله تعالى: (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا) فشاور فيهم الناس فقال لعلي ماذا ترى؟ فقال: أرى أنهم قد شرعوا في دين الله ما لم يأذن به فان زعموا أنها حلال فاقتلهم فإنهم قد أحلوا ما حرم الله تعالى وان زعموا أنها حرام فاجلدهم ثمانين ثمانين فقد افتروا على الله ←

الوقت دون بعضه فهذا يخالف ظاهر الآية ويجب على القائل أن يأتي بدليل قاطع للعذر ودونه خرط القتاد.

قال الشريف المرتضى[1] «أما قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ الآية فأول ما يقال فيها أن الألف واللام إذا لم تفد الاستغراق بظاهرها من غير دليل، لم يكن للمخالف متعلق بهذه الآية لأنها حينئذ محتملة للعموم وغيره على سواء وقد بينا أن الصحيح غير ذلك، وأن هذه الألفاظ مشترك الظاهر، ودللنا عليه في غير موضع، ولو سلمنا مذهبهم في العموم أيضا لم نسلم أما قصدوه لأن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ لا يعدو أحد أمرين أحدهما من كان في عصره وزمانه وصحبته، والآخر من كان على دينه وملته، والأول يقتضي عموم أوصاف الآية وما تضمنته من المدح لجميع من عاصره وصحبه عليه السلام، ومعلوم أن كثيرا من هؤلاء كان منافقا خبيث الباطن لا يستحق شيئا من المدح ولا يليق به هذه الأوصاف، فثبت أن المراد بالذين معه من كان على دينه ومتمسكا بملّته، وهذا يخرج الظاهر من يد المخالف وينقض غرضه في الاحتجاج به، لأنا لا نسلم له أن كل من كان بهذه الصفة فهو ممدوح مستحق لجميع صفات الآية، وعليه أن يبين أن من خالفناه فيه له هذه الصفة حتى يحصل له التزاحم، وليس لهم أن يقولوا: نحن نحمل اللفظ على الصحبة والمعاصرة، ونقول إن الظاهر والعموم يقتضيان حصول جميع الصفات لكل معاصر مصاحب إلا من أخرجه الدليل،

الكذب وقد أخبر الله تعالى بحد ما يفتري به بعضنا على بعض» المحلى – ابن حزم – ج ١١ – ص ٢٨٧ / الإحكام – ابن حزم ج٧ ص١٠١٢/ الشرح الكبير – ابن قدامة – ج١٠ – ص٧٦.

(١) الشافي في الإمامة – الشريف المرتضى – ج ٤ – ص ٥٣ — ٥٥.

فالذي ذكرتم ممن يظهر نفاقه وشكه نخرجه بدليل، وذلك أنها إذا حملت على الصحبة والمعاصرة وأخرج بالدليل بعض من كان بهذه الصفة كانت الآية مجازا لأنا إنما نتكلم الآن على أن العموم هو الحقيقة والظاهر، ومتى حملناها على أن المراد بها من كان على دينه عمت كل من كان بهذه الصفة فكانت الآية حقيقة على هذا الوجه، وصار ذلك أولى مما ذكروه، وليس لهم أن يقولوا: إن الظاهر من لفظة ﴿مَعَهُ﴾ يقتضي الزمان والمكان دون المذهب والاعتقاد لأنا لا نسلم ذلك، بل هذه اللفظة مستعملة في الجميع على سواء، ولهذا يحسن استفهام من قال: فلان مع فلان عن مراده، وقد يجوز أن يكون في أصل اللغة للمكان أو الزمان، ويكون العرف وكثرة الاستعمال قد أثر في احتمالها لما ذكرناه، على إنا لو سلمنا ذلك أيضا لكان التأويلان جميعا قد تعادلا في حصول وجه من المجاز في كل واحد منهما، وليس المخالف بأن يعدل إلى تأويله هربا من المجاز الذي في تأويلنا بأولى ممن عكس ذلك وعدل عن تأويله للمجاز الذي فيه، وإذا تجاذب التأويلان وتعادلا بطل التعلق بالظاهر، ولم يكن في الآية دليل للمخالف على الغرض الذي قصده».

وبالتالي أنَّا لهم إثبات عدالة كل الصحابة من هذا الآية؟!

ولو كان في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ إشارة لكل الذين كانوا معه وقتئذ لكان في قصة حاطب بن أبي بلتعة خير دليل على نقض ذلك، وهي القصة التي اجتمعت الأمة على تصحيحها قال البخاري بسنده عن علي عليه السلام[1] «بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى

(١) صحيح البخاري - البخاري - ج ٤ - ص ١٩.

انتهينا إلى الروضة فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب فقالت ما معي من كتاب فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب: ما هذا؟ قال يا رسول الله: لا تعجل على أني كنت امرءً ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكّة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد صدقكم فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق قال إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

فكيف يكونوا ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ وقد راسلوهم ليكون لهم عندهم يدا؟! فدل على أن المقصود إما من هم معه في عصره باطنا وظاهرا وتشملهم الصفات الواردة في الآية أو أن يكونوا معه على دينه باطنا وظاهرا في كل زمان ومكان. قال ابن تيمية: «وقال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (لأنفال:٧٢) إلى قوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا

وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال:٧٥).

الجواب عليها:

الكلام في انطباق هذه الآيات على جميع المهاجرين وجميع الأنصار في المقام الأول. وأنّى إثبات ذلك والآية في مقام أفعال الجوانح لا الجوارح! والجوانح لا يمكن التكهن بها من كثير من هؤلاء فقوله سبحانه «في سبيل الله» نفي لكل نية أخرى ونحن نعرف أن العديد منهم كانوا اسلموا لطمع أو حمية أو الأمل في الخلاص من واقع بائس يعيشونه، ثم إن العبرة عدم التبديل والتغيير ودون إثبات ذلك خرط القتاد.

ويكفي أن نطلع على ما رووه هم في قصة الصحابي قزمان وقصة الصحابي شهيد الحمار[1] لتعرف إن القضية تحسم بالنيات لا بالرشى وتزوير الروايات!.

قال ابن تيمية: وقال تعالى:

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (الحديد:١٠).

الجواب عليها:

ظاهر الآية تميز من اجتمعت فيه خصلتان قبل الفتح وهما الإنفاق والقتال، وهي بالتأكيد لا تشمل كل المسلمين فمنهم من كان مقاتلا لا منفقا ومنهم من

---

(١) راجع نيل الأوطار – الشوكاني – ج٨ – ص٤٤.

كان منفقا لا مقاتلا، ومنهم من لم يكن لا منفقا ولا مقاتلا، ولو ثبت اجتماعهما في بعضهم فهم اقل القليل، فمن أين التعميم على كل الصحابة بهذا الإدخال في عموم الآية. والمعلوم عدم شمولها لأبي بكر مثلا فلم يذكر المؤرخون أنه قاتل يوما ما، ولا لعمر وإن ذكر المؤرخون أنه قتل كافرا واحدا!! وأما الإنفاق فبالتأكيد لا يشمل هم كلهم قال أبو الصلاح الحلبي[1] «أما المال، فالمعلوم من حال أبي قحافة كونه صياد القماري بمكة، فلما أضر صار مناديا لمائدة عبد الله بن جدعان، وأبو بكر في الجاهلية خياطا، وفي الإسلام يبيع الخلفان، وعمر في الجاهلية جزّارا، وفي الإسلام كلّا على غيره من المسلمين، وقد عد الناس الأغنياء من قريش فلم يعدهما أحد، وعدوا عفان وابنه عثمان. وأما الزمان، فلا يخلو أن يكون قبل الهجرة أو بعدها، وفي أي الحالين كان اقتضى حصول العلم بوجه الذي وقع فيه الإنفاق من حالتي مكة والمدينة. وكذلك القول في الجهة مما يجب العلم بعينها، أفي مصالح حال النبي صلى الله عليه وآله والمتبعين له، أو مداراة الكفار، أو تجييش الجيوش؟ وكل ذلك لا سبيل إلى إثبات شيء منه بيقين، وإنما هو مختص بالإرجاف، لا يجد مدعيه سبيلا إلى إثبات شيء غير ابتياع بلال وعتقه، وهو من أوضح برهان على عدم الإنفاق، لاختصاص الدعوى به، مع بعده من صفة الإنفاق. وأما الجهاد، فقد بينا خلو القوم منه، وثبوت ضده من الانهزام في موطن بعد موطن. وإذا خلوا من دعوى القتال الثابت في الآية بغير شبهة، فلو ثبت الإنفاق لم ينفع، لأن الوعد في الآية يتوجه إلى من جمع بينهما، دون من انفرد بأحدهما، وبهذا يخرج عثمان من مقتضى الظاهر، لخروجه عن جملة المجاهدين وإن كان له إنفاق، وانتفاء الصفتين عنهم أو أحدهما كاف في خروجهم عن مقتضى

---

(١) تقريب المعارف - أبو الصلاح الحلبي - ص ٣٨٥ — ٣٨٦.

الآية. ولم نسلم كونهم ذوي إنفاق وقتال - مع تعذر ذلك - لم يقتض توجه الخطاب إليهم، لأنه لا حكم ولا إنفاق ولا قتال من دون الإيمان الذين هم براء منه. ولافتقار صحتهما لو ثبت إيمان فاعلهما إلى إلقائهما للوجوه الشرعية على جهة الإخلاص، فليثبتوا ذلك. ومما يوضح نفي القتال والإنفاق عنهم، أو وقوعهما - لو كانا ثابتين - لغير وجههما، أنهما لو كانا كذلك لوجب النص عليهما به وارتفاع اللبس فيه، كجهاد علي وحمزة وجعفر عليهم السلام وأمثالهم المعلوم ضرورة ثبوت النص بوقوعه موقع المستحق، وتعظيم الرسول صلى الله عليه وآله لأجله، وشهادته لهم به، ونزول القرآن بإيثار علي عليه السلام على نفسه وأهله المسكين واليتيم والأسير، وتصدقه في حال الركوع وليلا ونهارا وسرا وعلانية، وتقديمه على المناجاة دون سائر الأمة، وحصول الإجماع بذلك والنص على وقوعه موقع القربة والقطع بثوابه».

قال ابن تيمية: وقال تعالى:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْأِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠) سورة الحشر ٨-٩.

وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار وعلى الذين جاءوا من

بعدهم يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلّا لهم، وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء، ولا ريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة، فإنهم لم يستغفروا للسابقين الأولين وفي قلوبهم غل عليهم ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم وإخراج الرافضة من ذلك وهذا نقيض مذهب الرافضة»(١).

الجواب عليها:

إن الصفات المذكورة في الآية يجب اجتماعها حتى يدخل الشخص ضمن الممدوحين بهذه الآية وهذه الصفات:

أن يكون من فقراء المهاجرين

أن يكونوا مخرجين من ديارهم وأموالهم

أن يكون إخراجهم وخروجهم لنيّتهم ابتغاء فضل الله ورضوان الله

أن يكون خروجهم بنية نصر الله ورسوله

هذه الصفات في المهاجرين الممدوحين

وأيضا:

أن يتبؤوا الدار والإيمان من قبلهم في المدينة

يحبون قلبيا من هاجر إليهم

ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا

ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة

هذا في الأنصار

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج١ - ص٢١٨

وأنت ترى أن جُل هذه الصفات صفات نفسية جوانحيّة لا سبيل الى إثباتها غالبا، فالله هو المطّلع على الضمائر، فكيف ندخل عشرات الألوف ممن ثبتت لهم الصحبة الزمنيّة في كل هذه الآيات؟!

قال الشريف المرتضى في هذه الآية[1] «أما قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ فأول ما فيه أن أبا بكر يجب أن يخرج عن هذه الآية على أصول مخالفينا لأنهم على أصولهم كان غنيا مؤسرا كثير المال، واسع الحال، وليس لهم أن يتأولوا الفقراء هاهنا على أن المراد به الفقر إلى الله دون ما يرجع إلى الأموال، لأن الظاهر من لفظ الغني والفقير ينبيء عن معنى الأموال دون غيرها. وإنما يحملان على ذلك بدليل يقتضي العدول عن الظاهر، وما قلناه في الآية الأولى من أن الألف واللام لا يقتضيان الاستغراق على كل حال يطعن أيضا على معتقدهم في هذه الآية، وبعد فإن سياق الآية يخرج ظاهرها عن أيديهم ويوجب الرجوع عليهم إلى غيرها لأن الله تعالى قال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ فوصف بالصدق من تكاملت له الشرائط، ومنها ما هو مشاهد كالهجرة والإخراج من الديار والأموال، ومنها ما هو باطن لا يعلمه إلا الله تعالى، وهو ابتغاء الفضل والرضوان من الله ونصرة الرسول، والله تعالى لأن المعتبر في ذلك ليس بما يظهر بل بالبواطن والنيات فيجب على الخصوم أن يثبتوا اجتماع هذه الصفات في كل واحد من الذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأموالهم، ولا بد في ذلك من الرجوع إلى غير الآية».

---

(١) الشافي في الإمامة - الشريف المرتضى - ج ٤ - ص ١٨ — ١٩.

وهو ردٌ قوي للاستدلال بالآية.

قال ابن تيمية وقال تعالى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ (الفتح:١٨).

وقد أخبر سبحانه أنه رضي عنهم وأنه علم ما في قلوبهم وأنه أثابهم فتحا قريبا وهؤلاء هم أعيان من بايع أبا بكر وعمر وعثمان بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن في المسلمين من يتقدم عليهم بل كان المسلمون كلهم يعرفون فضلهم عليهم لأن الله تعالى بيّن فضلهم في القرآن»[1].

الجواب:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لو كان الذين تنازعنا فيهم من المؤمنين لما تنازعنا! بل لكونهم خلطوا أفعالهم الحسنة بالسيئة صاروا موضع اخذ وردّ بيننا وبين غيرنا، ثم إن قوله تعالى «المؤمنين» يثبت الإيمان الكامل للمبايعين من المؤمنين لا للمبايعين كلهم! ولو تدبرنا في القرآن لوجدنا إن الذين ثبت لهم الإيمان بمراحله ثلاثة أصناف:

(الذين آمنوا) و(المؤمنون) و(المؤمنون حقا).

والذي يظهر للمتدبّر أن هناك اختلافاً واضحاً في استعمال هذه المركّبات والمصطلحات في القرآن، فمثلاً لو أتينا على (المؤمنون) و(المؤمنات) فسنرى:

قوله تعالى:

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج١ - ص٢٢١.

الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (آل عمران:١٢٢).

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النور:٦٢).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً ﴾ (الأحزاب:٢٢).

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (الحجرات:١٥).

وقوله تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) .... وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (المؤمنون١-٩).

إذ ارتبط (المؤمنون) بالتوكل في عدة مواضع من القرآن، يقول الله عن المتوكلين عليه.

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (الطلاق:٣).

فما ظنك بمن يجتبيه الله ويكون هو المدافع عنه؟!

ونحن نرى من صفات المؤمنين في الآيات سابقة الذكر:

إنهم متوكلون على الله

إنهم يرجعون في كل شانهم للنبي ويستأذنونه بذلك

إنهم يزدادون إيماناً وتصديقاً في المواقف الصعبة

من علامات تصديقهم أنهم يبذلون أموالهم وأنفسهم ولا يرتابون من بعد ذلك

خاشعون في صلاتهم

مُعرِضون عن اللغو

للزكاة فاعلون

حافظون لفروجهم

يراعون العهد والأمانة

يحافظون على الصلاة

وجزاء هؤلاء أنهم:

﴿ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (المؤمنون:١١).

فهم يُخلَّدون في جنة الفردوس

أما الذين آمنوا:

فهم ممدوحون بشروط وقيود معينة، مع كثرة ورود النصيحة والتوجيه دون المدح المطلق في القرآن وهذا ما يميزهم عن (المؤمنين) كما في قوله تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة:٢٥).

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة:٦٢).

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة:١٠٤).

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة:١٥٣).

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البقرة:١٧٢).

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ

ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة:١٧٨).

وقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣).

وقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة:٢٠٨).

وقوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة:٢١٤).

وقوله تعالى:

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:٢٤٩).

وقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة:٢٥٤).

وقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (البقرة:٢٦٧).

وقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ (البقرة:٢٨٢).

وقوله تعالى:

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (البلد:١٧).

وقوله تعالى:

﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر:٣).

وأنت تلاحظ في هذه الآيات:

إن الذين آمنوا اشترط عليهم العمل بالصالحات مرة

والتواصي بالصبر والمرحمة مرة أخرى

والتواصي بالحق والصبر مرة ثالثة

الاستعانة بالصبر والصلاة مرة رابعة

والإيمان بالله واليوم الآخر مرة خامسة

اشترط لمدحهم أن يكونوا مع الأنبياء وليس لوحدهم مما يجعلك تعلم بأنهم قد لا يستقيمون بعدهم.

أكثر التوجيهات الأخلاقية والأحكام الشرعية والاستعتاب فهو موجه إليهم دون سواهم.

من هنا فالذين آمنوا قد يكونون أناس لم يبلغوا درجة المؤمنين لذا احتاجوا لكل هذه النصائح والتعليمات.

أما المؤمنون حقّاً فقد ورد ذكرهم في القرآن لمرتين:

في قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال ٢-٤).

وقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (لأنفال:٧٤).

من هنا فصفات هؤلاء - المؤمنون حقّاً - هي:

توجل قلوبهم عند ذكر الله

يزدادون إيماناً عند تلاوة آياته عليهم

متوكِّلون بشكل مطلق عليه

دخل الإيمان في قلوبهم في سبيل الله

هاجروا في سبيل الله

جاهدوا في سبيل الله

آووا في سبيل الله، نصروا النبي والمهاجرين في سبيل الله

وهذه صفات يجمعها قولنا أنهم مخلصون ومؤمنون وهو أرقى درجات الإيمان.

على أن هناك تفريقا بين (الذين آمنوا) من جهة و(الذين آمنوا معه) من جهة أخرى، إذ أن المجموعة الثانية مع النبي صلى الله عليه وآله، وبالتالي تكون قريبة من مجموعة (المؤمنون) كما قال تعالى:

وقوله تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة:٢١٤).

وقوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة:٢٤٩).

وقوله تعالى:

﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ

لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (التوبة:٨٨).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ (هود:٥٨).

وقوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ (هود:٦٦).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (هود:٩٤).

وقوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾ (غافر:٢٥).

وهذا تجده جلياً في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التحريم:٨).

ففرق سبحانه بين ابتداء الكلام فقال (الذين آمنوا) وبين المجموعة التي

وردت بعد ذلك فقال (الذين آمنوا معه)، والمجموعة الأخيرة قد تكون مستثناة من (الذين آمنوا) وقريبة من منزلة (المؤمنين).

لذا فال تفريق واجب بين (المؤمنين) وغيرهم. فالمؤمنون على أفضل الأحوال قد تشمل بعض الصحابة، فهي بالإساس قد تكون للمعصوم والقريب من العصمة. فالخطاب في الآية التي استدل بها ابن تيميّة ينبيء عن الرضوان الآلهي عن مجموعة معيّنة هي (المؤمنون) لا غير.

وللشريف الرضي كلام جميل في المقام إذ قال في «الشافي»[1] «أما قوله تعالى: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) فأول ما فيه أنا لا نذهب أن الألف واللام للاستغراق لكل من يصلحان له، بل الظاهر عندنا مشترك متردد بين العموم والخصوص، وإنما يحمل على أحدهما بدلالة غير الظاهر. وقد دللنا على ذلك في مواضع كثيرة، وخاصة في كلامنا المنفرد للوعيد من جملة جواب مسائل أهل الموصل وإذا لم يكن الظاهر يستغرق جميع المبايعين تحت الشجرة فلا حجة لهم في الآية. على أنا لو سلمنا ما يقترحونه من استغراق الألف واللام لم يكن في الآية أيضا دلالة على ما ادعوه لأن الله تعالى علق الرضا في الآية بالمؤمنين ثم قال: (إذ يبايعونك تحت الشجرة) فجعل البيعة حالا للمؤمنين أو تعليلا لوجه الرضا عنهم وأي الأمرين كان فلا بد فيمن وقع الرضا عنه عن أمرين: أحدهما: أن يكون مؤمنا والآخر أن يكون مبايعا، ونحن نقطع على أن الرضا متعلق بمن جمع الأمرين فمن أين أن كل من بايع تحت الشجرة كان جامعا لهما فإن الظاهر لا يفيد ذلك على أنه تعالى قد وصف من رضي عنه ممن بايع تحت الشجرة بأوصاف قد علمنا أنها لم تحصل لجميع المبايعين، فيجب أن يختص

(١) الشافي في الإمامة - الشريف المرتضى - ج ٤ - ص ١٧ - ١٨.

الرضا بمن اختص بتلك الأوصاف لأنه تعالى قال: (فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) ولا خلاف بين أهل النقل في أن الفتح الذي كان بعد بيعة الرضوان بلا فصل هو فتح خيبر، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر وعمر فرجع كل واحد منهما منهزما ناكصا على عقبيه فغضب النبي صلى الله عليه وآله وقال. (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله تعالى ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله عليه) فدعا أمير المؤمنين عليه السلام وكان أرمد فتفل في عينه فزال ما كان يتشكّاه وأعطاه الراية فمضى متوجها وكان الفتح على يديه، فيجب أن يكون هو المخصوص بحكم الآية ومن كان معه في ذلك الفتح من أهل البيعة تحت الشجرة لتكامل الشرائط فيهم. ويجب أن يخرج عنها من لم يجتمع له الشرائط، وليس لأحد أن يقول: إن الفتح كان لجميع المسلمين، وإن تولاه بعضهم. وجرى على يديه فيجب أن يكون جميع أهل بيعة الرضوان ممن رزق الفتح وأثيب به، وهذا يقتضي شمول الرضا للجميع وذلك لأن هذا عدول عن الظاهر لأن من تولي الشيء نفسه هو الذي يضاف إليه على سبيل الحقيقة، ويقال إنه أثيب به، ورزق إياه، وإن جاز أن يوصف بذلك غيره ممن يلحقه حكمه على سبيل التجوز لجاز أن يوصف من كان بخراسان من المسلمين بأنه هازم جنود الروم. ووالج حصونهم وإن وصفنا بذلك من يتولاه، ويجري على يديه».

قال ابن تيمية: «وقال للمؤمنين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة:٥١).

إلى قوله:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (المائدة:٥٥-٥٦).

وقال:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٧١).

فأثبت الموالاة بينهم وأمر بموالاتهم والرافضة تتبرأ منهم ولا تتولاهم وأصل الموالاة المحبة وأصل المعاداة البغض، وهم يبغضونهم ولا يحبونهم وقد وضع بعض الكذابين حديثا مفترى أن هذه الآية نزلت في علي لما تصدق بخاتمه في الصلاة وهذا كذب بإجماع أهل العلم بالنقل وكذبه بين من وجوه كثيرة منها:

ابن تيميّة وآية التصدّق بالخاتم

قال ابن تيمية «أن قوله «الذين» صيغة جمع وعليٌّ واحد.

والجواب على هذا الإشكال:

إن هذا الأسلوب (أسلوب مخاطبة المفرد بصيغة الجمع) شائع في مخاطبة العرب وكما قال الأميني[1] «وما أكثر له من نظير في لسان الذكر الحكيم وإليك نماذج منه:

قال تعالى:

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (آل عمران: من الآية ١٨١).

ذكر الحسن: أن قائل هذه المقالة هو حيي بن أخطب. وقال عكرمة والسدّي ومقاتل ومحمد بن إسحاق: هو فنحاص بن عازوراء. وقال الخازن: هذه المقالة وإن كانت قد صدرت من واحد من اليهود لكنهم يرضون بمقالته هذه فنسبت إلى جميعهم. راجع تفسير القرطبي، تاريخ ابن كثير، تفسير الخازن.

---

(١) الغدير - الشيخ الأميني - ج ٣ - ص ١٦٣ - ١٦٧

وقال تعالى:

﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ﴾ (التوبة: من الآية٦١).

نزلت في رجل من المنافقين إما في الجلاس بن سويلا، أو: في نبتل بن الحرث أو: عتاب بن قشير، راجع تفسير القرطبي، تفسير، الخازن، الإصابة.

قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً ﴾ (النور: من الآية٣٣).

نزلت في صبيح مولى حويطب بن عبد العزى، قال: كنت مملوكا لحويطب فسألته الكتابة، ففي أنزلت والذين يبتغون الكتاب. أخرجه ابن مندة وأبو نعيم والقرطبي كما في تفسيره، أسد الغابة، الإصابة.

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾ (النساء:١٠).

قال مقاتل بن حيان: نزلت في مرثد بن زيد الغطفاني. (تفسير القرطبي، الإصابة)

وقال تعالى:

﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة:٨).

نزلت في أسماء بنت أبي بكر، وذلك: أن أمها قتيلة بنت عبد العزى قدمت

عليها المدينة بهدايا وهي مشركة، فقالت أسماء: لا أقبل منك هدية، ولا تدخلي علي بيتا حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها منزلها وأن تقبل هديتها وتكرمها وتحسن إليها. أخرجه البخاري، ومسلم، وأحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، كما في تفسير القرطبي، تفسير ابن كثير، تفسير الخازن.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة:٤١).

ذكر المكي في تفسيره: أنها نزلت في عبد الله بن صوريا. تفسير القرطبي ٦: ١٧٧، الإصابة ٢: ٣٢٦.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ (البقرة: من الآية١١٨).

نزلت في رافع بن حريملة، وأخرج محمد بن إسحاق عن ابن عباس قال. قال رافع لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد إن كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله فيكلمنا حتى نسمع كلامه. فأنزل الله في ذلك الآية، تفسير ابن كثير..

قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل:٤١).

أخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق عبد الرزاق عن داود بن أبي هند: أن الآية نزلت في أبي جندل بن سهيل العامري. وذكره القرطبي في تفسيره من جملة الأقوال الواردة فيها.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴾ (فاطر:٢٩).

نزلت في حصين بن المطلب بن عبد مناف كما في الإصابة.

قال تعالى في سورة العصر:

﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) ﴾ .... السورة.

عن أبيّ بن كعب قال: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة والعصر فقلت: يا رسول الله بأبي وأمي أفديك ما تفسيرها؟ قال: والعصر قسم من الله بآخر النهار، إن الانسان لفي خسر: أبو جهل بن هشام. إلا الذين آمنوا: أبو بكر الصديق. وعملوا الصالحات: عمر ابن الخطاب. وتواصوا بالحق: عثمان بن عفان. وتواصوا بالصبر علي بن أبي طالب. الرياض النضرة. قال الأميني: نحن لا نصافق القوم على هذه التأويلات المحرفة المزيفة، غير أنا نسردها لإقامة الحجة عليهم بما ذهبوا إليه.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران:٧٧).

نزلت في عيدان بن أسوع الحضرمي، قاله مقاتل في تفسيره. الإصابة.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء:٥٩).

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، وأحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه كما في تاريخ ابن عساكر، وتفسير القرطبي وغيرهم: أنها نزلت في عبد الله بن حذافة السهمي.

قال تعالى:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران:١٧٣).

المراد من الناس الأول هو نعيم بن مسعود الأشجعي، قال النسفي في تفسيره: هو جمع أريد به الواحد، أو: كان له أتباع يثبطون مثل تثبيطه. وقال الخازن: فيكون اللفظ عاما أريد به الخاص. وأخرج ابن مردويه بإسناده عن أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم وجّه علياً في نفر معه في طلب أبي سفيان فلقيهم أعرابي من خزاعة فقال: إن القوم قد جمعوا لكم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فنزلت فيهم هذه الآية. تفسير القرطبي، تفسير ابن كثير، تفسير الخازن.

قال تعالى:

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النساء:١٧٦).

نزلت في جابر بن عبد الله الأنصاري. وهو المستفتي، وكان يقول: أنزلت هذه الآية في تفسير القرطبي، تفسير الخازن، تفسير النسفي هامش الخازن.

قال تعالى:

﴿ يَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢١٥).

نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال: يا رسول الله بماذا نتصدق؟! وعلى من ننفق؟! فنزلت الآية. تفسير القرطبي، تفسير الخازن.

قال تعالى:

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (الأنعام:٢٦).

ذهب القوم إلى أنها نزلت في أبي طالب.

قال تعالى:

﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ

الأيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة:٢٢).

نزلت في أبي عبيدة الجراح حين قتل أباه يوم بدر. أو: في عبد الله بن أبي. تفسير القرطبي، نوادر الأصول للحكيم الترمذي.

قال تعالى:

﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة:١٠٢).

نزلت في أبي لبابة الأنصاري خاصة. تفسير القرطبي، الروض الأنف.

قال تعالى:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة:٦٢).

إن رجلا من المنافقين قال: والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا، وإن كان ما يقول محمد حقا لهم شر من الحمير. فسمعها رجل من المسلمين فقال: والله إن ما يقول محمد لحق ولأنت أشر من الحمار، فسعى بها الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأرسل إلى الرجل فدعا، فقال: ما حملك على الذي قلت؟ فجعل يلتعن ويحلف بالله بأنه ما قال ذلك، وجعل الرجل المسلم يقول: اللهم صدق الصادق، وكذب الكاذب. فأنزل الله الآية تفسير القرطبي، تفسير ابن كثير».

وروى البخاري في (باب سكر الأنهار) بسنده عن عبد الله بن الزبير «انه حدثه ان رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم في شراج

الحرة التي يسقون بها النخل فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبى عليه فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير: اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب الأنصاري فقال: إن كان ابن عمّتك، فتلوّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، فقال الزبير والله إنّي لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك:

﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (النساء:٦٥)[١].

فكان خطاب الله بالجمع والمقصود به الزبير.

وورى البخاري في الصحيح عن ابن عباس في تفسير الآية:

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (النساء: من الآية٥٩).

قال نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي» [٢] فكان الخطاب بالجمع وصاحب القضية مفرد.

وروى الحاكم على شرط الشيخين عن ابن عباس في تفسير الآية:

﴿ وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ﴾ (النساء: من الآية١٠٢).

قال نزلت في عبد الرحمن ابن عوف كان جريحا» [٣].

وروى الحاكم على شرط الشيخين عن ابن عباس:

---

(١) صحيح البخاري – البخاري – ج ٣ – ص ٧٦.

(٢) صحيح البخاري – البخاري – ج ٥ – ص ١٨٠.

(٣) المستدرك – الحاكم النيسابوري – ج ٢ – ص ٣٠٨.

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور:٤).

قال نزلت في عائشة خاصة»[1]

وقال البيهقي (قال الشافعي) رحمه الله وقول الله:

﴿ وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى ﴾ (النور: من الآية٢٢).

نزلت في رجل حلف ألا ينفع رجلا فأمره الله ان ينفعه»[2]

وروى البخاري في صحيحه في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً... ﴾ (آل عمران: من الآية٧٧).

«قال سليمان في حديثه فمر الأشعث ابن قيس فقال ما يحدثكم عبد الله قالوا له فقال الأشعث نزلت فيَّ وفي صاحب لي في بئر كانت بيننا»[3].

فإن قالوا: إنما نزلت هذه الآيات بالخصوص وعمّت بالأحكام لذا فهي تختلف عن المورد الذي أشكلناه عليكم، قلنا: فما تفعلون بما رواه كبار رواتكم:

كأحمد الدورقي الذي روى عن مصعب بن سعد عن أبيه قال «نزلت فيّ. وربما قال مصعب بن سعد: نزلت في أبي أربع آيات، أصبت سيفا يوم بدر فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، نفّلنيه، فقال: ضعه من حيث

(١) المستدرك – الحاكم النيسابوري – ج ٤ – ص ١٠ – ١١.

(٢) السنن الكبرى – البيهقي – ج ١٠ – ص ٣٦.

(٣) صحيح البخاري – البخاري – ج ٧ – ص ٢٢٤.

أخذته، ثم عدت الثانية، فقلت: يا رسول الله، نفّلنيه، أُترك كمن لا غناء له؟ فنزلت: (يسألونك الأنفال) وهي قراءة عبد الله»[(١)].

وهي واضحة في نسبتها السؤال لشخص وهي رواية للحادثة لكنها بصيغة الجمع والنسبة لمفرد.

والبخاري الذي روى في صحيحه عن أنس بن مالك قال «نرى هذه الآية نزلت في أنس ابن النضر:

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ (الأحزاب:٢٣»)[(٢)].

وقال الثعلبي في تفسيره (فنادته الملائكة): يعني جبريل وحده نظيره قوله في هذه السورة (وإذ قالت الملائكة يا مريم): يعني جبريل وحده، وقوله في النحل: "(ينزل الملائكة): يعني جبريل ما يروح بالوحي؛ لأن الرسول إلى جميع الأنبياء جبريل (عليه السلام)، يأت عليه قوله ابن مسعود، فناداه جبريل (وهو قائم يصلي في المحراب) وهذا جائز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع كقولهم: ركب فلان في السفن، وإنما ركب سفينة واحدة، وخرج على بغال البريد، وإنما على بغل واحد، وسمعت هذا الخبر من الناس، وإنما سمع من واحد نظير قوله تعالى: (الذين قال لهم الناس): يعني نعيم بن مسعود. (إن الناس قد جمعوا لكم): يعني أبا سفيان ونحوها كثيرة».[(٣)]

---

(١) مسند سعد بن أبي وقاص – أحمد بن إبراهيم الدورقي – ص ٩٠.

(٢) صحيح البخاري – البخاري – ج ٦ – ص ٢٢.

(٣) تفسير الثعلبي – الثعلبي – ج ٣ – ص ٦٠.

والرجل إمام في العربية[١] وقوله فصل في المقام.

وقد قال ابن تيمية في كتابه «مقدمة في أصول التفسير»[٢] «ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك. وأيضًا، فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابًا في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكلام اللّه الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم؟ ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جدًا، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة، فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم، وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر. ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، كما قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها؛ ولهذا قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به؛ ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم، وكذلك الإمام أحمد وغيره ممن صنف في التفسير يكرر الطرق عن مجاهد أكثر من غيره. والمقصود أن التابعين تلقوا التفسير عن الصحابة، كما تلقوا عنهم».

لذا لم يعترض احد التابعين على نزول الآية في علي بما اعترض به ابن تيمية أفهل يكون أعلم من التابعين الذين تلقوا الخبر فإما عمّموا وإما خصّوا عليا به

---

(١) قال عنه عمر كحالة «أحمد الثعلبي (٠٠٠ ـ ٤٢٧ هـ) (٠٠٠ ـ ١٠٣٥ م) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، النيسابوري (أبو إسحاق) مفسر، مقرئ، واعظ، أديب. توفي لسبع بقين من المحرم من تصانيفه: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، العرائس في قصص الأنبياء، وربيع المذكرين». معجم المؤلفين – عمر كحالة – ج ٢ – ص ٦٠.

(٢) مقدمة في أصول التفسير – ابن تيمية– ص١٠.

بدون أن يعترضوا بان الخطاب إذا كان للفرد فكيف جاء بلفظ الجماعة؟!

قال ابن تيمية: «ومنها أن الواو ليست واو الحال إذ لو كان كذلك لكان لا يسوغ أن يتولى إلا من أعطى الزكاة في حال الركوع فلا يتولى سائر الصحابة والقرابة».

والجواب: وهذا ما نقول به لأن الولاية هنا الخلافة وليست النصرة، لذا جاءت خاصّة بمن تزكى وتصدّق حال الركوع.

قال ابن تيمية «ومنها أن المدح إنما يكون بعمل واجب أو مستحب، وإيتاء الزكاة في نفس الصلاة ليس واجبا ولا مستحبا باتفاق علماء الملّة فإن في الصلاة شغلا».

الجواب:

إيتاء الزكاة عمل مستحب بنفسه وعليه يمدح الفاعل، سواء كان داخل الصلاة أم خارجها، ما لم يستلزم عملا مخلّا بالصلاة، وهو خارج كلامنا، فالتصدّق عمل يسير لا يستلزم الإخلال بالصلاة والخروج عن مقاصدها، نعم هناك أفعال مباحة داخل الصلاة فإن استعمل المباح للاستحباب استحب هذا فمثلا الحركة البسيطة للمصلّي مباحة فهذه الحركة تضمّنت نزع الخاتم ومدّ اليد لطالب الصدقة وهنا الاستحباب.

قال ابن تيمية «ومنها: أنه لو كان إيتاؤها في الصلاة حسنا لم يكن فرق بين حال الركوع وغير حال الركوع بل إيتاؤها في القيام والقعود أمكن».

قلت:

وهذا ما نقول به لان الآية حالية وليست تشريعية فهي تصف حال الإمام

حين تصدق لا أكثر وهو ما نقول به، فإن الحال كان حال ركوع الإمام وقد جاء السائل يطلب صدقة فنزلت الآية تصف الحال لا غير.

قال ابن تيمية «ومنها أن عليا لم يكن عليه زكاة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم».

قلت:

الغريب أن بعض كبار مفسري أهل السنة فهم منها حكماً فقهيّاً بعكس ما فهمه ابن تيمية! قال الجصّاص في ذيل آية التصدّق بالخاتم [(١)] «دل على أن صدقة التطوع تسمى زكاة، لأن عليا تصدق بخاتمه تطوعا، وهو نظير قوله تعالى:

﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ (الروم:من الآية٣٩).

قد انتظم صدقة الفرض والنفل، فصار اسم الزكاة يتناول الفرض والنفل كاسم الصدقة وكاسم الصلاة ينتظم الأمرين». ونقل القول أيضا عن الكيا الطبري[(٢)].

قال ابن تيمية: ومنها «أنه لم يكن له أيضا خاتم ولا كانوا يلبسون الخواتم حتى كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابا إلى كسرى فقيل له: إنهم لا يقبلون كتابا إلا مختوما فاتخذ خاتما من ورق ونقش فيها محمد رسول الله».

قلت:

بل كان له خاتم يتختم به، وهذا وارد بروايات عديدة، وأهل البيت أعلم بما

(١) أحكام القرآن ـ الجصّاص ـ ج ٢ ـ ص ٥٥٨.

(٢) جامع أحكام القرآن ـ القرطبي ـ ج٦ ـ ص٢٢١.

فيه، ثم إن ما جاء في قصّة اتخاذ الخاتم مضطرب فبعضها أن النبي صلى الله عليه وآله اتخذ الخاتم قبيل مراسلته للروم، وبعضها قبيل مراسلته لملك فارس وبعضها عمم «للأعاجم» وعلى كل حال فالمروي أن اتخاذ الخاتم لم يتعدَ السنة السابعة للهجرة فقد تكون الآية نزلت بعد ذلك.

قال ابن تيمية «ومنها أن إيتاء غير الخاتم في الزكاة خير من إيتاء الخاتم فإن أكثر الفقهاء يقولون لا يجزئ إخراج الخاتم في الزكاة».

الجواب: وهذا الكلام يعتمد على ما ادعاه من الزكاة الاصطلاحية وإنما قلنا أن الزكاة لغوية هنا والمقصود صدقة التطوع.

قال ابن تيمية «ومنها أن هذا الحديث فيه أنه أعطاه السائل والمدح في الزكاة أن يخرجها ابتداء ويخرجها على الفور لا ينتظر أن يسأله سائل».

الجواب: كما في الذي قبله فالزكاة هنا ليست اصطلاحيّة.

قال ابن تيمية «ومنها أن الكلام في سياق النهى عن موالاة الكفار والأمر بموالاة المؤمنين كما يدل عليه سياق الكلام»[1].

الجواب:

الآيات التي تتكلم عن النهي عن موالاة الكفار معزولة عن سياق هذه الآية فآيات النهي عن موالاة الكفار في سياق نهي عام وهنا في إثبات خاص.

ثم إن ابن تيمية أراد الإيهام بأن آيات النهي عن الكفار تسبق هذه الآية مباشرة أو هكذا يُفهم بينما الأمر ليس كذلك قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج١ - ص٢٢٣-٢٢٥.

وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧) ﴾ المائدة ٥١–٥٧.

فبدأ سبحانه بالكلام عن الكفّار، ثم عن مرضى القلوب، ثم خصّ فذكر ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والسؤال هنا من هم مرضى القلوب؟!

والسؤال مهم فما علاقة مرضى القلوب بالإشارة لولاية علي عليه السلام؟

قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (لأنفال:٤٩).

وقال تعالى:

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾ (الأحزاب:١٢).

وقال تعالى:

﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (الأحزاب:٦٠).

في الآيات الكريمة نلاحظ أنه سبحانه تكلم عن فئتين اقترنتا في الموارد الثلاثة، وقد سبقت مجموعة «المنافقون» مجموعة «الذين في قلوبهم مرض» في الترتيب في الموارد جميعاً، وتعاقبتا بواو العطف، مما يقتضي تغايرهما، ومن الغريب أن كثيراً من المفسرين لم يفرّق بين هؤلاء وهؤلاء! فحملوا المرض الذي في القلوب على أنه النفاق، وهذا خلاف السياق القرآني، كما فعل كل من:

القُمّي في تفسيره فقال في آية الأحزاب قال «نزلت في قوم منافقين»[١].

الطوسي في تفسيره نقل عن أبي علي (والظاهر انه الجبّائي) قوله «كلهم في معنى المنافقين»[٢].

الطبرسي قال في آية الأحزاب «قيل هم بنو سالم من المنافقين»[٣].

مكارم الشيرازي[٤] في الأمثل إذ قال بعد إشارته إلى إحدى الآيات السالفة

---

(١) تفسير القمّي- ج٢ - ص١٩٢.

(٢) التبيان -الطوسي-ج٥ - ص١٣٦.

(٣) مجمع البيان -الطبرسي-ج٨- ص١٤٠.

(٤) الظاهر أن الشيخ مكارم الشيرازي كان مشرفاً على التفسير وليس مؤلفاً له.

«والحق أن مثل هذه الأخبار والمبشرات اعتبرها المنافقون..». [١] مما يجعله يوافق من سبقه بحمل المرض على النفاق.

عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره إذ قال في الأحزاب ١٢ «هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين»[٢].

احتمله الطبري في تفسيره ونقل عن الحسن البصري ما نقله الصنعاني آنفا[٣].

واحتمله ابن أبي حاتم في تفسيره أيضا[٤].

وأورد النحاس في معانيه: إنهم المنافقون[٥].

وكذلك فعل السمرقندي وقال في المرض[٦]: «شكّا ونفاقا».

وكذلك ابن زِمنين مع انه في البداية فسر المرض بأنه (الشك)[٧].

وكذلك فعل الثعلبي وقال «شك ونفاق»[٨].

وقال الواحدي إنها نزلت في المنافقين[٩].

---

(١) الأمثل– ناصر مكارم الشيرازي– ج١٣– ص١٨٦.

(٢) تفسير القرآن –الصنعاني–ج٢–ص٢٦٠.

(٣) جامع البيان–الطبري–ج١٠–ص٢٤٤.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم الرازي–ج٥– ص١٧١٦.

(٥) معاني القرآن – النحاس–ج٥–ص٣٣٠.

(٦) تفسير السمرقندي–ج٢–ص٢٦.

(٧) تفسير ابن زمنين – ج٢– ص١٨٢.

(٨) تفسير الثعلبي – ج٤ – ص٣٦٦.

(٩) أسباب نزول الآيات– الواحدي النيسابوري– ص٦٥.

واحتمل ابن الجوزي انه النفاق[(١)].

ونقل ابن عطية في تفسيره عن قتادة «إنهم الذين أعلنوا النفاق»[(٢)].

وأشار الفخر الرازي إلى كونها في المنافقين [(٣)].

وغيرهم من المفسرين ممن تركنا آراءهم.

علما أن بعض هؤلاء الذين سردنا أسمائهم لم يقتصر على هذا الرأي بل أنه احتمله مضموماً لآراء أخرى ولم يبتّ في الرأي الخاص به، مما جعلنا نحمله مسؤولية هذا الرأي لكونه لم ينفه.

وباقي المفسرين - ممن لم يحملوا مرض القلب على النفاق - اختلفوا، فمنهم من قال إنه الشك والريب، ومنهم من قال إنه الزنا.

فأما الشك والريب فهو احتمال منفي طبعاً لنفس علة نفي معنى (النفاق) عن معنى (المرض)، إذ يقول سبحانه وتعالى:

﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (النور:٥٠).

فلو كان مرض القلب هو الريب لما كان هناك داع لهذا الاستفهام من العالم المتعال؟ أرأيت لو قال لك رجل عاقل (أفي قلوبهم مرض أم في قلوبهم مرض)!! وهو يقصد التفصيل أرأيت هذا الكلام معقول ويؤدي غرضه؟! طبعا كلا، وهذا ما نقوله.

---

(١) زاد المسير -ابن الجوزي-ج٦- ص١٨٥.

(٢) تفسير القرآن- ابن عطية الأندلسي- ج١- ص٩٥.

(٣) تفسير الرازي-ج١٠-ص١٥٨.

قال تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ (المدثر:٣١).

وهنا كذلك نفس الإشكال، فلو كان للذين (في قلوبهم مرض) معنى المرتاب والشاك لم يكن هناك داعٍ لتغيير اللفظ؟! فلمّا استعمل اليقين في مقابل الريب علمنا بالمعنى الواضح لهذين المصطلحين، ولكنه لما جعل (الذين في قلوبهم مرض) في مقابل (الذين أوتوا الكتاب) وبمقابل (زيادة إيمان الذين آمنوا) صار لعدم المطابقة معنى، إذن فمرض القلب لا يعني الريب وإلّا لذكره بهذا اللفظ كما ذكر مصطلح (الريب) قبله.

ثم إن الذين قالوا بأن (مرض القلب) هو الشك والريب فهل أن (الشك والريب) أمرٌ واحد وشعور واحد؟! طبعا كلا، فلو كان أمرا واحدا لما قال تعالى:

﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (هود:٦٢).

وقال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾ (هود:١١٠).

وقال تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (إبراهيم:٩).

فزيادة الريب على الشك وكونه صفة له يفيد كونهما متباينين، فمرة يكون الشك مريباً ومرة يكون خالياً من هذه الصفة. لهذا قال أبو هلال العسكري[١] «الفرق بين الريب والشك: الشك: هو تردد الذهن بين أمرين على حد سواء. وأما الريب فهو شك مع تهمة. ودل عليه قوله تعالى: ذلك الكتاب لا ريب فيه". وقوله تعالى: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا، فإن المشركين - مع شكهم في القرآن - كانوا يتهمون النبي بأنه هو الذي افتراه وأعانه عليه قوم آخرون!». وهو كلام نفيس لم أجد أحدا تطرق له، والله اعلم.

والملاحظ أن أغرب الأقوال هو قول قتادة الذي نقله ابن عطية الأندلسي من أنهم «الذين أعلنوا النفاق»!! فهو أراد أن يهرب من القول بترادف النفاق والمرض فسقط بالأدهى! فكيف يُعلن عن النفاق والنفاق لا يكون إلا عن طريق إسرار الكفر وإظهار الإيمان؟! فإعلان الكفر هو مرحلة لاحقة لإسراره، ونفاق الناس به، أما إظهار النفاق فليس له موضوع أصلاً فكيف كان هو مرض القلوب؟!

والسؤال الذي يوَجّه إلى الذين قالوا بأن مرض القلب هو النفاق: لماذا قال الله «المنافقون والذين في قلوبهم مرض» ؟! فلو كان المعنى واحدا فهل يقول

(١) الفروق اللغوية - أبو هلال العسكري - ص ٢٦٤.

العاقل (المنافقون والمنافقون) ؟ أليس هم يقولون بأن الأصل في العطف أن يقتضي المغايرة؟!

والآن لنحاول الاستدلال على معنى (مرض القلب) قرآنياً :

فلقد ذُكر مصطلح (المرض) مرتبطا (بالقلب) في القرآن في اثني عشر موردا، منها قوله تعالى :

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة:١٠).

وقوله تعالى :

﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ (المائدة:٥٢).

وقوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (التوبة:١٢٥).

وقوله تعالى :

﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (الحج:٥٣).

وذُكِرَ النفاق مع اشتقاقاته في سبعة وثلاثين موردا، وذُكِرَ الشك في خمسة عشر موردا، وذُكِرَ الريب مع اشتقاقاته في ستة وثلاثين موردا.

خواص مرض القلب :

إن المتتبع للآيات التي ذُكِرَ فيها (مرضى القلوب) يرى أن الله سبحانه نفى عنهم صفة (الإيمان) وجعلهم مجموعة في قِبال الذين آمنوا فقال:

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٣٢) أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢) ﴾ (سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم٢٠-٣٢).

وقد تطرق سبحانه لقضية هؤلاء الذين ينتظرون نزول سورة القتال أيضا في سورة التوبة بقوله:

﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ

آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥) أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ (١٢٧) ﴾ (التوبة ١٢٤–١٢٧).

وقد وصفهم في سورة البقرة فقال سبحانه:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ (١٨) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ﴾ سورة البقرة ٨-٢٠.

وإذا تتبعنا مصطلح (الذين في قلوبهم مرض) في باقي الموارد مع هذه الموارد لوجدنا أنهم:

مجموعة في قِبال المنافقين والمؤمنين والكافرين والشاكّين والمرتابين.

إنهم يدّعون الإيمان ظاهرا

يدّعون الإصلاح مما يجعلهم مجموعة متنفذة لها مشاريعها الخاصة لا مجموعة هامشية

يجعلون لأنفسهم جاه وسلطة فلا يريدون أن يكونوا مؤمنين (مثل السفهاء) كما يقولون مما يجعلنا نقول أنهم شخصيات بارزة وأسماء معروفة.

كانوا يكرهون القتال مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

كانوا يُضمرون العداء لأرحامهم عندما يتولون في الأرض (بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم طبعا).

إنهم ملعونون وحكم عليهم بالصمم والعمى عن الهدى جزاء لعملهم الشنيع.

قلوبهم المريضة مقفلة بالضَلال.

عملهم السابق مُحبَط لكونهم يكرهون رضوان الله ولا يطيعون أوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإلهية ويُسرّون غير ما يظهرون.

إنهم يبغضون أُناساً لم يذكرهم القرآن صريحاً ويحملون الضغينة والحقد لهم.

إنهم كفروا وصدوا عن السبيل وشاقّوا النبي ولكن بقيد مهم وهو (من بعد

ما تبين لهم الهدى).

إنهم رجس ولا يموتون إلا وهم كافرون (في النهاية)

إنهم كاذبون في حياتهم

إن هؤلاء كانوا يتمركزون في المدينة بشهادة قوله سبحانه:

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الأحزاب:٦٠).

إنهم كانوا يتّصلون بأهل الكتاب سرّا ليأمنوهم على أنفسهم كما قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢)﴾ المائدة ٥١-٥٢.

ولو راجعت ما كتبه المؤرخون حول بعض المسلمين الذين اتصلوا بالمشركين بعد موقعة أحد ليتوسطوا لهم برجوعهم إلى مكة (بعدما قُتل النبي بحسب ظنهم)!! لعرفتَ من هم!

إنهم كانوا يتعاونون مع المنافقين ويمثلون طابوراً خامساً للعدو كما قال تعالى:

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لأنفال:٤٩).

إذ ورد بأن القائلين قالوا هذه العبارة عند خروج المسلمين إلى بدر، فرأى المنافقون ومرضى القلوب أن الخروج بهذا العدد الضئيل إنما غرور ليس بعده نجاة، وانتبه لقوله تعالى «غَرّ هؤلاء دينهم» إذ أن القائل لا ينسب دين الإسلام لنفسه بل للمسلمين مما يفيد خروجه من جماعتهم.

ولو راجعت ما كتبه المؤرخين عن استشارة البعض وما ردّوا به مما سبب الإحباط عند بعض المسلمين لعرفتَ من هم!

إنهم كانوا على شكل مجموعة مُنَظّمة تخترق المسلمين، تتلاقى فيما بينها وتنسق جهودها ويدل عليه قوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥) أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ (١٢٧) ﴾ التوبة ١٢٥-١٢٧.

من هذه الآيات وغيرها نرجّح بأن (مرضى القلوب) هو الذين اسلموا وارتدّوا سراً، ولم يُعلم بهم في حياتهم حتى النبي صلى الله عليه وآله، وقد يكون قد علم إجمالاً ولم يعلم تفصيلاً من الله تعالى، ولكن الله أرشده إلى أنه ممكن أن يعلمهم من خلال سلوكهم المنحرف، ويدل عليه قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (محمد: ٣٠)

فلا هم بالمنافقين والذين نافقوا (فهم يفترقون عن المنافقين بأنهم آمنوا بالنبي

في البداية ثم ارتدّوا سرّا ولجئوا للنفاق، بينما استعمل المنافقون النفاق من البداية)، ولا بالمشركين والذين أشركوا، ولا بالكافرين والذين كفروا، ولا من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فلم يبقَ غير أنهم جماعة أسلمت وارتدّت سرا، وما أدل الآية على ذلك التي تقول:

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ ﴾ (البقرة:١٧).

فهم استوقدوا فلما أضاءت النار ما حوله وأنارت ذهب الله بنورهم جزاء على ضلالتهم وارتدادهم سرا.

ومن نُكت القرآن الطريفة أن ارتباط المرض بالقلب - وهي علامة هؤلاء - قد جاءت في اثني عشر موضعا في القرآن، وهي قيمة تمثل عدد مرضى القلوب في المسلمين وهي تقابل عدد المعصومين من الأئمة وهم اثنا عشر إماما. وعدد مرضى القلوب هو العدد نفسه للمتآمرين في ليلة العقبة!! والواردة في روايات عديدة من السنة والشيعة:

إذ روى ابن سعد في طبقاته الكبرى[١] «قال محمد بن عمر قال حمزة بن عمرو لما كنا بتبوك وأنفر المنافقون بناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة حتى سقط بعض متاع رحله، قال حمزة: فنور لي في أصابعي الخمس فأضيء حتى جعلت القط ما شذّ من المتاع السوط والحباء وأشباه ذلك».

وقال المقريزي في الإمتاع[٢] «ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الطبقات الكبرى - محمد بن سعد - ج ٤ - ص ٣١٥.

(٢) إمتاع الأسماع - المقريزي - ج ٥ - ص ١١٦ - ١١٧.

متوجهاً لماء تبوك فأصبح في منزل، فضلّت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم القصواء، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم عمارة ابن حزم عَقَبيّ بدريّ قُتل يوم اليمامة شهيدا، وكان في رحله زيد بن أبي اللصيت أحد بني قينقاع، كان يهوديا فأسلم ونافق، وكان فيه خبث اليهود وغشهم - وكان مظاهراً لأهل النفاق - فقال زيد وهو في رحل عمارة، وعمارة عند النبي صلى الله عليه وسلم: أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء؟ وهو لا يدري أين ناقته!!. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن منافقاً يقول: إن محمدا يزعم أنه نبي وهو يخبركم بأمر السماء؟ ولا يدري أين ناقته!! وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلّني عليها، وهي في الوادي في شعب كذا وكذا - أشار لهم إليه - حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوا بها، فذهبوا فجاءوا بها، فرجع عمارة بن حزم إلى رحله فقال: العجب من شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفا عن مقالة قائل أخبره الله عنه، قال: كذا وكذا للذي قال زيد، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم قائل هذه المقالة زيد قبل أن يطلع علينا، قال: فأقبل عمارة على زيد بن اللصيت يجأه في عنقه ويقول: والله إن في رحلي لداهية، وما أدري، أخرج يا عدو الله من رحلي. وكان الذي أخبر عمارة بمقالة زيد أخوه عمرو بن حزم، وكان في الرحل مع رهط من أصحابه، والذي ذهب فجاء بالناقة من الشعب الحارث بن خزمة الأشهلي، وجدها وزمامها قد تعلق في شجرة، فقال زيد بن اللصيت: لكأني لم أسلم إلا اليوم، قد كنت شاكّا في محمد، وقد أصبحت وأنا فيه ذو بصيرة، فأشهد أنه رسول الله، فزعم الناس أنه تاب، وكان خارجة بن زيد بن

ثابت ينكر توبته ويقول: لم يزل فسلاً[١] حتى مات»!!

وقيل بأنه نزلت في تلك الحادثة آيات تتلى، قال تعالى:

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦) ﴾ (التوبة ٦٤-٦٦).

والآية وإن تكلمت عن المنافقين ولكن ربطت النفاق بما في القلب.

وقد روى نزولها في ليلة العقبة ومنافقيها الاثني عشر العديد من مفسري أهل السنة منهم ابن الجوزي[٢] والرازي[٣] والعز بن عبد السلام[٤] والبيضاوي[٥] وأبو حيان الأندلسي[٦] وابن كثير[٧] والسيوطي[٨] والكثير غيرهم، ومن الملفت للنظر ان بعض من ورد اسمه في أسماء مرضى القلوب في ليلة العقبة ظل يعيش هاجس الفضيحة طول عمره إذ انه ورد أحدهم كان يسأل حُذيفة ابن اليمان[٩] صاحب

---

(١) الفسل: الرذل النذل الذي لا مرؤة له ولا جلد: العين - الفراهيدي- ج٧ - ص٢٦٠.

(٢) زاد المسير- ابن الجوزي - ج٣- ص٣١٤.

(٣) تفسير الرازي - ج١٦-ص١٢٠.

(٤) تفسير العز بن عبد السلام-ج٢-ص٣١.

(٥) تفسير البيضاوي- ج٣- ص١٥٥.

(٦) تفسير البحر المحيط- ج٥- ص٧٦.

(٧) تفسير ابن كثير-ج٢- ص٣٨١.

(٨) الدر المنثور- السيوطي- ج٣- ص٢٥٤.

(٩) قال ابن الاثير في العام الرابع والثلاثين للهجرة «في هذه السنة مات حذيفة بن اليمان بعد قتل ←

سر النبي على المنافقين «هل أنا من المنافقين»[(١)] يعني الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم له!! بل إن جُملة من الصحابة كانوا يعيشون هاجس الفضيحة ويربو عددهم على ثلاثين كما روى البخاري عن ابن أبي مليكة «أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه» والأحرى أن يقول (كلهم يخاف الفضيحة على نفسه!!)

وكون حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه كان صاحب سر النبي على المنافقين شيء متسالم عليه عند أصحاب السير، قال ابن الأثير[(٢)] «وحذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين لم يعلمهم أحد إلّا حذيفة، أعلمه بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمر أفي عمالي أحد من المنافقين قال نعم واحد قال من هو؟ قال لا أذكره. قال حذيفة: فعزله كأنما دل عليه، وكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة، فإن حضر الصلاة عليه صلّى عليه عمر وان لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر».

ولما كان هؤلاء المرضى يعيشون خوف الفضيحة ليل نهار ولما لم يكن الزمان يمر بعيدا بغزوة تبوك، ولما حج النبي حجة الوداع نرى أن أحدهم يسأل النبي: أنزل فيَّ شيء[(٣)]؟!

عثمان بيسير ولم يدرك الجمل وقتل ابناه صفوان وسعيد مع علي بصفين بوصية أبيهما» الكامل في التاريخ – ابن الأثير – ج ٣ – ص ٢٨٧ فصاحب سر المنافقين عندما يوصي اعز ما عنده في الحياة ليقتلا مع علي هذه شهادة مهمة على هوية المقابل!

(١) الهجوم على بيت فاطمة– عبد الزهراء مهدي– ص٤٦٧/ الغدير للأميني نقلا عن الباقلاني في التمهيد–ج٦– ص٢٤١.

(٢) أسد الغابة – ابن الأثير – ج ١ – ص ٣٩١.

(٣) عمدة القاري – العيني – ج ١٨ – ص ٢٦٠.

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم نفى نزول شيء فيه ولم ينفِ كونه من مرضى القلوب!! ومن الملاحظ إن محاولة اغتيال النبي الفاشلة تلك في تبوك جاءت بعد وقت بسيط بعد قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم المشهور لعلي بن أبي طالب «أنت مني كهارون من موسى لولا انه لا نبي بعدي» إذ أجمعت المصادر الإسلامية على قوله هذا انه كان عند تأهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم للخروج إلى تبوك، لذا فقوله سبحانه:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (محمد:٢٢).

يكشف عن اتفاق للغدر بعلي بعد النبي وقطع رحم النبي به، لهذا نفهم الآن لم سُمّيت سورة التوبة بأسماء كثيرة مثيرة منها براءة والمقشقشة والمبعثرة والمخزية والفاضحة والحافرة والمنكِّلة والمدمدمة وسورة العذاب والمشَرِّدة إلى آخر الأسماء، وحتى سورة المنافقين لم تُسَمَّ بهذه الأسماء، فهي بعثرت المرتدّين المرضى وشردهم وحفرت عنهم ونكلت بهم وعذبتهم لذا فلما سمع بعض الأعراب هذه السورة بعد وفاة النبي بوقت طويل قال[1] «هذه السورة أظنها آخر ما أنزلت، فقلت له: ولم؟ فقال: أرى عهودا تنبذ، وعقودا تنقض». فهذا الأعرابي مع انه لم ير النبي ولم يسمع منه لكنه ولأول وهلة من سماعه الآية عرف أنها كذلك، وأنها سوف تكون سيفاً مشهوراً على مرضى القلوب تفضحهم وتبعثرهم.

ومن هنا فالآيات التي قال ابن تيمية أنها في سياق الكلام عن النهي لموالاة الكفار ليست كذلك فمرضى القلوب ليسوا من الكفار في القرآن، بل مجموعة متميزة بأفعالها واسمها كانت تحيط بالنبي صلى الله عليه وآله وأرادت قتله ليلة

(١) تفسير السمعاني – السمعاني – ج ٢ – ص ٢٨٤.

العقبة لمآرب دنيوية قد يكون من بينها محاولة الإمساك بزمام المبادرة للتحكم بالخلافة لذا فهذه الآية أشارت إليهم ثم خصت فقالت «إنما وليكم...». وكأنه نهي عن موالاة غيره وخصوصا من تكلمت عنهم الآية قبل قليل وسمتهم «مرضى القلوب».

وقد مورست أساليب عديدة في إخفاء ما حدث في محاولة الاغتيال تلك وأهم شيء أخفي عنّا هو أسماؤهم، ففي مسند البزار[1] حدثنا علي بن المنذر، قال: حدثني محمد بن فضيل، قال: أخبرنا الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل، عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك: لا يسبقني إلى الماء أحد»، قال أحمد[2] بقي فيه كلام تركته!!.

وروى البخاري[3] في باب «فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم»:

حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى حدثنا إسماعيل حدثنا زيد بن وهب قال كنا عند حذيفة فقال ما بقي من أصحاب هذه الآية [4]إلّا ثلاثة ولا من المنافقين الّا أربعة فقال أعرابي إنكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم تخبرونا فلا ندري فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا؟ قال: أولئك الفسّاق أجل لم يبق منهم إلاّ أربعة أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده» فمن هذا الشيخ؟!

---

(١) مسند البزّار – ج٧ – ص٢٧٤.

(٢) هو البزار نفسه ، واسمه أحمد البزار.

(٣) صحيح البخاري – البخاري – ج ٥ – ص ٢٠٣.

(٤) الآية هي قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ (التوبة: من الآية١٢).

قد نعرف الجواب من كلام ابن حجر العسقلاني[١] في شرحه على الصحيح «روى الطبري من طريق السدي قال المراد بأئمة الكفر: كفار قريش، ومن طريق الضحاك قال أئمة الكفر رؤوس المشركين من أهل مكة! (قوله إلا ثلاثة) سمي منهم في رواية أبي بشر عن مجاهد أبو سفيان بن حرب وفي رواية معمر عن قتادة أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان وسهيل بن عمرو وتعقب بأن أبا جهل وعتبة قتلا ببدر وإنما ينطبق التفسير على من نزلت الآية المذكورة وهو حي فيصح في أبي سفيان وسهيل بن عمرو وقد أسلما جميعا (قوله ولا من المنافقين إلا أربعة) لم أقف على تسميتهم».

وغريب قوله «فيصحُّ في أبي سفيان وسهيل بن عمرو وقد أسلما جميعا» وهو يقرُّ تبعا للحديث الصحيح عن حذيفة صاحب السرّ «ما بقي من أصحاب هذه الآية...». فهو إقرار بأنهم بقوا إلى زمان بعد النبي وحذيفة يشهد بأنهم أحياء يرزقون!

ولما كان مع النبي صلى الله عليه وآله رجلان في ليلة العقبة اطلعا على هؤلاء الاثني عشر أحدهما عمار فقد كان عمار بن ياسر لا يستسرُّ بالأمر كما يفعل حذيفة في بعض الأحيان جاء في الديباج على مسلم[٢] عن قيس بن عبّاد قال «قلنا لعمار أرأيت قتالكم أرأيا رأيتموه فان الرأي يخطيء ويصيب، أو عهدا عهده إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده إلى الناس كافة وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن في أمتي قال شعبة واحسبه قال حدثني حذيفة وقال غندر أراه

(١) فتح الباري – ابن حجر – ج ٨ – ص ٢٤٣.

(٢) الديباج على مسلم – جلال الدين السيوطي – ج ٦ – ص ١٣٧ – ١٣٨.

قال: في أمتي اثنا عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة سراج من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم"».

وروي في مغازي الواقدي[(١)] عن جابر رضي الله عنه قال «تنازع عمّار بن ياسر ورجل من المسلمين في شيء فتسابا، فلما كاد الرجل يعلو عمّارا في السباب قال عمّار: كم كان أصحاب العقبة؟ قال: الله أعلم، قال: أخبرني عن علمك بهم، فسكت الرجل، فقال بعض الحاضرين: بين لصاحبك ما سألك عنه، وإنما يريد عمّار أشياء قد خفيت عليهم، فكره الرجل أن يحدثه فأقبل القوم على الرجل يسألونه، فقال الرجل: كنا نتحدث أنهم كانوا أربعة عشر رجلا، فقال عمّار: فإنك كنت فيهم فهم خمسة عشر، فقال الرجل: مهلا، أذكرك الله أن تفضحني، فقال عمار: والله ما سمّيت أحدا منهم ولكني أشهد أن الخمسة عشر رجلا، فاثنا عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (غافر:٥٢).

وقد أعلن عمار رضوان الله عليه أن منهم معاوية وعمرو في روايات صحيحة قال الهيثمي[(٢)] «وعن سفينة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا

---

(١) المغازي – الواقدي – ص ٢٠٧.

(٢) قال تقي الدين المكي «أبو الحسن الهيثمي علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر بن عمر بن صالح المصري الشافعي الامام الأوحد الزاهد الحافظ نور الدين أبو الحسن ولد في شهر رجب سنة خمس وثلاثين وسبعمائة فلما كان قبيل الخمسين صحب الحافظ أبا الفضل العراقي ولازمه أشد ملازمة إلى أن بلغ حمامه فخدمه وانتفع به وصاهره على ابنته فرزق منها أولادا وحصل له بركته فسمع معه غالب مسموعاته وكتب الكثير من مصنفاته وربما سمع الشيخ أحيانا بقراءته، ←

فمر رجل على بعير وبين يديه قائد وخلفه سائق فقال لعن الله القائد والسائق والراكب. رواه البزار ورجالة ثقات.

وعن المهاجر بن قنفذ قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة على بعير فقال الثالث ملعون. رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات.

وعن سعد بن حذيفة قال قال عمار بن ياسر يوم صفين وذكر أمرهم وأمر الصلح فقال والله ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر فلما رأوا عليه أعوانا أظهروه. رواه الطبراني في الكبير وسعد بن حذيفة لم أر من ترجمه».[1] وليس يذكر

وأشار عليه بجمع ما في مسند الإمام أحمد من الأحاديث الزائدة على الكتب الستة فأعانه بكتبه وأرشده إلى التصرف في ذلك فلما فرغ من تسويده حرر له الشيخ وهو كبير الفائدة وسماه (غاية المقصد في زوائد أحمد) ثم حبب إليه هذا التخريج فخرج (البحر الزخار في زوائد البزار) و(المقصد الأعلى في زوائد أبي يعلى) الموصلي (ومجمع البحرين في زوائد المعجمين) و (البدر المنير في زوائد المعجم الكبير) ثم جمع الكل محذوف الإسناد مع الكلام عليها بالصحة والضعف في مؤلف واحد وسماه (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) وله أيضا (موارد الظمآن لزوائد ابن حبان) و (بغية الباحث عن زوائد الحارث) ورتب ثقات ابن حبان ترتيبا جيدا على ما فيها من الخلل وثقات العجلي والأحاديث المسندة في حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم فمات وهي مسودة فبيض نحو ربعها الحافظ أبو الفضل بن حجر، وكان رحمة الله تعالى عليه إماما عالما حافظا ورعا زاهدا متقشفا متواضعا خيرا هينا لينا سالكا سليم الفطرة شديد الإنكار للمنكر كثير الاحتمال محبا للغرباء وأهل الدين والعلم والحديث كثير التودد إلى الناس مع العبادة والاقتصاد والتعفف وكان رحمه الله تعالى من محاسن القاهرة ومن أهل الخير، غالب أوقاته في اشتغال وكتابة كثير التلاوة بالليل والتهجد وكان تغمده الله تعالى برحمته استحضاره كثيرا للمتون يجيب عنها بسرعة فيعجب ذلك شيخنا الحافظ زين الدين العراقي وربما رجح في حفظ المتون عليه» لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ – تقي الدين محمد بن فهد المكي – ص ٢٣٩ – ٢٤٠.

(١) مجمع الزوائد – الهيثمي – ج ١ – ص ١١٣.

في كتب الحديث والرجال غير سعد بن حذيفة وهذا عدّه ابن حبان في الثقات[١].

وقد وصفهم بالمستسلمين لا المسلمين غير عمار من الصحابة! روى ابن عساكر[٢] بطريقين عن محارب بن دثار قال «كان مروان على المدينة فأمر الناس أن يبايعوا ليزيد وأرسل إلى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أهل الشام يدعوه إلى البيعة، قال: فخرج رجل أشعث أغبر رثّ الهيئة، فقال: يأمرني مروان أن أبايع لقوم ضربتهم بسيفي حتى أسلموا ولكن استسلموا، فقال أهل الشام: مجنون».

فهم استسلموا عند فتح مكة ولم يسلموا! لذا ذكر ابن حجر عن بعضهم ان ائمة الكفر منهم ابو سفيان!.

ومن الملفت للنظر أن الهيثمي يروي خبر عمّار في ذم معاوية وعمرو مع أخبار لعن أصحاب البعير! فمن هم هؤلاء الذين أخفى التاريخ أسماءهم حتى صار بعيرهم أشهر منهم؟!

هم أبو سفيان ومعاوية وأخوه، ذكر ذلك مزاحم المنقري وقال[٣] عن «نصر، عن بليد بن سليمان، حدثني الأعمش، عن علي بن الأقمر قال: وفدنا على معاوية وقضينا حوائجنا ثم قلنا: لو مررنا برجل قد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاينه. فأتينا عبد الله بن عمر فقلنا: يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حدثنا ما شهدت ورأيت. قال: إن هذا أرسل إلي - يعني معاوية - فقال: لئن بلغني أنك تحدث لأضربن عنقك. فجثوت على ركبتي بين يديه ثم قلت: وددت أن أحد سيف في جندك على عنقي. فقال: والله ما كنت

(١) الثقات- ابن حبان- ج٤ - ص٢٩٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج ٢١ - ص ٨٩.

(٣) وقعة صفّين - ابن مزاحم المنقري - ص ٢٢٠.

لأقاتلك ولا أقتلك. وأيم الله ما يمنعني أن أحدثكم ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه. رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إليه يدعوه – وكان يكتب بين يديه – فجاء الرسول فقال: هو يأكل. فقال: لا أشبع الله بطنه فهل ترونه يشبع؟ قال: وخرج من فج فنظر رسول الله إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه، أحدهما قائد والآخر سائق، فلما نظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم العن القائد والسائق والراكب". قلنا: أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، وإلا فصُمَّتا أذناي، كما عميتا عيناي»..

وقد تعرضت هذه الرواية الى تشويه يهدف الى حصر اللعن في شخصية واحدة من هذه الشخصيات الثلاث، بهدف التقليل من التأثير السلبي للرواية على المعنيين، بما إذ رويت بصيغة أخرى في مجمع الزوائد[1] وهي «عن المهاجر بن قنفذ قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة على بعير فقال الثالث ملعون» إذ أدّت هذه الصيغة المطلوب منها فضلاً عن ان هذه الصيغة حُرّفت أيضا! فقد فسرها المناوي في شرح الجامع الصغير بقوله[2] «(الثالث) أي الإنسان الذي ركب على البهيمة وعليها اثنان فكان هو الثالث وكانت لا تطيق ذلك، (ملعون) أي مطرود عن منازل الأبرار يطهر بالنار فقوله (يعني على الدابة) مدرج من كلام الراوي لا من تتمة الحديث فلو بيّنه المصنف لكان أولى ثم إنه إنما قال في ثلاثة أقبلوا من سفر على هذه الهيئة فالكلام في ثلاثة مخصوصة ودابة معينة فلا يلزم منه حرمة ركوب أي ثلاثة كانوا على أية دابة»!!.

(١) مجمع الزوائد – الهيثمي – ج ١ – ص ١١٣.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير – المناوي – ج ٣ – ص ٤٤٧.

وقد روى ابن عساكر[١] وابن كثير[٢] والشوكاني[٣] واللفظ له «أخرج ابن أبي خيثمة وابن عساكر عن الربيع بن أنس قال: لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى فلانا، وهو بعض بني أمية على المنبر يخطب الناس، فشقَّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأنزل الله:

﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ سورة الأنبياء– ١١١.

والمعني هو معاوية بن أبي سفيان، وان كانت القصة قد دفنت بشكل نهائي بهذا اللفظ لكن القصة المماثلة والتي هي (أخف وطأة) وجدت لها متنفساً لتظهر بشكل خجول على صفحات بعض الكتب فقد روى ابن عساكر [٤] ابن كثير[٥] «قال علي بن المديني عن يحي بن سعيد، عن سفيان الثوري، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: رأيت بني أمية يصعدون منبري فشقَّ ذلك علي فأنزلت: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ سورة القدر– ١. فيه ضعف وإرسال.

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: حدثنا يحي بن معين، حدثنا عبد الله بن نمير، عن سفيان الثوري، عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب في قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ سورة الإسراء – من الآية ٦٠ قال: رأى ناسا من بني أمية على المنابر فساءه ذلك، فقيل له: إنما هي دنيا يعطونها وتضمحل عن

---

(١) تاريخ مدينة دمشق –ج٥٧ –ص٣٤٢.

(٢) البداية والنهاية– ابن كثير –ج١٠ –ص٥٣.

(٣) فتح القدير – الشوكاني – ج ٣ – ص ٤٣٣ – ٤٣٤.

(٤) تاريخ مدينة دمشق – ابن عساكر – ج ٥٧ – ص ٣٤١ – ٣٤٢.

(٥) البداية والنهاية – ابن كثير – ج ١٠ – ص ٥٣.

قليل فسرى عنه»..

وروى ابن حجر[1] عن البخاري الحديث «يهلك الناس هذا الحي من قريش، قالوا فما تأمرنا؟ قال: لو أن الناس اعتزلوهم». وقال في شرحه عليه «قوله: فقال مروان لعنة الله عليهم غَلَمَة) في رواية عبد الصمد لعنة الله عليهم من أغيلمة، وهذه الرواية تفسر المراد بقوله في رواية المكي فقال مروان غلمة كذا اقتصر على هذه الكلمة فدلت رواية الباب أنها مختصرة من قوله لعنة الله عليهم غلمة فكان التقدير غلمة عليهم لعنة الله أو ملعونون أو نحو ذلك، ولم يرد التعجب ولا الاستثبات (قوله فقال أبو هريرة لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت) في رواية الإسماعيلي من بني فلان وبني فلان لقلت وكأن أبا هريرة كان يعرف أسمائهم وكان ذلك من الجراب الذي لم يحدث به وتقدمت الإشارة إليه في كتاب العلم، وتقدم هناك قوله لو حدثت به لقطعتم هذا البلعوم (قوله فكنت أخرج مع جدي) قائل ذلك عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو وجده سعيد بن عمرو وكان مع أبيه لما غلب على الشام ثم لما قتل تحول سعيد بن عمرو إلى الكوفة فسكنها إلى أن مات (قوله حين ملكوا الشام) أي وغيرها لمّا ولوا الخلافة وإنما خُصّت الشام بالذكر لأنها كانت مساكنهم من عهد معاوية (قوله فإذا رآهم غلمانا أحداثا) هذا يقوي الاحتمال الماضي وأن المراد أولاد من استخلف منهم وأما تردده في أيهم المراد بحديث أبي هريرة فمن جهة كون أبي هريرة لم يفصح بأسمائهم، والذي يظهر أن المذكورين من جملتهم وأن أولهم يزيد كما دل عليه قول أبي هريرة رأس الستين وإمارة الصبيان فإن يزيد كان غالبا ينتزع الشيوخ من إمارة البلدان الكبار ويوليها الأصاغر من أقاربه».

---

(١) الإصابة – ابن حجر – ج ١ – ص ٧٦.

والحديث كله يشير الى بني أمية!. وأما قوله وأولهم يزيد فهذا من جراب ابن هريرة!

وحتى هذه الرواية لم تنج بنفسها من التضليل، فقد أُخفي جزء منها وقطّعت أوصالها في بعض الكتب كما في الدر المنثور إذ قال السيوطي[1] «أخرج ابن أبي شيبة وابن عساكر عن الربيع بن أنس رضي الله عنه قال لما أُسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين يقول هذا الملك»..

وأنت لا تفهم شيئا من الرواية فقد أخفوا ما أخفوه منها!.

وقد جدّ حذيفة وعمار في فضح رؤوس النفاق ومرضى القلوب وأشهرهم أبو سفيان ومعاوية وعمرو فنراهم يصرحون بلا مرية بأنهم كفار في باطنهم ومن مواقفهم ما رواه نصر بن مزاحم في (وقعة صفّين) [2]عن يحيى بن يعلى، عن صباح المزني، عن الحارث بن حصيرة عن زيد بن أبي رجاء، عن أسماء بن الحكم الفزاري قال» كنا بصفّين مع علي بن أبي طالب تحت راية عمار بن ياسر، ارتفاع الضحى – استظللنا ببرد أحمر، إذ أقبل رجل يستقري الصف حتى انتهى إلينا فقال: أيكم عمار بن ياسر؟ فقال عمار بن ياسر: هذا عمار. قال: أبو اليقظان؟ قال: نعم. قال: إن لي حاجة إليك فأنطق بها علانية أو سرا؟ قال: اختر لنفسك أي ذلك شئت. قال: لا، بل علانية. قال: فأنطق. قال: إني خرجت من أهلي مستبصرا في الحق الذي نحن عليه لا أشك في ضلالة هؤلاء القوم وأنهم على الباطل، فلم أزل على ذلك مستبصرا حتى كان ليلتي هذه صباح يومنا هذا، فتقدم منادينا فشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ونادى بالصلاة، فنادى مناديهم

---

(١) الدر المنثور – جلال الدين السيوطي – ج ٤ – ص ٣٤٢.

(٢) وقعة صفين – ابن مزاحم المنقري – ص ٣٢٠ – ٣٢٢.

بمثل ذلك، ثم أقيمت الصلاة فصلينا صلاة واحدة، ودعونا دعوة واحدة، وتلونا كتابا واحدا، ورسولنا واحد، فأدركني الشك في ليلتي هذه، فبت بليلة لا يعلمها إلا الله حتى أصبحت، فأتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له فقال: هل لقيت عمار بن ياسر؟ قلت: لا. قال: فالقه فانظر ما يقول لك فاتبعه. فجئتك لذلك. قال له عمار: هل تعرف صاحب الراية السوداء المقابلتي فإنها راية عمرو بن العاص، قاتلتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، وهذه الرابعة ما هي بخيرهن ولا أبرهن، بل هي شرهن وأفجرهن. أشهدت بدرا وأحدا وحنينا أو شهدها لك أب فيخبرك عنها؟ قال: لا. قال: فإن مراكزنا على مراكز رايات رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، ويوم أحد، ويوم حنين، وإن هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب، هل ترى هذا العسكر ومن فيه؟ فوالله لوددت أن جميع من أقبل مع معاوية ممن يريد قتالنا مفارقا للذي نحن عليه كانوا خلقا واحدا فقطعته وذبحته. والله لدماؤهم جميعا أحلُّ من دم عصفور. أفترى دم عصفور حراما؟ قال: لا، بل حلال. قال: فإنهم كذلك حلال دماؤهم، أتراني بينت لك؟ قال: قد بينت لي. قال: فاختر أي ذلك أحببت. قال: فانصرف الرجل ثم دعاه عمار بن ياسر فقال: أما إنهم سيضربوننا بأسيافهم حتى يرتاب المبطلون منكم فيقولون: لو لم يكونوا على حق ما ظهروا علينا. والله ما هم من الحق على ما يقذي عين ذباب. والله لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سعفات هجر لعرفت أنا على حق وهم على باطل. وأيم الله لا يكون سلما سالما أبدا حتى يبوء أحد الفريقين على أنفسهم بأنهم كانوا كافرين، وحتى يشهدوا على الفريق الآخر بأنهم على الحق وأن قتلاهم في الجنة وموتاهم. ولا ينصرم أيام الدنيا حتى يشهدوا بأن موتاهم وقتلاهم في الجنة، وأن موتى أعدائهم وقتلاهم في النار،

وكان أحياؤهم على الباطل».

وروى الحاكم في المستدرك[١] بسند صحيح عن سعد بن حذيفة بن اليمان قال «رفع إلى حذيفة عيوب سعيد بن العاص فقال: ما أدرى أي الأمرين أردتم تناول سلطان قوم ليس لكم، أو أردتم رد هذه الفتنة فإنها مرسلة من الله ترتعي في الأرض حتى تطأ خطامها ليس أحد رادها ولا أحد مانعها وليس أحد متروك يقول الله الله إلّا قتل، ثم يبعث الله قوما قزعا كقزع الخريف قال القزع القطعة من السحاب الرقيق كأنها ظل إذا مرت تحت السحاب الكبير». قال الحاكم «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

وقد ورد في روايات أهل البيت أن هؤلاء القوم الذين وصفتهم الروايات انهم كقزع الخريف هم أصحاب الإمام المهدي عليه السلام الذي يملأها عدلاً وقسطاً.

(١) المستدرك – الحاكم النيسابوري – ج ٤ – ص ٥٠٣.

العباد الذين اصطفى اللهُ... هم الصحابة

قال ابن تيمية: قال تعالى:

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النمل:٥٩).

قال طائفة من السلف هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا ريب أنهم أفضل المصطفَين من هذه الأمة التي قال الله فيها:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) ﴾ (فاطر ٣٢-٣٣).

فأمة محمد صلى الله عليه وسلم هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمتين قبلهم اليهود والنصارى وقد أخبر الله أنهم الذين اصطفى»[1].

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج١- ص٢٢٣-٢٢٥.

الجواب:

اختلف السلف بين من يقول أن المصطفَين هم الأنبياء، وبعضهم قال بأنهم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ولو أورث الله هؤلاء الصحابة الكتاب فكيف يختلفون فيه إلى حد الحرق وغلِّ المصاحف وقراءة على سبعة أوجه وعشرة أوجه، وضرب السياط على من يقرا قراءة حمزة أحد القراء السبعة.. قال سليمان ابن الأشعث[1] «سمعت أبا داود يقول: سمعت أحمد بن سنان يقول: كان يزيد يكره قراءة حمزة كراهية شديدة. قال أبو داود: سمعت ابن سنان يقول: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: لو كان لي عليه سلطان على من يقرأ قراءة حمزة لأوجعت ظهره وبطنه».

وكيف تتقاتل هذه الأمة بين أبنائها حتى يُقتل من المسلمين سبعون الفاً! ثم تقتل الأمة سبطي النبي بأبشع قتلة، وتحرق الكعبة، وتهتك أعراض النساء في دار هجرة النبي صلى الله عليه وآله الى غيرها من الطامات! نعم إن الأمة مصطفاة وليس أبناؤها على التعميم الذي يريده ابن تيمية وأتباعه وإنما يعمِّمون حتى يدخلوا طامات الأمويين مع حسنات غيرهم بحجة الأمة الواحدة!

وكيف اختلفوا في تفسير الكتاب إلى هذا الحد وهم وارثوه؟! فلو كان الله قد أورثهم الكتاب وهو يعلم بأنهم سيختلفون الى الحد الذي يقولون فيه بآرائهم فتطير المعاني ذات اليمين وذات الشمال تبعا لجهل صاحبة او علمه فما اللطف في ذلك وهو اللطيف؟!

ثم إن الله تعالى يقول «وسلام على عباده الذين اصطفى» وقوله تعالى «ثم

---

(١) سؤالات الآجري لأبي داود ـ سليمان بن الأشعث ـ ج ١ ـ ص ٣٠٧.

أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» وذكر «عبادنا» ولم يكن هناك تفصيل عند ابن تيمية: لم خص المذكورين هنا بلفظ «العباد» دون غيره؟!!

إن إضافة العباد إليه تعالى بقول (عباده) وقوله (عبادنا) يفيد أنهم من أرقى شرائح المؤمنين وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن اثنا عشر مرة وهو من لطائف الإشارات قال تعالى:

عبدنا: ٥ مرات وقد وصف به أنبياء الله نوح وداود وايوب ومحمد (لمرتين) صلى الله عليهم اجمعين.

عبده: ٧ مرّات وقد وصف الله النبي محمد صلى الله عليه وآله بأنه (عبده) خمس مرات وزكريا عليه السلام مرة واحدة

عبدا: ٦ مرّات

العبد: ٧ (مشتق العبادة)

عباده: ٣٤ مرّة

عبادي: ١٧ مرّة

عبادنا: ١٢ مرّة

العباد: ٢٠ مرّة

عبدين: ٢ مرّة

عباد: ٤ مرّة

عبادا: ٢ مرّة

عبادك: ٧ مرّات

عبادكم : ١ مرّة واحدة

والذي يظهر بعد التأمل أن العباد يختلفون عن العبيد في المصطلح القرآني إذ ورد مصطلح (العبيد) في خمسة مواضع هي :

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (آل عمران: ١٨٢).

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (الأنفال: ٥١).

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (الحج: ١٠).

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت: ٤٦).

﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (ق: ٢٩).

وهي وان لم تكن صريحة في الذم ولكنها مرتبطة بالحساب وبالتالي العدل الرباني من العقاب وهي إشارة الى هوية هؤلاء.

أمّا العباد فقد اختص المصطلح بالاصطفاء لمرتين قال تعالى :

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النمل: ٥٩)

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (فاطر: ٣٢).

ثم ثنى الله بدخولهم الجنة فقال :

﴿ «جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥) ﴾ فاطر ٣٣-٣٥.

وقد وصف به أنبياء الله نوح وداود وأيوب ومحمد (لمرتين) صلى الله عليهم أجمعين بأن أطلق لفظ (عبدنا) على كل واحد منهم، وجاء لفظ (عبادنا) في اثني عشر موردا في القرآن كلها مع المعصومين أو الممدوحين، فهؤلاء العباد داخلون للجنة كلهم وهذا لا ينطبق على الصحابة الذين روى محدّثو أهل السنة روايات ارتداد بعضهم ومنع بعضهم من الحوض كما في البخاري[1] «عن سهل بن سعد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إني فرطكم على الحوض من مر على شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم قال أبو حازم فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم. فقال: اشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها فأقول إنهم مني فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقا سحقاً لمن غير بعدي، وقال ابن عباس سحقا بعدا يقال سحيق بعيد سحقه واسحقه أبعده».

فكيف يرثون الكتاب ويُختم لهم بالجنة ووفي رواية أخرى في البخاري[2] عن النبي صلّى الله عليه وآله «حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم فقلت أين قال إلى النار والله قلت وما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم قلت

(١) صحيح البخاري - البخاري - ج ٧ - ص ٢٠٧ — ٢٠٨.

(٢) صحيح البخاري - البخاري - ج ٧ - ص ٢٠٨ — ٢٠٩.

أين قال إلى النار والله قلت ما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم»[١].

وفي رواية أخرى للبخاري[٢] «عن أبن شهاب عن ابن المسيّب انه كان يحدث عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يرد علي الحوض رجال من أصحابي فيحلؤون عنه فأقول يا رب أصحابي فيقول انك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري».

فكيف ولم يبق منهم إلّا مثل همل النعم؟! علما إن بعض الصحابة شرب الخمر وبعضهم قتل النفس المحترمة وبعضهم ارتدَّ ولحق بالنصارى وبعضهم كان يقبل الرشى حتى يكذب على النبي صلى الله عليه وآله إذ نقل ابراهيم بن محمد الثقفي عن أبي جعفر الاسكافي المعتزلي قوله[٣] «إن معاوية ـ لعنه الله ـ بذل لسَمُرَة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) ﴾ سورة البقرة.

وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم الملعون وهي:

---

(١) قال ابن الأثير «حديث الحوض " فلا يخلص منهم إلا مثل همل النعم " الهمل: ضوال الإبل، واحدها: هامل. أي إن الناجي منهم قليل في قلة النعم الضالة» / النهاية في غريب الحديث ـ ابن الأثير ـ ج ٥ ـ ص ٢٧٤.

(٢) صحيح البخاري ـ البخاري ـ ج ٧ ـ ص ٢٠٨.

(٣) الغارات ـ إبراهيم بن محمد الثقفي ـ ج ٢ ـ ص ٨٤٠ ـ ٨٤٣.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (البقرة:٢٠٧).

فلم يقبل فبذل له مائتي ألف، فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف، فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف، فقبل».

بينما العباد المصطفَون داخلون للجنة وممدوحون في كل القرآن ولو أخذنا موارد «عبادنا» لوجدنا قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (يوسف: ٢٤).

وقوله تعالى:

﴿ فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾ (الكهف: ٦٥).

وقوله تعالى:

﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً ﴾ (مريم: ٦٣).

وقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (فاطر: ٣٢).

ووصف تعالى نوح فقال:

﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصافات: ٨١).

ووصف تعالى إبراهيم فقال:

﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصافات: ١١١).

ووصف موسى وهارون فقال:

﴿ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصافات: ١٢٢).

ووصف تعالى الرسل فقال:

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (الصافات: ١٧١).

وذكر الأنبياء فقال:

﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ (ص: ٤٥).

وقال تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الشورى: ٥٢).

وقال تعالى:

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ (التحريم: ١٠).

لذا فارتباط (عبادنا) بالرسل فقط في القرآن يشير الى كون (عبادنا) خاصة للمعصومين فقد أضافهم الله لنفسه لذا فقوله تعالى:

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النمل: ٥٩).

لذا فأورثهم الله الكتاب لعدم تناقضهم فيه وكلهم واحد قال تعالى:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) ﴾ فاطر٣٢– ٣٤.

وقوله تعالى:

﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾.

هو إخبار عن حال الذين أورثهم المصطفون الكتاب فيهم لا حال المصطَفين أنفسهم كيف وهم ممدوحون ومختوم لهم بالجنة.

وقد يُطعن بهذا الفهم (للعباد) بالآية القرآنية:

﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (يس:٣٠).

وسيقال بأن العباد هنا مُتحسّر عليهم لكونهم في انحراف! فكيف يُمدح هؤلاء؟!

والجواب:

إن جمعا من الصحابة إضافة لقراءة اهل البيت عليهم السلام قرأوا «يا

حسرة العباد» وعُدّ منهم أبيّ بن كعب وابن عباس وقتادة والإمام زين العابدين عليهم السلام[1] وبالتالي يكون العباد هم المتّحسِّرون لا المُتحسَّر عليهم! فيسقط الاعتراض.

أما قوله تعالى:

﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾.

فهي قد لا تكون راجعة على العباد بل على ما قبلها.

لذا لا يجوز تطبيق الآية على الصحابة بل على من أشارت لهم الآيات! وهم الأئمة الاثنا عشر كما جاء عن طرق أهل البيت عليهم السلام:

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه زين العابدين عليه السلام قال:

«ما بعث الله نبيا إلا أعطاه من العلم بعضه ما خلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه أعطاه من العلم كله فقال:

﴿ تبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النحل: من الآية٨٩).

وقال لموسى:

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: من الآية١٤٥».

وقال:

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ (النمل: من الآية٤٠).

ولم يخبر أن عنده علم الكتاب، والمنّ لا يقع من الله على الجميع وقال لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) تفسير جوامع الجامع - الشيخ الطبرسي - ج ٣ - ص ١٣٨ و تفسير الطبري - ج٢٣ - ص٤ وغيره من تفاسير أهل السنّة.

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (فاطر: من الآية٣٢).

فهذا الكل ونحن المصطفَون، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: رب زدني علما، فهي الزيادة التي عندنا من العلم الذي لم يكن عند أحد من الأوصياء والأنبياء ولا ذرية الأنبياء غيرنا، فبهذا العلم علمنا البلايا والمنايا وفصل الخطاب»[1]

قد أراد ابن تيمية شيئا وأراد الله شيئا قال تعالى:

﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ (النحل: ٢٦).

قال ابن تيمية «وقال تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور:٥٥).

فقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف، كما وعدهم في تلك الآية مغفرة وأجرا عظيما، والله لا يخلف الميعاد، فدل ذلك على أن الذين استخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم ومكّن لهم دين الإسلام، وهو الدين الذي ارتضاه لهم كما قال تعالى:

﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً ﴾ (المائدة: من الآية٣).

وبدَّلهم من بعد خوفهم أمنا، لهم منه المغفرة والأجر العظيم، وهذا يستدل

(١) تفسير فرات الكوفي – فرات بن إبراهيم الكوفي – ص ١٤٥.

به من وجهين يستدل به على أن المستخلفين مؤمنون عملوا الصالحات لأن الوعد لهم لا لغيرهم ويستدل به على أن هؤلاء مغفور لهم ولهم مغفرة وأجر عظيم لأنهم آمنوا وعملوا الصالحات فتناولتهم الآيتان آية النور وآية الفتح، ومن المعلوم أن هذه النعوت منطبقة على الصحابة على زمن أبي بكر وعمر وعثمان فإنه إذ ذاك حصل الاستخلاف وتمكّن الدين والأمن بعد الخوف لّما قهروا فارس والروم، وفتحوا الشام والعراق ومصر وخراسان وإفريقية، ولما قتل عثمان وحصلت الفتنة لم يفتحوا شيئا من بلاد الكفار بل طمع فيهم الكفار بالشام وخراسان وكان بعضهم يخاف بعضا، وحينئذ فقد دل القرآن على إيمان أبي بكر وعمر وعثمان ومن كان معهم في زمن الاستخلاف والتمكين والأمن، والذين كانوا في زمن الاستخلاف والتمكين والأمن وأدركوا زمن الفتنة كعلي وطلحة والزبير وأبي موسى الأشعري ومعاوية وعمرو بن العاص دخلوا في الآية لأنهم استُخلفوا ومُكِّنوا وأمنوا»(١).

الجواب:

ما الدليل على حصر الاستخلاف والأمن على فترة حكم الثلاثة دون سواهم مع أن الآية مطلقة تفيد زمانا قابلا للاستمرار لا الانقضاء.

ثم إن الآية لم تتحقق إلى الآن فقوله تعالى:

﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾.

فالأمة في زمان أبي بكر وعمر إذ خلطوا حقا وباطلا كانت ساكنة لا تعرف ماذا كسبت لآخرها من دنياها، وقد رأت ذلك عيانا في زمن عثمان حيث سلّط

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية– ابن تيمية – ج١ – ص٢٢٣–٢٢٥.

أقاربه على رقاب الناس، ولما تحرّكت الأمة لم تهنأ بثورتها، فتسلّط عليها معاوية والذي يقول في عصره أمير المؤمنين عليه السلام[1] :

«أما بعد أيها الناس. فأنا فقأت عين الفتنة، ولم تكن ليجرأ عليها أحد غيري بعد أن ماج غيهبها واشتد كلبها. فاسألوني قبل أن تفقدوني. فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها، ومناخ ركابها ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلا، ويموت منهم موتا. ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأمور وحوازب الخطوب لأطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين. وذلك إذا قلصت حربكم وشمرت عن ساق، وضاقت الدنيا عليكم ضيقا تستطيلون معه أيام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم. إن الفتن إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت نبهت. ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات. يحمن حول الرياح يصبن بلدا ويخطئن بلدا. ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها وخصت بليتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها. وأيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي. كالناب الضروس تعذم بفيها وتخبط بيدها، وتزبن برجلها، وتمنع درها. لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعا لهم أو غير ضائر بهم. ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه. والصاحب من مستصحبه. ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية وقطعا جاهلية. ليس فيها منار هدى، ولا علم يرى نحن أهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة».

---

(١) نهج البلاغة ـ خطب الإمام علي عليه السلام ـ ج ١ ـ ص ١٨٢ — ١٨٤.

وقد أشارت الزهراء عليها السلام إلى ذلك فقالت[(١)] لنساء المهاجرين والأنصار في علتها التي استشهدت فيها «"أصبحت عائفة لدنياكم، قالية لرجالكم، لفظتهم بعد أن عجمتهم، وسئمتهم بعد أن سبرتهم، فقبحا لفلول الحد، وخور القناة وخطل الرأي.

﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (المائدة: من الآية٨٠).

لقحت، فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا طلاع القعب دما عبيطا، وذعافا ممقرا، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غب ما أسس الأولون. طم طيبوا عن أنفسكم أنفسا، واطمئنوا للفتنة جأشا، وأبشروا بسيف صارم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدا، وجمعكم حصيدا، فيا خسرى لكم، وأنى بكم وقد عميت عليكم:

﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ (هود: من الآية٢٨).

والحمد لله رب العالمين، والصلاة على أبي سيد المرسلين"».

فأين الأمن المدّعى؟! وهذه الآية لن تنطبق إلاّ على زمان القائم المهدي عليه السلام الذي سيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا.

ولأبي الصلاح الحلبي[(٢)] رد على من استدل بالآية على فترة الخلفاء الثلاثة إذ يقول «افتقارهم في تخصيصهم بها إلى إقامة برهان على ثبوت صفات المذكورين فيها لهم، وثبوته يغني عن الآية في المقصود باتفاق، وإذا تعذر ذلك عليهم خرج

---

(١) دلائل الإمامة - محمد بن جرير الطبري (الشيعي) - ص ١٢٨ – ١٢٩.

(٢) تقريب المعارف - أبو الصلاح الحلبي - ص ٣٧٤ – ٣٧٦.

الظاهر من أيديهم بغير إشكال. ومنها: أنه لا يخلو أن يكون المراد بالاستخلاف المذكور في الآية توريث ديار الكفار، كقوله تعالى:

﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا﴾، ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾، ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾.

أو الخلافة على العباد وتدبير البلاد، كآدم عليه السلام في قوله:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

وطالوت في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾.

وداود في قوله:

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾.

وسليمان في قوله سبحانه:

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾.

وقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

وهارون عليه السلام في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾.

ورسول الله صلى الله عليه وآله في قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾.

فكان للناس، وعلم من دينه صلوات الله عليه وآله كونه خليفة على أهل الأرض ورئيسا لجميعهم. أو ظاهر التصرف في البلاد وأهلها بالقهر والاضطرار. فإن كان أراد الأول فلا مزية لبعض المستخلفين في الديار على بعض، وليس من الخلافة المطلوبة في شيء. وإن أراد على الوجه الثاني فهو خطاب لغيرهم، لعدم النص أو ما يستند إليه من المعجز على استخلافهم، كاستخلاف من ذكرناه من الأنبياء عليهم السلام. ولا يعترض هذا قولهم: أن ثبوت خلافتهم من اختيار مأذون لهم فيه يقتضي إضافتها إليه تعالى من وجوه: أحدها: أنه مبني على أن الله تعالى قد نص على الاختيار، وقد بينا فساد ذلك. ومنها: أن من أذن لغيره أن يختار وكيلا لنفسه أوصيا من بعده فاختار، فإن الوكيل وكيل له والوصي كذلك، دون من أذن له، ولا يقول أحد: هذا وصيّ فلان، وهذا وكيله، وإن كانت الوكالة والوصيّة بإذنه. ومنها: أن ظاهر الآية يقيد وقوع الاستخلاف للمذكورين فيها به تعالى، كاستخلاف من قبلهم، وقد علمنا أن الله تعالى لم يستخلف واحدا منهم باختيار الأمة، وإنما دل على ذلك بمعجز أو نص يستند إلى معجز، فيجب كون المستخلفين بها كذلك. وهذا يختص الآية بأئمتنا عليهم السلام، لثبوت النص من الكتاب والسنة والمعجز على خلافتهم. ولا يجوز أن يريد تعالى الاستخلاف على الوجه الأخير، لأنه سبحانه أضافه إليه، وذلك يقتضي حسنه وإباحة التصرف له، وتملك البلاد والعباد على جهة الغلبة قبيح لا يجوز إضافته إليه سبحانه، ولا يحسن معه التصرف على كل حال. فإن جاز للمجبرة إضافة خلافتهم إلى الله تعالى - من حيث تم لهم تملك أمر الأمة وتصريفهم على إرادتهم

- لم يجز ذلك لأهل العدل، ويلزمهم عليه إضافة خلافة كل متغلب إلى الله تعالى من بني أمية وبني عباس، بل عباد الأصنام، فإن التزموا ذلك ارتفعت المزية، ولم ينازعهم في استحقاق القوم سمة الخلافة على الوجه الذي يستحقه كل متغلب وظالم، إذ ذلك صريح مذهبنا المدلول عليه، وليس مما يريدونه في شيء، وإنما يمنعهم من إثبات خلافتهم على وجه يحسن معه إضافتها إلى الله تعالى حسب ما اقتضته الآية، فأما على وجه يقبح لا يجوز مع إضافتها إلى الله تعالى فغير منازعين فيه، والآية أجنبية منه».

وهو كلام جميل في المقام.

قال ابن تيمية «فإن قيل: لم قال:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (الفتح: من الآية٢٩).

ولم يقل وعدهم كلهم قيل: كما قال:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ (النور: من الآية٥٥).

ولم يقل وعدكم و(من) تكون لبيان الجنس فلا يقتضي أن يكون قد بقي من المجرور بها شيء خارج عن ذلك الجنس كما في قوله تعالى:

﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ (الحج: من الآية٣٠).

فإنه لا يقتضى أن يكون من الأوثان ما ليس برجس وإذا قلت ثوب من حرير فهو كقولك ثوب حرير، وكذلك قولك باب من حديد كقولك باب حديد وذلك لا يقتضى أن يكون هناك حرير وحديد غير المضاف إليه وإن كان الذي يتصوره كليا فإن الجنس الكلي هو ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه وإن لم

يكن مشتركا فيه في الوجود فإذا كانت من لبيان الجنس كان التقدير وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هذا الجنس وإن كان الجنس كلهم مؤمنين مصلحين...»[١].

الجواب:

اختلف النحويون في المراد من قوله تعالى (منهم) فمنهم من قال هي للجنس ومنهم من قال هي للتبعيض كما نقل ذلك النحاس[٢] والزجاج[٣] وجزم الزمخشري بأنها للتبعيض[٤]، ولو تركنا أقوال المفسرين والنحويين وأغراضهم المذهبية والعصبية واتجهنا إلى ما هو ملموس من البشر من يوم وجدوا على الأرض والى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلن نجد جماعة بهذا العدد معصومة إلى الدرجة التي يشملها الله كلها بالجنة والرضوان لأنهم كلهم مؤمنون عاملون للصالحات، أجمعون، أكتعون، أبصعون!! كيف وقد روى أهل السنة قبل غيرهم اختلاج الكثير من الصحابة عن الحوض فأين ذهب النفاق والطمع وحب الدنيا وغيرها مما تجده مبثوثا في الروايات التي تنقل أجواء تاريخهم، قال السيد الطباطبائي[٥] «والذي يمتاز به الصدر الأول من المسلمين هو أن مجتمعهم كان مجتمعا فاضلا، يقدمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويغشاهم نور الإيمان ويحكم فيهم سيطرة الدين، هذا حال مجتمعهم من حيث إنه مجتمع، وإن كان

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج١- ص٢٢٦.

(٢) تفسير السمعاني- ج٥ - ص٢١١.

(٣) تفسير زاد المسير - ج٧- ص١٧٥.

(٤) الكشاف- الزمخشري - ج٢ - ص٥١٤.

(٥) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ٤ - ص ٤١٧ – ٤١٨.

يوجد بينهم من الأفراد الصالح والطالح جميعا وفي صفاهم الروحية الفضيلة والرذيلة معا وكل لون من ألوان الأخلاق والملكات. وهذا هو الذي يذكره القرآن من حالهم ويبينه من صفاهم قال تعالى:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْأِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (الفتح:٢٩).

فقد بدأ تعالى بذكر صفاهم وفضائلهم الاجتماعية مطلقة وختم بذكر المغفرة والأجر لأفرادهم مشروطة».

والغريب من أهل السنة أنهم يؤوِّلون ما يرد من أخبار في ما سيحدث من شر في الأمة بأنه لا يمكن لكونها أفضل الأمم، ويتناسون ما رووه بأن السنن التاريخية لا تتغير وان البشر هم أنفسهم بصفاهم السيئة في كل زمان ومكان، ثم إن النبي صلى الله عليه وآله انذر أن سيحصل في هذه الأمة ما حصل في الأمم من قبلها إذ روى الحاكم عن إبراهيم بن همام قال[1] «كنا عند حذيفة فذكروا من لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون.. فقال رجل من القوم: إن هذا في بني إسرائيل، فقال حذيفة: نِعم الإخوة بنو إسرائيل إن كان لكم الحلو ولهم المر كلا والذي نفسي بيده حتى تحذوا السنة بالسنة حذو القذَّة بالقذَّة» قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وفي معناه أحاديث عدة أجمعت

---

(١) المستدرك – الحاكم النيسابوري – ج ٢ – ص ٣١٢.

الأمة عليها فهي حجة ودليل قاطع على ما يلمسه الإنسان من عموم الناس وموقفهم من الشريعة، وخير من حلل طبيعة الناس تجاه الدنيا الإمام الحسين عليه السلام إذ يقول[١] «إن الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون».

وهو ما يحصل دائما وأول من يحصل منهم هم بعض الملتفّين على المصلحين والأنبياء والأئمة فهم اقرب إلى مصدر الجاه والسلطة الدينية التي تهيمن على قلوب الناس، وعندها يكون الاختبار العظيم بين النوازع الشخصية السيئة ومحاولة تجيير هذه السلطات للنفس وجعلها الغاية، وبين تطويعها لخدمة المبدأ الذي يشترك به مع الملتفِّين حوله ليكون واحدا منهم بدل أن يكون فوقهم، والذي حصل أن الناس حديثو عهد بالإسلام فلما بايعوا عليا في خمٍ قالوا: انه ابن عمه فلا مشكلة، ولما رأوا أنهم في السقيفة بايعوا أبا بكر قالوا: احد أسنّ أصحابه ومن عشيرته فلا فرق ما داموا قد ارتضوه في عشيرته.

وهذا حق، فالناس لم تكن تعرف التفاصيل الشرعية والدقائق وموجبات الردة والكفر وما حدود الطاعة، وإلّا لما كانوا يردّون على النبي صلى الله عليه وآله كلامه تارة ويعصونه تارة أخرى، روى البخاري في صحيحه قصة صلح الحديبية إلى قوله[٢] «.... فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا؟ قال: بلى، قلت: السنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا إذا؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري. قلت: أوليس كنت تحدثنا انا سنأتي البيت فنطوف

---

(١) تحف العقول – ابن شعبة الحرّاني – ص ٢٤٥.

(٢) صحيح البخاري – البخاري – ج ٣ – ص ١٨٢.

به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنّا نأتيه العام؟ قال: قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به.

قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا؟ قال: بلى، قلت: السنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل انه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك انك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال فإنك آتيه ومطوف به. قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالا قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلِّم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك.

فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غمّا، ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ..﴾. (الممتحنة: من الآية١٠).

فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة».

فانظر كيف يكلّم عمر النبي صلى الله عليه وآله بهذا الأسلوب الخشن وعمر مسلم منذ خمسة عشر عاما في هذه الواقعة! وانظر كيف يستمر عمر بزواجه من مشركة تعبد الأوثان لخمسة عشر عاما بعد إسلامه! أفهل يقول قائل إنهم يعرفون الإسلام؟! بل كان بعضهم لا يرى لكلام النبي صلى الله عليه وآله وزنا أكثر من كلامه! نقل ابن أبي الحديد في شرحه على النهج شرب معاوية بآنية الذهب والفضة ونقل استنكار أبي الدرداء لذلك فقال له «إني سمعت رسول الله صلى عليه وآله يقول: (إن الشارب فيها ليجرجر في جوفه نار جهنم)، وقال معاوية: أما أنا فلا أرى بذلك بأسا، فقال أبو الدرداء: من عذيري من معاوية! أنا أخبره عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يخبرني عن رأيه! لا أساكنك بأرض أبدا».[1]

ولهذا الحديث وغيره حكم الشيعة وبعض أهل السنة (المعتزلة) على معاوية بالنفاق لكون من يجعل كلامه بمنزلة كلام النبي لا يرى للنبي صلى الله عليه وآله فضلا عليه وهذا من النفاق بل الكفر.

---

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٥ - ص ١٣٠

المنافقون في زمان النبي... مغمورون مقهورون!

قال ابن تيمية «وبالجملة فلا ريب أن المنافقين كانوا مغمورين أذلاء مقهورين لا سيما في آخر أيام النبي صلى الله عليه وسلم وفي غزوة تبوك لأن الله تعالى قال:

﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون:٨).

فأخبر أن العزّة للمؤمنين لا للمنافقين فعُلم أن العزة والقوة كانت في المؤمنين، وأن المنافقين كانوا أذلاّء بينهم، فيمتنع أن يكون الصحابة الذين كانوا أعزّ المسلمين من المنافقين، بل ذلك يقتضي أن من كان أعزّ كان أعظم إيمانا ومن المعلوم أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الخلفاء الراشدين وغيرهم كانوا أعزّ الناس، وهذا كلّه مما يبين أن المنافقين كانوا ذليلين في المؤمنين فلا يجوز أن يكون الأعزّاء من الصحابة منهم، ولكن هذا الوصف مطابق للمتصفين به من الرافضة وغيرهم والنفاق والزندقة في الرافضة أكثر منه في سائر الطوائف، بل لا بد لكل منهم من شعبة نفاق فإن أساس النفاق الذي بني عليه الكذب وأن يقول الرجل بلسانه ما ليس في قلبه كما أخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم يقولون

بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، والرافضة تجعل هذا من أصول دينها وتسميه التقيّة وتحكي هذا عن أئمة أهل البيت الذين برأهم الله عن ذلك حتى يحكوا عن جعفر الصادق أنه قال: التقية ديني ودين آبائي.

وقد نزه الله المؤمنين من أهل البيت وغيرهم عن ذلك بل كانوا من أعظم الناس صدقا وتحقيقا للإيمان وكان دينهم التقوى لا التقية وقول الله تعالى:

﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران:٢٨).

إنما هو الأمر بالاتّقاء من الكفّار لا الأمر بالنفاق والكذب والله تعالى قد أباح لمن أكره على كلمة الكفر أن يتكلم بها إذا كان قلبه مطمئنا بالإيمان لكن لم يكره أحد من أهل البيت على شيء من ذلك حتى أن أبا بكر رضي الله عنه لم يكره أحدا لا منهم ولا من غيرهم على مبايعته فضلا أن يكرههم على مدحه والثناء عليه بل كان علي وغيره من أهل البيت يظهرون ذكر فضائل الصحابة والثناء عليهم والترحم عليهم والدعاء لهم ولم يكن أحد يكرههم على شيء منه باتفاق الناس وقد كان في زمن بنى أمية وبني العباس خلق عظيم دون علي وغيره في الإيمان والتقوى يكرهون منهم أشياء ولا يمدحونهم ولا يثنون عليهم ولا يقربونهم ومع هذا لم يكن هؤلاء يخافونهم»[١].

الجواب:

لا أعرف كيف يكون المنافقون أذلاء مغمورون مقهورون ثم تنزل فيهم

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج١- ص٢٢٨-٢٢٩.

سورة قرآنية كاملة! بل أن من يقرأ سورة براءة ويتأمل في أسمائها مثل «الفاضحة» إذ فضحت المنافقين و«المثيرة» أثارت مثالبهم وعوراتهم و«المبعثرة» لأنها بعثرتهم و«الحفارة» لأنها حفرت ما في قلوب المنافقين هذا وقد نزل معظمها في تبوك في السنة التسعة للهجرة قبل عام من شهادة النبي صلى الله عليه وآله، فإذا كان هذا حال المنافقين قبل عام من رحيل النبي صلى الله عليه وآله، فما الذي جعلهم يؤمنون فجأة وهم لم يؤمنوا طوال ثلاثة وعشرين عاماً؟!

وأما قول ابن تيمية «وأن المنافقين كانوا أذلاء بينهم فيمتنع أن يكون الصحابة الذين كانوا أعزَّ المسلمين من المنافقين».

فيقال:

إن كثرة الآيات القرآنية المدنية التي نزلت في المنافقين تجعلهم مرهوبي الجانب وإلّا لما ركزت تلك الآيات على خطر المنافقين وصار خطر المشركين بجنبه صغيرا لا يؤبه له!

ثم ما العزة التي يقصدها ابن تيمية؟ فإن كانت السيطرة المادية الظاهرة فهي في زمان النبي للمسلمين، وإن كان كلام المنافقين في الآية يدل على أنهم يرون لهم قوة لا يستهان بها وإلاّ لم ظنوا أنهم أعزّ من غيرهم وسيخرجون الأذلّ من المدينة؟!

لكن باطن الأمور والغرف المظلمة كانت تدل على أمور أخرى وهو عمل دؤوب للمنافقين ومرضى القلوب في سبيل تهديم الإسلام من الباطن، ومن يراجع كتب التاريخ السنّية يجد بعض من يقول ابن تيمية بصحابتهم يظهرون نفاقهم كابي سفيان ابن حرب في حنين إذ يقول فرحا «لا تنتهي هزيمتهم دون البحر» وكانت

الأزلام معه في كنانته[١] ويقول كلدة بن حنبل وهو المسلم ظاهرا وقد جاء ليقاتل مع النبي صلى الله عليه وآله «ألا بطل السحر اليوم»[٢] ويقول شيبة بن عثمان «اليوم أدرك ثأري»[٣] أي من النبي فقد أراد قتل النبي عندما رأى المسلمين وقد انهزموا عن النبي صلى الله عليه وآله!.

ولو تم كلامه لما أخبر النبي صلى الله عليه وآله عن طرد بعض الصحابة عن الحوض إذ يذودهم (رجل!) يخرج من بينه وبينهم فيأخذهم ذات الشمال كما ورد في البخاري.

ثم ما قولهم فيمن صحب النبي وارتدَّ نصرانيا ورووا له الحديث، كربيعة بن خلف الجمحي، أو من ارتد كافرا ثم رجع للإسلام تحت حد السيف كالأشعث بن قيس[٤]؟!!

والظاهر أن العزّة التي يفهمها الرجل هي الغلبة ظاهرا وإن كان المقصود رجلا سيئا في ذاته بينما ما يفهمه أهل البيت هو أن العزة في طاعة الله، فيقول أمير المؤمنين عليه السلام «إذا أردت عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله عز وجل»[٥].

ولو تنازلنا عن كل ذلك فقوله تعالى «إن العزّة... للمؤمنين» فإيمان علي عليه السلام زمن نزول الآية ثابت بإجماع الأمة بمن فيهم الخوارج بينما إيمان غيره

(١) تفسير جامع البيان – الطبري– ج٢ – ص٣٤٧.

(٢) تفسير جامع البيان – الطبري– ج٢ – ص٣٤٧.

(٣) تفسير جامع البيان – الطبري– ج٢ – ص٣٤٧.

(٤) فتح الباري – ابن حجر– ج٧ – ص٣.

(٥) كفاية الأثر – الخزّاز القمّي – ص ٢٢٨.

موضع شك وعليه النزاع فلا يدخلون في هذه العزة إلا بدليل قاطع.

وأمّا قوله في آية التقيّة «إنما هو الأمر بالاتِّقاء من الكفّار لا الأمر بالنفاق والكذب»

قلت:

الواجب أن يقول «إنما هو الأمر بالاتِّقاء من الكفّار لا بالاتقاء من المسلمين»، وإلّا فتسميته التقيّة بالنفاق والكذب طعن بالقرآن وبعمل عمّار بن ياسر رضي الله عنه. وبالتالي توصيفه لهذا الصحابي الجليل بالمنافق!

وقد نقلنا عمل ابن عبّاس وأبي حنيفة والحسن البصري بالتقيّة، وعمل الحنابلة بها أيام فتنة ابن تيميّة.

قال ابن تيمية «وهكذا أمر أهل السنة مع الرافضة في أبي بكر وعلي، فإن الرافضي لا يمكنه أن يثبت إيمان على وعدالته وأنه من أهل الجنة فضلا عن إمامته إن لم يثبت ذلك لأبي بكر وعمر وعثمان، وإلا فمتى أراد إثبات ذلك لعلي وحده لم تساعده الأدلة، كما أن النصراني إذا أراد إثبات نبوة المسيح دون محمد لم تساعده الأدلة»[(١)].

الجواب:

وهذا يضحك الثكلى فلو لم يكن سوى الإجماع على إيمان علي واختلافهم على غيره من الثلاثة لكان كافياً، فالنبي يقول «إن الله قد أجار أمتي من أن تجتمع على ضلالة» وقد حسَّنه الألباني في صحيحته[(٢)].

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢- ص٣٣.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة - الألباني- ج٣- ح ١٣٣١.

ولو لم يكن سوى قرون العداء لعلي عليه السلام من خلال العوائل الحاكمة التي تخاف من حق آل علي في الخلافة فتعمد إلى محاولة إطفاء نور أفضليته وأحاديث الولاية فيه، وفي الوقت نفسه خلق الأكاذيب للثلاثة لعدم خوفهم من دعوى حق الهي من ذراريهم لكان كافيا، فمع كل هذه الظروف وصل لعلي ما يفوق الثلاثة حتى ألَّفوا فيه الخصائص التي لم تكن لغيره.

ولو افترضنا أن ردَّة احد الصحابة ثبتت عند أهل السنة فلمَ يجب أن تكون ردة غيره قد ثبتت أيضا؟!

وما الرابط بين إيمان احدهم بإثبات إيمان الآخر، مع اختلاف ظروف إيمانهم واختلاف مراتبهم فبعضهم يعبد الله على حرف وبعضهم في أرقى مراحل الإيمان فلو أخذنا إيمان علي وإيمان ابي بكر فعلي عليه السلام لم يعبد وثناً طُرفة عين بينما ظل أبو بكر أربعين سنة وهو يعبد الأوثان ويتقرب إليها مشركاً كافراً رجساً نجساً، حتى منَّ الله عليه بالنبي منذراً، وأين هذا من علي الذي يقول عن نفسه [(١)] «أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر. وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة. وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره، ويكنفني إلى فراشه، ويمسني جسده ويشمني عرفه. وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه. وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل. ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره. ولقد كنت أتبعه اتبّاع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه

---

(١) نهج البلاغة – خطب الإمام علي عليه السلام – ج ٢ – ص ١٥٦ – ١٥٨

علما ويأمرني بالاقتداء به. ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري. ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما. أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال هذا الشيطان أيس من عبادته. إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي. ولكنك وزير وإنك لعلى خير»..

وبالتالي فقد اتفقت الأمّة الإسلامية على إيمان علي عليه السلام وإمامته واختلفت على غيره، فالشيعة وهي شطر عظيم من المسلمين تقول بعصمته وبالنص عليه وبالتالي إيمانه وإمامته والإشاعرة والماتريدية وهم الجزء الأعظم من المسلمين تقول بإيمانه وإمامته واحتياج الناس إليه وعدم احتياجه لغيره وأن الواصل من روايات في علوّ منزلته لم يصل مثلها لغيره، إضافة لإيمان وخلافة الثلاثة وخالفوا الشيعة بأفضليته على الثلاثة فقط، والمعتزلة تقول بإيمانه وأكثرهم قال بتفضيله على غيره، وحتى الخوارج لم ينقصوا من عظيم منزلته وإنما قالوا بأن الإمام عليه السلام ارتد بعد قبوله تحكيم الرجال في كتاب الله، من هنا فقد اتفقت الامة كلها على إيمانه وصحّة خلافته وعدم تبديله وتغييره بل وكونه الحد الفاصل بين الجنة والنار، بينما اختلفت الأمّة اختلافا عظيما في غيره ممن تسلّط على الأمّة بالقهر والغلبة. فالميزة عندنا أننا يمكننا أن نثبت إيمان علي وصحّة خلافته بينما لا يستطيع غيرنا ذلك، فإنّه إن استدل على إيمانهم وخلافتهم بما يقوم لديهم من أدلة كان ذلك لا يلزمنا، وإن استدلّوا على إيمانهم وخلافتهم بأدلتنا لم يستطيعوا لكون قولهم سيرجع للحكم بصحّة خلافة علي وعدم تصحيح خلافة غيره، وبإيمان وتفضيل علي وعدم الحكم لغيره، فظهر مدى متانة أدلة مذهبنا

واتّساقها وخلوّها من التناقض، وظهر كالشمس في رابعة النهار مدى ضعف أدلّتهم المهلهلة، وكونها أقوال رجال لا يعضدها القرآن ولا السنّة.

قال تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (يونس:٣٥).

علي عليه السلام... كان ظالماً طالباً للدنيا!!

قال ابن تيمية «فإذا قالت له الخوارج الذين يكفرون عليا أو النواصب الذين يفسقونه: إنه كان ظالما طالبا للدنيا، وإنه طلب الخلافة لنفسه وقاتل عليها بالسيف وقتل على ذلك ألوفا من المسلمين حتى عجز عن انفراده بالأمر، وتفرّق عليه أصحابه وظهروا عليه فقاتلوه. فهذا الكلام إن كان فاسدا ففساد كلام الرافضي في أبي بكر وعمر أعظم، وإن كان ما قاله في أبي بكر وعمر متوجها مقبولا فهذا أولى بالتوجه والقبول، لأنه من المعلوم للخاصة والعامة أن من ولّاه الناس باختيارهم ورضاهم من غير أن يضرب أحدا لا بسيف ولا عصا ولا أعطى أحدا ممن ولّاه مالا واجتمعوا عليه فلم يولِّ أحدا من أقاربه وعترته، ولا خلف لورثته مالا من مال المسلمين وكان له مال قد أنفقه في سبيل الله، فلم يأخذ بدله وأوصى أن يُرد إلى بيت مالهم ماكان عنده لهم وهو جرد قطيفة وبكر وأمة سوداء ونحو ذلك حتى قال عبدالرحمن بن عوف لعمر أتسلب هذا آل أبي بكر؟ قال كلا والله، لا يتحنث فيها أبو بكر وأتحملها أنا، وقال: يرحمك الله يا أبا بكر لقد أتعبت الأمراء بعدك، ثم مع هذا لم يقتل مسلما على ولايته ولا قاتل مسلما بمسلم، بل قاتل بهم المرتدّين عن دينهم، والكفار حتى شرع بهم في فتح الأمصار

واستخلف القوي الأمين العبقري الذي فتح الأمصار ونصب الديوان وعمر بالعدل والإحسان»[(١)].

الجواب:

لاحظ انه قال قبل قليل «فإن الرافضي لا يمكنه أن يثبت إيمان علي وعدالته» فتكلم عن أصل إيمانه من عدمه وربط ذلك بإثبات إيمان أبي بكر مثلا، ولكنه الآن يتكلم عن إيمانه في فترة خلافته مع حروبه أم لا، وهذا أمر آخر، وابن تيمية لم يغب عن هذا ولا جرى ذلك من سهو القلم! ولكنه يعلم انه إن ادّعى ذلك لم يستطع، فتكلم عن عدم إمكان إثبات إيمان علي إلّا بإثبات إيمان أبي بكر ثم تكلم عن فترة خلافة علي وما يقوله الخوارج والنواصب عنها!

ثم إن محاولة نسب الكلام للخوارج أو النواصب محاولة فاشلة منه، فالكلام له ولكن كيف يمكن أن يقوله وهو في الظاهر يتولّى الإمام عليه السلام كخليفةٍ رابعٍ؟!

وإلّا فعلى مذهب من يتولاه كخليفة رابع راشدي (كأهل السنة) فمن الضرورة بطلان ما يقوله النواصب والخوارج بالتالي فإشكاله لا يتوجّه أصلاً.

ولا ادري ما هذا التخليط فما دخل مقام أمير المؤمنين عليه السلام الباسق والذي لا تجد له خطلة في فعل، ولا سهوا في كلام، ونشأته في كنف التوحيد، بالمقارنة مع من كانوا من عبدة الأصنام وملأوا حياتهم بالمعاصي وشرب الخمر والفسق قبل الإسلام ومُلئت حياتهم بالبدع والتناقضات بعده؟!

وما قوله «لأنه من المعلوم للخاصة والعامة أن من ولّاه الناس باختيارهم

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية – ج١ – ص٣٤.

ورضاهم من غير أن يضرب أحدا لا بسيف ولا عصا ولا أعطى أحدا ممن ولاه مالا واجتمعوا عليه فلم يول أحدا من أقاربه وعترته ولا خلف لورثته مالا من مال المسلمين وكان له مال قد أنفقه في سبيل الله فلم يأخذ بدله...».

إلا دليل على خبث سريرته لذا فلا نعجب ممن وصمه بالنفاق من أهل زمانه[1]، وإلاّ فما قيل هنا عن أمير المؤمنين عليه السلام ينطبق على النبي صلى الله عليه وآله والنبي عيسى بن مريم عليه السلام، فدعوة النبي عيسى كانت دعوة أخلاقية لم يحمل فيها سيفا ولا عصى بينما يقول النبي «لقد جئتكم بالذبح»[2]، وبلغت غزوات النبي ما يقرب من ثمانين غزوة، قتل فيها المئات وترمَّلت فيها المئات ويُتِّم الألوف فهل نقول بالقياس الباطل الذي قاسه ابن تيمية بأنَّ نبوة عيسى أفضل لعدم وجود قتلى وغيره؟! كلا وألف كلا وهذا ما نقوله في علي عليه السلام فهو مأمور بقتال القاسطين والمارقين والناكثين بأمر النبي صلى الله عليه وآله ومدلول على اتِّباعه بالأوامر الجلية فلا يقال هذا الكلام في الحروب التي خاضها ثم انه ما بدأ قوما قط بقتال حتى يقاتلوه فقتاله كان لإحقاق حق وهو الإمام الشرعي فبالتالي يبطل بالضرورة أي إشكال لابن تيمية واتباعه من النواصب على سيرته. بل أن ابن تيمية نسي ما فعله ابو بكر بقتاله للمتوقف في

---

(١) قال ابن حجر العسقلاني «ومنهم من ينسبه إلى النفاق لقوله في علي ما تقدم ولقوله أنه كان مخذ ولا حيث ما توجه وأنه حاول الخلافة مرارا فلم ينلها وإنما قاتل للرياسة لا للديانة ولقوله أنه كان يحب الرياسة وأن عثمان كان يحب المال ولقوله أبو بكر أسلم شيخا يدري ما يقول وعلي أسلم صبيا والصبي لا يصح إسلامه على قول وبكلامه في قصة خطبة بنت أبي جهل... فألزموه بالنفاق لقوله صلى الله عليه وسلم: ولا يبغضك إلا منافق» الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/ص٥٠.

(٢) مسند احمد – ج٢ – ص٢١٨ / و رجاله رجال الصحيح.

خلافته من قبيل مالك بن نويرة فلم يقل عنه احد انه مرتد بدليل سعي عمر لإقامة الحد على خالد بتهمة قتل مسلم والزنا بزوجته ولم يرد أحد على عمر بأن مالك بن نويرة مرتد!. فظهر هنا تدليس ابن تيميّة.

والمسألة ليست قولا مقابل قول حتى يتساقطا للتساوي، فنسقط قول الشيعي لكون الناصبي له قول! بل ينظر في الدليل والأخبار الصحيحة، لهذا كان امتياز الشيعة أعزّهم الله لكون دليلهم تامّ من كتبهم وكتب غيرهم بينما تجد غيرهم يتمسك بعواهن سرعان ما تنهار امام سيل الحقيقة.

والمفترض أن الحوار بين إمامي وآخر من أهل السنة والطرفان متفقان على إيمان علي عليه السلام ومختلفان حول مرتبة الإمام عليه السلام فالشيعي يقول انه الخليفة المنصب من الله وهو الذي لا يقاس به أحد والثاني يقول هو الخليفة الرابع وهو بالفضل يأتي رابعا، الذي يفعله ابن تيمية انه لا يناقش حسب مبانيه في ذلك بل حسب مباني النواصب! فكلما أشكل عليه الجواب يأتي بإشكالات النواصب ليقول: فإذا قلتم... قال النواصب! فالمعروف أن الشيعة وأهل السنة يؤمنون ببطلان ما يقوله النواصب! وهو غريب إلّا إن كان ابن تيمية يتبنى ذلك ولكنه لا يستطيع البوح به! للتقية مثلا.

قال ابن تيمية «فإن جاز للرافضي أن يقول: إن هذا كان طالبا للمال والرياسة أمكن الناصبي أن يقول: كان علي ظالما طالبا للمال والرياسة قاتل على الولاية حتى قتل المسلمين بعضهم بعضا ولم يقاتل كافرا ولم يحصل للمسلمين في مدة ولايته إلا شر وفتنة في دينهم ودنياهم، فإن جاز أن يقال: علي كان مريدا لوجه الله والتقصير من غيره من الصحابة أو يقال: كان مجتهدا مصيبا وغيره مخطئا،

مع هذه الحال فأن يقال: كان أبو بكر وعمر مريدين وجه الله مصيبين والرافضة مقصِّرون في معرفة حقهم مخطئون في ذمهم بطريق الأولى والأحرى فإن أبا بكر وعمر كان بعدهما عن شبهة طلب الرياسة والمال أشد من بعد علي عن ذلك، وشبهة الخوارج الذين ذمَّوا عليا وعثمان، وكفروهما أقرب من شبهة الرافضة، الذين ذمَّوا أبا بكر وعمر وعثمان وكفَّروهم فكيف بحال الصحابة والتابعين الذين تخلَّفوا عن بيعته، أو قاتلوه، فشبهتهم أقوى من شبهة من قدح في أبي بكر وعمر وعثمان، فإن أولئك قالوا: ما يمكننا أن نبايع إلا من يعدل علينا ويمنعنا ممن يظلمنا ويأخذ حقنا ممن ظلمنا، فإذا لم يفعل هذا كان عاجزا أو ظالما وليس علينا أن نبايع عاجزا أو ظالما، وهذا الكلام إذا كان باطلا فبطلان قول من يقول: إن أبا بكر وعمر كانا ظالمين طالبين للمال والرياسة أبطل وأبطل وهذا الأمر لا يستريب فيه من له بصر ومعرفة»[1].

الجواب:

هذا الكلام المتهافت لا يليق بمن يلقَّب بشيخ الإسلام، فالفرق بين الأقوال والوقائع فرق شاسع، فأين الظلم من علي؟!! وأين طلبه للرياسة من زهده المشهور عند الجميع؟! وأين قتاله على الولاية وقد أوصاه النبي صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين؟!

وإما غيره فالأمة مختلفة فيه فمن يعتبرهم عصاة، ومن يقول بإيمانهم ومفضوليتهم، ومن قائل بأفضليتهم على تفصيل، وأين هذا من ذاك! لكن أنى لهذه القلوب المنكوسة التفريق؟!

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢- ص٣٥.

ثم نقول: إن ابن تيمية يقول انه من أهل السنة وهو يؤمن ببطلان هذه الأقوال الفاسدة وإلّا لأصبح ناصبياً علنا! ومن هنا، فلو تبنى ابن تيمية او أتباعه هذه الأقوال فسنرد عليها بشكل مفصل ومع عدم تبنيها وإعلانهم بطلانها ابتداءا طبعا (لكونهم ليسوا نواصب) فلن نسوِّد الصفحات بردود افتراضية.

بيان ذلك: إن النواصب والخوارج لا حظ لهم من الإسلام فهم يمرقون كمروق السهم من الرميّة بحكم المسلمين شيعة وسنّة، وبالتالي فأقوالهم مسفّهة عند الجميع، محكوم عليها بالبطلان من لدن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

وما محاولة ابن تيمية إلّا بيان لنقص الاستدلال، ودليل ضعف واضح لكونه لا يملك أدلة على بطلان قول الشيعة، لا من كتب اهل السنّة ولا من كتب الشيعة، لذا تطفّل على آراء النواصب والخوارج ليجد ضالّته ويأبى الله والمؤمنون.

علي عليه السلام... منافق في الباطن!

قال ابن تيمية «وإذا قالوا ما تقوله أهل الفرية من أن أبا بكر وعمر كانا منافقين في الباطن عدويّن للنبي صلى الله عليه — وآله - وسلم، أفسدا دينه بحسب الإمكان، أمكن الخارجي أن يقول ذلك في علي، ويوجّه ذلك بأن يقول: كان يحسد ابن عمه والعداوة في الأهل، وأنه كان يريد فساد دينه فلم يتمكَّن من ذلك في حياته وحياة الخلفاء الثلاثة حتى سعى في قتل الخليفة الثالث وأوقد الفتنة حتى تمكَّن من قتل أصحاب محمد وأمته بغضا له وعداوة، وأنَّه كان مباطناً للمنافقين الذين ادَّعوا فيه الإلهية والنبوّة، وكان يظهر خلاف ما يبطن لأن دينه التقيّة، فلما أحرقهم بالنار أظهر إنكار ذلك، وإلا فكان في الباطن معهم، ولهذا كانت الباطنية من أتباعه وعندهم سرَّه، وهم ينقلون عنه الباطن الذين ينتحلونه، ويقول الخارجي مثل هذا الكلام الذي يروج على كثير من الناس أعظم مما يروج كلام الرافضة في الخلفاء الثلاثة، لأن شبه الرافضة أظهر فسادا من شبه الخوارج والنواصب والخوارج أصحّ منهم عقلا وقصدا والرافضة أكذب وأفسد دينا»[1].

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية– ابن تيمية – ج٢– ص٣٦.

الجواب:

المقارنة فاسدة للشواهد العديدة على دنيوية هؤلاء وعدم وجود شاهد واحد على ما قالوه ضد أمير المؤمنين عليه السلام!

وأين جهلهم من علمه وأين ظلمهم من عدله، وأين طمعهم بالدنيا والحكم من زهده فيه، وهو الوحيد الذي بويع في المدينة بدون معارضة.

ويكفي إجماع الأمة على إيمان علي في حياة النبي بلا شذوذ إطلاقا وخلافهم على غيره، مع العلم أن الخوارج لم يقولوا مطلقا هذه الأقوال بل هم يقولون إن الإمام كفر بتحكيم الرجال في كتاب الله وآراؤهم معروفة مبسوطة وما نقله ابن تيمية من الكذب عليهم!.

والمنصف يجب أن يتمعّن في السبب الذي دعى ابن تيميّة ليجعل الاعتراض المفترض في هذه الأبواب من الناصبي لا غيره! أليس لكونه أسقط ما في يده لقيام الأدلة الشيعية القويّة بالمطلوب؟!

فلو كانت هنالك أدلّة سنّية لقالها ابن تيميّة، واحتجّ بها، ولم يتنطّع الى أقوال النواصب ليجعلها إزاء أدلة الشيعة الناصعة!.

فظهر هنا قوّة الاستدلال الشيعي، ووضوح عدم قدرة علم الكلام السنّي بردّ الأدلة الشيعية قرآنيا وروائيا، حتى احتاجوا لمن يعلم أن أقوالهم باطلة بداهة من خلال كتب الشيعة والسنة سويا.

ابن تيميّة... والرجوع للشيعة وفِرَقِهم

وقال ابن تيمية «وأما الشيعة فكثير منهم يعترفون بأنهم إنما قصدوا بالملك إفساد دين الإسلام ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرف ذلك من خطاب الباطنية وأمثالهم من الداخلين في الشيعة، فإنهم يعترفون بأنهم في الحقيقة لا يعتقدون دين الإسلام وإنما يتظاهرون بالتشيع لقلة عقل الشيعة وجهلهم ليتوسلوا بهم إلى أغراضهم وأول هؤلاء بل خيارهم هو المختار بن أبي عبيد الكذاب فإنه كان أمير الشيعة وقتل عبيدالله بن زياد وأظهر الانتصار للحسين حتى قتل قاتله وتقرب بذلك إلى محمد بن الحنفية وأهل البيت ثم ادعى النبوة وأن جبريل يأتيه وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سيكون في ثقيف كذّاب ومبير، فكان الكذاب هو المختار بن أبي عبيد وكان المبير هو الحجاج بن يوسف الثقفي، ومن المعلوم أن عمر بن سعد أمير السرية التي قتلت الحسين مع ظلمه وتقديمه الدنيا على الدين لم يصل في المعصية إلى فعل المختار بن أبي عبيد الذي أظهر الانتصار للحسين وقتل قاتله بل كان هذا أكذب وأعظم ذنبا من عمر بن سعد فهذا الشيعي شرٌّ من ذلك الناصبيّ، بل والحجّاج بن يوسف خير من المختار بن أبي عبيد فإن الحجاج كان مبيرا كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم

يسفك الدماء بغير حق والمختار[(١)] كان كذابا يدعى النبوة وإتيان جبريل إليه وهذا الذنب أعظم من قتل النفوس فإن هذا كفر، وإن كان لم يتب منه كان مرتدّا والفتنة أعظم من القتل وهذا باب مطّرد لا تجد أحدا ممن تذمه الشيعة بحق أو باطل إلا وفيهم من هو شر منه ولا تجد أحدا ممن تمدحه الشيعة إلا وفيمن تمدحه الخوارج من هو خير منه، فإن الروافض شر من النواصب والذين تكفرهم أو تفسقهم الروافض هم أفضل من الذين تكفرهم أو تفسقهم النواصب»[(٢)].

الجواب: إن قوله «وأما الشيعة فكثير منهم يعترفون بأنهم إنما قصدوا بالملك إفساد دين الإسلام ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم» وهذا من الكذب فليس هناك من يقول انه قصد من سيرته إفساد دين الإسلام! ومن دلائل كذب هذا النقل أن السلفيين لم يستطيعوا أن يأتوا بدليل واحد يدين فرقة واحدة منتحلة

(١) يقول الدكتور السلفي حسن بن فرحان المالكي «وقفت أخيراً على رسالة في تبرئة المختار مما أتُهم به من إدعاء الوحي ونحو ذلك؛ ويرى صاحب الرسالة أنه لم يصح إسناد في ذمه وأن ذمه جاء من خصومه الذين ساءهم أخذه بثأر أهل البيت من النواصب! وأن زوجاته التابعيات كنّ على تبرئته وهن أعلم الناس به، لا سيما وأن إحداهن ابنة لسعيد بن زيد، والأخرى ابنة للنعمان بن بشير حتى أن إحداهنّ قُتلت لأنها شهدت له بأنه كان صوّاماً قواماً وأصرت على ذلك حتى قتلها المصعب بن الزبير، وأن ابن الحنفية وابن عمر وابن عباس كان رأيهم فيه حسناً وكانوا يقبلون عطاياه، وأن معظم اتهاماته جاءت من المجالد بن سعيد وهو ضعيف جداً، أموي الهوى، وزاد صاحب الرسالة أن المختار صحابي على شرط أهل الحديث! وعلى هذا فأنا الآن متوقف في أمره إلى أن أبحث أحواله، لكني أعترف بأن الأسانيد في اتهام الوليد والحكم ومعاوية أقوى من الأسانيد في اتهام المختار، والذي يتهم المختار ويبريء الوليد وأبا الغادية والحكم والوليد ونحوهم سيتناقض منهجه ويضطرب حتماً». مع سليمان العلوان في كتابه الاستنفار- حسن بن فرحان المالكي / فشهد شاهد من أهلها!

(٢) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية -ج٢- ص٢٣٧.

للتشيّع من كتبها بهذا الشأن، طوال سبعة قرون ومنذ تأليف ابن تيميّة كتابه!

وهو قول مغرض فالمفترض أن ابن تيمية في مقام الرد على ابن المطهر الحلّي احد علماء الإمامية الاثني عشرية، وهذه الطائفة تكفّر الباطنيين الذين ينحرفون عن أصول الدين المتّفق عليها، أي أنهم يتفقون مع أهل السنة بذلك فكيف يحتجُّ عليه بمن يحكم بكفره؟.

وأما قوله «وهذا باب مطرّد لا تجد أحدا ممن تذمه الشيعة بحق أو باطل إلا وفيهم من هو شر منه ولا تجد أحدا ممن تمدحه الشيعة إلا وفيمن تمدحه الخوارج من هو خير منه فإن الروافض شر من النواصب والذين تكفرهم أو تفسقهم الروافض هم أفضل من الذين تكفرهم أو تفسقهم النواصب».

قلت: فهذا حق أن كان المتكلم معوجّ القريحة، منكوس القلب، إذ لا يمكن أن يحكم بغير ذلك. ولكن من ينظر بإنصاف لا يمكن إلّا أن يعجب من هذه الأحكام التي يلحد بها هذا الرجل. ولو نظرنا إلى حكمه بأفضلية عمر بن سعد على المختار لكان وحده دالّا على صاحبه الناصبي فكيف تحكمون بكفر مبغض الصحابي ولا تحكمون بكفر من يقتل الصحابي؟! فعمر بن سعد قتل الصحابي الإمام الحسين عليه السلام! والغريب ما نقله عن الكذّاب والمبير، فلو كان الحجّاج مبيرا فكيف روى له البخاري في (الأدب المفرد)؟!

نقل ابن تيمية رواية عن زر بن حبيش قال «قال عبدالله بن مسعود: إن الله تبارك وتعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيئ،

وفي رواية قال أبو بكر بن عياش الراوي لهذا الأثر عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وقد رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا أن يستخلفوا أبا بكر»[١].

الجواب: إن الرواة الذين نقل عنهم اثر عبد الله بن مسعود نواصب جميعهم! فأبو بكر بن عياش وعاصم بن أبي النجود وزر بن حبيش معروفون بالنصب.

فأبو بكر ين عياش نص علماء الجرح والتعديل على عثمانيّته[٢].

وعاصم بن بهدلة قال فيه العجلي[٣]: كان عثمانياً..

وأما زر بن حبيش قال فيه العجلي[٤]- وهو الخبير بالنواصب - «كان شيخاً قديماً إلا أنه كان فيه بعض الحمل على علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه» وكرّر هذا الحُكم في كتابه أكثر من مرة.

وبالتالي فلا عبرة بما ينقله ابن تيمية عن النواصب لكونهم من معسكره! وغريب أمر الرجل الذي يدّعي كونه على سنّة النبي صلى الله عليه وآله، فردوده منقولة عن النواصب، وهو يفضّل النواصب - الحجّاج ويزيد- على المتشيّعين - كالمختار-، وحتى رواياته فيفضّل أن يكون في سندها النواصب!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام «ما أضمر أحد شيئا الأظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه» [٥]!.

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢- ص٢٣٩-٢٤٠.

(٢) سؤالات الآجري لأبي داود - سليمان بن الأشعث - ج ١ - ص ٢٢٩.

(٣) معرفة الثقات - العجلي - ج٢ - ص ٦.

(٤) معرفة الثقات - العجلي - ج ١ - ص ٣٧٠.

(٥) شرح كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - عبد الوهاب - ص ٦٣.

ليس في أئمة الفقه ولا الحديث ولا الزهد... رافضيٌّ

قال ابن تيمية «ولهذا لا تجد أحدا من أعيان الأمة إلا وهو معترف بفضل الصحابة عليه وعلى أمثاله، وتجد من ينازع في ذلك كالرافضة من أجهل الناس، ولهذا لا يوجد في أئمة الفقه الذين يرجع إليهم رافضي، ولا في أئمة الحديث، ولا في أئمة الزهد والعبادة، ولا في الجيوش المؤيَّدة المنصورة جيش رافضي، ولا في الملوك الذين نصروا الإسلام وأقاموه وجاهدوا عدوّه من هو رافضي، ولا في الوزراء الذين لهم سيرة محمودة من هو رافضي، وأكثر ما تجد الرافضة إما في الزنادقة المنافقين الملحدين، وإما في جهّال ليس لهم علم لا بالمنقولات ولا بالمعقولات، قد نشئوا بالبوادي والجبال أو تحيَّزوا عن المسلمين، فلم يجالسوا أهل العلم والدين وإما في ذوي الأهواء ممَّن قد حصل له بذلك رياسة ومال أو له نسب يتعصَّب له كفعل أهل الجاهلية، وأما من هو عند المسلمين من أهل العلم والدين فليس في هؤلاء رافضي لظهور الجهل والظلم في قولهم»[1].

الجواب:

أن مثله في قوله «ولهذا لا يوجد في أئمة الفقه الذين يرجع إليهم رافضي ولا

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية -ابن تيمية - ج٢-ص٢٣٩-٢٤٠.

في أئمة الحديث ولا في أئمة الزهد والعبادة» كمثل رجل دعا إلى وليمة وخصَّ بها من له صفة معيّنة كالثراء مثلاً، فلمّا التئم الشمل افتخر فقال، سبحان الله لا يأتيني غير الثري!!

فكيف يكون الرافضي من أئمة الفقه وانتم تكفِّرونه فمن كان فقيها رافضيّاً قلتم عنه: رافضي محترق، وما دام كذلك فليس بفقيه!، وكيف يكون من أئمة الحديث وانتم لا ترون عنه وتتجنبونه بحجّة البدعة بينما تأخذون عن النواصب والخوارج وعن كل من عادى اهل البيت بحجج مختلفة، ومع هذا تجد كتب الحديث تعجّ بأسماء الشيعة ممن كانوا شيوخا لبعض مؤلفي الصحاح والسنن. وما ذلك إلّا لاضطرارهم، فلو لم يأخذوا عنهم لبقي شطر من الفقه والتفسير والحديث بلا نصوص، وهذا اعتراف بواقع الحال الذي لا يعترفون به باللسان،ولو لم يكن إلا الحاكم النيسابوري صاحب المستدرك الذي قال عنه بعض علمائهم[1] «قال ابن طاهر سألت أبا إسماعيل الأنصاري عن الحاكم فقال: ثقة في الحديث رافضي خبيث – ثم قال ابن طاهر: كان شديد التعصب للشيعة في الباطن، وكان يظهر التسنن في التقديم والخلافة، وكان منحرفا عن معاوية وآله متظاهرا بذلك ولا يعتذر منه».

لكان كافياً!.

والسالبة الكلية تنقضها موجبة جزئية، ومن ملوك الرافضة خدابنده وسيف الدولة الحمداني، وقد حكم الفاطميون (الذين يلزمنا بهم ابن تيمية في كتابه) شرق الأرض وغربها وخُطب لهم في عاصمة الخلافة العباسة لأسبوعين، وكانت لهم سطوة على الممالك والدول في العالم، ومن دول الشيعة دولة الأدارسة في المغرب

(١) تذكرة الحفاظ – الذهبي – ج ٣ – ص ١٠٤٥.

ودولة أبناء الحسن في الديلم وهي من الدول التي دامت لقرون، ودولة الزيدية في اليمن، ودولة البويهيين الذين ازدهر العراق في زمنهم، ودولة الصفويين ودامت لقرنين ونيّف، ولو كان ابن تيمية يعيش في أيامنا لمات كمدا وهو يرى قوة الرافضة في إيران والعراق ولبنان إذ هزم الشيعة في جنوب لبنان ما عجز أكثر من عشرين نظاما سنيا من هزيمته طوال نصف قرن!.

و ماذا يقول عن جهاد حزب الله ومكانته الإسلامية، وعن رجال دين السلاطين الذين يجوزون السلام مع اليهود مثل ابن باز(١) وأزلام الأنظمة من

(١) لم اظفر بما يشفي الغليل بالطريقة التي وصل بها هذا الرجل الى ما وصل اليه لكن انبطاحه أمام (أولياء الأمور)! كما يسمونهم هم مصدر نجاحه الأول بالوصول الى كرسي الفتوى وإلّا فكتبه مليئة بالجهل في أبسط قواعد الإسلام اقرأ مثلا قوله في سؤال وجّه اليه «الأعور الدجال هل ذكر أنه يكشف عن ساقه، أو لا يكشف عن ساقه؟

الجواب: لم يذكر في الحديث شيء من هذا فيما أعلم، إنما كشف الساق ثابت لله سبحانه وتعالى يوم القيامة كما قال الله سبحانه: سورة القلم الآية ٤٢ «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ» والواجب إثباته لله سبحانه وتعالى على الوجه اللائق به. من غير أن يشبه خلقه في ذلك كما قال جل وعلا: سورة الشورى الآية ١١ «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» أما الدجال فإنه يدعي أشياء أخرى ويعمل أشياء أخرى يلبّس بها على الناس ولهذا سمي دجالا لكثرة كذبه وغرائب ما يأتي به. مثل أمره السماء أن تمطر، والأرض أن تنبت، وقتله بعض الناس ثم يقوم حيا، ثم ينكشف أمره، وهو يدعي أولا أنه نبي، ثم يدعي أنه رب العالمين، وهذا هو أعظم الدجل والكذب، ثم ينزل الله عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام فيقتله بباب لد في فلسطين مع اليهود كما جاءت بذلك الأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم».

مجموع فتاوى ومقالات ابن باز-ج٩-ص٢٦٢ / وهذا يدل على جهل الرجل فلو جاز على أحد أن يحيي ويميت فكيف للإنسان المكلّف بالبحث عن الدليل أن يرفض الانسياق وراءه مع أن ←

الذين يبيعون دينهم بأزهد الأثمان.

ثم لو كان ابن تيمية صادقا في وصفه للشيعة بعدم وجود فقهاء منهم ومحدثين وغيره فكيف يقول تلميذه ابن القيّم وهو يناقش مسألة عدم وقوع الطلاق المحلوف به فقال عنهم «إن فقهاء الإمامية من أولهم إلى آخرهم ينقلون عن أهل البيت أنه لا يقع الطلاق المحلوف به، وهذا متواتر عندهم عن جعفر بن محمد وغيره من أهل البيت. وهب أن مكابرا كذبهم كلهم وقال: قد تواطئوا على الكذب عن أهل البيت، ففي القوم فقهاء وأصحاب علم ونظر في اجتهاد، وإن كانوا مخطئين مبتدعين في أمر الصحابة فلا يوجب ذلك الحكم عليهم كلهم بالكذب والجهل وقد روى أصحاب الصحيح عن جماعة من الشيعة وحملوا حديثهم واحتج به المسلمون، ولم يزل الفقهاء ينقلون خلافهم ويبحثون معهم والقوم وإن أخطأوا في بعض المواضع لم يلزم من ذلك أن يكون جميع ما قالوه خطأ حتى يرد عليهم هذا لو انفردوا بذلك عن الأمة، فكيف وقد وافقوا في قولهم من قد حكينا قولهم وغيره ممن لم تقف على قوله».

والغريب من ابن القيّم إذ يعترف هنا بأن نقل الإمامية عن جعفر بن محمد عليه السلام في هذه المسألة متواتر أي قطعي النسبة والصحّة! فلِمَ تنكرون انتساب الإمامية إلى جعفر بن محمد حين تشتهون، وتنسبوهم إليه حين تحتاجون؟!

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ (النساء: من الآية٨٢).

الإحياء والإماتة من مختصات الله أو من يأذن له الله؟! وهذه قاعدة اللطف فالله اللطيف لا يشبّه الإنسان ثم يقول له اتبع الطريق السليم لذا فلا يستطيع الكاذب أن يفعل مثل هذه الأمور وللكلام مكان آخر. (راجع كتابنا: اقتربت الساعة).

بناء المساجد على القبور... وشركيّات الشيعة!

قال ابن تيمية «وكذلك الغلاة في العصمة، يُعرضون عما أُمروا به من طاعة أمرهم والإقتداء بأفعالهم إلى ما نهوا عنه من الغلو والإشراك بهم فيتخذونهم أربابا من دون الله، يستغيثون بهم في مغيبهم وبعد مماتهم وعند قبورهم ويدخلون فيما حرمه الله تعالى ورسوله من العبادات الشركيّة التي ضاهوا بها النصارى، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عند موته: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

يحذر ما فعلوه قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا.

وفي الصحيحين أيضا أنه ذكر له في مرضه كنيسة بأرض الحبشة وذكر حسنها وتصاوير فيها فقال: إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوَّروا فيه التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة.

وفي صحيح مسلم عن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قبل أن يموت بخمس: ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك، وإني أبرأ إلى كل خليل من خليله

ولو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعنى نفسه.

وفي السنن عنه أنه قال: لا تتَّخذوا قبري عيدا، وصلّوا عليَّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني.

وفي الموطّأ وغيره أنه قال: اللهم لا تجعل قبري وثنا يُعبد اشتدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

وفي المسند وصحيح أبي حاتم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد»[1].

الجواب:

إن الروايات في النهي عن البناء على القبور واردة في أهم كتب الحديث الشيعية والسنيّة، وإنما قد يكون الخطأ في استنباط المراد منها، وسأحاول إثبات رأي ثالث لم يفطن له الطرفان، وسأعتمد على القرآن في ذلك قدر استطاعتي:

قال تعالى في قصة أصحاب الكهف:

﴿ إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً ﴾ (الكهف: من الآية٢١).

ذهب أغلب المفسرين الى كون الطرفين المتنازعين في هذه الآية طرف مؤمن وهو الأول، وطرف كافر وهو الثاني، وخالف الطبري فقال إن الأمر يحتمل الخيارين، أي أنه من الممكن أن يكون أصحاب الرأي ببناء البنيان مؤمنين أو

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية–ابن تيمية– ج١– ص٤٤٨.

كافرين، وأصحاب الرأي ببناء المسجد كذلك، والحقيقة أني لم أجد عند المفسرين من تكلم عن قرينة قرآنية واضحة في المقام تؤدي الى ترجيح القول بإيمان أو كفر أحد الطرفين، ممّا يوحي بأنهم اعتمدوا في ذلك على ما ورد من روايات وأغلبها عن اليهود الذين (أسلموا)! نعم للسيد الطباطبائي رأي سنورده في نهاية البحث، والجدير بالملاحظة إن الطرفين المذكورين في هذه الآية لم يختلفا في أصل البناء على قبور أصحاب الكهف، إنما كان الرأي: أنبني بنياناً أم مسجداً؟ نعم ناقش البعض بكون الآية تخصُّ ديناً منسوخاً وشريعةً غابرة وليس من دليل على أنها تشملنا، خصوصاً مع وجود روايات دالَّة على عدم جواز بناء المساجد في شريعتنا، منها ما رواه الشيخ الحرُّ العاملي في كتابه الجليل (وسائل الشيعة)[1] وقد أورد العاملي الروايتين تحت عنوان «باب كراهة بناء المساجد عند القبور» فقال: «محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن سماعة بن مهران أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن زيارة القبور وبناء المساجد فيها، فقال: أما زيارة القبور فلا بأس بها، ولا يُبنى عندها مساجد.

ورواه الكليني عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة قال: سألته، وذكر مثله. قال: وقال النبي صلى الله عليه وآله: لا تتّخذوا قبري قبلة ولا مسجدا، فإن الله لعن اليهود حيث اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

وقد ورد عند أهل السنة مثل ذلك إذ أورد البخاري[2] في صحيحه تحت عنوان «باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد لقول النبي

---

(١) وسائل الشيعة- الحر العاملي - ج ٢ - ص ٨٨٧ — ٨٨٨.

(٢) صحيح البخاري - البخاري - ج ١ - ص ١١٠ — ١١١.

صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وما يكره من الصلاة في القبور ورأي عمر أنس بن مالك يصلى عند قبر فقال: القبر القبر ولم يأمره بالإعادة» فقال «حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا يحيى عن هشام قال أخبرني أبي عن عائشة إن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تيك الصور فاؤلئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة».

وأورد في باب الجنائز[1] عن عائشة إن النبي قال في مرضه الذي مات فيه «لعن الله اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مسجدا».

وفي الحقيقة فهناك موضوعان في هذه الأحاديث:

الموضوع الاول: وهو دلالة الأحاديث

فأما الحديثين اللذين أوردهما العاملي فالذي قد يظهر منهما أن الكراهة التي قصدها كراهة التحريم لا كراهة التنزيه، لكون موضوع الحديثين واحد ولكون اللعن متجه الى من يفعل ذلك، واللعن هو الطرد من رحمة الله، ومن الواضح إنه لا يمكن أن نقول على من يخالف الأَولى بأنه ملعون مع عدم وجود القرينة الصارفة عن الحرمة! ولكن بعض الفقهاء لما رأوا أن التحريم لا يتلائم مع إجماع الطائفة على البناء على القبور بلا اختلاف عندهم ذهبوا على القول بالكراهة، كما قال النراقي[2] «والنهي فيهما وإن كان حقيقة في التحريم إلا أنه يحمل فيهما على الكراهة لئلا يلزم استعمال اللفظ في معنييه... مضافاً إلى عدم قول بالحرمة

(١) صحيح البخاري – البخاري – ج ٢ – ص ٩٠ – ٩١.

(٢) مستند الشيعة – المحقق النراقي – ج ٤ – ص ٤٣٦.

هنا قطعاً. وبه يُدفع دلالة النهي عن جعل القبر مسجداً عليها أيضا مع إمكان حمله على جعله محل السجدة للقبور».

وكذلك الشيخ الحائري[١] «وعن البعض تقوية الحرمة... وتقييد بعض الصحاح النافية للبأس عن الصلاة بين القبور بما إذا لم يكن إليها، وفيه إنه اخراج للفرد الغالب كما لا يخفى، فالأَولى الحمل على الكراهة لمكان بعض الصحاح النافية للبأس عن الصلاة بين القبور مطلقاً، بقي هنا إشكال وهو أن النهى عن الصلاة إلى القبور سواء حملناه على التحريم أم على الكراهة ينافي الأخبار المستفيضة الآمرة بالصلاة خلف قبور الأئمة عليهم السلام...». وهو واضح في كون الأخبار تحتمل الحرمة لولا وجود الأخبار المعارضة لها وعمل الإجماع لذا حملت على الكراهة لهذا السبب فقط!.

وقال الشهيد الأول[٢] «روى الصدوق عن سماعة، إنه سأله عليه السلام عن زيارة القبور وبناء المساجد فيها، قال: زيارة القبور لا بأس بها، ولا يبنى عندها مساجد. قال الصدوق: وقال النبي صلى الله عليه وآله: لا تتخذوا قبري قبلة، ولا مسجدا، فان الله تعالى لعن اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. قلت: هذه الأخبار رواها الصدوق والشيخان وجماعة المتأخرين في كتبهم، ولم يستثنوا قبراً، ولا ريب أن الإمامية مطبقة على مخالفة قضيتين من هذه: إحداهما البناء، والأخرى الصلاة، وتانك ما في المشاهد المقدسة. فيمكن القدح في هذه الأخبار لأنها آحاد، وبعضها ضعيف الإسناد، وقد عارضها أخبار أشهر منها، وقال ابن الجنيد: لا بأس بالبناء عليه، وضرب الفسطاط يصونه ومن يزوره. أو تخصص

---

(١) كتاب الصلاة – شيخ عبد الكريم الحائري – ص ١١٠.

(٢) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة – الشهيد الأول – ج ٢ – ص ٣٧ – ٣٩.

هذه العمومات بإجماعهم في عهود كانت الأئمة ظاهرة فيهم وبعدهم من غير نكير، وبالأخبار الدالة على تعظيم قبورهم وعمارتها وأفضلية الصلاة عندها، وهي كثيرة منها... الخ».

فالشهيد الأول هنا يتكلم عن السيرة في مخالفة الاحاديث ثم يقول «أحدهما البناء» والحديثان لا يتكلمان عن مطلق البناء بل يتكلمان عن اتخاذ المساجد! وهذا أخصُّ من المدَّعى!

ثم إنه على هذا البناء اللغوي الخاطيء تصور أنها معارضة لأحاديث أخرى، بينما الذي يتمعّن في الروايات التي قيل بمخالفتها لا يجد فيها شيئاً من ذلك، فالأحاديث التي ساقها تتكلم عن البناء أو الصلاة عند القبور وقد أورد جملة منها فقال «منها: ما رواه الشيخ في التهذيب عن عامر البناني، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله، انه قال لعلي عليه السلام: يا أبا الحسن ان الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعا من بقاع الجنة، وعرصة من عرصاتها. وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه، وصفوة من عباده تحن إليكم، وتحتمل المذلة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها، تقربا منهم إلى الله، ومودة منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي، وهم زواري غدا في الجنة. يا علي، من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنها أعان سليمان على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام[1]، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه،

---

(١) انتبه لقوله عليه السلام (بعد حجّة الإسلام) لا كما فهم أصحاب العقول المتحجرة من أن الشيعة تعد زيارة الأضرحة خير من حج الإسلام فالإمام يتحدث عن الحجة المستحبّة وليست الواجبة، لو صح الحديث.

فأبشر وبشر أوليائك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت، ولا إذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم بزيارتكم كما تعير الزانية بزناها، أولئك شرار أمتي لا تنالهم شفاعتي ولا يردون حوضي.

وقد روى كثير من أهل الحديث، وذكر تعيير الحثالة الحافظ ابن عساكر من علماء العامة. قال المفيد رحمه الله: وقد روي أنه لا بأس بالصلاة إلى قبلة فيها قبر إمام، ويصلي الزائر مما يلي رأس الامام، وهو أفضل.

وقال الشيخ: وقد روي جواز الصلاة إلى قبور الأئمة عليهم السلام، خاصة في النوافل. قلت: الذي رواه في التهذيب بإسناده إلى محمد بن عبد الله الحميري، قال: كتبت إلى الفقيه أسأله عن الرجل يزور قبور الأئمة، هل يجوز أن يسجد على القبر أم لا؟ وهل يجوز للمصلي أن يقوم وراء القبر ويجعله قبلة؟ فأجاب: أما السجود على القبر فلا يجوز في نافلة، ولا فريضة، ولا زيارة، ولكن يضع خده الأيمن على القبر. وأما الصلاة فإنها خلفه، ولا يجوز أن يصلي بين يديه، لأن الأمام لا يتقدم، ويصلى عن يمينه وشماله.

وقد روى المفيد عن ابن قولويه، بسنده إلى ابن أبي عمير، عمن روى عن الباقرعليه السلام: ان الصلاة الفريضة عند قبر الحسين تعدل عمرة. وبسنده إلى أبي علي الحراني، عن الصادق عليه السلام: من أتاه وزاره، وصلى عنده ركعتين أو أربع ركعات، كتبت له حجة وعمرة. قال وكذلك لكل من أتى قبر إمام مفترض الطاعة، قال: نعم. وبسنده إلى شعيب العقرقوفي، عن الصادق (عليه السلام): ما صلى عنده أحد صلاة إلا قبلها الله منه، ولا دعا عنده أحد دعوة

إلا استجيبت له عاجلة وآجلة. والأخبار في ذلك كثيرة، ومع ذلك فقبر رسول الله صلى الله عليه وآله مبني عليه في أكثر الأعصار، ولم ينقل عن أحد من السلف إنكاره بل جعلوه أنسب لتعظيمه. وأما اتخاذ القبور مسجدا، فقد قيل هو لمن يصلِّي فيه جماعة، أما فُرادى فلا»..

ولا أعلم هذا (القيل) ما مستنده بعد وضوح كلمة (المسجد)؟!

وأنت ترى أن هذه عمدة الأخبار التي تصوروا أنها معارضة للحديثين سالفي الذكر، ولا معارضة هناك فيها، فهي لا تتكلم عن بناء المساجد على قبور أهل البيت لذا لا نجد مسجداً بُني على قبور أهل البيت عليهم السلام، بل مشاهد وأبنية تحفظ الزوّار وتوفر لهم الملجأ من الحر والبرد وليقوموا بمراسم الزيارة وقراءة القرآن.

وليس بعيداً عن هذا الكلام ما سطره الفاضل الهندي في كتابه الكبير (كشف اللثام) [١]والشيخ يوسف البحراني في (الحدائق الناضرة) [٢].

ومن لم يجد مجالاً لإسقاط روايات النهي عن بناء المساجد على القبور بدعوى المعارضة - مثل الميرزا القمِّي - قام بتأويلها تأويلاً بعيداً فقال[٣] «أما ما رواه الصدوق في العلل في الحسن لإبراهيم بن هاشم، عن زرارة، عن الباقر عليه السلام قال، قلت له: الصلاة بين القبور، قال: بين خللها، ولا تتخذوا شيئا منها قبلة، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن ذلك وقال: لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجدا، فإن الله لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ". وروى في

---

(١) كشف اللثام - الفاضل الهندي - ج ٣ - ص ٣٠٠ - ٣٠٣.

(٢) الحدائق الناضرة - المحقق البحراني - ج ٤ - ص ١٣٩ - ١٤١.

(٣) غنائم الأيام - الميرزا القمي - ج ٢ - ص ٢٢١.

الفقيه كلامه صلى الله عليه وآله مرسلا، إلا أنه قال: " لعن اليهود لأنهم اتخذوا " الحديث، فنحملها على المنع من جعلها كالكعبة يصلى إليها من كل جانب»..

وهذه التأويلات موجودة عند أهل السنة، قال السيوطي في تنوير الحوالك «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، قال بن عبد البر: قيل معناه النهي عن السجود على قبور الأنبياء وقيل النهي عن اتخاذها قبلة يصلَّى إليها»[1].

ولا أعلم كيف يؤول قوله «لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً» ؟! فإن كان اتخاذها قبلة تعني أن يصلّي اليها من جميع الجهات فما معنى قوله «ولا مسجدا»؟!

نعم يمكن حمل المسجد هنا على كونه يُصلَّى عليه، أي فوقه وذلك يلزم أن يكون النبي صلى الله عليه وآله قد لَفَظَها على وزن (مَفْعَل) لا على وزن (مَفْعِل) فالفرق بين (المَسْجَد) الذي يُسجد عليه و (المَسْجِد) الذي يُسجد فيه واضح، نقل ابن منظور قول سيبويه[2] «وأما المَسْجِد فإنهم جعلوه اسماً للبيت ولم يأت على فعل يفعل كما قال في المُدُق إنه اسم للجلمود، يعني أنه ليس على الفعل، ولو كان على الفعل لقيل مِدَق لأنه آلة، والآلات تجيء على مِفْعَل كمِخْرَز ومِكْنَس ومِكْسَح»..

ونقل ابن منظور تفريق ابن الاعرابي بين المسجِد والمسجَد فقال[3] «مَسْجَد، بفتح الجيم، محراب البيوت، ومصلّى الجماعات مَسْجِد، بكسر الجيم».

(١) تنوير الحوالك – جلال الدين السيوطي – ص ١٨٩.

(٢) لسان العرب – ابن منظور – ج ٣ – ص ٢٠٤.

(٣) لسان العرب – ابن منظور – ج ٣ – ص ٢٠٤.

ومع اهمية التفريق بين (المَسْجِد) وال (المَسْجَد) وعند مراجعة مئات المصادر فإني لم أظفر بمن فرّق بين المصطلحين عند مناقشته حديث اتخاذ الارض مسجدا وطهورا الا عند الرازي المفسّر إذ انه اكتفى بنقل الأقوال المتضاربة فيها فقال (١) «اختلفوا في المساجد على وجوه أحدها: وهو قول الأكثرين: أنها المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله ويدخل فيها الكنائس والبِيَع ومساجد المسلمين، وذلك أن أهل الكتاب يشركون في صلاتهم في البيع والكنائس، فأمر الله المسلمين بالإخلاص والتوحيد.

وثانيها: قال الحسن: أراد بالمساجد البقاع كلها قال عليه الصلاة والسلام: " جعلت لي الأرض مسجدا " كأنه تعالى قال: الأرض كلها مخلوقة لله تعالى فلا تسجدوا عليها لغير خالقها.

وثالثها: روي عن الحسن أيضا أنه قال: المساجد هي الصلوات فالمساجد على هذا القول جمع مَسْجَد بفتح الجيم والمَسْجَد على هذا القول مصدر بمعنى السجود.

ورابعها: قال سعيد بن جبير: المساجد الأعضاء التي يسجد العبد عليها وهي سبعة القدمان والركبتان واليدان والوجه، وهذا القول اختيار ابن الأنباري، قال: لأن هذه الأعضاء هي التي يقع السجود عليها وهي مخلوقة لله تعالى، فلا ينبغي أن يسجد العاقل عليها لغير الله تعالى، وعلى هذا القول معنى المساجد مواضع السجود من الجسد واحدها مسجَد بفتح الجيم.

وخامسها: قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: يريد بالمساجد مكة

---

(١) تفسير الرازي - الرازي - ج ٣٠ - ص ١٦٢ — ١٦٣.

بجميع ما فيها من المساجد، وذلك لأن مكة قبلة الدنيا وكل أحد يسجد إليها، قال الواحدي: وواحد المساجد على الأقوال كلها مسجَد بفتح الجيم إلا على قول من يقول: إنها المواضع التي بنيت للصلاة فإن واحدها بكسر الجيم لأن المواضع والمصادر كلها من هذا الباب بفتح العين إلا في أحرف معدودة وهي: المسجِد والمطلِع والمنسِك والمسكِن والمنبِت والمفرِق والمسقِط والمجزِر والمحشِر والمشرِق والمغرِب، وقد جاء في بعضها الفتح وهو المنسَك والمسكَن والمفرَق والمطلَع، وهو جائز في كلها وإن لم يسمع».

لذا قال النبي صلى الله عليه وآله فيما رواه عنه أمير المؤمنين عليه السلام [(١)] «أُعطيت ثلاثا لم يُعطَهَنّ نبي قبلي، نُصرت بالرعب، وأُحلت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض مَسجَداً وترابها طَهورا» إذ لا يمكن ان يكون قد لفظها (مَسجِدا) لوضوح كونها لا تصبح كذلك الا بوقف صريح بينما هو يتكلم هنا عن جواز السجود على الأرض، بل كونه أحد موارد الحصر في ما يجب أن يُسجد عليه. وأنّى لأحد اليوم التأكد بضرس قاطع على كون النبي صلى الله عليه وآله قد لفظها (مَسْجَدا) في قوله الشريف: «لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجدا» !

لكن الذي لم ينتبه له الجميع ممن راجعت أقوالهم هو انه لا معارضة أصلاً بين احاديث النهي عن بناء المساجد على القبور وبين جواز بناء أبنية على القبور وهو ما استفدناه من قول الطرفين في سورة الكهف فالآية فرّقت بين من يقول):

﴿قَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ (الكهف: من الآية٢١).

وبين من قال:

(١) دعائم الإسلام – القاضي النعمان المغربي – ج ١ – ص ١٢٠ – ١٢١.

﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾ (الكهف: من الآية ٢١).

فالعبرة بالفرق بين البناء والمسجد، وبمعونة اللعن الموجّه باتفاق المسلمين لليهود والنصارى يترجح ان الذين اتخذوا المسجد من المنحرفين وليس من المؤمنين! وهذا خلاف الذي يذهب اليه أغلب المفسرين، فإذن الذين أرادوا بناء البنيان هم اهل الاستقامة لكون النبي صلى الله علبه وآله لعن الطرف الثاني صريحاً، وبالتالي لا يتوجه لوم لمن بنى بناءً على قبر ولم يبنِ مسجداً عليه. لذا فلا معارضة بين الأحاديث إذا قُوِّمت بهذا التقويم، وبالتالي لا إسقاط لأحاديث لها دلالة قرآنية تتسق معها بلا اختلاف.

الموضوع الثاني

إن الذي يحدث الآن من صراع طائفي وتأجيج لحقد تكفيري ضد الشيعة في العالم بأنهم قبوريون، وأن النبي صلى الله عليه وآله نهى عن بناء المساجد على القبور وهم يبنون وتكفيرهم واجب لهذا العمل وما تلازمه من شركيات، لا يصبح له أي مجال إذ أن الشيعة لا تبني المساجد على قبور الأئمة أصلاً، والأئمة نهوا عن ذلك كما أوردنا أحاديثهم، فهي تبني أبنية ومشاهد لم يقم احد بتوقيفها مساجد حتى يشملهم اللعن المتوجه لمن فعل هذا الفعل، وبهذا لا تعارض بين ما ذكره علماؤنا وادّى بهم الى رفع الحرمة الظاهرة في معاني الأحاديث، فلما كانت الحرمة متّجهة لمن بنى المساجد وكانت الإباحة بل الاستحباب ببناء البنيان على القبور صار هذا بحكم القولين اللذين لا تناقض بينهما، فأين التعارض! وهذا مما نشترك فيه مع أهل السنة يقول المليباري[1] في كتاب الوقف «و من الصرائح

---

(١) فتح المعين – المليباري الهندي – ج ٣ – ص ١٩٠ – ١٩١.

قوله: جعلت هذا المكان مسجدا فيصير به مسجدا، وإن لم يقل لله، ولا أتى بشيء مما مر: لان المسجد لا يكون إلا وقفا... ولا يثبت حكم المسجد من صحة الاعتكاف وحرمة المكث للجنب لما أضيف من الأرض الموقوفة حوله إذا احتيج إلى توسعته على ما أفتى به شيخنا ابن زياد وغيره. وعلم مما مر أن الوقف لا يصح إلا بلفظ، ولا يأتي فيه خلاف المعاطاة. فلو بنى بناء علي هيئة مسجد وأذن في إقامة الصلاة فيه: لم يخرج بذلك عن ملكه».

وهذا موضع وفاق بين المسلمين إذ يقول السيد روح الله الخميني رحمه الله[1] «لا بد في وقف المسجد من قصد عنوان المسجدية، فلو وقف مكاناً على صلاة المصلين وعبادة المسلمين صحَّ لكن لم يصر به مسجداً ما لم يكن المقصود عنوانه، والظاهر كفاية قوله: جعلته مسجداً وإن لم يذكر ما يدل على وقفه وحبسه، والأحوط أن يقول: وقفته مسجداً أو على أن يكون مسجداً».

ويقول السيد الخوئي رحمه الله[2] «إذا لاحظ الواقف منفعة خاصة مثل الصلاة أو الذكر أو الدعاء أو نحوها من أنحاء العبادة فقال: وقفت هذا المكان على المصلين أو الذاكرين أو الداعين أو نحو ذلك لم يصر مسجداً ولم تجرِ عليه أحكام المسجد وإنما يصير وقفا على الصلاة أو غيرها مما لاحظه الواقف ويكون من القسم الأول الذي له موقوف عليه وهو الذي لاحظ الواقف فيه المنفعة».

ويقول السيد السيستاني حفظه الله[3] «إذا وقف مكاناً على المسلمين لينتفعوا منه ببعض ما ينتفعون به في المساجد أو بجميعها من الصلاة والذكر والدعاء

---

(١) تحرير الوسيلة – السيد الخميني – ج ٢ – ص ٦٢ – ٦٣.

(٢) منهاج الصالحين – السيد الخوئي – ج ٢ – ص ٢٣١.

(٣) منهاج الصالحين – السيد السيستاني – ج ٢ – ص ٣٨٨.

والتدريس وغير ذلك لم يصر مسجداً ولم تجرِ عليه أحكام المساجد من حرمة التنجيس ونحوها، وإنما يصير وقفا على الصلاة وغيرها مما لاحظه الواقف من المنافع».

إذن فالمكان لا يصبح مسجداً الا بوقف لفظي صريح، أما كون البناء له مآذن او له قبّة فلا عبرة بالشكل، أرأيت ان بنى احدهم بيتا له وجعل له قبة أيصبح مسجداً لكونه يشبه المسجد؟!

اذن فالشيعة لها مراقد واضرحة ومشاهد، وتوجد أحياناً بجانبها مساجد وليس فوقها أصلاً.

وبمراجعة تاريخ بناء المرقد العلوي الشريف على سبيل المثال يتضح أنه لم يُوقَف مسجداً بل عبارة عن هو بناء مشهد يشير الى أهمية صاحب القبر الشريف، ولانتفاع الزوار من خدمات ذلك البناء إذ أن العمارات التي انشئت على الضريح كانت خمس[1]:

١ - عمارة هارون الرشيد الخليفة العباسي بنى الرشيد على الضريح المقدس سنة ١٧٠ هـ قبة وجعل لها أربعة أبواب وهي من طين أحمر وطرح على رأسها حبرة خضراء، وأما نفس الضريح الطاهر فإنه بناه بحجارة بيضاء ووضع عليه قنديلا من الفيروز المرصع بالجواهر اليتيمة.

٢ - عمارة محمد بن زيد المعروف بالداعي المتوفى عام ٢٨٧ ه - ٩٠٠ م بنى محمد بن زيد الداعي على القبر الشريف قبة وحائطا فيه سبعون طاقا، وقد ذكر هذه العمارة ابن أبي الحديد في شرحه ولكنه اقتصر على ذكر القبة فقط. وقد

(١) مدينة النجف - محمد علي جعفر التميمي - ص ١٩٩ — ٢٠٧.

طرأت على هذه العمارة عمارة الرئيس الجليل عمر بن يحيى القائم بالكوفة فإنه عمر مرقد جده من خالص ماله. وكان يحيى هذا من أصحاب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قتل سنة ٢٥٠ هـ وحمل رأسه في قوصرة إلى المستعين العباسي وقد ذكر عمارة ابن الداعي الإمام الصادق عليه السلام قبل وقوعها إذ قال: " زار الإمام الصادق جده أمير المؤمنين في النجف فقال عليه السلام لا تذهب الليالي والأيام حتى يبعث الله رجلا ممتحنا في نفسه في القتل يبني عليه حصنا فيه سبعون طاقا.

٣ - عمارة عضد الدولة البويهي هي العمارة الثالثة وقد بناها السلطان عضد الدولة فناخسرو بن الحسن بن بويه القمي، وكانت عمارته تُعدُّ من أجل العمارات ومن أحسن ما توصل إليه الفن المعماري في ذلك الوقت وأنها أنشئت سنة ٣٣٨ هـ وقد بقيت قائمة إلى سنة ٧٥٣ هـ وقد صرف عضد الدولة البويهي على هذه العمارة أموالا كثيرة وستر حيطانها بخشب الساج المنقوش وعيّن لها أوقافا لإدارتها، وقد وأصل إصلاح هذه العمارة سائر الملوك والوزراء من البويهيين والحمدانيين وبعض العباسيين الذين تشيَّعوا كالمستنصر العباسي، وأولاد وأحفاد جنكيز خان وغيرهم، وجميع هؤلاء قد تبرَّعوا بسخاء مفرط للعمارة نفسها سواء كان بجلب الأحجار الكريمة أو الآثاث النفيسة أو إجراء إصلاحات فنيّة في الروضة الحيدرية المطهرة مما جعل العمارة آية في الإبداع ومعجزة ذلك القرن كما أنبأتنا الكتب التأريخية القديمة.

٤ - العمارة الرابعة بعد احتراق العمارة الثالثة وما اختلف فيها من الأخبار: بعد احتراق العمارة الثالثة سنة ٧٥٣ هـ - ١٣٥٢ م أنشئت العمارة الرابعة في عام ٧٦٠ هـ - ١٣٥٨ م ولم يذكر مؤرخو القرن الثامن للهجرة اسم

صاحبها ولم ينسبوها إلى أحد إلا أن بعض المتأخرين يرتأي أنها من آثار السلطان أويس بن الشيخ حسن الجلائري مستشهداً على ذلك بالخدمات الكثيرة التي أسداها إلى أهل البيت عليهم السلام وما قاله السماوي في أرجوزته :

فقام في بناء ذاك الدائر	أويس بن حسن الجلائري
واعتاض من أخشابه الرخاما	هياكلا منحوتة ضخاما
مرصوفة على اعتدال سمت	في حسن شكل وبديع نحت
رأيت منها قطعا رواقي	في جوف سرداب من الرواق
وتم في خمس سنين تهيئه	في سنة الستين والسبع مئة

وأدخل الشاه عباس الأول إصلاحات كبيرة على هذه العمارة يوم زار النجف سنة ١٠٣٢ - ١٦٢٢ م فإنه عمَّر الروضة المطهَّرة والقبَّة والصحن الحيدري.

٥ - عمارة الشاه صفي حفيد الشاه عباس الأول في عام ١٠٤٧ هـ - ١٦٣٧ م بدأ الشاه صفي حفيد الشاه عباس الأول ببناء العمارة الحاضرة بعد أن شاهد تضعضعاً في القبَّة المنوَّرة، وضيّق ساحة الصحن الشريف، فأمر الشاه المذكور بهدم بعض جوانب الصحن الشريف وتوسيعه وتوسيع ساحة الحرم العلوي المطهر. والذي تصدَّى لهذه الخدمة وزيره ميرزا تقي المازندراني بأمر من الشاه واستمر العمل ثلاث سنين وصرف لها أموالاً طائلة وجلب أمهر المعمارين والمهندسين مما جعلها بديعة الشكل، مُتقنة الصُنع، وأوجد فيها معرفة أوقات الزوال وعدم اختلافه صيفاً وشتاءً وما تقف عنده أساتذة الفن من تحكيم بزوغ الشمس في الضريح المقدس، وما التزم بها من المقابلة والمجانسات الفنية».

وكـل هـذه العمـارات لم يوقفهـا أحـد مـساجد او غـير مـساجد، بـل كانـت احتراماً وإجلالاً لهذه البقعة الشريفة ولتوفير المكان المناسـب للـزوار لتأديـة الزيـارة ولكي يلجأ لها الزوار من الحر والبرد وغيرها.

والآن نرجع الى الآية القرآنية فقوله تعالى:

﴿ إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً ﴾ (الكهف: من الآية٢١).

لا يدل على أكثر من أن هنـاك طرفـان يتنازعـان، الطـرف الأول يريـد بنـاء بنيان يشير الى أهمية هذا الموقـع، لكـن الموقـع عـلى أهميتـه فهـو مجهـول التفاصـيل ويبدو منه أن هـؤلاء لم يـتم لـديهم فهـم مـا حـصل، ولم يـستوعبوه فيظهـر منـهم الاحتياط في التصرّف وأيكال علمه الى الله وهو مـن صـفات الراسـخين في العلـم كما قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران:٧).

فالراسـخون في العلـم يـسلِّمون لله حـتى إن لم يعلمـوا مـا الـذي حـصل بالتفصيل اذا آمنوا بأنـه مـن الله. يقـول أمـير المؤمنين عليـه الـسلام[١] «واعلـم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عـن اقتحـام الـسدد المضروبة دون الغيـوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمـدح الله اعتـرافهم بـالعجز

(١) نهج البلاغة – خطب الإمام علي عليه السلام – ج ١ – ص ١٦٢.

عن تناول ما لم يحيطوا به علما. وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا».

وروى الشيخ الصفار عن زرارة بن حمران[1] «كان يجالسنا رجل من أصحابنا فلم يكن يسمع بحديث الا قال: سلِّموا حتى لُقِّب، فكان كلما جاء قالوا: قد جاء سلِّم، فدخل حمران وزرارة على أبي جعفر عليه السلام فقال: إن رجلاً من أصحابنا إذا سمع شيئا من أحاديثكم قالوا: سلِّموا، حتى لُقِّب، وكان إذا جاء قالوا: جاء سلِّم، فقال أبو جعفر عليه السلام: قد أفلح المسلمون إن المسلمين هم النجباء».

أمّا الطرف الثاني فهم الذي يظهر أنهم شملهم لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد» ولنعلم أن اصحاب الكهف كانوا إما قبل ولادة المسيح عليه السلام كما هو مفاد إحدى الروايات، وإما بعده كما هو مفاد غيرها (وهو المرجّح) وبالتالي فالعصر الذي كانوا فيه هو بعد الميلاد أي ابتداءاً من القرن الميلادي الأول، ولما كان لبثهم في الكهف كما ذكر القرآن:

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾ (الكهف:٢٥).

فخروجهم من الكهف قد يكون في بداية القرن الخامس على أقل تقدير، إن لم يكن أبعد بما لا يتعدى نسبة خطأ ثلاثة قرون إذ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بُعث في العام الميلادي ٦١٠ للميلاد ومن هنا فبلاد الروم المشرقية - وهي الأناضول والشام ومصر - تعيش زمن الدولة الرومانية المسيحية وليست الوثنية

---

(١) بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٥٤٣.

بعدما أعلن (قسطنطين) إن الدين الرسمي للدولة هو الدين المسيحي، لذا فلا يوجد في هذه الفترة الا جيوب صغيرة للوثنية، فليس هناك كفّار بل هناك نصارى بعضهم على الحق وبعضهم ليس عليه، كما هو حال كل دين بعد وفاة نبيه، لذا فقول المفسرين واختيارهم بين الطرفين بأن هذا الطرف مؤمن والطرف الثاني كافر مما لا دليل عليه إطلاقاً، لكنه اعتقاد خاطيء عند الرعيل الأول من المفسرين جرّاء روايات أجمع العلماء على ضعفها، إذ أن المشهور أن عامة روايات قصص الأنبياء لا تثبت بطرق معتبرة، وهذا القول الناتج من روايات ضعيفة ترسَّخ الى أن وصل الى المتأخرين وصار لا يقبل التأويل!!.

وأقوى ما يستدل به المستدل هو رأي الطباطبائي في تفسيره إذ يقول[1] «وقوله:

﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً ﴾ (الكهف: من الآية٢١).

"هؤلاء القائلون هم الموحدون ومن الشاهد عليه التعبير عما اتخذوه بالمسجد دون المعبد فإن المسجد في عرف القرآن هو المحل المتخذ لذكر الله والسجود له قال تعالى:

﴿ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ ﴾ الحج: ٤٠».

وهذا المعنى غير راجح، فالطرف الأول لو كان متيقناً من تفسير ما حدث وهو أمر خارج عن العادة فقد يكونوا هم من يطلبون بناء المسجد باعتقاد أنه أمر راجح، فالأمر يدور بين طرفين متشابهين بالعقيدة لا بين كفار ومؤمنين، ثم إن

---

(١) تفسير الميزان ـ السيد الطباطبائي ـ ج ١٣ ـ ص ٢٦٧.

الطرف الأول لم يُرد بناء معبد حتى تكون القرينة بالمقابلة بين المعبد والمسجد، إضافة لكون المسجد في القرآن مصطلح لغوي لا علاقة له بمضمون استعماله وذلك كقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (التوبة:١٠٧).

فهنا أتى ذكر المسجد بكونه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله، إذن فكلمة مسجد بنفسها لا تدل على كون من يتخذه من المستقيمين.

نعم قد يكون في قوله تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا ﴾ (الكهف:٢١).

هذا القول منه تعالى قد يشير الى ما أفادته بعض الروايات من كون أهل الكهف قد خرجوا في زمان كان فيه النصارى قد اختلفوا في مسالة البعث والنشور وبالتالي نعلم بهذا إن الطرفين من النصارى وأحدهم مستقيم والآخر منحرف.

وبذلك يتبين أن ما فهمه ابن تيمية وغيره من حرمة اتخاذ المساجد على القبور وما فهمه غيره لا ينطبق على ما تفعله الشيعة وهذا خارج تخصصا عن مورد دلالة النصوص التي رواها الشيعة والسنة.

بين طاعة الأئمة عليهم السلام.. وطاعة بني أميّة

قال ابن تيمية في طاعة الأئمة «أحدها أن يقال إن كان اتّباع الأئمة الذين تُدّعى لهم الطاعة المطلقة وأن ذلك لا يوجب لهم النجاة واجبا كان اتّباع خلفاء بني أمية الذين كانوا يوجبون طاعة أئمتهم طاعة مطلقا ويقولون إن ذلك يوجب النجاة مصيبين على الحق وكانوا في سبِّهم عليا وغيره وقتالهم لمن قاتلوه من شيعة على مصيبين لأنهم كانوا يعتقدون أن طاعة الأئمة واجبة في كل شيء وأن الإمام لا يؤاخذه الله بذنب وأنه لا ذنب لهم فيما أطاعوا فيه الإمام، بل أولئك أولى بالحجة من الشيعة لأنهم كانوا مطيعين أئمة أقامهم الله ونصبّهم وأيّدهم وملّكهم فإذا كان من مذهب القدرية أن الله لا يفعل إلا ما هو الأصلح لعباده كان تولية أولئك الأئمة مصلحة لعباده، ومعلوم أن اللطف والمصلحة التي حصلت بهم أعظم من اللطف والمصلحة التي حصلت بإمام معدوم أو عاجز ولهذا حصل لأتباع خلفاء بني أمية من المصلحة في دينهم ودنياهم أعظم مما حصل لأتباع المنتظر، فإن هؤلاء لم يحصل لهم إمام يأمرهم بشيء من المعروف ولا ينهاهم عن شيء من المنكر، ولا يعينهم على شيء من مصلحة دينهم ولا دنياهم بخلاف أولئك فإنهم انتفعوا بأئمتهم منافع كثيرة في دينهم ودنياهم أعظم مما انتفع هؤلاء بأئمتهم»[1].

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية – ابن تيمية –ج٢ – ص١٥٥.

الجواب :

إن الرجل يفصح عن نصبه بداعٍ وبدونه! وإلاّ فما علاقة ما تقوله الإمامية امتثالا للقرآن والسنة بما ابتدعه بنو أمية حتى يقول ابن تيمية بارتباط المقولتين!

فسبحانه تعالى يقول :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: من الآية٥٩).

فربط طاعة أولي الأمر الذين لا يمكن أن يكونوا غير معصومين، لأنه لو أمَر بطاعتهم على الإطلاق كما هو المورد لكان الله قد طلب إطاعتهم في وقت المعصية وغيرها وهذا باطل، لأنه ينتج حينئذ تناقض القرآن وهذا لا يمكن، فثبت أن طاعة أولي الأمر مرتبطة بطاعة الله والنبي لكونهم معصومين، وحديث الثقلين الذي يربط الأخذ بالكتاب والعترة للنجاة وعدم الضلال فبهذا استدلت الإمامية على الأخذ بطاعة الأئمة مطلقا أما بنو أمية فقد كانوا أئمة ظلم وجور متسلّطين على الأمّة بالقهر والقوّة الغاشمة، يسفكون الدم الحرام ويحرقون الكعبة ولا يعظمون ما يعظمه الله ورسوله وينتهكون أعراض المسلمات وبعد هذا فأي وزن لقولهم وكيف يربطه ابن تيمية باستدلال الإمامية؟!

وقد حكم الرازي من أهل السنة بعصمة أولي الأمر فقال[1] «اعلم أن قوله : (وأولي الأمر منكم) يدل عندنا على أن إجماع الأمة حجة، والدليل على ذلك أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بد وأن يكون معصوما عن الخطأ، إذ لو لم يكن

---

(١) تفسير الرازي – الرازي – ج ١٠ – ص ١٤٤.

معصوما عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمرا بفعل ذلك الخطأ والخطأ لكونه خطأ منهي عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وانه محال، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوما عن الخطأ، فثبت قطعا أن أولي الأمر المذكور في هذه الآية لا بد وأن يكون معصوما، ثم نقول: ذلك المعصوم إما مجموع الأمة أو بعض الأمة، لا جائز أن يكون بعض الأمة ؛ لأنا بينا أن الله تعالى أوجب طاعة أولي الأمر في هذه الآية قطعا، وإيجاب طاعتهم قطعا مشروط بكوننا عارفين بهم قادرين على الوصول إليهم والاستفادة منهم، ونحن نعلم بالضرورة أنا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم، عاجزون عن الوصول إليهم، عاجزون عن استفادة الدين والعلم منهم، وإذا كان الأمر كذلك علمنا أن المعصوم الذي أمر الله المؤمنين بطاعته ليس بعضا من أبعاض الأمة، ولا طائفة من طوائفهم. ولما بطل هذا وجب أن يكون ذلك المعصوم الذي هو المراد بقوله: (وأولي الأمر) أهل الحل والعقد من الأمة، وذلك يوجب القطع بأن إجماع الأمة حجة».

ولما كان الرازي يحاول التملص من إلزام الشيعة لأهل السنة في هذه المسألة فقال بعصمة الأمة! صرح في موضع آخر بأن المعصوم هنا العلماء وليس غيرهم فقال:

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: من الآية٥٩).

والمراد من أولي الأمر العلماء في أصح الأقوال»[1]!!

ومن هنا يعلم «إن عصمة أولي الأمر ووجوب طاعتهم أمر مفروغ منه لدى

(١) تفسير الرازي - الرازي - ج ٢ - ص ١٧٩.

أغلبية المسلمين ولكن الاختلاف الكبير هو في تحديد أولي الأمر الذين وجب عليهم طاعتهم، ونرى أن الشيعة في الوقت الذي أسرعوا فيه بتحديد المقصود بأولي الأمر وأعلنوا أنه الإمام المعصوم بصورة مطابقة وموافقة كليا لعناصر صياغتهم المنطقية وأصولها ومقوماتها ومنذ أمد بعيد اخذ هال السنة يدورون في رحاب المعاني والتعابير علهم يجدون مخرجا لما وقعوا فيه من إحراج» [1] وهكذا في كل مرة لا يكون الحل إلّا بالعودة لمنابع الإسلام النقيّة وهي القرآن والسنّة النبوية التي نقلها أهل بيت النبي عليهم السلام والصحابة المنتجبون.

وانتبه لقول ابن تيميّة عن ملوك بني أميّة «بل أولئك أولى بالحجة من الشيعة لأنهم كانوا مطيعين أئمة أقامهم الله ونصبّهم وأيّدهم وملّكهم»

فأئمة الضلال الأمويون «أقامهم الله ونصبّهم وأيّدهم وملّكهم»!!

كيف أقامهم؟! ومتى نصّبهم؟! وما دليل تأييد الله لهم؟! وهل كان تمليكهم برضى الله أم بمشيئة الله؟!

وهل يستطيع الأمويّون أن يناضلوا عن أنفسهم بأفضل مما ناضل عنهم ابن تيميّة! وكيف يكونون منصّبين ومقامين ومؤيّدين من الله وهم الشجرة الملعونة في القرآن؟! كيف يكونون منصبين من الله وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله الناس بقتل معاوية إذا صعد المنبر - سيأتيك تخريجه - إن تأييد الله ليزيد وتنصيبه له يجعل حرقه الكعبة وقتله الحسين وأصحابه وشربه المسكر ولعبه بالقرود وإباحته المدينة لعسكر الشام النصارى ليعيثوا بمدينة النبي الفساد يجعل كل ذلك حلالا زلالا شرعيا فعلام لعنه ابن الجوزي الحنبلي وكثير من أعلام السنّة إذن؟!

---

(١) الصياغة المنطقية للفكر السياسي الإسلامي- د حسن عباس حسن -ط الدار العالمية ١٩٩٢م - ص٢٧٣.

وعلام اعترض من اعترض لما وجدوا ابو داوود قد روى له في سننه؟!

ومن هؤلاء المنصّبين المؤيّدين من أراد شرب الخمر فوق الكعبة وهو المعروف بالوليد الزنديق وأخباره اشهر من أن يسأل عنها.

إن الأمر أوضح من أن يُستدل عليه. ورحم الله المتنبي الشاعر:

وإذا استطال الشيء قام بنفسه   وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

فقد وجدتني وأنا اعدّد بعض موبقات بني أمية كشخص أدخل إصبعه في بحر وأخرجه فتبلل بشيء يسير من الماء وبقي البحر على حاله وإلاّ فسيّئاهم كالبحر لا يمكن أن نحيط بكل قطره فانتشار موبقاهم وما جرّت على الأمّة من ويلات وعذابات لا ينكرها إلاّ زنديق.

وانظر الى قول ابن تيمية «ومعلوم أن اللطف والمصلحة التي حصلت بهم أعظم من اللطف والمصلحة التي حصلت بإمام معدوم أو عاجز، ولهذا حصل لأتباع خلفاء بني أمية من المصلحة في دينهم ودنياهم أعظم مما حصل لأتباع المنتظر، فإن هؤلاء لم يحصل لهم إمام يأمرهم بشيء من المعروف ولا ينهاهم عن شيء من المنكر ولا يعينهم على شيء من مصلحة دينهم ولا دنياهم، بخلاف أولئك فإنهم انتفعوا بأئمتهم منافع كثيرة في دينهم ودنياهم أعظم مما انتفع هؤلاء بأئمتهم».

قلت:

فوالله إن المرء يكاد يصمت من العجب فأي مصلحة دينية حصلت بتولية بني أميّة؟! وهم المبتدعة الذين قلبوا الإسلام رأساً على عقب؟! أما المصلحة الدنيوية فهي كما قال لكونهم أهل دنيا كما هو ابن تيمية. وسيأتيك من النصوص الصحيحة في وجوب لعن معاوية إن صعد المنبر، وكونه ملعون على لسان النبي صلى الله عليه وآله.

قال ابن تيمية «فإن الأئمة الذين يُدّعى فيهم العصمة قد ماتوا منذ سنين كثيرة، والمنتظر له غائب أكثر من أربعمائة وخمسين سنة وعند آخرين هو معدوم لم يوجد والذين يطاعون شيوخ من شيوخ الرافضة أو كتب صنفها بعض شيوخ الرافضة وذكروا أن ما فيها منقول عن أولئك المعصومين وهؤلاء الشيوخ المصنِّفون ليسوا معصومين بالاتفاق، ولا مقطوعا لهم النجاة فإذا الرافضة لا يتبعون إلا أئمة لا يقطعون بنجاتهم ولا سعادتهم فلم يكونوا قاطعين لا بنجاتهم ولا بنجاة أئمتهم الذين يباشرونهم بالأمر والنهي وهم أئمتهم حقا وإنما هم في انتسابهم إلى أولئك الأئمة بمنزلة كثير من أتباع شيوخهم الذين ينتسبون إلى شيخ قد مات من مدة ولا يدرون بماذا أمر وما نهى، بل له أتباع يأكلون أموالهم بالباطل ويصدون عن سبيل الله يأمرونهم بالغلوّ[1] في ذلك الشيخ وفي خلفائه

---

(١) الشيخ ابن تيمية يتكلم عن الغلو في المشايخ!! ولو تصفحت ما كتبه اصحاب ابن تيمية فيه لوجدت الغرائب من الغلو، ومنها ما جاء في العقود الدرية في مناقب ابن تيمية إذ يقول المؤلف عن الشيخ ابن تيمية «هو الشيخ الإمام الرباني إمام الأئمة ومفتي الأمة وبحر العلوم سيد الحفاظ وفارس المعاني والألفاظ فريد العصر وقريع الدهر شيخ الإسلام بركة الأنام وعلامة الزمان وترجمان القرآن علم الزهاد وأوحد العباد قامع المبتدعين وآخر المجتهدين تقي الدين أبو العباس احمد بن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبدالحليم ابن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبدالسلام بن أبي محمد عبدالله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله ابن تيمية الحراني نزيل دمشق وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها... العالم العلامة الأوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة إمام الأئمة قدوة الأمة علامة العلماء وارث الأنبياء آخر المجتهدين أوحد علماء الدين بركة الإسلام حجة الأعلام برهان المتكلمين قامع المبتدعين محيي السنة ومن عظمت به لله علينا المنة وقامت به على أعدائه الحجة واستبانت ببركته وهديه المحجة... أعلى الله مناره وشيد به من الدين أركانه... ماذا يقول ←

وأن يتخذوهم أربابا»[1].

الجواب:

إن الكثير من رواة الأخبار الذين يأخذ عنهم أهل السنة رواياهم كانوا شيعة رووا لنا رواياتنا عن الأئمة فلمَ يكونوا منقطعين عند روايتهم لنا ويكونوا متصلين عند روايتهم للسنة؟!

ولو أردنا ان نماثل الإشكال لقلنا إن النبي صلى الله عليه وآله توفي منذ مئات السنين وما ينقل اليوم من سيرته هي ما كتبت من قبل أقرباء السلطة بعد أكثر من قرن من رحيله والعديد من رواهم نواصب كانوا اتخذهم الأموية أئمة للإسلام فضلّوا وأضلوا فكيف تعرفون انتساب دينكم إلى النبي؟!

لكن الفرق بيننا وبينهم ظاهر، فما عندنا من علوم دينية مقصورة في النقل عن معصومين تركوا لنا علوم الدين مشفوعة بطرق الوصول الى الصحيح منه والمكذوب، وبذلك كنا تبعا لهم ليس لنا رأي، و لا نقيس، ولا نعمل عقولنا في مقاصد الشريعة إلّا بدليل من الثقل الأكبر أو الأصغر.

وقد أوصى الأئمة عليهم السلام أتباعهم بكتابة كلامهم وحفظه وبقي منه أربعمائة مصنف لأربعمائة مصنِّف قام المحدثون بجمعها في أربعة كتاب وبالتالي فمذهب أهل البيت متواتر بطرق يستحيل التشكيك بها.

وأين هذا من اتباع أقوال عمر، وبدع عثمان، ودين معاوية وبني اميّة؟!

الواصفون له... وصفاته جلت عن الحصر... هو حجة لله قاهرة... هو بيننا أعجوبة الدهر... هو آية للخلق ظاهرة... أنوارها أربت على الفجر..». العقود الدرية ص١٨ وبعدها.

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية –ابن تيمية –ج٢ – ص١٥٦.

نصف الأمّة وأكثر لم يبايع عليّاً عليه السلام!

قال ابن تيمية «الثالث أن قوله هؤلاء الأئمة أن أراد بذلك أنهم كانوا ذوي سلطان وقدرة معهم السيف فهذا كذب ظاهر، وهم لا يدَّعون ذلك بل يقولون إنهم عاجزون ممنوعون مغلوبون مع الظالمين، لم يتمكن أحد منهم من الإمامة إلا علي بن أبي طالب مع أن الأمور استصعبت عليه ونصف الأمة أو أقل أو أكثر لم يبايعوه، بل كثير منهم قاتلوه وقاتلهم وكثير منهم لم يقاتلوه ولم يقاتلوا معه وفي هؤلاء من هو أفضل من الذين قاتلوه وقاتلوا معه وكان فيهم من فضلاء المسلمين من لم يكن مع علي مثلهم بل الذين تخلفوا عن القتال معه وله كانوا أفضل ممن قاتله وقاتل معه، وإن أراد أنه كان لهم على ودين يستحقون به أن يكونوا أئمة فهذه الدعوى إذا صحّت لا توجب كونهم أئمة يجب على الناس طاعتهم، كما أن استحقاق الرجل أن يكون إمام مسجد لا يجعله إماما واستحقاقه أن يكون قاضيا لا يصيره قاضيا واستحقاقه أن يكون أمير الحرب لا يجعله أمير الحرب والصلاة لا تصحُّ إلا خلف من يكون إماما بالفعل، ولا خلف من ينبغي أن يكون إماما، وكذلك الحكم بين الناس إنما يفصله ذو سلطان وقدرة لا من يستحق أن يولي القضاء وكذلك الجند إنما يقاتلون مع أمير عليهم لا مع من لم يؤمر وإن

كان يستحق أن يؤمر»[١].

الجواب:

قوله «ونصف الأمة أو أقل أو أكثر لم يبايعوه بل كثير منهم قاتلوه وقاتلهم وكثير منهم لم يقاتلوه ولم يقاتلوا معه وفي هؤلاء من هو أفضل من الذين قاتلوه وقاتلوا معه وكان فيهم من فضلاء المسلمين من لم يكن مع علي مثلهم بل الذين تخلفوا عن القتال معه وله كانوا أفضل ممن قاتله وقاتل معه».

قلت:

هذا الكلام فيه كذب بيّن، فالبيعة للإمام كانت بيعة عامة وهي الوحيدة التي جرت بدون تهديد ووعيد ومؤامرات، وقد بايعه أهل المدينة كلهم ماعدا سعد بن مالك وعبد الله بن عمر وقيل: أسامة بن زيد، وبايعه أهل العراق وأذربيجان وخراسان وأهل مصر، ولم يبق غير الشام فكيف يقول ابن تيمية «ونصف الأمة أو أقل أو أكثر لم يبايعوه» إلا إذا كان ابن تيمية قد قام بإحصاء سكاني شامل قرر بموجبه تلكم النتيجة!.

وقوله «بل كثير منهم قاتلوه وقاتلهم وكثير منهم لم يقاتلوه ولم يقاتلوا معه».

قلت:

إن كان يقصد الصحابة، كما في ما قاله بعد هذا الكلام فهذا غريب فابن أبي ليلى كان يقول إن صفين شهدها من أهل بدر سبعون رجلا[٢]، وكلهم مع أمير المؤمنين عليه السلام ويكفي أن يكون فيهم خزيمة ذو الشهادتين وعمار بن

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية –ابن تيمية – ج٢ – ص١٩٢و١٩٣.

(٢) العلل – احمد بن حنبل– ج١– ص٢٨٧.

ياسر، ولكن ابن تيمية أراد إسقاط تلك الفضيلة من الميزان هنا لان معاوية وعمرو بن العاص كانوا من (مسلمة) الفتح ولم يكن في جانب معاوية رجل بدري، فتكلم ابن تيمية بالعموم للتشويش وتضييع تلك الحقيقة.

وفي قوله «وفي هؤلاء من هو أفضل من الذين قاتلوه وقاتلوا معه وكان فيهم من فضلاء المسلمين من لم يكن مع علي مثلهم بل الذين تخلّفوا عن القتال معه وله كانوا أفضل ممن قاتله وقاتل معه».

وهو يقرر هنا إن الذي تخلّف عن أمير المؤمنين وعن معاوية كانوا أفضل من عامة الصحابه! وأعدائه والذين تخلفوا بضعة رجال منهم سعد بن مالك وعبد الله بن عمر وأسامة بن زيد والأول على ما يروون من العشرة في الحديث الموضوع. ولا اعرف كيف يكون عبد الله بن عمر أفضل من خزيمة ذو الشهادتين وأفضل من عمار وأفضل من مالك الأشتر وأبو الهيثم بن التيهان!! إلا إذا كانت معايير الأفضلية مرتبطة عند ابن تيمية بالموقف من علي عليه السلام، فمن خذل عليا فهو فاضل ومن سار معه فهو مشكوك في أمره. والعكس صحيح بالنسبة لمعاوية فكل شيء في معاوية ومعه حسن عند ابن تيمية!.

﴿ وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (الأنفال: ٧٣).

قال ابن تيمية «الوجه السادس أن يقال: قوله (لم يتخذوا ما اتخذه غيرهم من الأئمة المشتغلين بالملك والمعاصي) كلام باطل وذلك أنه إن أراد أهل السنة يقولون إنه يؤتمّ بهؤلاء الملوك فيما يفعلونه من معصية الله فهذا كذب عليهم، فإن علماء أهل السنة المعروفين بالعلم عند أهل السنة متفقون على أنه لا يقتدى بأحد

في معصية الله، ولا يُتخذ إماما في ذلك، وإن أراد أن أهل السنة يستعينون بهؤلاء الملوك فيما يحتاج إليهم فيه من طاعة الله ويعاونوهم على ما يفعلونه من طاعة الله فيقال لهم إن كان اتخاذهم أئمة بهذا الاعتبار محذورا فالرافضة أدخل منهم في ذلك فإنهم دائما يستعينون بالكفار والفجار على مكالبهم ويعاونون الكفار والفجار على كثير من ماربهم وهذا أمر مشهود في كل زمان ومكان»[1].

الجواب:

هلا أعطانا ابن تيمية شاهدا على ما قال؟! بل هو يعلم أن لا شاهد له لذا فهو يعمم ويبالغ في افتراءاته، والشيعة لا تقصد الأمرين، وابن تيمية يعلم بالمراد، فالبيعة الشرعية عندهم تكون لازمة للحاكم الفاسق الفاجر بدون طاعة للمعصية التي يفعلها - نظريّا - وكونه فاجرا فاسقا لا يغيّر من وجوب طاعته عندهم إلا في معصيته كما يقولون، وعلى ارض الواقع لا يطبقون هذا بل يطيعونه حتى في معاصيه وقد شهدنا في عصرنا هذا حادثة نوردها كنموذج على ما نقول فقد أفتى علماء السلفية (ومنهم الشيخ جاسم السعيدي من أهالي البحرين) حكموا بحرمة مشاركة المرأة بالانتخابات في البحرين، ولما أعطى ملك البحرين أمرا بجواز مشاركة المرأة بالانتخابات قال هذا الشيخ على شاشات تلفزيون BBC وقد رآه الملايين: لقد أمر ولي الأمر بذلك ولا كلام لنا بعد!!

فإن كان هذا حراما فقد أطعتموه فيه، وان كان حلالا فكيف حرّمتموه؟!

ومن مخازيهم ما فعله أحد كبّارهم أثناء شن العدو الصهيوني حربه على لبنان في صيف ٢٠٠٦م ولمّا كان موقف السعودية السياسي سلبياً من حزب الله

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية -ابن تيمية - ج٢ - ص١٩٥.

اللبناني فقد أفتى أحد فقهاء السلطة والمسمّى (عبد الله الجبرين) فتوى بتحريم نصرة حزب الله ضد الصهاينة الذين غزو لبنان ودمروا بلاد المسلمين وعاثوا في الأرض الفسادا!! وهذا نص الفتوى:

عنوان الفتوى: هل يجوز نصرة (ما يسمّى) حزب الله الرافضي

المفتي العلامة الدكتور/ عبد الله بن عبدالرحمن الجبرين

رقم الفتوى ١٥٩٠٣

تاريخ الفتوى: ١٤٢٧/٦/٢١ هـ - ٢٠٠٦/٧/١٧

السؤال: هل يجوز نصرة (ما يسمى) حزب الله الرافضي؟ وهل يجوز الانضواء تحت إمرهم؟ وهل يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين؟ وما نصيحتكم للمخدوعين بهم من أهل السنة؟

الجواب:

لا يجوز نصرة هذا الحزب الرافضي، ولا يجوز الانضواء تحت إمرهم، ولا يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين، ونصيحتنا لأهل السنة أن يتبرؤوا منهم، وأن يخذلوا من ينضموا اليهم، وأن يبينوا عداوتهم للإسلام والمسلمين وضررهم قديماً وحديثاً على أهل السنة، فإن الرافضة دائماً يضمرون العداء لأهل السنة، ويحاولون بقدر الاستطاعة إظهار عيوب أهل السنة والطعن فيهم والمكر بهم، وإذا كان كذلك فإن كل من والاهم دخل في حكمهم لقول الله تعالى:

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

فمن الذي يعاون اليهود والنصارى ضد المسلمين إذن؟! والغريب منه أنه وبعد تغير الموقف السعودي من الحرب إثر نشر الصحف الغربية المباحثات السرية

التي كان فيها السياسيون السعوديّون يظهرون الشماتة بحزب الله، أصدر هذا الشيخ فتوى ثانية قال فيها أن هذه الفتوى كانت قديمة وقد أصدرت سنة ٢٠٠٢م وأن بعض الطلبة كان قد جدّدها في هذا الوقت، فأي دين هذا الذي تكون فتاواه تبعا للسياسة ودهاليز القصور؟!

وحسبك ما جرى هذه الأيّام (في يوم ١-١٠-٢٠١١) إذ طلب طاغية اليمن من مفتي البلاد أن يصدر فتوى بحرمة المظاهرات التي تدعو الى الكرامة والانتخاب الحر والقضاء على الفساد، فأصدر المفتي في اليوم اللاحق ذلك بلا حرج!

قال ابن تيمية «الوجه التاسع أن يقال: إمام قادر ينتظم به أمر الناس في أكثر مصالحهم بحيث تأمن به السبل ويقام به ما يقام من الحدود ويدفع به ما يدفع من الظلم ويحصل به ما يحصل من جهاد العدو، ويستوفى به ما يستوفى من الحقوق، خير من إمام معدوم لا حقيقة له، والرافضة تدعو إلى إمام معصوم وليس عندهم في الباطن إلا إمام معدوم وفي الظاهر إمام كفور أو ظلوم، فأئمة أهل السنة ولو فرض ما فرض فيهم من الزلل والذنوب خير من الأئمة الظاهرين الذين يعتقدهم الرافضة وخير من إمام معدوم لا حقيقة له، وأما الأئمة الباقون الذين كانوا موجودين فأولئك يأتمّ بهم أهل السنة كما يأتّمون بأمثالهم فهو وأمثالهم أئمة ومن أئتمّ بهؤلاء مع أمثالهم من سائر المسلمين كان خيرا ممن أئتمّ بهم وحده فإن العلم رواية ودراية كلما كثر فيه العلماء واتفقوا على ذلك كان أقوى وأولى الاتباع فليس عند الشيعة خير إلا وأهل السنة يشركونهم فيه والخير الذي اختص به أهل السنة لا يشركهم فيه الشيعة»[1].

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية -ابن تيمية - ج٢- ص١٩٦.

الجواب:

إن كلامه يستلزم أن بني أمية والعباس الذين هم عند ابن تيمية على هذا الفرض عندهم (زلل وذنوب) خير مِن أتقى أهل زمانهم! وهذا الخلاف في الأصل يتبع إلى كيف يكون الرجل إماما فعندما قلنا بالتنصيب الإلهي قالوا بالغلبة والشورى والعهد لذا فتناقضهم يفضي الى هكذا أحكام جائرة.

أما قوله «وأما الأئمة الباقون الذين كانوا موجودين فأولئك يأتمُّ بهل أهل السنة كما يأتّمون بأمثالهم فهو وأمثالهم أئمة ومن أئتمّ بهؤلاء مع أمثالهم من سائر المسلمين كان خيرا ممن أئتمّ بهم وحده».

قلت:

كيف اقتديتم بهم وكتبكم تخلو أو تكاد من أرائهم الفقهية وفتاويهم وقراءاتهم، بل إنكم كنتم تضربون بالسوط من يقرأ بقراءتهم القرآنية قال الذهبي[1] «قلت: قد انعقد الإجماع بآخرة على تلقى قراءة حمزة بالقبول والإنكار على من تكلم فيها، فقد كان من بعض السلف في الصدر الأول فيها مقال. وكان يزيد بن هارون ينهى عن قراءة حمزة، رواه سليمان بن أبي شيخ وغيره عنه. وقال أحمد بن سنان القطان: كان يزيد بن هارون يكره قراءة حمزة كراهية شديدة. وسمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: لو كان لي سلطان على من يقرأ قراءة حمزة لأوجعت ظهره. وكان أحمد بن حنبل يكره قراءة حمزة. وحكى زكريا الساجي أن أبا بكر بن عياش قال: قراءة حمزة بدعة».

وكل هذا لان حمزة قرأ على أهل البيت عليهم السلام!

---

(١) ميزان الاعتدال ـ الذهبي ـ ج ١ ـ ص ٦٠٥ – ٦٠٦.

قال السيد حسن الصدر «وجد بخط الشيخ الشهيد محمد بن مكي عن الشيخ جمال الدين أحمد بن محمد بن الحداد الحلي ما صورته: قرأ الكسائي القرآن على حمزة، وقرأ حمزة على أبي عبد الله الصادق، وقرأ عن أبيه، وقرأ على أبيه، وقرأ على أبيه، وقرأ على أمير المؤمنين علي. قلت: وحمزة على الأعمش أيضا، وعلى حمران بن أعين، وهما من شيوخ الشيعة أيضا»[1].

وخير مثال على ذلك أفضل كتاب جامع للصحيح عندهم فهو يروي عن أكثر من ستين من النواصب بينما لا يرى البخاري الرواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام سيد أهل زمانه!

بل لو لم يكن إلا هذا الكتاب المسمى ظلما (منهاج السنة) لكان من اكبر الأدلة على ما يضمرونه من مرتبة وضيعة لأهل البيت وسيدهم أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا بشهادة المخالف والمؤالف. فكم من حديث صحيح يكذبه ابن تيمية كما صرّح بذلك الألباني في صحيحته.

فقال في الحديث الوارد في علي عليه السلام «هو ولي كل مؤمن بعدي » ما نصه: «فقد جاء من حديث ابن عباس، فقال الطيالسي: حدثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي: أنت ولي كل مؤمن بعدي. وأخرجه أحمد ومن طريقه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي وهو كما قالا. وهو بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه... فمن العجيب حقا أن يتجرأ شيخ الإسلام ابن تيمية على إنكار هذا الحديث وتكذيبه في " منهاج السنة!».

---

(١) الشيعة وفنون الإسلام - السيد حسن الصدر - ص ٢٨.

وقال ابن حجر في كلامه حول كتاب ابن تيمية منهاج الاعتدال[1] «طالعت الرد المذكور فوجدته كما قال السبكي في الاستيفاء لكن وجدته كثير التحامل إلى الغاية في رد الأحاديث التي يوردها ابن المطهر وان كان معظم ذلك من الموضوعات والواهيات لكنه رد في رده كثيرا من الأحاديث الجياد التي لم يستحضر حالة التصنيف مظانها لأنه كان لاتساعه في الحفظ يتكل على ما في صدره والإنسان عامد للنسيان وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي أدته أحيانا إلى تنقيص علي رضي الله عنه وهذه الترجمة لا يحتمل إيضاح ذلك وإيراد أمثلته».

وكثير مثل ذلك وهي خير دليل على النصب.

بل ان ابن تيمية قد تناقض هنا وجاء بما تستخفُّ العقول معه! إذ يقول في موضع آخر من منهاجه الأموي في رد دعوى العلامة الحلّي في كون الناس استفادت من علي عليه السلام علوم الإسلام فقال ابن تيمية «فهذا باطل فان أهل الكوفة التي كانت داره كانوا قد تعلموا الإيمان والقران وتفسيره والفقه والسنة من ابن مسعود وغيره قبل أن يقدم علي الكوفة، وإذا قيل أن أبا عبد الرحمن قرأ عليه فمعناه عرض عليه وإلا فأبو عبد الرحمن كان قد حفظ القران قبل أن يقدم علي الكوفة وهو وغيره من علماء الكوفة مثل علقمة والأسود والحارث التيمي وزر ابن حبيش الذي قرأ عليه عاصم بن أبي النجود اخذوا القران عن ابن مسعود وكانوا يذهبون إلى المدينة فيأخذون عن عمر وعائشه ولم يأخذوا عن علي كما اخذوا عن عمر وعائشة، وشريح قاضيه إنما تفقه على معاذ بن جبل باليمن وكان يناظره في الفقه ولا يقلده، وكذلك عبيدة السلماني كان لا يقلده بل يقول له رأيك مع عمر في الجماعة احب إلينا من رأيك وحدك في الفرقة.

---

(١) لسان الميزان – ابن حجر – ج ٦ – ص ٣١٩ – ٣٢٠.

وأما أهل المدينة ومكة فعلمهم أيضا ليس مأخوذا عنه وكـذلك أهـل الـشام والبصرة فهذه الأمصار الخمسة الحجازان والعراقـان والـشام هـي الـتي خـرج منـها علوم النبوة من العلوم الإيمانية والقرآنية والشريعة وما اخذ هؤلاء عنـه فـان عمـر رضي الله عنه كان قد أرسل إلى كل مصر من يعلمهم القران والـسنة وأرسـل إلى أهل الشام معاذ بن جبـل وعبـادة بـن الـصامت وغيرهما وأرسـل إلى العـراق ابـن مسعود وحذيفة بن اليمان وغيرهما»[1].

وبهذا فالأمصار الخمسة لم تأخذ شيئا عن علي عليه السلام! فما فضل علي على التابعين، فضلا عن بعض الصحابة. وكيـف كـان رابعـا في الفـضل علـى مـا يدّعون؟!

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية – ابن تيمية –ج٤

الظهور بالسنان واللسان... هو نصر الله في الدنيا!

قال ابن تيمية «الوجه الحادي عشر قوله (قالت الإمامية فالله يحكم بيننا وبين هؤلاء وهو خير الحاكمين) فيقال للإمامية: إن الله قد حكم بينهم في الدنيا بما أظهره من الدلائل والبيّنات وبما نصر به أهل الحق عليكم فهم ظاهرون عليكم بالحجة والبيان وباليد والسنان كما أظهر دين نبيه على سائر الأديان قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة:٣٣).

وكان من دينه قول أهل السنة الذي خالفتموهم فيه فإنه ظاهر عليكم بالحجة والسنان كظهور دين محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأديان، ولم يظهر دين محمد صلى الله عليه وسلم قط غير غيره من الأديان إلا بأهل السنّة، كما ظهر في خلافه أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ظهورا لم يحصل لشيء من الأديان وعلي رضي الله عنه مع أنه من الخلفاء الراشدين ومن سادات السابقين الأولين فلم يزهر في خلافته دين الإسلام بل وقعت الفتنة بين أهله،

وطمع فيهم عدوهم من الكفار والنصارى والمجوس بالشام والمشرق وأما بعد علي فلم يعرف أهل علم ودين ولا أهل يد وسيف نصر الله بهم الإسلام إلا على أهل السنة وأما الرافضة فإما أن تعاون أعداء الإسلام وإما أن تمسك عن نصر الطائفتين ولا ريب أن الله تعالى يحكم يوم القيامة بين السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وبين من عاداهم من الأولين والآخرين كما يحكم بين المسلمين والكفار»[1].

الجواب:

إن نسبته ظهور دين الإسلام الى الثلاثة يضحك الثكلى وإلا فلم لم يكونوا يتصدّون للمعضلات التي كانت تأتيهم من النصارى واليهود وكانوا يولولون منها ولا يجدون محيصا من المجيء إلى علي عليه السلام حتى قيل معضلة وليس لها أبو الحسن!

ولو كان ظهور دين معيّن بالسيف والكثرة لكانت الغلبة للنصارى في هذا الزمان حجّة على ابن تيمية فبلادهم تتقدم عسكريا وتقنياً، وهي تستعمر الأرض شرقا وغربا ثقافيا، وعسكريّا، وبلدان الإسلام تتوسل المساعدات المالية والعسكرية والتقنية من الكفار، وهذا يدل على بطلان ما كان يقوله ابن تيمية وما اعتمد فيه على عقله الصغير، فلو كان قد نهل من منابع اهل البيت الصافية لما أصبح كلامه أضحوكة!

واما داخل الجسد الإسلامي فما قول ابن تيمية لو عاش في القرن العشرين والحادي والعشرين ورأى التشيع وهو يزحف الى القلوب وتتفتح بصائر الناس

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية –ابن تيمية – ج٢ – ص١٩٧.

يوميا بالألوف في آسيا وأفريقيا وبلدان المغرب العربي خصوصاً؟!

أما قوله «وعلي رضي الله عنه مع أنه من الخلفاء الراشدين ومن سادات السابقين الأولين فلم يزهر في خلافته دين الإسلام بل وقعت الفتنة بين أهله وطمع فيهم عدوهم من الكفار والنصارى والمجوس بالشام والمشرق».

على رأي ابن تيمية لا يزهر الدين عند تولي علي عليه السلام للخلافة لكون علي كشف بغي الأمويين وكيف لا وهو الفيصل بين الحق والباطل! وأما الفتنة فالذي أوقعها الناكثون لبيعتهم والقاسطون للمسلمين. وعلى هذا فالنبي اكبر فاتن لكونه أوقع الحرب بين المشركين والمسلمين بين أهل الحق والباطل على قياس ابن تيمية المسموم.

وهذا على تعريف الفتنة بانها الاختبار، أما على ما يقصده ابن تيمية من كون الفتنة هي عدم ظهور الحق او الباطل وعدم ظهور الحق في زمن معيّن فهذا مما ننكره لكون النصوص النبوية جليّة في نصرة علي عليه السلام نقلنا بعضها في هذا الكتاب.

والذي اطمع أعداء الإسلام فيه هم الناكثون والقاسطون والمارقون، وقد قام علي عليه السلام في حربهم خير قيام، ولو لم يقم لكان معطلا أحكام الإسلام إذ يقول[1] «أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله وليس أحد من العرب يقرأ كتابا، ولا يدعي نبوة ولا وحيا. فقاتل بمن أطاعه من عصاه. يسوقهم إلى منجاهم، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم. يحسر الحسير ويقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته إلا هالكا لا خير فيه. حتى أراهم منجاهم، وبوأهم

(١) نهج البلاغة ـ خطب الإمام علي عليه السلام ـ ج ١ ـ ص ١٩٩ — ٢٠٠.

محلتهم فاستدارت رحاهم، واستقامت قناهم. وأيم الله لقد كنت من ساقتها حتى تولت بحذافيرها، واستوسقت في قيادها، ما ضعفت ولا جبنت، ولا خنت ولا وهنت.

وأيم الله لأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته» وهذه هي الصلابة في العقيدة، فلا رشوة ولا مداهنة في دين الله كما كان يُفعل من قبله ممن يقول فيهم الإمام عليه السلام «وقد قطعتم قيد الإسلام وعطلتم حدوده وأمتم أحكامه ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض فأما الناكثون فقد قاتلت، وأما القاسطون فقد جاهدت. وأما المارقة فقد دوخت. وأما شيطان الردهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه ورجة صدره. وبقيت بقية من أهل البغي. ولئن أذن الله في الكرة عليهم لأديلن منهم إلا ما يتشذر في أطراف البلاد تشذرا»(١).

فوالله لو كان معاوية هو الذي مكان علي لوجدوا له الأعذار ولكنه علي عليه السلام.

وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يعلم ذلك منهم وهو الذي يقول «هذا ماء آجن. ولقمة يغص بها آكلها. ومجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه فإن أقل يقولوا حرص على الملك. وإن أسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه. بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة»(٢).

---

(١) نهج البلاغة – خطب الإمام علي عليه السلام – ج ٢ – ص ١٥٦.

(٢) نهج البلاغة – خطب الإمام علي عليه السلام – ج ١ – ص ٤٠ – ٤١.

وأنى يكون أمير المؤمنين عليه السلام تحت ميزان الحق وهو الحق؟! يقول أمير المؤمنين عليه السلام «أقمت لكم الحق حيث تعرفون ولا دليل، وتحتفرون ولا تميهون. اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان، عزب فهم امرئ تخلف عني، ما شككت في الحق منذ رأيته»[١].

فهو منار الهدى من تأخر عنه قصّر ومن تقدَّمه أفرط، ومن لزمه اهتدى يقول الإمام «فقمت بالأمر حين فشلوا وتطلعت حين تقبعوا ونطقت حين تعتعوا. ومضيت بنور الله حين وقفوا. وكنت أخفضهم صوتا وأعلاهم فوتا. فطرت بعنانها واستبددت برهانها. كالجبل لا تحركه القواصف. ولا تزيله العواصف. لم يكن لأحد في مهمز ولا لقائل فيَّ مغمز. الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له. والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه. رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله أمره. أتراني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله والله لأنا أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عليه فنظرت في أمري فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي وإذا الميثاق في عنقي لغيري»[٢].

هذا هو الرجل الذي يخطّأه ابن تيمية لكونه حارب معاوية الطليق اللصيق!

---

(١) الإرشاد - الشيخ المفيد - ج ١ - ص ٢٥٣ — ٢٥٤.

(٢) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ١ - ص ٨٨ — ٨٩.

عِلمُ أهل البيت كعِلمِ أمثالهم.. عند ابن تيميّة

قال ابن تيمية «فإذا قال هذا (روى جدنا عن جبريل عن الباري) قيل نعم وهؤلاء أعلم منكم بما روى جدكم عن جبريل، وأنتم ترجعون في ذلك إليهم وإذا كان كل من الأولين والآخرين من بني هاشم قد تعلّم بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من غيره بل من غير بني هاشم كان هذا من أمارة أنه لا علم عندهم بذلك إلا كعلم أمثالهم، فبمن يأتمّ الناس وعمّن يأخذون عمّن يُعرف ما جاء به جدهم؟ أو عمّن لا يعرف ذلك والعلماء هم ورثة الأنبياء، فإن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر.

وإن قال: مرادي بهؤلاء الأئمة الاثني عشر.

قيل له ما رواه علي بن الحسين وأبو جعفر وأمثالهما من حديث جدهم فمقبول منهم كما يرويه أمثالهم، ولولا أن الناس وجدوا عند مالك والشافعي وأحمد أكثر مما وجدوه عند موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي لما عدلوا عن هؤلاء إلى هؤلاء وإلا فأي لأهل العلم والدين أن يعدلوا عن موسى بن جعفر إلى مالك بن أنس وكلاهما من بلد واحد في عصر واحد لو وجدوا عند موسى بن جعفر من علم الرسول ما وجدوه عند مالك مع كمال رغبة المسلمين

في معرفة علم الرسول ونفس بني هاشم كانوا يستفيدون علم الرسول من مالك بن أنس أكثر مما يستفيدونه من ابن عمهم موسى بن جعفر. ثم الشافعي جاء بعد مالك وقد خالفه في أشياء وردها عليه حتى وقع بينه وبين أصحاب مالك ما وقع وهو أقرب نسبا ببني هاشم من مالك ومن أحرص الناس على ما يستفيده من علم الرسول من بني عمه وغير بني عمه فلو وجد عند أحد من بني هاشم أعظم من العلم الذي وجده عند مالك لكان أشدّ الناس مسارعة إلى ذلك، فلما كان يعترف بأنه لم يأخذ العلم عن أحد أعلم من مالك وسفيان بن عيينة وكانت كتبه مشحونة بالأخذ عن هذين الاثنين وعن غيرهما، وليس فيها شيء عن موسى بن جعفر وأمثاله من بني هاشم علم أن مطلوبه من علم الرسول صلى الله عليه وسلم كان عند مالك أكثر مما هو عند هؤلاء وكذلك أحمد بن حنبل قد علم كمال محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولحديثه ومعرفته بأقواله وأفعاله وموالاته لمن يوافقه ومعاداته لمن يخالفه ومحبته لبني هاشم وتصنيفه في فضائلهم حتى صنف فضائل على والحسن والحسين كما صنف فضائل الصحابة ومع هذا فكتبه مملوءة بعلم مثل مالك والثوري والأوزاعي والليث بن سعد ووكيع بن الجراح ويحيى بن سعيد القطان وهشيم بن بشير وعبد ارحمن بن مهدي وأمثالهم دون موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وأمثالهم. فلو وجد مطلوبه عن مثل هؤلاء لكان أشد الناس رغبة في ذلك فإن زعم زاعم أنه كان عندهم من العلم المخزون ما ليس عن أولئك لكان كانوا يكتمونه فأي فائدة للناس في علم يكتمونه فعلم لا يقال به ككنز لا ينفق منه وكيف يأتّم أناس بمن لا يبين لهم العلم المكتوم كالإمام المعدوم وكلاهما لا ينتفع به ولا يحصل به لكف ولا مصلحة»[1].

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية -ابن تيمية - ج٢ - ص٢٠٠.

الجواب:

وحقا قال الإمام الباقر عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة وهما من رجالات مذهب الصحابة[١] «شرِّقا وغرِّبا لن تجدا علما صحيحا إلّا شيئا يخرج من عندنا أهل البيت».

فالرجل يقلب القاعدة الذهبية التي وضعها إمام الصحابة أمير المؤمنين عليه السلام حين قال «الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله»[٢].

فابن تيمية وعن طريق تتبّع أفعال مالك والشافعي واحمد استدل على الحق! بينما الواجب أن يعرف الحق من خلال القرآن والسنة والمعصوم فقط، ومنه يُعلم أن من خالفهم على ضلال وأنّى لأمثال ابن تيمية من منكوسي القلوب أن يعلموا علوم أهل البيت التي اصطفى الله من يعرفها! فوالله لقد «آثروا عاجلا وأخروا آجلا، وتركوا صافيا وشربوا آجنا. كأني أنظر إلى فاسقهم وقد صحب المنكر فألفه، وبسئ به ووافقه، حتى شابت عليه مفارقه، وصبغت به خلائقه. ثم أقبل مزبدا كالتيار لا يبالي ما غرق. أو كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرق. أين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى، والأبصار اللامحة إلى منار التقوى. أين القلوب التي وهبت لله وعوقدت على طاعة الله. ازدحموا على الحطام وتشاحوا على الحرام. ورفع لهم علم الجنة والنار فصرفوا عن الجنة وجوههم، وأقبلوا إلى النار بأعمالهم. دعاهم ربهم فنفروا وولوا. ودعاهم الشيطان فاستجابوا وأقبلوا»[٣].

وكيف نساوي بين معصوم أوصى الله به ورسوله وجعلوه عدل الكتاب

---

(١) بصائر الدرجات ـ محمد بن الحسن الصفار ـ ص ٣٠.

(٢) روضة الواعظين ـ الفتال النيسابوري ـ ص٣١.

(٣) نهج البلاغة ـ خطب الإمام علي عليه السلام ـ ج ٢ ـ ص ٢٧ – ٢٨.

وأوصى بعدم مخالفته حتى لا يدخلوا في الضلال وبين أقوام أعراب بوّالين على أعقابهم لا يعرفون من الإسلام إلاّ ما شابه عاداتهم الجاهلية، ولقد اختلف هؤلاء الصحابة في الدين اختلافا عظيما حتى بإمكان الرجل أن يرى أكثر من دين في آرائهم ما نقلوه واختلفوا فيه، قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو يشير إلى اختلاف الصحابة والضلال الذي دخل به الناس نتيجة نقل البناء عن أساسه[1] «إن في أيدي الناس حقا وباطلا، وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا وعاما وخاصا، ومحكما ومتشابها، وحفظا ووهما، ولقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيبا فقال: من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار."

وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس: رجل منافق مظهر للإيمان، متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدا، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله رأى وسمع منه ولقف عنه فيأخذون بقوله، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده عليه وآله السلام فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولوهم الأعمال وجعلوهم حكاما على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا. وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله فهو أحد الأربعة ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذبا فهو في يديه ويرويه ويعمل به ويقول أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله، فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوه منه، ولو علم هو أنه كذلك لرفضه ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا يأمر به ثم نهى عنه وهو لا

(١) نهج البلاغة ـ خطب الإمام علي عليه السلام ـ ج ٢ ـ ص ١٨٨ — ١٩١.

يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلـم، فحفـظ المنسوخ ولم يحفـظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفا مـن الله وتعظيما لرسول الله صـلى الله عليـه وآلـه ولم يهـم، بـل حفـظ مـا سمـع علـى وجهه، فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه، فحفظ الناسخ فعمـل بـه، وحفظ المنسوخ فجنب عنه، وعرف الخاص والعـام فوضـع كـل شـيء موضـعه، وعرف المتشابه ومحكمه. وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان: فكلام خاص وكلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عني الله به ولا مـا عني رسول الله صلى الله عليـه وآلـه، فيحملـه السـامع ويوجهـه علـى غـير معرفـة بمعناه وما قصد به وما خرج من أجله. وليس كل أصحاب رسـول الله صـلى الله عليه وسلم من كان يـسأله ويـستفهمه حـتى أن كـانوا ليحبّـون أن يجـيء الأعـرابي والطارئ فيسأله عليه السلام حـتى يـسمعوا. وكـان لا يمـر بي مـن ذلـك شـيء إلا سألت عنه وحفظته. فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم»

وكيـف نتبـع طريقـة أهـل الـسنة ووهـم يرجعـون في مرويـاتهم الى هـؤلاء الصحابة؟! نعم لو اقتـصرنا علـى مـن لجأ إلى ركـن شـديد مـن الفقـه مثـل علـي وصحابته عمار وأبو ذر وحذيفة والمقداد وأشباههم لكان هذا الهدى.

وأئمـة أهـل الـسنّة وإن لم يأخـذوا كـل العلـم عـن أهـل البيـت بـل ظلمـوا انفسهم، فاخذوا منهم كما أخذوا من غيرهم، لكن هذا يرجع الى كـونهم يغـالون في الخلفاء الثلاثة لو تفطن لذلك الباحث، فهم يعلمون أن علماء أهل البيت كانوا يعتقدون بوجوب اتباعهم لكونهم الثقل الثاني الموصى به من النبي صلى الله عليـه وآله، فلو اخذوا بكل ما جـاء بـه الإمـام جعفـر بـن محمـد الـصادق عليـه الـسلام

لجرّهم ذلك لاعتقاد الوصيّة وبالتالي تولي علي عليه السلام والتبري من كل من ظلمه وحاربه، وهذا سيجعلهم (رافضة) بأعين الناس، وبالتالي تحمّل المضاعفات السياسية والدينية من المتسلطين في الدينيات والدنيويات من أمراء فسقة وفقهاء ظلمة، والقوم قد بلغوا من الشهرة ما تزيّن لهم نفوسهم ترك هذا الطريق الخشن، وترك الطريق السهل، الطريق الذي سيجعلهم ائمة مطاعين تسير بقصصهم وفتاويهم الركبان، وتستقبلهم الأمراء، وينالون الهبات والأعطيات، وأين هذا من العنت والشدّة التي كان عليها من يتشيّع لأهل البيت؟!

لذا كان هؤلاء الإئمة تبعا لأعدى أعدائهم وهي أنفسهم، إذ يقول خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله «أعدا عدوك نفسك التي بين جنبيك» (١).

قال ابن تيمية «والله يعلم أني مع كثرة بحثي وتطلّعي إلى معرفة أقوال الناس ومذاهبهم، ما علمت رجلا له في الأمة لسان صدق يُتّهم بمذهب الإمامية فضلا عن أن يقال إنه يعتقده في الباطن، وقد اتّهم بمذهب الزيدية الحسن بن صالح بن حي وكان فقيها صالحا زاهدا، وقيل إن ذلك كذب عليه ولم ينقل أحد عنه إنه طعن في أبي بكر وعمر فضلا عن أن يشكَّ في إمامتهما، واتّهم طائفة من الشيعة الأولى بتفضيل علي على عثمان ولم يَّتهم أحد من الشيعة الأولى بتفضيل علي على أبي بكر وعمر، بل كانت عامة الشيعة الأولى الذين يحبّون عليا يفضلون عليه أبا بكر وعمر لكن كان فيهم طائفة ترجحه على عثمان وكان الناس في الفتنة صاروا شيعتين شيعة عثمانية وشيعة علوية، وليس كل من قاتل مع علي كان يفضله على عثمان بل كان كثير منهم يفضل عثمان عليه كما هو قول سائر أهل السنة»(٢).

---

(١) عدة الداعي – ابن فهد الحلي – ص ٢٩٥.

(٢) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية – ابن تيمية ج٢ – ص٢٠٣.

الجواب:

كعادته ابن تيمية يلقي القول على عواهنه وبدون ذكر لأي مصدر يؤكد ادعاءاته، والخلاف هنا منهجي، فمنهجهم الأموي يجعل كل من يفضل عليا على غيره أما مشكوك الصحبة إذا كان صحابيا، وإما صاحب فتنة كمالك الأشتر وأبو الهيثم بن التيهان وأمثالهم، وبالتالي لا تجد (صالحا) على منهجهم يقول بمقالة الشيعة! وإنما الخير كل الخير بمن قاتل عليا أو أعان عليه كعمرو بن العاص ومعاوية وبسر بن أرطاة وأبو موسى الأشعري وأبو هريرة أمثالهم، لذا فإنك تجد الكثير ممن قيل بصحبتهم واختلفوا عليهم في القرن الثاني بعد زوال حكم الأمويين عامَّتهم من الشام ومن النواصب خصوصا كمعاوية بن حديج الذي أدمن سبَّ أمير المؤمنين عليه السلام، وأزهر الحرازي وشقيق بن سلمة وغيرهم من مشاهير النواصب. وعلى هذا فابن تيمية يقوم باختراع القاعدة على هواه ثم يدخل فيها من يشاء ويخرج منها من يشاء.

وقد وضعوا قواعد لكفكفة انتشار الحديث الكوفي الذي كان يعجُّ بحديث أهل البيت عليهم السلام، فأغلب الكوفيين شيعة، وهم عند النواصب (أهل بدعة) فوضعوا لهم قواعد حتى لا تنتشر أحاديث أهل البيت في الأمة، قال ابن حجر العسقلاني[1] «قد اختلف أهل السنة في قبول حديث من هذا سبيله إذا كان معروفا بالتحرِّز من الكذب، مشهورا بالسلامة من خوارم المروءة، موصوفا بالديانة والعبادة، فقيل: يقبل مطلقا، وقيل: يردُّ مطلقا، والثالث: التفصيل بين أن يكون داعية لبدعته أو غير داعية فيقبل غير الداعية ويردُّ حديث الداعية، وهذا المذهب هو الأعدل وصارت إليه طوائف من الأئمَّة، وادّعى ابن حبّان إجماع أهل

(١) مقدمة فتح الباري - ابن حجر - ص ٣٨٢.

النقل عليه لكن في دعوى ذلك نظر. ثم اختلف القائلين بهذا التفصيل فبعضهم أطلق ذلك وبعضهم زاده تفصيلا فقال إن اشتملت رواية غير الداعية على ما يشيد بدعته ويزينه ويحسنه ظاهرا فلا تقبل وأن لم تشتمل فتقبل وطرد بعضهم هذا التفصيل بعينه في عكسه في حق الداعية فقال إن اشتملت روايته على ما يرد بدعته قبل وإلا فلا وعلى هذا إذا اشتملت رواية المبتدع سواء كان داعية أم لم يكن على ما لا تعلق له ببدعته أصلا هل ترد مطلقا أو تقبل مطلقا مال أبو الفتح القشيري إلى تفصيل آخر فيه فقال: إن وافقه غيره فلا يلتفت إليه هو إخماد لبدعته وإطفاء لناره وأن لم يوافقه أحد ولم يوجد ذلك الحديث إلّا عنده مع ما وصفنا من صدقه وتحرزه عن الكذب واشتهاره بالدين وعدم تعلق ذلك الحديث ببدعته فينبغي أن تقدم مصلحة تحصيل ذلك الحديث ونشر تلك السنة على مصلحة أهانته وإطفاء بدعته والله أعلم».

قلت:

فانتبه لقوله «إذا كان معروفا بالتحرز من الكذب مشهورا بالسلامة من خوارم المروءة موصوفا بالديانة والعبادة» فمن كان هذا حاله كان بعضهم يردُّ قوله مطلقا! وبعضهم يفصّل وما التفصيل في موقفهم منه راجع لدينه! بل لمقالته في أهل البيت عليهم السلام.

ثم إن قوله «ما علمت رجلا له في الأمة لسان صدق يُتّهم بمذهب الإمامية» من الكذب البين كيف وقد أورد علماء الرجال السنّة الأسماء العديدة ويكفي أن نأتي بعدة أسماء:

فمنهم: أحمد بن علي بن ربيعة بالتصغير والتثقيل السلمي أبو عتاب عن

ابن عمه منصور بن المعتمر وأبي وائل وجماعة. وعنه ابن عينية وهشيم وآخرون. وثقه ابن معين وقال أبو حاتم شيعي صدوق[١].

ومنهم: خالد بن مخلد الإمام المحدث أبو الهيثم القطواني الكوفي. سمع مالكا وسليمان ابن بلال وعلي بن صالح بن حي وأبا الغصن ثابت بن قيس ونافع بن أبي نعيم وعدة. وعنه البخاري وروى هو والجماعة سوى أبي داود عن رجل عنه والدارمي وعبد وأبو أمية الطرسوسي وآخرون حتى أن عبيد الله بن موسى قد روى عنه، وهو شيعي صدوق يأتي بغرائب وبمناكير[٢].

ومنهم: عبد الجبار بن العباس الشبامي الهمداني الكوفي عن عدي بن ثابت وأبي إسحاق وعنه أبو نعيم وأبو أحمد الزبيري شيعي صدوق.[٣]

ومنهم: احمد بن المفضل الكوفي، عن الثوري، وإسرائيل، وعنه الحنيني، وأبو زرعة، وطائفة، شيعي صدوق.[٤]

ومنهم: عباد بن يعقوب الرواجني: شيعي صدوق[٥] قال ابن حجر: رافضي مشهور إلا أنه كان صدوقا وثقة أبو حاتم وقال الحاكم: كان ابن خزيمة إذا حدث عنه يقول حدثنا الثقة في روايته المتَّهم في رأيه عباد بن يعقوب وقال ابن حبان: كان رافضيا داعية، وقال صالح بن محمد: كان يشتم عثمان رضي الله عنه. قلت: روى عنه البخاري في كتاب التوحيد حديثا واحدا مقرونا وهو

(١) تعجيل المنفعة – ابن حجر – ص ٣٧٣.

(٢) تذكرة الحفاظ – الذهبي – ج ١ – ص ٤٠٦ – ٤٠٧.

(٣) الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة – الذهبي – ج ١ – ص ٦١٢.

(٤) الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة – الذهبي – ج ١ – ص ٢٠٣.

(٥) سؤالات الحاكم – الدارقطني – ص ٢٥٣.

حديث ابن مسعود أي العمل أفضل وله عند البخاري طرق أخرى من رواية غيره[1].

ومنهم: ابن عبد الله بن جحيفة الكندي: شيعي صدوق.[2]

ومنهم: الحارث بن حصيرة: شيعي صدوق. روى عنه سفيان الثوري. وقال جرير الرازي: كان يصر من التشيع على أمر عظيم.[3]

فإذا لم يعلم ابن تيمية رجلا واحدا له لسان صدق يتهم برأي الإمامية فهؤلاء مجموعة أدرجتهم على عجالة! ومن اكذب من ابن تيمية؟!

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلـئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (النحل: ١٠٥).

---

(١) مقدمة فتح الباري- ابن حجر- ص١١٤.

(٢) كتاب السنّة - عمرو بن أبي عاصم - ص ٥٥١.

(٣) سؤالات الآجري لأبي داود - سليمان بن الأشعث - ج ١ - ص ١٧١.

الشيعة.. وشهادة الزور.. وحرمة أكل لحم الجمال!

قال ابن تيمية «لا نعلم طائفة أعظم تعصُّبا في الباطل من الرافضة، حتى أنهم دون سائر الطوائف عرف منهم شهادة الزور لموافقهم على مخالفهم وليس في التعصِّب أعظم من الكذب، وحتى أنهم في التعصّب جعلوا للبنت جميع الميراث ليقولوا إن فاطمة رضي الله عنها ورثت رسول الله صلى الله عليه وسلم دون عمّه العباس رضي الله عنه، وحتى أن فيهم من حرّم لحم الجمل لأن عائشة قاتلت على جمل فخالفوا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الصحابة والقرابة لأمر لا يناسب ذلك، فإن ذلك الجمل الذي ركبته عائشة رضي الله عنها مات، ولو فرض أنه حيٌّ فركوب الكفّار على الجمال لا يوجب تحريمها[1]، وما زال الكفار يركبون جمالا ويغنمها المسلمون منهم ولحمها حلال لهم فأي شيء في ركوب عائشة للجمل مما يوجب تحريم لحمه وغاية ما يفرضون أن بعض من يجعلونه كافرا ركب جملا مع أنهم كاذبون مفترون فيما يرمون به أم المؤمنين رضي

---

(١) كرّر ابن قيم الجوزية هذه الفرية على الشيعة في كتابه (الطب النبوي) فقال «لحم الجَمل: فَرْقُ ما بين الرافضة وأهل السُّنَّة، كما أنه أحد الفروق بين اليهود وأهل الإسلام. فاليهود والرافضة تَذُمُّه ولا تأكله، وقد عُلِمَ بالاضطرار من دين الإسلام حِلُّه، وطالَما أكله رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وأصحابُه حَضَراً وسَفَراً» الطب النبوي- ابن قيم الجوزية- ص٢٧٨.

الله عنها»[١].

الجواب:

وهذا من كذبه، فتحريم لحم الجمل ليس له أصل في كتب الشيعة لا قديما ولا حديثا وهو من بهتانه العظيم.

أمّا شهادة الزور للموافق على المخالف فهو من أوضح الكذب فلا يجيز الشيعة ذلك، بل وأغلظوا في النهي عن ذلك حتى قرنوها بالشرك بالله قال الشيخ الطوسي «شهادة الزور معصية كبيرة من أعظم الكباير روى خريم بن فاتك قال: صلى رسول الله صلاة الصبح فلما انصرف قام قائما فقال: عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله ثلاث مرات ثم تلا قوله تعالى: فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور»[٢].

ولا خلاف في ذلك ولا تقييد بالموافق او المخالف!

وأما ما ذكره عن الميراث بالتعصيب فنحن تبعا لأهل البيت عليهم السلام في ذلك وهم الثقل الثاني الذين تركهم ابن تيمية والمسألة لا تعدو كونها مسألة فرعيّة.

قال الشيخ الجواهري: «أجمع أصحابنا وتواترت أخبارنا عن ساداتنا عليهم السلام بل هو من ضروريات مذهبنا أنه (لا يثبت الميراث عندنا بالتعصيب) وهو توريث ما فضل عن السهام من كان من العصبة، وهم الابن والأب ومن تدلى بهما من غير رد على ذي السهام. وإلى ذلك يرجع ما في المسالك من " أنه توريث

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية –ابن تيمية ج٢ – ص٢٠٥.

(٢) المبسوط – الشيخ الطوسي – ج ٨ – ص ١٦٤.

العصبة مع ذي الفرض القريب إذا لم يحط الفرض بمجموع التركة، كما لو خلف بنتا واحدة أو بنتين فصاعدا مع أخ أو أختا أو أختين فصاعدا مع عم، ونحو ذلك"»[(١)].

لذا فنحن تبعاً لأخبار أهل البيت نمنع من التعصيب ولا علاقة لذلك بحق الصدّيقة الطاهرة عليها السلام بفَدَك المغتصبة.

وقد أجاب عنها السيد المرتضى بما شفى الغليل فقال في ادّعاء الإجماع السنّي على عدم انفراد البنت بالأرث في ما ادّعوه بالتعصيب «وادعاء الإجماع على قولهم في التعصيب غير ممكن مع الخلاف المعروف المسطور فيه سالفا وآنفا لأن ابن عباس رحمة الله عليه كان يخالفهم في التعصيب، ويذهب إلى مثل مذهب الإمامية ويقول فيمن خلف ابنة وأختا أن المال كله للابنة دون الأخت. ووافقه في ذلك جابر بن عبد الله وحكى الساجي أن عبد الله بن الزبير قضى أيضا بذلك، وحكى الطبري مثله، ورويت موافقة ابن عباس عن إبراهيم النخعي في رواية الأعمش عنه وذهب داود بن علي الأصفهاني إلى مثل ما حكيناه ولم يجعل الأخوات عصبة مع البنات، فبطل ادِّعاء الإجماع مع ثبوت الخلاف متقدما ومتأخرا.

والذي يدل على صحة مذهبنا وبطلان مذهب مخالفينا في العصبة: بعد إجماع الطائفة الذي قد بينا أنه حجة قوله تعالى:

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾ (النساء:٧).

---

(١) جواهر الكلام – الشيخ الجواهري – ج ٣٩ – ص ٩٩.

وهذا نصٌّ في موضع الخلاف، لأن الله تعالى صرّح بأن للرجال من الميراث نصيبا، وأن للنساء أيضا نصيبا ولم يخص موضعا دون موضع، فمن خصّ في بعض المواريث بالميراث الرجال دون النساء فقد خالف ظاهر هذه الآية. وأيضا فإن توريث الرجال دون النساء مع المساواة في القربى والدرجة من أحكام الجاهلية، وقد نسخ الله تعالى بشريعة نبينا عليه وآله السلام أحكام الجاهلية، وذم من أقام عليها واستمر على العمل بها بقوله تعالى:

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة:٥٠).

وليس لهم أن يقولوا إننا نخصّ الآية التي ذكرتموها بالسنة، وذلك أن السنة التي لا تقتضي العلم القاطع لا نخص بها القرآن، كما لا ننسخه بها، وإنما يجوز بالسنة أن نخص أو ننسخ إذا كانت تقتضي العلم اليقين، ولا خلاف في أن الأخبار المروية في توريث العصبة أخبار آحاد لا توجب علما، وأكثر ما تقتضيه غلبة الظن. على أن أخبار التعصيب معارضة بأخبار كثيرة ترويها الشيعة من طرق مختلفة في إبطال أن يكون الميراث بالعصبة، وأنه بالقربى والرحم، وإذا تعارضت الأخبار رجعنا إلى ظواهر الكتاب»[١].

وهو شافٍ كافٍ.

قال ابن تيمية «ومن تعصبهم أنهم لا يذكرون اسم العشرة بل يقولون تسعة وواحد وإذا بنوا أعمدة أو غيرها لا يجعلونها عشرة، وهم يتحرَّون ذلك في كثير من أمورهم، مع أن الكتاب العزيز قد جاء بذكر العشرة والعشر في غير موضع كما في

---

(١) الانتصار ـ الشريف المرتضى ـ ص ٥٥٣ – ٥٥٨.

قوله تعالى:

﴿ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ (البقرة: من الآية١٩٦).

وقال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ﴾ (البقرة: من الآية٢٣٤).

وقال تعالى:

﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ ﴾ (الأعراف: من الآية١٤٢).

وقال تعالى:

﴿ وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) ﴾ (الفجر١-٢).

فذكر سبحانه وتعالى اسم العشرة في مواضع محمودة وذكر اسم التسعة في موضع مذموم كقوله تعالى:

﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ ﴾ (النمل:٤٨).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان وكان يعتكف العشر الأواخر حتى قبضه الله تعالى وقال ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام العشرة فإذا كان الله ورسوله قد تكلم باسم العشرة وعلق بهذا العدد أحكاما شرعية محمودة كان نفورهم عن التكلم بذلك لكونه قد تسمّى به عشرة من الناس يبغضوهم غاية الجهل والتعصب، ثم قولهم تسعة واحدة هو معنى العشرة مع طول العبارة وإذا كان اسم العشرة أو

التسعة أو السبعة يقع على كل معدود بهذا العدد سواء كان من الناس أو الدواب أو الثياب أو الدراهم وبعض المعدودات يكون محمودا وبعضها يكون مذموما فنفور هؤلاء الجهّال عن التكلم بهذه الأعداد في غاية الجهل»[(١)].

الجواب:

ما جاء به من الكذب جملة وتفصيلا ولم يقل به الشيعة ولا واحد منهم، وليس موجوداً في كتاب، ولم يُنقل في التاريخ ان مجموعة منهم قالت ذلك! وهو من ترّهاته الشنيعة! وتلفيقاته الكثيرة.

ومن يقرأ الكتب التي ألّفت في الأزمان التي سبقت عصر ابن تيمية أو جاءت بعده لوجد العدد عشرة مذكورا كثيرا، بل أن مجموعة من الكتب أُلّفت في الشام ويستبعد عدم اطلاع ابن تيمية عليها ذكرت العدد عشرة ومن ذلك ما ذكره الشيخ ابو الصلاح الحلبي وهو من حلب وتوفي في منتصف القرن الخامس في كتابه (الكافي) إذ يورد مثالا مفترضا من عنده ذكر فيه العدد عشرة عدة مرات[(٢)]، وما ذكره معاصره الشيخ سلار عبد العزيز في (المراسم العلوية) وذكر فيه العدد عشرة في العديد من المواضع[(٣)]، او ما ذكره الشيخ ابن زهرة الحلبي وقد توفي قبل مولد ابن تيمية بقليل وكانت حوزته مزدهرة في الشام وكتبه منتشرة، في كتابه الشهير (غنية النزوع الى علمي الاصول والفروع) في العديد من المواضع[(٤)]، وكذلك ما

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية –ابن تيمية – ج٢ – ص٢٠٥.

(٢) الكافي – الحلبي– ص٨٢ وص١١٥و١٣٠ ومواضع عديدة غيرها.

(٣) المراسم العلوية– سلار عبد العزيز– ص٣٥وص٧٨وص٨١ والعددي من الموارد غيرها.

(٤) غنية النزوع الى علمي الاصول والفروع– ابن زهرة الحلبي–ص٨وص٤٩ وغيرها العديد من المواضع.

ذكره معاصر ابن تيمية، وجاره في الشام ألشيخ أبو المجد الحلبي في كتابه (إشارة السبق) في مواضع عديدة[١] بل لا يخلو كتاب فقهيّ، أو تاريخيّ، أو حديثيّ من ذكر العدد عشرة وأنا في الاستدلال على ذلك كالمستدل على ضوء النهار والشمس في قلب السماء!

---

(١) اشارة السبق- ابو المجد الحلبي- ص١٠٣وص١٠٥ وغيرها كثير.

هل تسمّي الشيعة بأسماء كأبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية

قال ابن تيمية «وإنما هو كنفورهم عن التكلم بأسماء قوم يبغضونهم كما ينفرون عمّن اسمه أبو بكر وعمر وعثمان بغضهم لشخص كان اسمه هذا الاسم وقد كان من الصحابة رضي الله عنهم من هو مسمّى بأسماء تسمى بها بعض الكفار كالوليد بن الوليد وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في قنوته إذا قنت اللهم انج الوليد بن الوليد وانج سلمة بن هشام وعيّاش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين، وهذا الوليد مؤمن تقي وأبوه الوليد كافر شقيّ وكذلك عقبة بن أبي مُعيط من كفّار قريش وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: رأيت كأني في دار عقبة بن رافع وأتينا برطب ابن طاب فأولت الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة لنا في الآخرة وأن ديننا قد طاب»[1].

الجواب:

ما ذكره من الكذب البيّن فها هي كتبنا طافحة بذكر خصوم أمير المؤمنين عليه السلام، يذكرهم ويذكرون أخبارهم وما قاموا به بلا تحفظ عن ذكر أسمائهم

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية –ابن تيمية – ج٢ – ص٢٠٥.

ولا يبغضون الشخص لمجرد سمه! بل إن العديد من أبناء العوائل الشيعية في القرون الأربعة الأولى تسمَّوا بأسماء هؤلاء الصحابة مثلا :

عدد الرواة الذين كنيتهم (أبو بكر) = ٢١ راويا

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (عمر) =١٦٠ راويا

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (عثمان) = ٧٣ راويا

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (بكر) = ٤٦ راويا

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (عمرو) = ١٨٤ راويا

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (معاوية) =٣٦ راويا[1]

وهذا رد قاطع على ترّهاته وكذبه فكل هؤلاء من الشيعة وعائلاتهم من الشيعة المتعرّقين في المذهب، فإذا اختلفنا معهم في أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يتولى أم لا يتولى من سبقه وغَصَبَه حقّه فهذه العوائل لا ريب إنهم يعدونها من الرافضة المبغضة لصحابتهم فكيف سمّت أبناءها بأسمائهم؟! لولا أنها لا تقيم كبير وزن لهذه المسألة، نعم بتوالي القرون نشأ شعور جديد قام فيه أهل السنة بالتحرز عن أسماء الشيعة مثل صادق، باقر، سجاد وقام فيه الشيعة بالتحرز من أسماء مثل عثمان ومعاوية.

ولو تصفحّنا كتاب (الكاشف في من له رواية في الكتب الستّة) للذهبي وهو معجم جمع فيه الذهبي كل من روى له أصحاب الكتب الستّة المهمّة في الحديث عند أهل السنّة لوجدنا أن الشيعة تسمّي بالأسماء السالفة أكثر من أهل السنّة!

---

(١) راجع كتاب : المفيد من معجم رجال الحديث- محمد الجواهري-ط مكتبة المحلاتي-قم- ١٤٢٤هـ.

فبمراجعة بسيطة لهذا الكتاب نجد ان :

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (عمر) : ١٠٦ راوياً

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (عثمان) : ٧٦ راوياً

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (بكر) : ١٨راوياً

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (عمرو) : ١٣٠ راوياً

عدد الرواة الذين اسمهم الأول (معاوية) : ٢٤ راوياً

فهل يثبت هذا انّنا نحب معاوية مثلا أكثر من اهل السنّة لأن هنالك من محدثينا من اسمه معاوية (وهم ستة وثلاثون راويا) أكثر مما عند أهل السنة (وهم اربعة وعشرون راوياً) مع العلم بان هؤلاء الرواة (سنّة وشيعة) كانوا في الفترة الزمنية نفسها؟!

ابن تيميّة: أقوال عليٍ المتناقضة أكثر من عمر!

قال ابن تيمية «عنه وقد جمع العلماء مسائل الفقه التي ضُعِّف فيها قول أحدهما فوجدوا الضعيف في أقوال علي رضي الله عنه أكثر، مثل إفتائه أن المتوفى عنها زوجها تعتد أبعد الأجلين مع أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابته عنه الموافقة لكتاب الله تقتضي أنها تحلُّ بوضع الحمل وبذلك أفتى عمر وابن مسعود رضي الله عنهما، ومثل إفتائه بأن المفوضة يسقط مهرها بالموت وقد أفتى ابن مسعود وغيره بأن لها مهر نسائها كما رواه الأشجعيون عن النبي صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق وقد وجد من أقوال علي المتناقضة في مسائل الطلاق وأم الوليد والفرائض وغير ذلك أكثر مما وجد من أقوال عمر المتناقضة»[1].

الجواب:

أي علماء هم الذين جمعوا مسائل الفقه تلك؟! وما أجمل ما قاله أبو جعفر الاسكافي – وهو من أهل السنة بالمعنى العام كما يقول ابن تيمية – في منهاج

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية –ابن تيمية – ج٢– ص٢٢٠.

السنة «وأهل السنة في هذا الموضع من يقر بخلافة الثلاثة فالمعتزلة داخلون في أهل السنة»[١].

يقول أبو جعفر الاسكافي «مع روايتكم الظاهرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال علي مع الحق والحق مع علي فكيف تكون فتنة حرب قائدها ودليلها علي بن أبي طالب»[٢] وقول ابن أبي الحديد «أنه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنه قال: علي مع الحق، والحق مع علي، يدور حيثما دار»[٣].

فعلى هذا كيف تكون آراء علي ضعيفة بالمقارنة مع غيرها وهي حق خالص؟!

لذا كان بعض الذين عندهم شيء من الإنصاف لا يعدلون بكلام علي كلام احد قال الرازي[٤] «أما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السلام: اللهم أدر الحق مع علي حيث دار».

قال الهيثمي في (باب الحق مع علي رضي الله عنه) من مجمع الزوائد[٥] «وعن جرى ابن سمرة قال لما كان من أهل البصرة الذي كان بينهم وبين علي بن أبي طالب انطلقت حتى أتيت المدينة فأتيت ميمونة بنت الحارث وهي من بني هلال فسلمت عليها فقالت ممن الرجل؟ قلت: من أهل العراق، قالت: من أي أهل

---

(١) منهاج السنة – ابن تيميّة – ج٦ – ص٣٧٩.

(٢) المعيار والموازنة – الإسكافي – ص٣٥.

(٣) شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد – ج ٢ – ص ٢٩٧.

(٤) تفسير الرازي – الرازي – ج ١ – ص ٢٠٥.

(٥) مجمع الزوائد – الهيثمي – ج ٩ – ص ١٣٤ — ١٣٥.

العراق؟ قلت: من أهل الكوفة، قالت: من أي أهل الكوفة؟ قلت: من بني عامر قالت: مرحبا قربا علي قرب ورحبا علي رحب، فمجيء ما جاء بك قلت كان بين علي وطلحة الذي كان فأقبلت فبايعت عليا، قالت فالحق به فوالله ما ضلّ ولا ضُلّ به حتى قالتها ثلاثا. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير حرى بن سمرة وهو ثقة».

وقال الهيثمي[1] «وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: يا علي فارقني من فارق الله ومن فارقك يا علي فارقني. رواه البزار ورجاله ثقات».

وكيف يقول النبي صلى الله عليه وآله: أنت ولي كل مؤمن بعدي (صححه الألباني) ثم يترك رأيه لرأي غيره ولم يؤمروا باتّباع رأي غيره، وكلمة (بعدي) مطلقة تفيد توليه بكل شيء من الفقه والتفسير والعقيدة وكل شيء فعلى هذا يكون قول أمير المؤمنين عليه السلام مقدم دائما على غيره فكيف يكون ضعيفا غير مرة؟!

فأما القول بان عدة المتوفى زوجها الحامل أبعد الأجلين هو قول علي وحده فتدليس فهو قول حبر الأمّة ابن عبّاس قال ابن نجيم المصري «وعن علي وابن عباس رضي الله عنهم تعتد الحامل المتوفي عنها زوجها بأبعد الأجلين» [2]

وأخذ برأي أمير المؤمنين عليه السلام الشيخ سحنون من المالكية[3]، ولو لم يأخذ ولم يتابع رأي امير المؤمنين احد فهو الحق، والحق مع علي، هذا كلام النبي

(١) مجمع الزوائد - الهيثمي - ج ٩ - ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٢) البحر الرائق - ابن نجيم المصري - ج ٤ - ص ٢٢٦.

(٣) عمدة القاري-العيني-ج١٧-ص١٠٣.

الصادق المصدوق الذي أُمرنا بأن نأخذ كلامه مع القرآن.

واما فتوى التي ماتت ولم يفرض لها، فقد قضى عبد الله بن مسعود برأي رآه وهو معترف بانه ليس من قرآن ولا سنّة! وهذا لا يجوز في دين الله فقد روى احمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود قال «فإني أقضي لها مثل صدقة امرأة من نسائها لا وكس ولا شطط، ولها الميراث وعليها العدّة، فإن يك صوابا فمن الله عز وجل وان يكن خطأ فمنّي ومن الشيطان والله عز وجل ورسوله بريئان»[(١)].

فهل في الدين هذا؟! لذا ولكون النبي صلى الله عليه وآله يعلم ما عليه الصحابة من قلة العلم اوصى باتباع علي وارشد الى كون الحق معه وهو مع الحق لا يتخلفان عن بعضهما، وقد دلنا علي على ان القضاء لا يكون بالرأي يقول الإمام الصادق عليه السلام «القضاة أربعة ثلاثة في النار وواحد في الجنة: رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار، ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة»[(٢)].

وقول امير المؤمنين في القضيّة وهو انها لا تستحق المهر قال به جمع من الصحابة منهم: ابن عباس وزيد بن ثابت ومن التابعين الزهري وبه قال من الفقهاء ربيعة ومالك والاوزاعي وبعض علماء الشام وهو أحد الرأيين المنقولين عن الشافعي[(٣)] فانظر لتدليس ابن تيمية الذي حاول ان يظهر قول ابن مسعود بانه القول الصحيح بدون ان ينقل انه رأيه الشخصي بلا مستند وترك القول الثاني

---

(١) مسند احمد ـ الإمام احمد بن حنبل ـ ج ١ ـ ص ٤٤٧.

(٢) الكافي ـ الشيخ الكليني ـ ج ٧ ـ ص ٤٠٧.

(٣) الخلاف ـ الشيخ الطوسي ـ ج ٤ ـ ص ٣٧٨.

والذي قال به أمير المؤمنين اقضى الامة وأعلمها، وابن عباس حبر الامة، وزيد بن ثابت قاضي المدينة في عهد ابي بكر وعمر وعثمان وجمع من الفقهاء الكبار.

أما قوله «وقد وجد من أقوال علي المتناقضة في مسائل الطلاق وأم الوليد والفرائض وغير ذلك أكثر مما وجد من أقوال عمر المتناقضة».

فأقول:

لو بحث ابن تيمية طوال عمره، بل وساعده على ذلك سلفية عصرنا لن يجدوا قضيّة واحدة تناقض بها الإمام، كيف وهو حق في حق؟!

قال ابن تيمية «الثاني أن قوله- في خبر الارث- (والتجأ في ذلك إلى رواية انفرد بها) كذب فإن قول النبي صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا فهو صدقة، رواه عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو هريرة والرواية عن هؤلاء ثابتة في الصحاح والمسانيد مشهورة يعلمها أهل العلم بالحديث» [1]

الجواب:

مراد الشيخ ابن المطهر رحمه الله انه لم يرو الحديث غير أبي بكر أمّا الباقون فقاموا بمساندته فيما بعد لما وقع الخلاف واشتهر بين أهل البيت عليهم السلام وأصحاب أبي بكر من مناوئي أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا باعتراف الجميع قال الناصبي المعروف أبو بكر بن العربي «لما توفي رسول الله أرسلت فاطمة إلى أبي بكر الصديق تقول له: لو متّ ألم تكن ابنتك ترثك؟ قال: نعم، قالت له:

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية -ابن تيمية - ج٢ - ص٢٢٤.

فأعطني ميراثي من رسول الله، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله يقول: لا نورث ما تركناه صدقة، فتذكَّر ذلك جميع الصحابة وعَلِمَه عمر وعثمان وعبد الرحمن وطلحة وسعد وسعيد وأقرّ به علي والعباس»[1].

فانتبه لقوله «فتذكر ذلك جميع الصحابة وعلمه عمر وعثمان وعبد الرحمن وطلحة وسعد» تجد أنهم لم يعلموا وبم يرووا الحديث وإنما قالوا (تذكرنا) لما ادعى أبو بكر الحدث أما قوله «واقرَّ به علي والعباس» فكذب فاضح، وبهتان، كيف وقد شهد علي عليه السلام وأم أيمن[2] للصدّيقة الطاهرة سيدة نساء أهل الجنّة، وكيف يقرّ علي والعباس لأبي بكر بما قال وقد روى مسلم في الصحيح انه عليا عليه السلام اختلف مع العباس عليها فقضى ابو بكر بها ثم قضى عمر[3]!

---

(١) أحكام القرآن – ابن العربي – ج ٢ – ص ٤١٥.

(٢) السقيفة وفدك–الجوهري– ص١٠٥.

(٣) صحيح مسلم– ج٥–ص١٥٢.

حديث علي مع الحق... كذب عند ابن تيميّة

قال ابن تيمية «الوجه السادس قولهم (إنهم رووا جميعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علي مع الحق والحق معه يدور حيث دار ولن يفترقا حتى يردا على الحوض) من أعظم الكلام كذبا وجهلا، فإن هذا الحديث لم يروه أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم لا بإسناد صحيح ولا ضعيف، فكيف يقال إنهم جميعا رووا هذا الحديث وهل يكون أكذب ممن يروى عن الصحابة والعلماء أنهم رووا حديثا والحديث لا يُعرف عن واحد منهم أصلا، بل هذا من أظهر الكذب ولو قيل رواه بعضهم وكان يمكن صحته لكان ممكنا فكيف وهو كذب قطعا على النبي صلى الله عليه وسلم... وأيضا فالحق لا يدور مع شخص غير النبي صلى الله عليه وسلم ولو دار الحق مع على حيثما دار لوجب أن يكون معصوما كالنبي صلى الله عليه وسلم»[1].

الجواب:

وحقا قال «ولو دار الحق مع على حيثما دار لوجب أن يكون معصوما كالنبي صلى الله عليه وسلم» فالحديث يدل على العصمة.

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية - ابن تيمية - ج٢ - ص٢٣٨.

أما قوله «وهل يكون أكذب ممن يروى عن الصحابة والعلماء أنهم رووا حديثا والحديث لا يعرف عن واحد منهم أصلا بل هذا من أظهر الكذب» فهذا الكلام من أوضح الكذب على أننا نرى في كتابه أفانين من الكذب لا توجد في غيره!

نعم قد يختلف الحديث بأحرف يسيرة من لفظ لآخر وهذا الذي يركز عليه النواصب، فيقسمون أن الحديث الفلاني لم يرد لكونهم يقصدون لم يرد بهذا اللفظ الذي يزيد حرفا هنا أو حرفا هناك أمّا الحديث بمؤداه ومعناه فيمكن أن يرد بأسانيد عديدة! ومنها هذا الحديث فهو وارد بألفاظ منها:

روى بعض الحفاظ عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: رحم الله عليا، اللهم أدر الحق معه حيث دار[1].

روى ابن مردويه[2] عن عائشة «أنها لما عقر جملها ودخلت دارا بالبصرة فقال لها أخوها محمد: أنشدك الله أتذكرين يوم حدثتني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الحق لن يزال مع علي، وعلي مع الحق لن يختلفا ولن يفترقا؟!" قالت: نعم».

وروى الهيثمي عن أبي سعيد الخدري نقله عن أبي يعلى[3] «قال كنا عند

---

(١) رواه الترمذي وحكم بغرابته والغرابة عند الترمذي ليست ضعفا - صحيح الترمذي -ج٥- ص٢٩٧ / مستدرك الحاكم على الصحيحين - ج٣- ص١٢٥/ المعجم الأوسط - الطبراني - ج٦ - ص٩٥ وكلهم رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام وما نزل من القرآن في علي عليه السلام - أبي بكر أحمد بن موسى ابن مردويه الأصفهاني - ص ١٦٤.

(٣) مجمع الزوائد - الهيثمي - ج ٧ - ص ٢٣٤ — ٢٣٥.

بيت النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من المهاجرين والأنصار فقال ألا أخبركم بخياركم قالوا بلى قال الموفون المطيبون إن الله يحب الحفي التقي، قال ومرّ علي بن أبي طالب فقال الحق مع ذا الحق مع ذا. رواه أبو يعلى ورجاله ثقات».

وقد نقل الحديث الرازي الأشعري جازما بصحته فقال «وأما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السلام: اللهم أدر الحق مع علي حيث دار»[1].

قال تعالى:

﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ﴾ (النحل:٢٦).

(١) تفسير الرازي – الرازي – ج ١ – ص ٢٠٥

النبي... عتب على عليٍ ولم يعتب على عثمان

قال ابن تيمية «بل لو قال القائل إنه لا يعرف من النبي صلى الله عليه وسلم أنه عتب على عثمان في شيء وقد عتب على علي في غير موضع لما أبعد، فإنه لما أراد أن يتزوج بنت أبي جهل اشتكته فاطمة لأبيها وقالت: إن الناس يقولون إنك لا تغضب لبناتك. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا وقال: إن بني المغيرة استأذنوني أن يزوجوا ابنتهم علي بن أبي طالب وإني لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلّق ابنتي ويتزوج ابنتهم، فإنما فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها ثم ذكر صهرا له من بني عبد شمس فقال حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي والحديث ثابت صحيح أخرجناه في الصحيحين»[1].

الجواب:

إن الحديث موضوع منكر، وهو ينتقص من النبي صلى الله عليه وآله وأخلق أن يصدر الكلام عن شخص جاهلي يقيم وزنا للعادات ولا يأبه للشرع وتحرّضه ابنته فيستسلم للتحريض الذي لا يحده شرع! وحاشى للنبي ذلك وإنما

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٢٤٠.

الحديث مروي من النواصب فهو في مسند احمد مروي عن عبد الله بن الزبير والمِسْوَر بن مخرمة والزهري وفي صحيحي البخاري ومسلم مروي عن المِسْوَر بن مخرمة وفي الترمذي عن ابن الزبير وفي غيره عن عمرو بن العاص وكلهم نواصب والحمد لله!.

أما سويد بن غفلة فقد رووا انه عندما وفد على النبي صلى الله عليه وآله وجده وقد قبض فكيف روى عن النبي هذا الخبر؟!!

قال ابن تيمية «وكذلك في الصحيحين لما طرقه وفاطمة ليلا فقال ألا تصليان فقال له على إنما أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا فانطلق وهو يضرب فخذه ويقول وكان الإنسان أكثر شيء جدلا»[1].

الجواب:

هذا الحديث وارد عن الزُهْري الناصبي، وأفعاله أشنع من أن توصف في المقالات وهو من أخلص رجال بني أمية. وكاتب سيرهم التي طلبها منه عبد الملك بن مروان والتي تكاد أن تخلو من اسم أمير المؤمنين عليه السلام، ثم إن المتن منكر لا ينسب الى مُسلمَين عاقلين فكيف ينسبان الى من كان الحق يدور معه والى سيدة نساء اهل الجنة!

قال ابن ابي الحديد[2]: كان الزهري من المنحرفين عنه عليه السلام. وروى جرير بن عبد الحميد، عن محمد بن شيبة قال: شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران عليا عليه السلام، فنالا منه، فبلغ ذلك

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية ج٢ -ص٢٤٠.

(٢) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٤ - ص ١٠٢.

علي ابن الحسين عليه السلام، فجاء حتى وقف عليهما، فقال: أما أنت يا عروة، فإن أبي حاكم أباك إلى الله، فحكم لأبي على أبيك، وأما أنت يا زهري، فلو كنت بمكة لأريتك كير أبيك..

روى ابن عساكر في تاريخه[1]: أخبرنا أبو بكر الشحامي أخبرنا أبو حامد الأزهري أخبرنا أبو سعيد بن حمدون أخبرنا أبو حامد بن الشرقي اخبرنا محمد بن يحيى وأحمد بن يوسف قالا اخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال سألت الزهري: علي أحب إليك أم عثمان قال فسكت ساعة ثم قال: عثمان.. الدماء.. الدماء..

وقال ابن عساكر[2] أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أخبرنا أبو بكر بن اللالكائي أخبرنا أبو الحسين بن الفضل أخبرنا عبد الله بن جعفر اخبرنا يعقوب حدثني محمد بن أبي السري اخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال سألت الزهري عن عثمان وعلي أيهما أفضل قال: فقال: الدم الدم، عثمان أفضلهما... قال وكان يقال أبو بكر وعمر وعثمان ثم يسكت...!!

ولما كتب الزهري السيرة «لم يذكر علياً مع من أسلم ولا أحد من بني هاشم،!ثم يمضي في سيرته والمغازي فلا تجد علياً فيها الّا رجلاً غريباً ليس له فيها خبر ولا أثر مع أنه لا يمرُّ على أثر لأبي بكر وعمر الّا فصَّل فيه وزينّه، أما علي فلا ذكر له لا في العهد المكّي ولا في الهجرة ولا في المؤاخاة ولا في بدر ولا في أُحد ولا في الخندق ولا في خيبر ولا في فتح مكة ولا في حنين ولا في تبوك ولا في غير ذلك!!»[3].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج ٣٩ - ص ٥٠٤ - ٥٠٥.

(٢) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج ٣٩ - ص ٥٠٤ - ٥٠٥.

(٣) تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي - صائب عبد الحميد- ص٨٣.

وقد شهدت عليه اخته قال ابن عساكر[1] عن جعفر الجعفري قال «كنت عند الزهري أسمع منه فإذا عجوز قد وقفت عليه فقالت: يا جعفري لا تكتب عنه فإنه مال إلى بني أمية وأخذ جوائزهم، فقلت: من هذه؟ قال: أختي رقية خرفت، قالت: خرفت أنت كتمت فضائل آل محمد».

لذا فالزهري لا يؤمن على علي عليه السلام.

(١) تاريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر ـ ج ٤٢ ـ ص ٢٢٨.

كذب أبو السنابل.. أم...!

قال ابن تيمية «وأما الفتاوى فقد أفتى بأن المتوفى عنها زوجها وهي حامل تعتد أبعد الأجلين وهذه الفتيا كان قد أفتى بها أبو السنابل بن بعكك على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: كذب أبو السنابل، وأمثال ذلك كثير ثم بكل حل فلا يجوز أن يحكم بشهادته وحده كما لا يجوز له أن يحكم لنفسه»[1].

الجواب:

إن من كان الحق معه كما مر علينا لا يقال له ذلك، وأما شهادته فقد قبل النبي صلى الله عليه وآله شهادة ابن خزيمة بدل اثنين وقبلها أبو بكر وعمر بدل اثنين!فلم لا تُقبل شهادته وهو عليّ؟!ولكنها السياسة!.

وقد رددنا على ما تكلم به حول فتوى عدة الحامل المتوفى زوجها.

ولكن انتبه لإيراده خبر ابي السنابل هنا وقول النبي له «كذب أبو السنابل» !فابن تيمية يريد أن يقول في علي كما ادعوا ان النبي صلى الله عليه وآله قال في أبي السنابل ولكن بأسلوب خفيّ!.

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية– ابن تيمية – ج٢ – ص٢٤٠.

حديث: يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك.. كذب!

قال ابن تيمية «وأما قوله (ورووا جميعا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك) فهذا كذب منه ما رووا هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف هذا في شيء من كتب الحديث المعروفة ولا له إسناد معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم لا صحيح ولا حسن»[1].

الجواب:

وهذا من كذب ابن تيمية الصريح فقد روى الحفاظ هذا الحديث بأسانيد صحيحة وحسنة قال الحاكم[2] «حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا الحسن بن علي بن عفان العامري (وأخبرنا) محمد بن علي بن دحيم بالكوفة حدثنا أحمد بن حاتم بن أبي غرزة (قالا) حدثنا عبد الله محمد بن بن سالم حدثنا حسين بن زيد بن علي عن عمر بن على عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك » قال الحاكم «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية– ابن تيمية – ج٢ – ص٢٤٢.

(٢) مستدرك – الحاكم النيسابوري – ج ٣ – ص ١٥٣ – ١٥٤.

وقال الهيثمي[(١)] «وعن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك. رواه الطبراني وإسناده حسن».

ورواه الضحّاك في (الآحاد والمثاني)[(٢)] بسندٍ ارتضاه

ورواه الدولابي المتوفى ٣١٠ في (الذرية النبوية الطاهرة)[(٣)] بسند جيد

ووراه ابن عدي في (الكامل)[(٤)]

والحافظ ابن عساكر في (تاريخ دمشق)[(٥)]

وابن النجار البغدادي في (ذيل تاريخ بغداد)[(٦)]

وفي جزء ابن الغطريف[(٧)]

والكثير غيرهم.

---

(١) مجمع الزوائد - الهيثمي - ج ٩ - ص ٢٠٣.

(٢) الآحاد والمثاني-الضحاك-ج٥-ص٣٦٣.

(٣) الذرية النبوية الطاهرة- محمد بن احمد الدولابي - ص١٦٨.

(٤) الكامل-عبدالله بن عدي-ج٢-ص٣٥١.

(٥) تاريخ مدينة دمشق- ابن عساكر-ج٣ -ص١٥٦.

(٦) ذيل تاريخ بغداد-ابن النجار البغدادي-ج٢-ص١٤١.

(٧) جزء ابن الغطريف-ج١-ص١٣١.

ابن تيميّة: علي راب النبي وآذاه!

قال ابن تيمية «وقد قال النبي[1] في الحديث (يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها) ومعلوم قطعا أن خطبة ابنة أبي جهل عليها رابها وآذاها والنبي صلى الله عليه وسلم رابه ذلك وآذاه، فإن كان هذا وعيدا لاحقا بفاعله لزم أن يلحق هذا الوعيد علي بن أبي طالب، وإن لم يكن وعيدا لاحقا بفاعله كان أبو بكر أبعد عن الوعيد من علي، وإن قيل إن عليا تاب من تلك الخطبة ورجع عنها قيل فهذا يقتضي أنه عير معصوم وإذا جاز أن من راب فاطمة واذاها يذهب ذلك بتوبته جاز أن يذهب بغير ذلك من الحسنات الماحية فإن ما هو أعظم من هذا الذنب تذهبه الحسنات الماحية والتوبة والمصائب المكفرة وذلك أن هذا الذنب ليس من الكفر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة ولو كان كذلك لكان علي والعياذ بالله قد ارتد عن دين الإسلام في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن الله تعالى نزّه عليا من ذلك»[2].

---

(١) الملاحظ في كتب ابن تيمية انه يسيء الأدب مع النبي صلى الله عليه وآله فهو لا يصلي عليه في الكثير من الموارد التي يذكره فيها وقد قال النبي صلى الله عليه وآله «من ذكرني فليصل علي» مجمع الزوائد - الهيثمي - ج ١ - ص ١٣٧/وقوله صلى اله عليه وآله (من ذكرت عنده فليصل علي) مجمع الزوائد الهيثمي-ج١-ص١٣٧ بسند صحيح.

(٢) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٢٤٣.

الجواب:

إن ابن تيمية هنا لم يُلقِ القول على عاتق النواصب أو الخوارج بل باح بما في صدره فهو قطع بصدور حديث خطبة بنت أبي جهل من جهة وقطع بحديث يريبني ما رابها وبالتالي علي عليه السلام آذى النبي ورابه لكونه آذى فاطمة ورابها!

وحديث خطبة بنت أبي جهل باطل بالضرورة لكل من يتعرف على سيرة علي عليه السلام فلو كان المانع من موافقة النبي صلى الله عليه وآله على زواج علي عليه السلام من بنت أبي جهل هو أنها بنت عدو الله لكان علي عليه السلام خطب إلى بعض المسلمين ولا أظن أن أحدا لا يقبل بأن يتقرب إلى بني هاشم وبطلهم علي بتزويجه ابنته، لذا فلا ريب أن الواقعة لم تحدث وأنها اختلقت لتكون بإزاء أذية فاطمة من قبل الشيخين بفدك وغيرها.

ثم إن قبل ابن تيمية الخبر الذي رووه هم في أذية فاطمة عليها السلام لزم أن يقر بأن الشيخين وأتباعهما آذوا فاطمة عليها السلام بسلبها ما ملكته بنحلة النبي إيّاها، وكيف ينافح ابن تيمية عن الشيخين وتخصيصه الخبر بما لا يخالف الشرع هنا بينما بخطبة ابنة أبي جهل المزعومة يطلق الخبر لكل ما يتناوله من أذيةّ؟.

وقد رددنا على الحديث وما في سنده من نواصب.

قال ابن تيمية «وأيضا فيقال: إن فاطمة رضي الله عنها إنما عظم أذاها لما في ذلك من أذى أبيها، فإذا دار الأمر بين أذى أبيها وأذاها كان الاحتراز عن أذى أبيها أوجب، وهذا حال أبي بكر وعمر فإنهما احترزا عن أن يؤذيا أباها أو يريباه بشيء فإنه عهد عهدا وأمر بأمر فخافا إن غيّرا عهده وأمره أن يغضب لمخالفة أمره وعهده ويتأذى بذلك وكل عاقل يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا حكم بحكم وطلبت فاطمة أو غيرها ما يخالف ذلك الحكم كان مراعاة حكم النبي صلى الله عليه وسلم أولى، فإن طاعته واجبة ومعصيته محرمة ومن تأذى لطاعته كان مخطئنا في تأذيه بذلك وكان الموافق لطاعته مصيبا في طاعته وهذا بخلاف من آذاها لغرض نفسه لا لأجل طاعة الله ورسوله»[1].

الجواب:

هذه مغالطة مفضوحة، فما يريب الزهراء يريب النبي صلى الله عليه وآله، وما يُغضب الزهراء يغضب النبي عليه الصلاة والسلام ولا يمكن أن يدور الأمر بين أذية النبي صلى الله عليه وآله وبين أذيتها! وإنما يقوم ابن تيمية وأشباهه بمحاولة التفكيك بين إرادة النبي التي لا تخطيء (وقد أطاعه أبو بكر حسبما يدعون) وبين إرادة فاطمة عليها السلام التي تطالب بقطعة ارض لا يجوز شرعا إعطائها لها حسبما يدعون فتغضب فاطمة للأمر الدنيوي ومعها علي بينما يثبت أبو بكر وعمر على إطاعة الشرع!!

وهذا قمة الانتقاص من أهل البيت عليهم السلام وهو دأب ابن تيمية في هذا الكتاب.

ثم إن الواقعة لو كانت حقيقة لحفظت لأهميتها ولوجود الدواعي لروايتها، خصوصا من النواصب الذين لا يضيعون فرصة للانتقاص من علي عليه السلام، فلما رأيناهم قد اضطربوا في تعيين من هي هذه التي خطبت من بنات ابي جهل علمنا أن الواضع للقصّة لم يفكر في اسنها! فبعض شراح الحديث قال اسمها العوراء وقيل جميلة وقيل جويرية وقيل لم تسمّ ولم تُعرف!! ويكفي ان راوي

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية– ابن تيمية – ج٢ – ص٢٤٤.

الحديث اما مسور بن مخرمة الناصبي وإما بنته! وأما ما وضعوه على لسان ابن عباس، فابن عباس كان صبيا عند موت النبي صلى الله عليه وآله فأفضل ما يقال انه سمعه من فقهاء السلطة الذين نشروا الحديث في عهد من سبق الإمام عليه السلام في السلطة، فإن أخلاق البشر جُبلت على التقرّب للأمراء بما يرضيهم وينتقص من قيمة عدوهم، فيقربون من يفعل ذلك نكاية بعدوهم.

وفي بعض الفاظ القصة أن الإمام عليه السلام استأذن النبي عليه الصلاة والسلام فلم يأذن له فعدل عن الخطبة، وفي بعضها ان الإمام خطب ولكن اهل هذه المرأة لم يأذنوا بالزواج حرصا على علاقتهم بالنبي عليه الصلاة والسلام وفاطمة، وأنت ترى اضطراب القصّة وعدم وجود نصّ ثابت ولكنه حبل الكذب القصير.

النصّ على أبي بكر أقوى من النصّ على علي عليه السلام

قال ابن تيمية «ودعوى أولئك (البكرية) للنصِّ الجليّ أو الخفيّ علي أبي بكر أقوى وأظهر بكثير من دعوى هؤلاء (الإمامية) للنصّ على علي لكثرة النصوص الدالة على ثبوت خلافة أبي بكر وأن عليا لم يدل على خلافته إلا ما يعلم أنه كذب أو يعلم أنه لا دلالة فيه» [(1)].

الجواب:

لم يأت ابن تيمية بأي نصّ جليّ أو خفيّ لأنه يعلم أن ما قيل عن ذلك بوقت متأخر جدا جيء به ليقف بوجه ما تقيم به الشيعة حجّتها، ولم يكن احد في القرون الأولى يتكلم بنصّ على أبي بكر، كيف ذلك وشعارهم الشورى!.

وأين كان أبو بكر عن النص عندما قدم أبو عبيدة وعمر للبيعة في السقيفة؟ وكيف لم يدّعِ النصّ كما ادعاه علي ابن أبي طالب في مواضع عديدة، وأما كلامه عن النصوص الخاصة بأمير المؤمنين عليه السلام فهي عديدة سنورد بعضا منها في الأوراق التالية.

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٢٥٠.

قال ابن تيمية «وأما قوله أنه قال له إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك فهذا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف في كتب العلم المعتمدة، ومما يبين كذبه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة غير مرّة ومعه علي وليس بالمدينة لا هو ولا علي فكيف يقول: إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، فيوم بدر كان علي معه وبين بدر والمدينة عدة مراحل وليس واحد منهما بالمدينة، وعلى كان معه يوم بدر بالتواتر وكان يوم فتح مكة معه باتفاق العلماء»[1].

الجواب:

إن إنكار أن تكون عبارة «إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك» قد وردت في الكتب المعتمدة من أعظم الكذب، فقد وردت العبارة في حديث مشروط على موازين الشيخين قال الحاكم[2] «عن علي رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أن يغزو غزاة له قال فدعا جعفرا فأمره أن يتخلّف على المدينة فقال: لا أتخلف بعدك يا رسول الله أبدا، قال: فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فعزم عليَّ لما تخلفت قبل أن أتكلم، قال: فبكيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يبكيك يا علي؟ قلت يا رسول الله يبكيني خصال غير واحدة، تقول قريش غدا ما أسرع ما تخلف عن ابن عمه وخَذَلَه، ويبكيني خصلة أخرى كنت أريد أن أتعرض للجهاد في سبيل الله لأن الله يقول:

﴿ وَلا يَطَأُونَ مَوْطِئاً يُغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (التوبة: من الآية١٢٠).

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٢٥١.

(٢) مستدرك - الحاكم النيسابوري - ج ٢ - ص ٣٣٧.

فكنت أريد أن أتعرض لفضل الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما قولك تقول قريش ما أسرع ما تخلّف عن ابن عمه وخَذَلَه فان لك بي أسوة، قد قالوا: ساحر وكاهن وكذاب، أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ انه لا نبي بعدي، وما قولك أتعرّض لفضل الله فهذه أبهار من فلفل جاءنا من اليمن فبعه واستمتع به أنت وفاطمة حتى يأتيكم الله من فضله فإن المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

وقد نقل المتقي الهندي عن العاقولي في فوائده تصحيح الحديث[1].

ثم إن كون المدينة لا تصلح إلّا بالنبي أو بأمير المؤمنين عليه السلام لا يعني أن تسيخ الأرض بالمدينة حينما يتركها النبي والإمام سويّة، والشاهد انه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ومغادرة الإمام عليه السلام للعراق لم تسخ الأرض بها ولكن المعنى أنها لا يمكن أن تكون بوضعها المستقيم والنبي وعلي خارجان عنها إطلاقا إذ يحصل الانحراف والتسافل بدون وجود معصوم، وهذا أمر يختلف.

---

(١) كنز العمال –المتقي الهندي– ج١٣ – ص١٧٢.

جيش أسامة... وأبو بكر وعمر

قال ابن تيمية «وأما قوله (إنه أمر أسامة رضي الله عنه على الجيش الذين فيهم أبو بكر وعمر) فمن الكذب الذي يعرفه من له أدنى معرفة بالحديث، فإن أبا بكر لم يكن في ذلك الجيش بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يستخلفه في الصلاة في حين مرض إلى أن مات، وأسامة قد روي أنه قد عقد له الراية قبل مرضه ثم لّما مرض أمر أبا بكر أن يصلّي بالناس فصلّى بهم إلى أن مات النبي صلى الله عليه وسلم فلو قُدِّر أنه أُمر بالخروج مع أسامة قبل المرض لكان أمره له بالصلاة تلك المدة مع إذنه لأسامة أن يسافر في مرضه موجبا لنسخ إمره أسامة عنه فكيف إذا لم يؤمِّر عليه أسامة بحال، وأيضا فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن عادته في سراياه بل ولا في مغازيه أن يعيِّن كل من يخرج معه في الغزو بأسمائهم ولكن يندب الناس ندبا عاما مطلقا فتارة يعلمون منه أنه لم يأمر كل أحد بالخروج معه ولكن ندبهم إلى ذلك كما في غزوة الغابة، وتارة يأمر أناسا بصفة كما أمر في غزوة بدر أن يخرج من حضر ظهره فلم يخرج معه كثير من المسلمين وكما أمر في غزوة السويق بعد أحد أن لا يخرج معه إلا من شهد أحدا وتارة يستنفرهم نفيرا عاما ولا يأذن لأحد في التخلف كما في غزوة تبوك» (١).

---

(١)منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية- ج٢ - ص٢٥١.

الجواب:

وحقا نطق ابن تيمية حين قال «فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن عادته في سراياه بل ولا في مغازيه أن يعين كل من يخرج معه في الغزو بأسمائهم ولكن يندب الناس ندبا عاما مطلقا» لكون الندب هذه المرة لم يكن لأمر عادي بل لشأن استثنائي وهو إفراغ المدينة من معارضي الإمام عليه السلام!.

أما قوله «وأما قوله إنه أمر أسامة رضي الله عنه على الجيش الذين فيهم أبو بكر وعمر فمن الكذب الذي يعرفه من له أدنى معرفة بالحديث».

إن ما نفاه ابن تيمية عنا عن عمر وأبي بكر أثبته لعمر في مكان ثان من كتابه - وحبل الكذب قصير- قال ابن تيمية «ولم ينقل أحد من أهل العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر أو عثمان في جيش أسامة وإنما روي ذلك في عمر»[1].

ثم إن إنكاره التأمير على أبي بكر وعمر من الكذب الواضح!

فقد روى ابن حجر الحديث جازما فيه فقال[2] «قوله باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد في مرضه الذي توفي فيه) إنما أخر المصنف هذه الترجمة لما جاء أنه كان تجهيز أسامة يوم السبت قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بيومين وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي صلى الله عليه وسلم فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر، ودعا أسامة فقال: سِرْ إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش وأغِرْ صباحا على أهل أبنى وحرِّق عليهم،

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٣ - ص١٩١.

(٢) فتح الباري - ابن حجر - ج ٨ - ص ١١٥.

وأسرع المسير تسبق الخبر فإن ظفرك الله بهم فأقل الليث فيهم فبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه في اليوم الثالث فعقد لأسامة لواء بيده فأخذه أسامة فدفعه إلى بُريدة وعسكر بالجرف، وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وسعيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم فتكلم في ذلك قوم منهم عياش بن أبي ربيعة المخزومي فرد عليه عمر وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فخطب بما ذكر في هذا الحديث ثم أشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال أنفذوا بعث أسامة...».

وقد نقل ابن حجر إنكار ابن تيمية فقال[1] «وقد أنكر ابن تيمية في كتاب الرد على ابن المطهر أن يكون أبو بكر وعمر كانا في بعث أسامة ومستند ذكره ما أخرجه الواقدي بأسانيده في المغازي وذكره ابن سعد أواخر الترجمة النبوية بغير إسناد وذكره ابن إسحاق في السيرة المشهورة ولفظه: بدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه يوم الأربعاء فأصبح يوم الخميس فعقد لأسامة فقال: إغزِ في سبيل الله وسِرْ إلى موضع مقتل أبيك فقد وليتك هذا الجيش فذكر القصة وفيها لم يبق أحد من المهاجرين الأولين إلا انتدب في تلك الغزوة منهم أبو بكر وعمر ولما جهزه أبو بكر بعد أن استخلف سأله أبو بكر أن يأذن لعمر بالإقامة فأذن... ذكر ذلك كله ابن الجوزي في المنتظم جازما به، وذكر الواقدي وأخرجه ابن عساكر من طريقه مع أبي بكر وعمر أبا عبيدة وسعدا وسعيدا وسلمة بن أسلم وقتادة بن النعمان والذي باشر القول ممن نسب إليهم الطعن في إمارته عياش بن أبي ربيعة وعند الواقدي أيضا أن عدة ذلك الجيش كانت ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة من قريش وفيه عن أبي هريرة كانت عدة الجيش سبعمائة».

---

(١) فتح الباري – ابن حجر – ج ٨ – ص ١١٥ — ١١٦.

وهذا الجزم من ابن حجر حجّة عليهم لكونهم يجلّون الرجل في فقهه وحديثه وسيرته.

وقال ابن الأثير[1] «لما خرج الجيش إلى معسكرهم بالجرف وتكاملوا أرسل أسامة عمر بن الخطاب - وكان معه في جيشه إلى أبي بكر يستأذنه أن يرجع بالناس، وقال: إن معي وجوه الناس وجئتهم ولا آمن على خليفة رسول الله وحرم رسول الله والمسلمين أن يتخطَّفَهم المشركون. وقال من مع أسامة من الأنصار لعمر بن الخطاب: إن أبا بكر خليفة رسول الله فإن أبى إلا أن نمضي فأبلغه عنا واطلب إليه أن يولي أمرنا رجلا أقدم سنا من أسامة»..

والذي يظهر أن ابن تيميّة كان مضطرّا لنفي كون ابي بكر في جيش أسامة لكونه سيقع في محذور الإشكال المحرج الذي لم يجدوا له حلا منذ أربعة عشر قرنا ولن يجدوا! وهو انه لو كان ابو بكر في جيش أسامة فكيف صلّى بالناس على ما يدّعون قبل ليال من وفاة النبي صلى الله عليه وآله؟! لذا فالطريق السهل هو إنكار الامر الثابت من كون أبي بكر كان في الجيش المعسكر خارج المدينة والقول بإنه في المدينة ولو كان هو المصلّي فهل كان عاصيا للنبي عليه الصلاة والسلام الذي أمره بالرحيل مع أسامة! حتى يصححوا خبر الصلاة والذي «تضافرت الروايات عن عائشة بالجزم بما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان هو الإمام في تلك الصلاة» [2]لكن صاحب (الفتح) حار كغيره في ترجيح أي من الروايتين (الصحيحتين) والتين تروي إحداهما أن ابا بكر صلى بالناس في ذلك اليوم بينما تذكر الأخرى أن النبي خرج فوجده يصلّي فصلى النبي إماما وتراجع

(١) الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ج ٢ - ص ٣٣٤ — ٣٣٥.

(٢) تحفة الأحوذي - المباركفوري - ج ٢ - ص ٢٩٧.

أبو بكر قال المباركفوري وهو يتكلم عن ابن حجر «قال بعد أن ذكر الاختلاف: فمن العلماء من سلك الترجيح فقدم الرواية التي فيها أن أبا بكر كان مأموما للجزم بها في رواية أبي معاوية وهو أحفظ في حديث الأعمش من غيره، ومنهم من عكس ذلك فقدم الرواية التي فيها أنه كان إماما ومنهم من سلك الجمع فحمل القصة على التعدد» وهذا إنما مخرجهم الاضطراري! فهم إن نفوا رواية الصلاة لم يثبت لهم القول بالإشارة من النبي لكونهم ربطوا بين ما ادُّعي من أمر النبي لأبي بكر بالصلاة وبين تفضيله فقالوا «قد رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدنيانا» (١) فاختار ابن تيمية اختصار الطريق ونفي خبر كونه في جيش اسامة وخالف المؤرخين والمحدثين لينفذ بجلده! وهذه واحدة من مئات التناقضات التي لم يجدوا لها مخرجا لكونهم اضطرّوا لإيجاد أعذار وتأويلات سخيفة لوقائع ثابتة.

﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ (غافر: ٤).

---

(١) شرح مسند أبي حنيفة – ملا علي القاري – ص ٥٣.

عمر هو الفاروق.. ولم يكن عليا كذلك

قال ابن تيمية «قال الرافضي (وسمّوا عمر الفاروق ولم يسمّوا عليا عليه السلام بذلك مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه (أي في علي) هذا فاروق أمتي يفرق بين أهل الحق والباطل وقال ابن عمر ما كنا نعرف المنافقين على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ببغضهم عليا عليه السلام) فيقال أولا أما هذان الحديثان فلا يستريب أهل المعرفة بالحديث أنهما حديثان موضوعان مكذوبان على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرو واحد منهما في شيء من كتب العلم المعتمدة ولا لواحد منهما إسناد معروف»[1].

الجواب:

إن كلام ابن عمر لم ينسب إلى النبي! فكيف يقول ابن تيمية إنهما حديثان موضوعان مكذوبان على النبي! إلّا إذا كان يضمر تكذيب أي خبر مهما كان إن وردت فيه كرامة لأمير المؤمنين، وهو ما فعله في كتابه.

أما الحديث الأول فهو مروي عن الطائفتين وهو حقٌّ، إذ رواه علماء الشيعة

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ -ص٢٥٥.

ومنهم أبو الفتح الكراجكي[(١)] - على سبيل المثال - ورواه جمع من علماء أهل السنة لكنهم اعتلّوا بانفراد إسحاق بن بشر وكانوا إذا انفرد بحديث لم يكذبوه ولم يثبتوا حديثه[(٢)].

قال ابن تيمية « لو عارض هذا معارض فجعل محبة عثمان هي الفارقة بين الحق والباطل لم تكن دعواه دون دعوى ذلك في علي مع ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله لما ذكر الفتنة (هذا يومئذ وأصحابه على الحق) وأما إذا جعل ذلك في أبي بكر وعمر فلا يخفى أنه أظهر في المقابلة»[(٣)].

الجواب:

إن دعوى حديث «هذا يومئذ وأصحابه على الحق» في عثمان تنم عن نصب واضح في إنكار دلائل الحق في علي ونسبتها لغيره.

والرواية مزوّرة تزويراً قبيحاً، إضافة لكونها مريبة السند، فعبد الله بن شقيق العقيلي الراوي من كبار النواصب[(٤)] وهو راوي حديث[(٥)] «سُئلت عائشة أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحب إليه؟ قالت: أبو بكر، قلت: فمن بعده؟ قالت: عمر، قلت: فمن بعده؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح»[(٦)]!

(١) التعجب - أبو الفتح الكراجكي - ص ١٠١.

(٢) الاستيعاب - ابن عبد البر - ج ٤ - ص ١٧٤٤.

(٣)منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية- ج٢ -ص٢٥٧.

(٤) معرفة الثقات - العجلي- ج٢- ص٣٨.

(٥) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج ٢٥ - ص ٤٧٠.

(٦) يظهر أن عائشة قالت رأيها هذا في التثليث بأبي عبيدة بن الجراح بعد واقعة السقيفة بقليل إذ رأت يده البيضاء على أبيها أبي بكر ومنافحته عنه في السقيفة فكانت تذكر ابا بكر وعمر وأبا ←

والرواية الصحيحة أخرجها الطبراني[1] في معجمه الكبير فقال «حدثنا إبراهيم بن متويه الأصبهاني حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا صالح بن بدل حدثنا عبد الله بن جعفر المدني عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبيه عن كعب بن عجرة قال: كنّا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمرَّ بنا رجل متقنّع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يكون بين الناس فُرقة واختلاف فيكون هذا وأصحابه على الحق، قال كعب: فأدركته، فنظرت إليه حتى عرفته، وكنا نسأل كعباً من الرجل؟ فيأبى يخبرنا حتى خرج كعب مع علي إلى الكوفة، فلم يزل حتى مات فكأنا أن عرفنا أن ذلك الرجل علي رضي الله عنه».. والأمر أوضح من أن يشرح فالراوي (كعب بن عجرة) كان لا يصرّح بالاسم خوفا من السلطان وأجهزته الأمنية والمنافقية، حتى استطاع أن يثبت بالعمل من هو المعني بحديثه الذي كان لا يعلن من هو المقصود به، وإذا كان أمر المُوالي كذلك فقد اغتنم أعداء أمير المؤمنين عليه السلام الفرصة فنسبوا الحديث ظلما لعثمان!.

وكيف يمكن أن يُصرَّح بهكذا حديث وقد كان اسم أمير المؤمنين عليه السلام ممنوعاً على الناس أن يسمّوه مواليدهم!! ومن يوجد من الأطفال باسم علي يقتل بأمر ملوك بني أمية!! قال ابن حجر في ترجمة علي بن رباح[2] «وقال الليث قال علي بن رباح: لا أجعل في حل من سماني علَي فإن اسمي عُلي، وقال

عبيدة وتسكت، وقد استلهم عبد الله بن عمر تجربتها فكان يثلّث بعثمان ويسكت! وأما التربيع بعلي عليه السلام فكان في القرن الثالث او الرابع الهجري، ولولا العباسيين لم يقولوا بكون علي خليفة راشدي اصلا!

(١) المعجم الكبير – الطبراني – ج ١٩ – ص ١٤٧.

(٢) تهذيب التهذيب – ابن حجر – ج ٧ – ص ٢٨١.

المقري: كان بنو أمية إذا سمعوا بمولود اسمه علي قتلوه، فبلغ ذلك رباحاً فقال: هو عُلَي، وكان (عُلي) يغضب من علَي ويحرج على من سمّاه به»...

لكن كعب بن عجرة لم يتوان عن التلويح بصفات هؤلاء الأمراء الذين حدثّه عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله فرويت له العديد من هذه الروايات التي تثير العقول لتبحث عن واقعها السياسي المزري، منها:

ما رواه الهيثمي[1] في مجمع الزوائد عنه «قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنها ستكون عليكم أمراء من بعدي يَعِظون بالحكمة على منابر، فإذا نزلوا اختلست منهم وقلوبهم أنتن من الجيف».

وما رواه النسائي في السنن الكبرى[2] إذ قال «عن كعب بن عجرة قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن تسعة، خمسة وأربعة أحد العددين من العرب والآخر من العجم، فقال: اسمعوا هل سمعتم أنه سيكون بعدي أمراء من دخل عليهم فصدّقَهُم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منّي ولست منه وليس يرد على الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدّقهم بكذبهم ولم يُعنهم على ظلمهم، فهو منّي وأنا منه وسيرد على الحوض».

وحديثه المهم الذي وقف بوجه موجات التزوير والتزويق والتحريف لتعليم النبي الصلاة عليه لأمته، إذ روى البخاري في صحيحه[3] «حدثني سعيد بن يحيى حدثنا أبي حدثنا مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة رضي الله عنه، قيل يا رسول الله: أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ قال:

(١) مجمع الزوائد – الهيثمي – ج ٥ – ص ٢٣٨.

(٢) السنن الكبرى – النسائي – ج ٤ – ص ٤٣٥.

(٣) صحيح البخاري – البخاري – ج ٦ – ص ٢٧.

قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم انك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم انك حميد مجيد».

وكانت رواية كعب بن عجرة لهذه الرواية من باب المعارضة الصامته للأمراء الذين قال النبي صلى الله عليه وآله إنهم سيلون الأمور بعده «من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس يرد علي الحوض».

فقد روى احمد بسنده[1] «إنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلّي عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذرَّيته كما صلّيت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذرَّيته كما باركت على آل إبراهيم انك حميد مجيد»!!

لاحظ إنهم ادخلوا «أزواجه» بين اسم النبي وبين آله الأطهار! فكانت رواية هذا الصحابي الجليل صادحة بالحق لم يستطع أغلب المحدثين تجاهلها فأوردوها وحاولوا الجمع بينها وبين الرواية المزوّرة!.

ومن التزوير ما مر علينا من قلبهم مسألة الكلام مع وفد قريش الى الحبشة وقولهم «إنما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان رضي الله عنه»[2].

وقد عقب ابن إسحاق على هذه الرواية الشاذة بقوله «وليس كذلك إنما كان يكلمه جعفر بن ابي طالب»[3].

---

(١) مسند احمد ـ الإمام احمد بن حنبل ـ ج ٥ ـ ص ٤٢٤.

(٢) تاريخ الإسلام ـ الذهبي ـ ج ١ ـ ص ١٩٥.

(٣) سيرة ابن اسحاق ـ ص٢١٨.

إما صحابتنا وإما علي... ولا طريق ثالثة!

قال ابن تيمية «فلو قال قائل: إن عليا ومن قاتله قد التقيا بسيفيهما وقد استحلّوا دماء المسلمين فيجب أن يلحقهم الوعيد.

لكان جوابه أن الوعيد لا يتناول المجتهد المتأول وإن كان مخطئا فإن الله تعالى يقول في دعاء المؤمنين:

﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (البقرة: من الآية٢٨٦).

قال: قد فعلت. فقد عفى للمؤمنين عن النسيان والخطأ والمجتهد المخطيء مغفور له خطؤه وإذا غفر خطأ هؤلاء في قتال المؤمنين فالمغفرة لعائشة لكونها لم تقرَّ في بيتها إذ كانت مجتهدة أولى.

وأيضا فلو قال قائل: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن المدينة تنفى خبثها وينصع طيبها. وقال: لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا منه. أخرجه في الموطأ كما في الصحيحين عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنها طيبة يعني المدينة وإنها تنفي الرجال كما تنفى النار خبث الحديد وفي لفظ تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة وقال إن عليا خرج عنها ولم يقم بها كما أقام الخلفاء قبله ولهذا لم تجتمع عليه الكلمة لكان الجواب: أن

المجتهد إذا كان دون علي لم يتناوله الوعيد فعليٌ أولى أن لا يتناوله الوعيد لاجتهاده، وبهذا يجاب عن خروج عائشة رضي الله عنها وإذا كان المجتهد مخطئا فالخطأ مغفور بالكتاب والسنة»[1].

الجواب:

إن ابن تيمية بأسلوبه الملتوي يريد أن يقول إن خروج عائشة مرتبط بمثال خروج علي من المدينة فمن يحكم بخطأ عائشة وبغيها، يحكم بأن عليا مشمول بنفي الخبث عن المدينة وأن المدينة نفته لكونه خبث وحاشاه!ومن يحكم بان عائشة مجتهدة مخطئة يقول له ابن تيمية: وكذلك علي!

ولا أعلم لم يجب أن يكون الأمر مرتبطاً؟!

على أن ابن تيمية بتعميته المعروفة في الأمور لم يقل الفرق بين الاجتهاد مقابل النص، والاجتهاد في النص، فعائشة خالفت نصوصا قرآنية ونبوية ثابتة تنصُّ على الإقرار في البيوت بالمطلق قال تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (٣٣) سورة الأحزاب.

وعلى إطاعة أولي الأمر بالمطلق قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (٥٩) سورة النساء.

وعلى سؤال أهل الذكر عند الحاجة والاختلاف قال تعالى:

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية– ابن تيمية – ج٢ – ص٢٥٩

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٧) سورة الأنبياء.

وعلى عدم فلاح من تملكه امرأة: روى احمد بن حنبل عن النبي صلى الله عليه وآله: لا يفلح قوم ملكتهم امرأة[١].

وعلى ارتباط القرآن بالعترة في حديث الثقلين وبالتالي معصومية العترة، والحديث الصحيح في علي عليه السلام «هو ولي كل مؤمن بعدي» وحديث «نا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم» فعائشة ورهطها خالفوا كل النصوص النبوية في علي عليه السلام فكيف يكونون مجتهدين متأولين مأجورين؟!

ولكنها النفس الأمّارة بالسوء وما إدراك فعائشة التي «لا تطيب نفساً لعلي عليه السلام»![٢] كيف تصبر في حكومة يتزعمها علي عليه السلام!

وقد نقل ابن أبي الحديد المعتزلي - والذي يعده ابن تيمية من أهل السنة - في مسألة الخلفاء كما مر علينا كلاما في تحليل شخصية عائشة ينسبه لأستاذه أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمعاني قال فيه[٣] «أول بدء الضغن كان بينها وبين فاطمة عليهما السلام، وذلك لان رسول الله صلى الله عليه وآله تزوجها عقيب موت خديجة، فأقامها مقامها، وفاطمة هي ابنة خديجة، ومن المعلوم أن ابنة الرجل إذا ماتت أمها، وتزوج أبوها أخرى، كان بين الابنة وبين المرأة كدر وشنآن وهذا لابد منه، لان الزوجة تنفس عليها ميل الأب، والبنت تكره ميل أبيها إلى امرأة

---

(١) مسند أحمد- ج٥ -ص٤٣- قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٢) مسند احمد - ج٦- ص٢٢٨ جاء ذلك على لسان ابن عباس وفي لفظ آخر «لكنها لا تقدر على أن تذكره بخير» عمدة القاري العيني - ج٥ - ص١٩٢.

(٣) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٩ - ص ١٩٢ - ١٩٧.

غريبة. كالضرة لامها، بل هي ضرة على الحقيقة، وإن كانت الأم ميتة. ولأنا لو قدرنا الأم حية لكانت العداوة مضطرمة متسعّرة، فإذا كانت قد ماتت ورثت ابنتها تلك العداوة، وفي المثل: "عداوة الحماة والكنة". وقال الراجز:

إن الحماة أولعت بالكنه وأولعت كنتها بالظنه

ثم اتفق أن رسول الله صلى الله عليه وآله مال إليها وأحبها فازداد ما عند فاطمة بحسب زيادة ميله، وأكرم رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة إكراما عظيما أكثر مما كان الناس يظنونه وأكثر من إكرام الرجال لبناهم، حتى خرج بها عن حد حب الآباء للأولاد، فقال بمحضر الخاص والعام مرارا لا مرة واحدة، وفي مقامات مختلفة لا في مقام واحد: إنها سيدة نساء العالمين، وإنها عديلة مريم بنت عمران، وإنها إذا مرت في الموقف نادى مناد من جهة العرش: يا أهل الموقف، غضوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد. وهذا من الأحاديث الصحيحة وليس من الأخبار المستضعفة، وإن إنكاحه عليا إياها ما كان إلا بعد أن أنكحه الله تعالى إياها في السماء بشهادة الملائكة. وكم قال لا مرة " يؤذيني ما يؤذيها، ويغضبني ما يغضبها "، و" إنها بضعة منى، يريبني ما رابها " فكان هذا وأمثاله يوجب زيادة الضغن عند الزوجة حسب زيادة هذا التعظيم والتبجيل، والنفوس البشرية تغيظ على ما هو دون هذا، فكيف هذا! ثم حصل عند بعلها ما هو حاصل عندها – أعني عليا عليه السلام – فإن النساء كثيرا ما يجعلن الأحقاد في قلوب الرجال، لا سيما وهن محدثات الليل، كما قيل في المثل، وكانت تكثر الشكوى من عائشة، ويغشاها نساء المدينة وجيران بيتها فينقلن إليها كلمات عن عائشة، ثم يذهبن إلى بيت عائشة فينقلن إليها كلمات عن فاطمة، وكما كانت فاطمة تشكو إلى بعلها، كانت عائشة تشكو إلى أبيها، لعلمها أن بعلها لا يشكيها على ابنته، فحصل في

نفس أبي بكر من ذلك أثر ما، ثم تزايد تقريظ رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام، وتقريبه واختصاصه، فأحدث ذلك حسدا له وغبطة في نفس أبي بكر عنه، وهو أبوها، وفى نفس طلحة وهو ابن عمها، وهي تجلس إليهما، وتسمع كلامهما، وهما يجلسان إليها ويحادثانها، فأعدي إليها منهما كما أعدهما. قال: ولست أبرئ عليا عليه السلام من مثل ذلك، فإنه كان ينفس على أبي بكر سكون النبي صلى الله عليه وآله إليه وثناءه عليه، ويحب أن ينفرد هو بهذه المزايا والخصائص دونه ودون الناس أجمعين، ومن انحرف عن إنسان انحرف عن أهله وأولاده، فتأكدت البغضة بين هذين الفريقين. ثم كان من أمر القذف ما كان، ولم يكن علي عليه السلام من القاذفين، ولكنه كان من المشيرين على رسول الله صلى الله عليه وآله بطلاقها، تنزيها لعرضه عن أقوال الشنأة والمنافقين. قال له لما استشاره: إن هي إلا شسع نعلك، وقال له: سل الخادم وخوفها وإن أقامت على الجحود فاضربها. وبلغ عائشة هذا الكلام كله، وسمعت أضعافه مما جرت عادة الناس أن يتداولوه في مثل هذه الواقعة، ونقل النساء إليها كلاما كثيرا عن علي وفاطمة، وأنهما قد أظهرا الشماتة جهارا وسرا بوقوع هذه الحادثة لها، فتفاقم الأمر وغلظ. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله صالحها ورجع إليها، ونزل القرآن ببراءتها، فكان منها ما يكون من الإنسان ينتصر بعد أن قهر، ويستظهر بعد أن غلب، ويبرأ بعد أن أتهم، من بسط اللسان، وفلتات القول، وبلغ ذلك كله عليا عليه السلام وفاطمة عليها السلام، فاشتدت الحال، وغلظت، وطوى كل من الفريقين قلبه على الشنآن لصاحبه، ثم كان بينها وبين علي عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله أحوال وأقوال، كلها تقتضي تهييج ما في النفوس، نحو قولها له وقد استدناه رسول الله، فجاء حتى قعد بينه وبينها وهما متلاصقان:

أما وجدت مقعدا لكذا ـ لا تكنى عنه ـ إلا فخذي! ونحو ما روى أنه سايره يوما وأطال مناجاته، فجاءت وهي سائرة خلفهما حتى دخلت بينهما، وقالت: فيم أنتما فقد أطلتما! فيقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله غضب ذلك اليوم. وما روى من حديث الجفنة من الثريد التي أمرت الخادم فوقفت لها فأكفأتها، ونحو ذلك مما يكون بين الأهل وبين المرأة وأحمائها. ثم اتفق أن فاطمة ولدت أولادا كثيرة بنين وبنات، ولم تلد هي ولدا، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقيم بنى فاطمة مقام بنيه، ويسمى الواحد منهما " ابني " ويقول: دعوا لي ابني ولا تزرموا على ابني " و" ما فعل ابني " فما ظنك بالزوجة إذا حرمت الولد من البعل، ثم رأت البعل يتبنى بنى ابنته من غيرها، ويحنو عليهم حنو الوالد المشفق! هل تكون محبة لأولئك البنين ولأمهم ولأبيهم، أم مبغضة! وهل تود دوام ذلك واستمراره، أم زواله وانقضائه! ثم اتفق أن رسول الله صلى الله عليه وآله سد باب أبيها إلى المسجد، وفتح باب صهره، ثم بعث أباها ببراءة إلى مكة، ثم عزله عنها بصهره، فقدح ذلك أيضا في نفسها، وولد لرسول الله صلى الله عليه وآله إبراهيم من مارية، فأظهر علي عليه السلام بذلك سرورا كثيرا، وكان يتعصب لمارية، ويقوم بأمرها عند رسول الله صلى الله عليه وآله ميلا على غيرها، وجرت لمارية نكبة مناسبة لنكبة عائشة، فبرأها علي عليه السلام منها، وكشف بطلانها أو كشفه الله تعالى على يده، وكان ذلك كشفا محسًّا بالبصر، لا يتهيأ للمنافقين أن يقولوا فيه ما قالوه في القرآن المنزل ببراءة عائشة، وكل ذلك مما كان يوغر صدر عائشة عليه، ويؤكد ما في نفسها منه، ثم مات إبراهيم فأبطنت شماته، وإن أظهرت كآبة، ووجم علي عليه السلام من ذلك وكذلك فاطمة، وكانا يؤثران، ويريدان أن تتميز مارية عليها بالولد، فلم يقدر لهما ولا لمارية ذلك، وبقيت الأمور على ما هي عليه،

وفي النفوس ما فيها، حتى مرض رسول الله صلى الله عليه وآله المرض الذي توفي فيه، وكانت فاطمة عليها السلام وعلي عليه السلام يريدان أن يمرضاه في بيتهما، وكذلك كان أزواجه كلهن فمال إلى بيت عائشة بمقتضى المحبة القلبية التي كانت لها دون نسائه، وكره أن يزاحم فاطمة وبعلها في بيتهما، فلا يكون عنده من الانبساط لوجودهما ما يكون إذا خلا بنفسه في بيت من يميل إليه بطبعه، وعلم أن المريض يحتاج إلى فضل مداراة ونوم ويقظة وانكشاف وخروج حدث، فكانت نفسه إلى بيته أسكن منها إلى بيت صهره وبنته، فإنه إذا تصور حياءهما منه استحيا هو أيضا منهما، وكل أحد يحب أن يخلو بنفسه، ويحتشم الصهر والبنت، ولم يكن له إلى غيرها من الزوجات مثل ذلك الميل إليها، فتمرض في بيتها فغبطت على ذلك، ولم يمرض رسول الله صلى الله عليه وآله منذ قدم المدينة مثل هذا المرض، وإنما كان مرضه الشقيقة يوما أو بعض يوم ثم يبرأ، فتطاول هذا المرض، وكان علي عليه السلام لا يشك أن الأمر له، وأنه لا ينازعه فيه أحد من الناس، ولهذا قال له عمه وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله: امدد يدك أبايعك، فيقول الناس: عم رسول الله صلى الله عليه وآله: بايع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يختلف عليك اثنان. قال: يا عم، وهل يطمع فيها طامع غيري! قال: ستعلم، قال: فإني لا أحب هذا الأمر من وراء رتاج وأحب أن أصحر به. فسكت عنه، فلما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه، أنفذ جيش أسامة، وجعل فيه أبا بكر وغيره من أعلام المهاجرين والأنصار، فكان علي عليه السلام حينئذ بوصوله إلى الأمرين - إن حدث برسول الله صلى الله عليه وآله حدث - أوثق وتغلب على ظنه أن المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكلية، فيأخذه صفوا عفوا وتتم له البيعة، فلا يتهيأ فسخها لو رام ضد منازعته

عليها، فكان – من عود أبي بكر من جيش أسامة بإرسالها إليه وإعلامه بأن رسول الله صلى الله عليه وآله يموت – ما كان ومن حديث الصلاة بالناس ما عرف فنسب علي عليه السلام عائشة أنها أمرت بلالا مولى أبيها أن يأمره فليصل بالناس، لان رسول الله كما روى، قال: " ليصل بهم أحدهم " ولم يعين، وكانت صلاة الصبح فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في آخر رمق يتهادى بين على والفضل بن العباس، حتى قام في المحراب كما ورد في الخبر، ثم دخل فمات ارتفاع الضحى فجعل يوم صلاته حجة في صرف الأمر إليه. وقال: أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله في الصلاة! ولم يحملوا خروج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الصلاة لصرفه عنها، بل لمحافظته على الصلاة مهما أمكن، فبويع على هذه النكتة التي اتهمها علي عليه السلام على أنها ابتدأت منها. وكان علي عليه السلام يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيرا، ويقول: إنه لم يقل صلى الله عليه وآله: " إنكن لصويحبات يوسف " إلا إنكارا لهذه الحال، وغضبا منها لأنها وحفصة تبادرتا إلى تعيين أبويهما، وأنه استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب فلم يجد ذلك، ولا أثر مع قوة الداعي الذي كان يدعو إلى أبي بكر ويمهد له قاعدة الأمر وتقرر حاله في نفوس الناس ومن اتبعه على ذلك من أعيان المهاجرين والأنصار ولما ساعد على ذلك من الحظ الفلكي والأمر السمائي، الذي جمع عليه القلوب والأهواء، فكانت هذه الحال عند على أعظم من كل عظيم، وهي الطامة الكبرى والمصيبة العظمى، ولم ينسبها إلا إلى عائشة وحدها ولا علق الأمر الواقع إلا بها، فدعا عليها في خلواته وبين خواصه، وتظلم إلى الله منها، وجرى له في تخلفه عن البيعة ما هو مشهور، حتى بايع، وكان يبلغه وفاطمة عنها كل ما يكرهانه منذ مات رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن توفيت فاطمة،

وهما صابران على مضض ورمض واستظهرت بولاية أبيها، واستطالت وعظم شأنها، وانخذل علي وفاطمة وقهرا، وأخذت فدك وخرجت فاطمة تجادل في ذلك مرارا فلم تظفر بشيء، وفي ذلك تبلغها النساء والداخلات والخارجات عن عائشة كل كلام يسوؤها ويبلغن عائشة عنها وعن بعلها مثل ذلك إلا أنه شتان ما بين الحالين، وبعد ما بين الفريقين هذه غالبة وهذه مغلوبة وهذه آمرة وهذه مأمورة، وظهر التشفي والشماتة، ولا شيء أعظم مرارة ومشقة من شماتة العدو. فقلت له، رحمه الله: أفتقول أنت: إن عائشة عينت أباها للصلاة ورسول الله صلى الله عليه وآله لم يعينه! فقال: أما أنا فلا أقول ذلك، ولكن عليا كان يقوله، وتكليفي غير تكليفه، كان حاضرا ولم أكن حاضرا! فأنا محجوج بالأخبار التي اتصلت بي وهي تتضمن تعيين النبي صلى الله عليه وآله لأبي بكر في الصلاة، وهو محجوج بما كان قد علمه أو يغلب على ظنه من الحال التي كان حضرها. قال: ثم ماتت فاطمة، فجاء نساء رسول الله صلى الله عليه وآله كلهن إلى بني هاشم في العزاء إلا عائشة، فإنها لم تأت، وأظهرت مرضا ونقل إلى علي عليه السلام عنها كلام يدل على السرور. ثم بايع علي أباها فسرت بذلك، وأظهرت من الاستبشار بتمام البيعة واستقرار الخلافة وبطلان منازعة الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثروا، واستمرت الأمور على هذا مدة خلافة أبيها وخلافة عمر وعثمان، والقلوب تغلي، والأحقاد تذيب الحجارة، وكلما طال الزمان على علي تضاعفت همومه وغمومه، وباح بما في نفسه، إلى أن قتل عثمان، وقد كانت عائشة فيها أشد الناس عليه تأليبا وتحريضا، فقالت: أبعده الله! لما سمعت قتله وأملت أن تكون الخلافة في طلحة فتعود الإمرة تيمية، كما كانت أولا، فعدل الناس عنه إلى علي بن أبي طالب، فلما سمعت ذلك صرخت: وا عثماناه " قُتل عثمان مظلوما وثار ما في

الأنفس، حتى تولد من ذلك يوم الجمل وما بعده. هذه خلاصة كلام الشيخ أبي يعقوب رحمه الله، ولم يكن يتشيع، وكان شديدا في الاعتزال إلا أنه في التفضيل كان بغداديا».

وما نقله في عائشة وأبيها كثير منه حق وما قاله في علي وفاطمة باطل لكونهما معصومان بالأدلة القاطعة فلا مجال لتصور هذه الأخلاق الرديّة في حقهما من الحسد وما شابه، وليت شعري يحسدون غيرهم على ماذا وهم الكمّل؟!!

قال ابن تيمية «بل من المعلوم أن الذين تخلفوا عن القتال مع علي من المسلمين أضعاف الذين أجمعوا على قتل عثمان، فإن الناس كانوا في زمن علي على ثلاثة أصناف صنف قاتلوا معه وصنف قاتلوه وصنف لا قاتلوه ولا قاتلوا معه وأكثر السابقين الأولين كانوا من هذا الصنف ولو لم يكن تخلف عنه إلا من قاتل مع معاوية رضي الله عنه فإن معاوية ومن معه لم يبايعوه وهم أضعاف الذين قتلوا عثمان أضعافا مضاعفة والذين أنكروا قتل عثمان أضعاف الذين قاتلوا مع علي فإن كان قول القائل إن الناس أجمعوا على قتال علي باطلا فقوله إنهم أجمعوا على قتل عثمان أبطل وأبطل وإن جاز أن يقال إنهم أجمعوا على قتل عثمان لكون ذلك وقع في العالم ولم يدفع فقول القائل إنهم أجمعوا على قتال على أيضا والتخلف عن بيعته أجوز وأجوز فإن هذا وقع في العالم ولم يدفع»[١].

الجواب:

انتبه لمغالطته إذ يقول «بل من المعلوم أن الذين تخلفوا عن القتال مع علي من المسلمين أضعاف الذين أجمعوا على قتل عثمان».

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية– ابن تيمية – ج٢ – ص٢٦٨.

فبهذا الأسلوب الملتوي لا يريد إلاّ أن يشوّش على الصورة العامة التاريخية للذي حدث وإلّا فالقسمة ليست كذلك بل يجب أن نقول:

إن هنالك أناس قاتلوا مع علي عليه السلام وأناس قاتلوا ضدّه.

ولو تكلم ابن تيمية هكذا لكان لسائل ان يسأل: من الذي قاتل معه ومن الذي قاتل ضدّه؟! وهذا ما هرب ابن تيمية من أن يتسبب بقدحه في الأذهان، فالذين حاربوا معه أكثر من سبعين بدريّا وأكثر من ثمانمائة صحابي، والذين قاتلوا ضدّه -في حرب معاوية لكونه خصه بالاسم- هم طغام أهل الشام وفيهم بعض مسلمة الفتح.

وبالتالي فهل هنالك قياس أصلا بين هؤلاء وبين هؤلاء؟

ثم إنه يقول في مغالطة ثانية «ولو لم يكن تخلف عنه إلا من قاتل مع معاوية رضي الله عنه فإن معاوية ومن معه لم يبايعوه وهم أضعاف الذين قتلوا عثمان أضعافا مضاعفة والذين أنكروا قتل عثمان أضعاف الذين قاتلوا مع علي».

فالواجب المقارنة بين من قاتل الإمام مع معاوية وبين من قاتل معاوية مع الإمام وستجد الفرق الشاسع الذي لايريد أن يتطرق اليه لكونه بديهية تاريخية.

بينما هو يتحدث عن الذين قاتلوا الامام ويقارنهم بالذين قتلوا عثمان! ومن المعلوم ان الذين ثاروا على عثمان كانوا في جيش علي! فهو حذر من ربط الموضع بشكل منطقي حتى يقول ما يريد بلا دليل!

ثم انتبه لقوله «والذين أنكروا قتل عثمان أضعاف الذين قاتلوا مع علي»

فالواجب أن يقرن الذين قتلوا عثمان بالذين قاتلوا عليا لوحدة المناط في الحكم على موازينه هو، كما يقول الأصوليون.

ثم يقرن الذين انكروا قتل عثمان بالذين انكروا قتال معاوية لعلي عليه السلام فهكذا تحكم القريحة المستقيمة، لكن قريحة الرجل معوّجّة وأنا له الاستقامة بالتفكير وقد حكم الأشاعرة والشيعة بزندقته ونصبه؟.

قال تعالى:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ (آل عمران: من الآية٧).

وان كان كلام ابن تيمية عن أهل المدينة لكونها مجمع الصحابة الذين يجب أن يكون الكلام عنهم فالذين اجتمعوا على قتل عثمان وساروا اليه كانوا في جيش علي عليه السلام، بل إنما قامت حرب الجمل وصفين بدعوى وجودهم في جيش علي ووجوب تسليمهم لولي الدم للقصاص، زعموا.

وأما قوله «فإن الناس كانوا في زمن علي على ثلاثة أصناف صنف قاتلوا معه وصنف قاتلوه وصنف لا قاتلوه ولا قاتلوا معه وأكثر السابقين الأولين كانوا من هذا الصنف».

فهلا أجرى لنا ابن تيمية إحصاءً لكل فئة ومن أين أتى بمعلوماته؟! ولكنه النصب وما أدراك.

والذين قال عنهم إنهم أكثر الناس لم يذكر التاريخ منهم إلّا بضعة أفراد منهم أسامة بن زيد ولم يكن من السابقين وسعد بن مالك وعبد الله بن عمر، وكان البدريون مع علي عليه السلام إضافة لما يقرب من ثمانمائة صحابي فيهم خيرهم مثل خزيمة وقيس بن سعد وعمار ومالك وغيرهم من الأخيار. قال خليفة بن خياط «حدثنا أبو غسّان قال انبانا عبد السلام بن حرب عن يزيد بن عبد

الرحمن بن جعفر- أظنه ابن أبي المغيرة - عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه: شهدنا مع علي ثمان مائة ممن بايع بيعة الرضوان قتل منا ثلاثة وستون منهم عمار بن ياسر»[1].

ثم إن ابن تيمية إن أراد بتعميته على من شارك مع علي عليه السلام إظهار كثرة أهل الشام فهذا منطق المنافقين الطاعنين بالقرآن إذ يقول تعالى:

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ (الأنعام:١١٦).

ويقول تعالى:

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (لأعراف: من الآية١٨٧).

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (هود: من الآية١٧).

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾ (يوسف: من الآية٣٨).

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (يوسف:١٠٣)

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً ﴾ (الاسراء:٨٩).

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط- ص ١٩٦

إمّا عثمان والحسين.. وإما لا أحد!

قال ابن تيمية[1] «فلو قال قائل: إن الحسين قُتل بإجماع الناس لأن الذين قاتلوه وقتلوه لم يدفعهم أحد من ذلك، لم يكن كذبه بأظهر من كذب المدعى للإجماع على قتل عثمان، فإن الحسين رضي الله عنه لم يعظم إنكار الأمة لقتله كما عظُم إنكارهم لقتل عثمان، ولا انتصر له جيوش كالجيوش الذين انتصرت لعثمان، ولا انتُقِم أعوانه من أعدائه كما انتقم أعوان عثمان من أعدائه، ولا حصل بقتله من الفتنة والشر والفساد ما حصل بقتل عثمان، ولا كان قتله أعظم إنكارا عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين من قتل عثمان».

الجواب:

كيف لم تنتصر له الجيوش وما تمكن بنو العباس من السلطة الّا بشعار الرضا من آل محمد، وآل محمد لم يعرف أمرهم بمثل ما عرف بمأساة الطف.

حتى قال شاعرهم [2]يخاطب السفّاح:

أصبح الملك ثابت الأساس	**بالبهاليل من بني العباس**
يا أمير المطهرين من الرجس	**ويا رأس منتهى كل رأس**

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٢٦٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي - اليعقوبي - ج ٢ - ص ٣٥٩.

أنـــت مهـــدي هاشـــم وهـــداها	كـــم أنـــاس رجـــوك بعـــد إيـــاس
لا تقـــيلن عبـــد شمـــس عثـــارا	واقطعـــن كـــل رقلـــة وغـــراس
أفنهـــا أيهـــا الخليفـــة واحـــسم	عنـــك بالـــسيف شـــأفة الأرجـــاس
أنزلوهـــا بحيـــث أنزلهـــا الله	بـــدار الهـــوان والاتعـــاس
ولقـــد ســـاءني وســـاء قبيلـــي	قـــربهم مـــن نمـــارق وكراســـي
خـــوفهم أظهـــر التـــودد مـــنهم	وبهـــم مـــنكم كحـــز المواســـي
واذكـــروا مـــصرع الحـــسين وزيـــد	وقتـــيلا بجانـــب المهـــراس

وكيف لم ينتقم أعوانه من أعدائه وقد فعل المختار بقتلته ما فعل؟! ولا احسب ابن تيمية يبغض المختار كل هذا البغض إلا لقتله قتلة الحسين!

أما عدم حصول فتنة وشر بقتل الحسين كما هو الأمر بقتل عثمان فإن كان القصد من الفتنة الحروب التي تبعت قتل عثمان فالمسؤول عن ذلك من جاء بهذه «الفتنة» وهم عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وأضرابهم وهم الظالمون.

وإن كانت الفتنة بمعنى الاختبار فكيف لا يكون قتل ابن نبي الامة اختبارا فشلت فيه الامّة فشلا ذريعاً؟!

وكيف لم يحصل شر بقتل ابن النبي الوحيد على وجه الأرض ومن بكت عليه السماء دماً؟!

وأما قوله «ولا كان قتله أعظم إنكارا عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين من قتل عثمان»

فنقول له: كيف وقد أمطرت السماء دما ولم تفعل ذلك بعثمان وحصلت

من الآيات العجيبة التي نقلها الفريقان ما لم يحدث بقتل غيره؟ وهذا بإجماع الأمة لا مثل ما يروى عن عثمان وهو من طرف واحد.

قال محمد ابن سيرين[١]: ذكر رجل من الأزد قال صلى معنا رجل من عظمائنا صلاة العشاء الآخرة صحيحا بصيرا فأصبح وهو أعمى، فأتيناه وقلنا له: ما هذا الذي طرقك قال أتيت في منامي فأخذت فذهب بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا هو قاعد وبين يديه طست مملوء دما قال: إنك كنت فيمن قاتل الحسين؟ قلت: نعم فأخذ أصبعي هاتين يعنى السبابة والوسطى فغمسهما في الدم ثم قال بهما هكذا في عيني وأومأ بأصبعيه قال فأصبحت لا أبصر شيئا.

وقال ابن عساكر في تاريخه في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام[٢]:

عن الحارث الكندي قال لما قتل الحسين مكثنا سبعة أيام إذا صلّينا العصر فنظرنا إلى الشمس على أطراف الحيطان كأنها الملاحف المعصفرة ونظرنا إلى الكواكب يضرب بعضها بعضا.

قال وحدثنا أبو زُرعة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي حدثنا محمد بن الصلت الأسدي الكوفي حدثنا الربيع بن المنذر الثوري عن أبيه قال جاء رجل يبشر الناس بقتل الحسين فرأيته أعمى يقاد.

وقال ابن عساكر بسنده عن نصرة الأزديّة قالت: لما أن قتل الحسين بن علي مطرت السماء دما فأصبحت وكل شيء لنا ملآن دماء.

وعن أبي قبيل قال لما قتل الحسين بن علي كسفت الشمس كسفة بدت

(١) منتخب الكلام في تفسير الأحلام - محمد بن سيرين - ج ١ - ص ٢٩٣.

(٢) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج ١٤ - ص ٢٢٧ - ٢٣٣.

الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي.

وعن هشام عن محمد قال تعلم هذه الحمرة في الأفق مم هو؟ فقال: من يوم قتل الحسين بن علي.

وعن محمد بن سيرين قال لم تكن ترى الحمرة في السماء حتى قتل الحسين بن علي.

عن جعفر بن سليمان قال حدثني خالتي أم سالم قالت لما قتل الحسين بن علي مطرنا مطرا كالدم على البيوت والجدر قال وبلغني أنه كان بخراسان والشام والكوفة.

وقال أبو غالب قال حدثني بواب عبيد الله بن زياد أنه لما جيء برأس الحسين فوضع بين يديه رأيت حيطان دار الإمارة تسايل دما.

عن زيد بن عمرو الكندي قال حدثتني أم حيان قالت يوم قتل الحسين أظلمت علينا ثلاثا ولم يمس أحد من زعفرانهم شيئا فجعله على وجهه إلا احترق ولم يقلب حجر ببيت المقدس إلا أصبح تحته دم عبيط.

عن معمر قال أول ما عرف الزهري انه تكلم في مجلس الوليد بن عبد الملك فقال الوليد: أيكم يعلم ما فعلت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين بن علي؟ فقال: الزهري زاد عبد الكريم وابن السمرقندي: بلغني وقالوا أنه لم يقلب حجر إلا زاد ابن السمرقندي وجد تحت وقال بيهقي إلا وتحته دم عبيط.

وعن عمر بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه قال أرسل عبد الملك إلى ابن رأس الجالوت فقال: هل كان في قتل الحسين علامة؟ قال ابن رأس الجالوت: ما كشف يومئذ حجر إلا وجد تحته دم عبيط.

و عن يزيد بن أبي زياد قال فقال الحسين ولي أربعة عشر سنة قال وصار الورس[1] الذي كان في عسكرهم رمادا واحمرت آفاق السماء ونحروا ناقة في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها النيران.

عن سفيان: حدثتني جدتي قالت لقد رأيت الورس عاد رمادا ولقد رأيت اللحم كأن فيه النار حين قتل الحسين.

سفيان بن عيينة حدثتني جدتي أم عيينة أن حمالا كان يحمل ورسا فهوى قتل الحسين بن علي فصار ورسه رمادا.

عن أبي حميد الطحان قال: كنت في خزاعة فجاءوا بشيء من تركة الحسين فقيل لهم ننحر أو نبيع فنقسم؟ قالوا: انحروا قال فجعل على جفنة فلما وضعت فارت نارا.

وعن جميل بن مرة قال: أصابوا إبلا في عسكر الحسين يوم قتل فنحروها وطبخوها قال فصارت مثل العلقم فما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئا.

وعن حسن بن الحارث عن شيخ من النخع قال الحجاج من كان له بلاء فليقم فقام قوم يذكروا وقام سنان بن أنس فقال: أنا قاتل حسين، فقال: بلاء حسن ورجع إلى منزله فاعتقل لسانه وذهب عقله فكان يأكل ويحدث في مكانه.

وعن أبو رجاء قال لا تسبّوا عليا يا لهفنا على أسهم رميته بهن يوم الجمل مع ذاك لقد قصرن والحمد لله عنه قال إن جارا لنا من بلهجيم جاءنا من الكوفة فقال ألم تروا إلى الفاسق بن الفاسق قتله الله يعني الحسين بن علي قال فرمى الله

(١) الورس نبات أصفر يشبه الزعفران تصبغ به الثياب / نزهة المشتاق في اختراق الآفاق – الشريف الادريسي – ج ١ – ص ٥٣.

بكوكبين في عينيه فذهب بصره لعنه الله.

وعن مولى لبني سلامة قال كنا في ضيعتنا بالنهرين ونحن نتحدث بالليل ما أجد ممن أعان على قتل الحسين خرج من الدنيا حتى يصيبه بلية ومعنا رجل من طيء فقال الطائي فأنا ممن أعان على قتل الحسين فما أصابني إلا خير قال: وعشي السراج فقام الطائي يصلحه فعلقت النار في سباحته فمر يعدو نحو الفرات فرمى بنفسه في الماء فاتبعناه فجعل إذا انغمس في الماء فرقت النار على الماء فإذا ظهر أخذته حتى قتلته.

وقال السدّي: أتيت كربلاء أبيع البزّ -وهو ضرب من الثياب- بها فعمل لنا شيخ من طيء طعاما فتعشينا عنده فذكرنا قتل الحسين فقلت ما شرك في قتله أحد إلا مات بأسوأ ميتة فقال: ما أكذبكم يا أهل العراق فأنا فيمن شرك في ذلك، فلم يبرح حتى دنا من المصباح وهو يتّقد بنفط فذهب يخرج الفتيلة بإصبعه فأخذت النار فيها فذهب يطفيها بريقه فأخذت النار في لحيته فغدا فألقى نفسه في الماء فرأيته وكأنه حَمَمَة.

كل هذا رواه ابن عساكر، وروى الإمامية أضعافه من الحوادث الغريبة الكونية والانتقام الإلهي من شرك بقتل الحسين عليه السلام، فهذا كرامة الإمام الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة عند الله فما كرامة عثمان؟!!

وقد روى محدِّثوا اهل السنة في مقتل علي عليه السلام مثلما رووا في مقتل الحسين عليه السلام قال الزرندي الحنفي «وروي عن ابن شهاب الزهري قال: دخلت الشام وانا أريد الغزو فأتيت عبد الملك بن مروان لأسلم عليه قال: فوجدته في قبة على فرش تقرب من القايم أو تفوق القايم والناس تحته سماطان

فسلمت ثم جلست، فقال لي: يا ابن شهاب أتعلم ما كان في البيت المقدس صباح قتل علي بن أبي طالب قلت: نعم قال: هلم. فقمت من وراء الناس حتى اتيت خلف القبة فحول إلي وجهه وانحنى علي فقال: ما كان قلت: لم يرفع حجر من بيت المقدس الا وجد تحته دم فقال: لم يبق أحد يعلم بهذا غيري وغيرك فلا يسمعن هذا منك أحد قال: فما حدثت به حتى توفي.

وعن الزهري إن أسماء الأنصارية قالت: ما رفع حجر بإيليا يعني حين قتل علي بن أبي طالب الا وجد تحته دم عبيط»[1].

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق:٣٧).

(١) نظم درر السمطين – الزرندي الحنفي – ص ١٤٨ – ١٤٩.

عثمان لم يشهر في الأمّة سيفا ولا قاتل على ولايته احداً

قال ابن تيمية «فإن عثمان من أعيان السابقين الأولين من المهاجرين من طبقة علي وطلحة والزبير، وهو خليفة للمسلمين أجمعوا على بيعته، بل لم يشهر في الأمة سيفا ولا قتل على ولايته أحدا، وكان يغزو بالمسلمين الكفار بالسيف وكان السيف في خلافته كما كان في خلافة أبي بكر وعمر مسلولا على الكفار مكفوفا عن أهل القبلة، ثم إنه طُلب قتله وهو خليفة فصبر ولم يقاتل دفعا عن نفسه حتى قُتل ولا ريب أن هذا أعظم أجرا وقتله أعظم إثما ممن لم يكن متوليا فخرج يطلب الولاية ولم يتمكن من ذلك... فقاتل عن نفسه حتى قتل ولا ريب أن قتال الدافع عن نفسه وولايته أقرب من قتال الطالب لأن يأخذ الأمر من غيره وعثمان ترك القتال دفعا عن ولايته فكان حاله أفضل من حال الحسين وقتله أشنع من قتل الحسين»[1]

الجواب:

الكلام كله تعريض بعلي وهو نصب جلي بل إن قوله «وكان السيف في

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٢٦٩.

خلافته كما كان في خلافة أبي بكر وعمر» سخف ما بعده سخف فما ذنب أمير المؤمنين عليه السلام أن انتقضت عليه أطراف الأرض من النواصب ولم يستطع أن يفتح دار الكفر، بل إن بعض من قاتله (كمعاوية) عقد هدنة مع الكافر الرومي ليتفرغ لحرب الإمام عليه السلام(١)! فالمفترض أن يتحمل المسؤولية من تسبب بذلك وليس من اجبر على ذلك.

وقوله «ثم إنه طُلب قتله وهو خليفة فصبر ولم يقاتل دفعا عن نفسه حتى قُتل ولا ريب أن هذا أعظم أجرا وقتله أعظم إثما ممن لم يكن متوليا فخرج يطلب الولاية ولم يتمكن من ذلك.... فقاتل عن نفسه حتى قتل ولا ريب أن قتال الدافع عن نفسه وولايته أقرب من قتال الطالب لأن يأخذ الأمر من غيره».

وفي هذا تعريض بالحسين عليه السلام، وهذا تشريع واضح لقتل يزيد للحسين عليه السلام ريحانة رسول الله فلعنة الله على من قتله ومن أعان عليه.

ثم إن القياس بهذه الشكل لايمكن لاختلاف الحالين، فإن عثمان تسلّط عبر الشورى الشكلية التي مهّد فيها الأمر له عمر مما هو معروف في التاريخ، واما الناس فلما رأوا الفتوح في زمان عمر، وإغداق عمر لأموال الفتوح على الخواص من قريش، حتى امتلكوا الأراضي الواسعة وألاف العبيد، بنوا القصور في العقيق وغيرها من الوديان، انشغلوا عن الشرعيات الى غيرها، ولم يكونوا يفهمون الأمر كما فصّله الإمام عليه السلام في ولايته. فنسيت قضيّة الاولى بالإمامة إلاّ من عدد من خواص الإمام الذين يعتقدون به النص، وصار الناس تطيع لمن ولّت

(١) لما كان معاوية قدوة عند السلفيين يقدمونه عمليا على السابقين من المهاجرين ـ كعلي عليه السلام- نراهم اليوم اقتدوا به فهم يتآمرون مع الكفار من اميركيين وبريطانيين وفرنسيين وصهاينة ضد الحركات الإسلامية كحزب الله وحركة حماس.

قريش، فتمهد الأمر لعثمان فلم يوجد من عارض إلاّ ما كان من سلمان وأبو ذر وحذيفة بن اليمان، وكلمات العباس والإمام علي عليه السلام محفوظة في كون الشورى غير شرعية وغير عادلة، ثم إن عثمان غيّر ما كان عليه سلفه من خلط الحق بالباطل، فقلب لقريش بطن المجن وولّى بني أمية على رقاب الناس يسوسونهم كما شاءوا، فانتفضت العرب في الأمصار وأعان المهاجرون والانصار عليه فلم يخلع نفسه انكبابا على الدنيا- كم يفعل طغاة العرب في أيامنا هذه، يموتون وهم على الكراسي!- وأين هذا ممن يقول «أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله إن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله»(١).

فالإمام الحسين عليه السلام رأى الواجب الشرعي يحتم الخروج على الظالم، وأما من ينصب نفسه درعا للظالم فيُقتل فهو مفتون بفتنته، يقاتَل ليقام الحق ويزهق الباطل.

وأين المقارنة بين من يتسبب بشق عصا المسلمين ويعطي الذريعة للطلقاء والمنافقين أن يقطعوا أوصال الإمة الإسلامية وكل ذلك حتى يبقى زعيما اوحدا ويبقى حزبه الحزب الحاكم؟!

ولنفرض ان عثمان لم يقتل ولم يجر ما جرى من حروب بسببه أفهل يشرع

---

(١) تاريخ الطبري – الطبري – ج ٤ – ص ٣٠٤.

هذا التخاذل عن الخروج على يزيد وهو الذي أحل جمع من أهل السنّة لعنه! قال القندوزي الحنفي في يزيد وهو من أهل السنة [1] «وبعد اتفاقهم على فسقه اختلفوا في جواز لعنه بخصوص اسمه فأجازه قوم منهم ابن الجوزي، ونقله عن أحمد بن حنبل وغيره، فان ابن الجوزي قال في كتابه المسمى ب " الرد على المتعصب العنيد المانع من لعن يزيد " : سألني سائل عن يزيد بن معاوية. فقلت له: يكفيه ما به. فقال: أيجوز لعنه؟ قلت: قد أجازه العلماء الورعون، منهم أحمد بن حنبل، فإنه ذكر في حق يزيد عليه اللعنة ما يزيد على اللعنة. ثم روى ابن الجوزي عن القاضي أبي يعلى الفراء أنه روى كتابه المعتمد في الأصول بإسناده إلى صالح بن أحمد بن حنبل رحمهما الله قال: قلت لأبي: إن قوما ينسبوننا إلى تولي يزيد! فقال: يا بني وهل يتولى يزيد أحد يؤمن بالله، ولم لا يلعن من لعنه الله تعالى في كتابه. فقلت: في أي آية؟ قال: في قوله تعالى:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) ﴾ (سورة محمد ص ٢٢-٢٣).

فهل يكون فساد أعظم من هذا القتل؟

قال ابن الجوزي: وصنف القاضي أبو يعلى كتابا ذكر فيه بيان من يستحق اللعن وذكر منهم يزيد، ثم ذكر حديث " من أخاف أهل المدينة ظلما أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين "، ولا خلاف أن يزيد أغار المدينة المنورة بجيش وأخاف أهلها (انتهى).

---

(١) ينابيع المودة لذوي القربى – القندوزي – ج ٣ – ص ٣٣ – ٣٤.

والحديث الذي ذكره رواه مسلم، أنه وقع من ذلك الجيش من القتل والفساد العظيم والسبي وإباحة المدينة ما هو مشهور حتى فض نحو ثلاثمائة بكر، وقتل من الصحابة نحو ذلك، ومن قراء القرآن نحو سبعمائة نفس، وأبيحت المدينة المنورة أياما، وبطلت الجماعة من المسجد النبوي أياما، وأخيف أهل المدينة أياما، فلم يمكن لأحد أن يدخل المسجد حتى دخلتها الكلاب والذئاب وبالت على منبره صلى الله عليه وسلم تصديقا لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم. ولم يرض أمير هذا الجيش إلا بأن يبايعوه ليزيد على أنهم عبيد له إن شاء باع وإن شاء أعتق، فذكر له بعضهم البيعة على كتاب الله وسنة رسول الله فضرب عنقه، وذلك في قصة الحرة. ثم سار جيشه هذا نحو مكة إلى قتال ابن الزبير فرموا الكعبة المكرمة بالمنجنيق، وأحرقوا كسوتها بالنار " فأي شيء أعظم من هذه القبائح التي وقعت في زمنه ناشئة عنه».

ومن كفريات يزيد أنه كان يسمّي المدينة المنوّرة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام والتي سمّاها النبي صلى الله عليه وآله (طيبة) كان يزيد يسميها (خبيثة)[1]!! فأي طعن في الدين أكبر من هذا؟!

قال ابن تيمية «إن هذا المنقول عن عائشة من القدح في عثمان إن كان صحيحا فإما أن يكون صوابا أو خطأ فإن كان صوابا لم يذكر في مساويء عائشة، وإن كان خطأ لم يذكر في مساويء عثمان، والجمع بين نقص عائشة وعثمان باطل قطعاً، وأيضاً فعائشة ظهر منها من التألم لقتل عثمان والذم لقتلته وطلب الانتقام منهم ما يقتضي الندم على ما ينافي ذلك كما ظهر منها الندم على مسيرها إلى الجمل، فإن كان ندمها على ذلك يدلُّ على فضيلة علي واعترافها له بالحق

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٩ - ص ٢٣٧ – ٢٣٨.

فكذلك هذا يدل على فضيلة عثمان واعترافها له بالحق وإلا فلا»[1].

الجواب:

هذا تلاعب بالألفاظ فكيف يكون قولها إن كان صوابا لم يذكر في مساويء عائشة وكفى بل هنا يجب أن يؤشر على انحراف خطير في عثمان لكون ابن تيمية يجعلون عائشة من أهل البيت المطهرين وعليه فلا يمكن أن يكون نطقها ورأيها بعثمان إلّا حقا يتوقف عليه تبيان حال رجل منحرف أجازت قتله بقولها «اقتلوا نعثلاً فقد كفر»[2] وبالتالي فرأيها مهم جدا على مذهب ابن تيمية!.

وأما إن كان خطأ فلا يمكن أن تكون قد حكمت بقتل وكفر عثمان ثم نقول إن كان خطا لم يذكر في مساويء عثمان! بل سيكون قولها جريمة فمن كفّر مسلما فقد باء به احدهما[3]!

نعم الجمع في خصوص موقف عائشة من عثمان لا يحتمل النقيضين طبعا فقولها الرديء في عثمان كان حقا وقولها في علي كان باطلاً. ولكن قولها الأول في عثمان كان بدافع شرعي لكثرة ظلمه، وموقفها الثاني المطالب بدمه كان موقفا أهوائيا بدافع الكره لعلي عليه السلام. قال اليعقوبي «وكانت عائشة بمكة، خرجت قبل أن يقتل عثمان، فلما قضت حجها انصرفت راجعة، فلما صارت في بعض الطريق لقيها ابن أم كلاب، فقالت له: ما فعل عثمان؟ قال: قتل! قالت: بعدا وسحقا! قالت: فمن بايع الناس؟ قال: طلحة. قالت: أيها ذو الإصبع. ثم

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٢٧١.

(٢) الفتنة ووقعة الجمل-سيف بن عمر الضبّي -ص ١٥٥/ تاريخ الطبري- ج٣ -ص٤٧٧ / الكامل في التاريخ- ج٣ -ص٢٠٦.

(٣) مفاد حديث نبوي -صحيح البخاري -ج٧-ص٩٧.

لقيها آخر، فقالت: ما فعل الناس؟ قال: بايعوا عليا. قالت: والله ما كنت أبالي أن تقع هذه على هذه. ثم رجعت إلى مكة»[1]

وموقفها من علي وعثمان بعد هزيمتها من الأول وبعد مقتل الثاني لا يتشابه فموقفها من مقتل عثمان كان بغضا لعلي لا أكثر وموقفها من مقتل علي كان تشفيا بعلي، ولم تكن تؤدي تكليفا شرعيا في الحالين بل أعطت العنان لمكنونات نفسها من البغض والحقد أن تتفجر فأشعلت حربا أهلية قتل فيها عشرات الألوف، قال الطبري[2] «ولما انتهى إلى عائشة قتل علي رضي الله عنه قالت:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى   كما قر عينا بالإياب المسافر

فمن قتله؟ فقيل: رجل من مراد فقالت:

فإن يك نائيا فلقد نعاه   غلام ليس في فيه التراب

فقالت زينب بنت أبي سلمة العليٍ تقولين هذا؟

فقالت: إني أنسى!! فإذا نسيت فذكروني» قالت هذا القول تهكما على زينب بنت أبي سلمة! وكأن لسان حالها يقول: إذا لم أشمت بقتل علي فبماذا أشمت؟!

وعلى مذهب ابن تيمية لا يجوز بغض الصحابة، وقد رووا عن مالك بن انس استنباطه كفر من أغاظته الصحابة من قوله تعالى «ليغيظ بهم الكفار» أفلا تنطبق قاعدتهم على من أغاظته حياة علي حتى سجد شكرا لقتله؟!

---

(١) تاريخ اليعقوبي – اليعقوبي – ج ٢ – ص ١٨٠.

(٢) تاريخ الطبري – الطبري – ج ٤ – ص ١١٥.

ابن تيميّة.. وترّهات وأباطيل ينسبها للشيعة

قال ابن تيمية عن الشيعة «فيزعمون أن امرأة نوح كانت بغيّا، وأن الابن الذي دعاه نوح لم يكن منه وإنما كان منها، وإن معنى قوله (إنه عمل غير صالح) أن هذا الولد من عمل غير صالح. ومنهم من يقول (ونادى نوح ابنه) يريدون ابنها... ويتأولون قوله تعالى:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾.

على أن امرأة نوح خانته في فراشه وأنها كانت قحبة[1] وضاهوا في ذلك المنافقين والفاسقين أهل الإفك الذين رموا عائشة بالإفك والفاحشة ولم يتوبوا، وفيهم خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أيها الناس من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا والله ما علمت عليه إلا خيرا.

ومن المعلوم أنه من أعظم أنواع الأذى للإنسان أن يكذب على امرأته رجل

---

(١) إن بذاءة الرجل وعدم تأدبه امام حضرات الأنبياء لشيء يشمئز منه البدن، وإلّا كان اللازم عدم ذكر هذه الألفاظ والتكنية عنها بألفاظ أخرى.

ويقول إنها بغي ويجعل الزوج زوج قحبة، فإن هذا من أعظم ما يشتم به الناس بعضهم بعضا حتى أنهم يقولون في المبالغة شتمه بالزاي والقاف مبالغة فيشتمه والرمي بالفاحشة دون سائر المعاصي جعل الله فيه حد القذف لأن الأذى الذي يحصل به للمرمى لا يحصل مثله بغيره فإنه لو رمى بالكفر أمكنه تكذيب الرامي بما يظهره من الإسلام بخلاف الرمي بالفاحشة فإنه لا يمكنه تكذيب المفتري بما يضاد ذلك فإن الفاحشة تخفى وتكتم مع تظاهر الإنسان بخلاف ذلك»[١].

الجواب:

ما قاله هذا الرجل كذب وترّهات وهّريج بيّن، ولولا أن يتوقف عنده البعض لما كانت الحاجة للرد عليه، وإلاّ فالرأي عند الإمامية أن زوجات الأنبياء لا يأتين الفاحشة المخصوصة لنزاهة فراش النبي عن ذلك، وقد اجمع المفسرون عندنا على ذلك:

قال الطوسي في التبيان[٢] «قال ابن عباس: كانت امرأة نوح كافرة، تقول للناس انه مجنون، وكانت امرأة لوط تدلُّ على أضيافه، فكان ذلك خيانتهما لهما، وما زنت امرأة نبي قط، لما في ذلك من التنفير عن الرسول وإلحاق الوصمة به، فمن نسب أحدا من زوجات النبي إلى الزنا، فقد أخطأ خطأ عظيما»

وقال الطبرسي:[٣] «(فخانتاهما) بالنفاق والتظاهر على الرسولين: فامرأة نوح قالت لقومه: إنه مجنون، وامرأة لوط دلّت على ضيفانه، وعن الضحاك: خانتاهما بالنميمة إذا أوحى الله إليهما أفشتاه إلى المشركين، ولا يجوز أن يراد

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية -ج٢ - ص٢٧٥.

(٢) التبيان - الشيخ الطوسي - ج ١٠ - ص ٥٢.

(٣) تفسير جوامع الجامع - الشيخ الطبرسي - ج ٣ - ص ٥٩٦.

بالخيانة الفجور لأنه نقيصة عند كل أحد، سمج في كل طبيعة، بخلاف الكفر لأن الكفار لا يستسمجونه».

وقال الكاشاني[1] «(خانتاهما) بالنفاق والتظاهر على الرسولين. مثل الله حال الكفار والمنافقين – في أنهم يعاقبون بكفرهم ونفاقهم، ولا يحابون بما بينهم وبين النبي والمؤمنين، من النسبة والوصلة – بحال امرأة نوح وامرأة لوط. وفيه تعريض بعائشة وحفصة في خيانتهما رسول الله صلى الله عليه وآله، بإفشاء سره، ونفاقهما إياه، وتظاهرهما عليه، كما فعلت امرأتا الرسولين».

وقال الطباطبائي[2] «(فخانتاهما) وليس إلا ظاهرا في أنهما كانتا كافرتين تواليان أعداء زوجيهما وتسران إليهم بأسرارهما وتستنجدانهم عليهما».

وقال شبّر[3] «(فخانتاهما) بنفاقهما وتظاهرهما عليهم».

وهذا متّفق عليه بين الشيعة ومن يقول غيره عنهم كاذب مفتر.

والرجل يعلم كذب النسبة وانه بهت الشيعة بهذا الافتراء العظيم بدليل أنه انتقل من الفرية على الشيعة الى قوله «وضاهوا في ذلك المنافقين والفاسقين أهل الإفك الذين رموا عائشة بالإفك والفاحشة ولم يتوبوا، وفيهم خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أيها الناس من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا والله ما علمت عليه إلا خيرا».

فحتى لا يشك أحد في الفرية لكون بعضهم لم يقرأ كتب الشيعة يأتي ابن تيمية لترسيخ المعلومة الكاذبة بربطها بمعلومة كاذبة جرى ترسيخها على مدى

---

(١) التفسير الأصفى – الفيض الكاشاني – ج ٢ – ص ١٣٢٥.

(٢) تفسير الميزان – السيد الطباطبائي – ج ١٠ – ص ٢٣٥.

(٣) تفسير شبر – السيد عبد الله شبر – شرح ص ٥٢٤.

قرون حتى صارت عندهم حقا لا مرية فيه، وهو اتهام عائشة بحادثة الافك! فربط اتهام زوجات الانبياء بقضية معلومة عند العوام وهي ان قرآنا نزل يبريء حادثة الأفك فكما حادثة الأفك لا يمكن التفكير في عدم نسبتها للشيعة، فكذلك لا يجوز رفض فكرة اتهام الشيعة لزوجات الأنبياء فانتبه لهذا الأسلوب المريض.

ومن غريب الأمور أن وهابية اليوم ينقلون أقوال ابن تيمية بدون تثبت من صدقها بينما ينسب بعض أهل السنة لهم أقوالاً شنيعة في هذه الأمور نفسها قال السيد حسن السقاف مدير مركز الإمام النووي في الأردن[1] «زعم الألباني أن أمهات المؤمنين وزوجات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجوز عليهن الزنا والعياذ بالله تعالى!! وقد استغربنا صدور ذلك منه جدا وتعجبنا من إثارته هذه المسألة حيث إن زوجات النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم توفاهن الله تعالى قبل نحو (١٤٠٠) سنة تقريبا فما فائدة إثارة هذا الموضوع الآن مع أنهن مبرءات بنص القرآن الكريم ومنه قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: من الآية٣٣).

ومن أهل بيته صلى الله عليه وسلم زوجاته بلا شك ولا ريب. ولما أثار هذه المسألة سنة (١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م) تصدّى له الشيخ محمد نسيب الرفاعي جزاه الله تعالى خير الجزاء وناقشه بدفاعه عن زوجات الأنبياء وأمهات المؤمنين فرد عليه فيها. ثم فارقه وصنف كتابا في الرد عليه في هذه المسألة سمّاه (نوال المنى في إثبات عصمة أمهات وأزواج الأنبياء من الزنا). يقول في آخره بعد أن أورد الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم في الرد على ما نصه: (وإنني لأذكر أن الأخ

(١) البشارة والإتحاف - حسن بن علي السقاف - ص ٦٤ — ٦٥.

الكبير الشيخ ناصر الألباني فارق بعض إخوانه لأسباب شخصية بحتة، فلماذا يرى نفسه محقا في مفارقة إخوانه لأسباب شخصية ولا يراني محقا في مفارقته هو ومن معه لأسباب يعلم الله أنها مفارقة في الله وغضبا له وغضبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الشيخ ليعلم ذلك تماما ولا ينكره. فأين من يقرُّ بالحق ولو على نفسه؟!».

﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (آل عمران:٥٤).

ما فعله علي أعظم مما فعله طلحة والزبير مع عائشة

قال ابن تيمية «وأيضا من تناقضهم أنهم يعظمون عائشة في هذا المقام طعنا في طلحة والزبير ولا يعلمون أن هذا إن كان متوجها فالطعن في علي بذلك أوجه، فإن طلحة والزبير كانا معظِّمين عائشة موافقين لها مؤتمرين بأمرها وهما وهي من أبعد الناس عن الفواحش والمعاونة عليها، فإن جاز لرافضي أن يقدح فيهما يقول بأي وجه تلقون رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أن الواحد منا لو تحدث مع امرأة غيره حتى أخرجها من منزلها وسافر بها مع أن ذلك إنما جعلها بمنزلة الملكة التي يأتمر بأمرها ويطيعها ولم يكن إخراجها لمظانِّ الفاحشة كان لنا صبي أن يقول بأي وجه يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل امرأته وسلط عليها أعوانه حتى عقروا بها بعيرها وسقطت من هودجها وأعداؤها حولها يطوفون بها كالمسبيّة التي أحاط به من يقصد سبائها، ومعلوم أن هذا في مظنة الإهانة لأهل الرجل وهتكها وسبائها وتسليط الأجانب على قهرها وإذلالها وسبيها وامتهانها أعظم من إخراجها من منزلها بمنزلة الملكة العظيمة المبجلة التي لا يأت إليها أحد إلا بإذنها ولا يهتك أحد سترها ولا ينظر في خدرها ولم يكن طلحة والزبير ولا غيرهما من

الأجانب يحملونها بل كان في العسكر من محارمها مثل عبد الله بن الزبير ابن أختها وخلوة ابن الزبير بها ومسَّه لها جائز بالكتاب والسنة والإجماع، وكذلك سفر المرأة مع ذي محرمها جائز بالكتاب والسنة والإجماع وهي لم تسافر إلا مع ذي محرم منها وأما العسكر الذين قاتلوها فلولا أنه كان في العسكر محمد بن أبي بكر مدَّ يده إليها لمدَّ يده إليها الأجانب، ولهذا دعت عائشة رضي الله عنها على من مدَّ يده إليها وقالت: يد من هذه أحرقها الله بالنار، فقال: أي أخيه في الدنيا قبل الآخرة فقالت: في الدنيا قبل الآخرة، فأحرق بالنار بمصر، ولو قال المشنِّع أنتم تقولون إن آل الحسين سُبوا لما قتل الحسين ولم يفعل بهم إلا من جنس ما فُعل بعائشة حيث استولى عليها وُردَّت إلى بيتها وأُعطيت نفقها، وكذلك آل الحسين استولى عليهم وردوا إلى أهليهم وأعطوا نفقة، فإن كان هذا سببا واستحلالا للحرمة النبوية فعائشة قد سبيت واستحلت حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم»[1].

الجواب:

الإمامية تقول إن عائشة عصت بترك الأمر القرآني للإقرار في البيت وعصت بترك التوجيه النبوي والتحذير الشديد من التي تخرج على الجمل الأدبّ... ولا يعظّمونها بل يحترمون مكانتها من النبي فهي زوجه وحرمه وعرسه وقد أمرت بالإقرار في بيتها «وما افلح قوم ولوا أمرهم امرأة»[2]!

وطلحة والزبير وعائشة عصوا بخروجهم على الإمام الشرعي[3] بعد بيعة

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٢٧٩.

(٢) صححه ابن حجر - فتح الباري - ج١٣ -ص١٢٩.

(٣) قال الحاكم النيسابوري عن فضالة بن عبيد «عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال ثلاثة لا تسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى إمامه فمات عاصيا وأمة أو عبد ابق من سيده فمات ←

الأولَين بيعة اختيارية طوعيّة، وذنب طلحة والزبير في عائشة أنهما أخرجاها وخدعاها وصانا نسائهما في خدورهن، معززات، مكرمات، بينما خرجا بعائشة تقطع الفيافي والقفار، ومن واجب الإمام الشرعي هنا أن يتصدى لمحاولات تفريق الصف من الطغاة الخارجين على إمام الحق، والذي من قاتله قاتل رسول الله لكون حربه حرب رسول الله وسلمه سلم رسول الله، وهو موصى بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ومعه البدريّون وأجلّة الصحابة، وبعد أن قتل أصحاب عائشة بعض المسلمين في البصرة صار قتالهم حقا عليه. وأما ربط معصية الرجلين بإخراجهم زوجة النبي بمقاتلة الإمام لها فهو مضحك ولا ينطلي إلا على الأغبياء فما علاقة المعصية بالطاعة؟! وهؤلاء عصاة وهو مطيع للقرآن والسنة؟! وأي ملكة كانت حتى تدعوا لها ذلك وقد كانت مخدوعة وحلفوا لها كذبا حول ماء الحوأب؟ وقد حذرها النبي من الخروج، قال في فتح الباري[1] «ومن طريق قيس بن أبي حازم قال لما أقبلت عائشة فنزلت بعض مياه بني عامر نبحت عليها الكلاب فقال أي ماء هذا؟ قالوا: الحوأب، بفتح الحاء المهملة وسكون الواو بعدها همزة ثم موحدة قالت ما أظنني إلا راجعة، فقال لها بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم، فقالت: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لنا ذات يوم كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب وأخرج هذا أحمد وأبو يعلى والبزار وصححه ابن حبان والحاكم وسنده على شرط الصحيح، وعند أحمد:

وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده فلا تسأل عنهم» قال الحاكم «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا بجميع رواته ولم يخرجاه ولا اعرف له علة» المستدرك – الحاكم النيسابوري – ج ١ – ص ١١٩.

(١) فتح الباري – ابن حجر – ج ١٣ – ص ٤٥ – ٤٦.

فقال لها الزبير تقدمين فذكره، ومن طريق عصام بن قدامة عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه أيتكن صاحبة الجمل الأدبب بهمزة مفتوحة ودال ساكنة ثم موحدتين الأولى مفتوحة تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة وتنجو من بعد ما كادت وهذا رواه البزار ورجاله ثقات».

فهي كانت عالمة بالمعصية، وإنما أخرجها البغض لعلي ومرجل جاش في صدرها لراية الهدى التي أُمرت بطاعتها، قال ابن حجر «وأخرج البزار من طريق زيد بن وهب قال بينا نحن حول حذيفة إذ قال: كيف أنتم وقد خرج أهل بيت نبيكم فرقتين يضرب بعضكم وجوه بعض بالسيف قلنا يا أبا عبد الله فكيف نصنع إذا أدركنا ذلك؟ قال انظروا إلى الفرقة التي تدعو إلى أمر علي بن أبي طالب فإنها على الهدى»[1].

وكل هذه النصوص لم تنفع لمن أُشرب العجل في قلوبهم فاتوا بالمتناقضات والمضحكات ليربطوا عصيان بعضهم بطاعة الآخر وليموّهوا على الناس بقولهم إما عصاة جميعهم وإما جميع مطيع!

وأما قول ابن تيمية «ولو قال المشنِّع أنتم تقولون إن آل الحسين سبوا لما قتل الحسين ولم يفعل بهم إلا من جنس ما فُعل بعائشة حيث استولى عليها وردت إلى بيتها وأعطيت نفقها وكذلك ال الحسين استولى عليهم وردّوا إلى أهليهم وأعطوا نفقة فإن كان هذا سببا واستحلالا للحرمة النبوية فعائشة قد سببت واستحلت حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم».

---

(١) فتح الباري - ابن حجر - ج ١٣ - ص ٤٦.

فأي مشابهة بين الحدثين فسبايا الحسين أُخِذن قسرا من الطفّ الى الكوفة بالتعنيف والتجريح وأمامَهن رؤوس رجالهن مرفوعة تتقاطر الدماء منها بشكل مرعب وبشع، ثم أُخِذن على أقتاب الإبل مكبّلات من الكوفة مرورا بمدن الجزيرة إلى ديار بكر إلى لبنان ودمشق مسافة لا تقل عن ألفي كيلو متر، كل هذا تحت القهر والأسر بينما عامل الإمام عائشة خير معاملة وسرحها إلى حيث أمرها الله معززة مكرمة فأين هذا من ذاك؟

روى ابن أعثم الكوفي في فتوحه[1] «دعا علي رضي الله عنه بعبد الله بن عباس فقال له: اذهب إلى عائشة فقل لها أن ترتحل إلى المدينة كما جاءت ولا تقيم بالبصرة، فأقبل إلى عائشة فاستأذن عليها، فأبت أن تأذن له، فدخل عبد الله بغير إذن، ثم التفت فإذا راحلة عليها وسائد فأخذ منها وسادة وطرحها ثم جلس عليها، فقالت عائشة: يا بن عباس! أخطأت السنة دخلت منزلي بغير إذني! فقال ابن عباس: لو كنت في منزلك الذي خلّفك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخلت عليك إلا بإذنك، وذلك المنزل الذي أمرك الله عز وجل أن تقرّي فيه، فخرجت منه عاصية لله عز وجل ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد فهذا أمير المؤمنين يأمرك بالارتحال إلى المدينة فارتحلي ولا تعصي، فقالت عائشة: رحم الله أمير المؤمنين! ذاك عمر بن الخطاب! فقال ابن عباس: وهذا والله أمير المؤمنين وإن رغمت له الأنوف وأربدت له الوجوه! فقالت عائشة: أبيت ذلك عليكم يا بن عباس! فقال ابن عباس: لقد كانت أيامك قصيرة المدة ظاهرة الشؤم بنية النكد، وما كنت في أيامك إلا كقدر حلب شاة حتى صرت ما تأخذين وما تعطين ولا تأمرين ولا تنهين، وما كنت إلا كما قال أخو بني أسد حيث يقول:

(١) كتاب الفتوح – أحمد بن أعثم الكوفي – ج ٢ – ص ٤٨٦ — ٤٨٧.

مـا زال إهـداء القـصائد بيننـا شـتم الـصديق وكثـرة الألقـاب

حتى تركت كأن قولك عندهم في كـل محتفـل طـنين ذبـاب

قال: فبكت عائشة بكاء شديدا ثم قالت: نعم والله أرحل عنكم! فما خلق الله بلدا هو أبغض إلي من بلد أنتم به يا بني هاشم! فقال ابـن عبـاس: ولم ذلـك؟ فوالله ما هذا بلاؤنا عندك يا بنت أبي بكر! فقالت عائشة: وما بلاؤكم عنـدي يـا بن عباس؟ فقال: بلاؤنا عندك أننا جعلنـاك أم المؤمنين وأنـت بنـت أم رومـان، وجعلنا أباك صديقا وهو ابن أبي قحافة، وبنا سُمِّيت أم المؤمنين لا بتيم وعـدي، فقالت عائشة: يا بـن عبـاس! أتمنّـون علي برسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم؟ فقال: ولم لا نمن عليك... ثم دعا علي رضي الله عنه بنسوة من نساء أهل البصرة فأمرهن أن يخرجن مـع عائـشة إلى المدينـة، فرحلـت عائـشة مـن البـصرة في تلـك النسوة، وقد كان علي رضي الله عنه أوصاهن وأمـرهن أن يتـزيين بـزي الرجـال، عليهن العمائم، فجعلت عائشة تقول في طريقهـا: فعـل بي علـي وفعـل، ثم وجّـه معي رجالا يردّوني إلى المدينة! قال: فسمعتها امـرأة منـهن فحركـت بعيرهـا حـتى دنت منها ثم قالت: ويحك يا عائشة! أما كفاك ما فعلت حتى انك الآن تقـولين في أبي الحسن مـا تقـولين! ثم تقـدمت النـسوة وسـفرن عـن وجـوههن، فاسـترجعت عائشة واستغفرت وقالت: هذا مـا لقيـت مـن ابـن أبي طالـب. ثم دخلـت عائـشة المدينة وصارت إلى منزلها نادمة على ما كان منـها، وانـصرفت النـسوة إلى منـازلهن بالبصرة. قال: فكانت عائشة إذا ذكرت يوم الجمـل تبكـي لـذلك بكـاء شـديدا ثم تقول: يا ليتني لم أشهد ذلك المشهد! يا ليتني مت قبل هذا بعشرين سـنة! ثم قالـت عائشة: ولو لم أشهد الجمل لكان أحب إلي من أن يكون لي من رسـول الله صـلى

الله عليه وسلم مثل ولد عبد الرحمن بن الحارث، فإنه كان له عشرة أولاد ذكور كل يركب».

وعلي عليه السلام أنفذ أمر رسول الله في أم المؤمنين إذ روي عن النبي صلى الله عليه وآله «عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر، قال: أنا يا رسول الله؟ قال: نعم، قال: أنا أشقاهم يا رسول الله؟ قال: لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها».

قال الهيثمي «رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات»[1].

فعلي عليه السلام عاش حياته طاعة لله ورسوله في نومه ويقظته، في ضعنه وترحاله، في حربه وسلمه، لم يخونه نفسه، ولم تملكه نوازع نفس أمارة بالسوء لكونه مطهَّر من الزلاّت وأين هذا ممَّن باعوا سابقتهم على دنيا حقيرة؟!

قال ابن تيمية «والمقصود هنا أن ما يذكرونه من القدح في طلحة والزبير ينقلب بما هو أعظم منه في حق علي، فإن أجابوا عن ذلك: بأن عليا كان مجتهدا فيما فعل وأنه أولى بالحق من طلحة والزبير قيل: نعم وطلحة والزبير كانا مجتهدين وعلي وإن كان أفضل منهما لكن لم يبلغ فعلهما بعائشة رضي الله عنها ما بلغ فعل علي، فعلي أعظم قدرا منهما ولكن إن كان فعل طلحة والزبير معها ذنبا ففعل علي أعظم ذنبا، فتقاوم كبر القدر وعظم الذنب فإن قالوا هما أخرجا عليا إلى ذلك لأنهما أتيا بها فما فعله علي مضاف إليهما لا إلى علي، قيل: وهكذا معاوية لما قيل له قد قتل عمار وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: تقتلك الفئة

---

(١) مجمع الزوائد – الهيثمي – ج ٧ – ص ٢٣٤.

الباغية قال: أو نحن قتلناه؟! إنما قتله الذين جاءوا به حتى جعلوه تحت سيوفنا، فإن كانت هذه الحجَّة مردودة فحجَّة من احتجّ بأن طلحة والزبير هما فعلا بعائشة ما جرى عليها من إهانة عسكر علي لها واستيلائهم عليها مردودة أيضا وإن قبلت هذه الحجة قبلت حجة معاوية رضي الله عنه»(١).

الجواب:

قلنا إن الفرق واضح وفصّلناه، وقلنا ان عليا لا يجتهد بل هو يعمل بوصايا النبي، ففعله القرآن والسنّة، والقرآن والسنّة لا يتوقفان على عقول قاصرة، بل على نصوص معصومة من الخطأ والزلل فهذا علي عليه السلام.

وأما المقارنة بين مُدّعى معاوية بقتل علي لعمار وبين ما ادعاه حول تحميل علي لمسؤولية إخراج عائشة فهو ربط فاضح لصاحبه فعمّار عمل بالنصوص واستشهد مع إمام هدى وهو يحاول ضبط أناس همّهم الدنيا والكيد للإسلام، فاستشهد وقاتله - معاوية- باغٍ مجرم منافق، وعائشة خالفت النصوص هي وصاحباها فكيف تربط هذه بهذه؟!

وأما ما قاله من ترّهات بقوله «من إهانة عسكر علي لها واستيلائهم عليها»

فمن روى ذلك وأين؟! وإنما هم ابن تيمية نسب الأباطيل لعلي عليه السلام وجيشه والمنتسبين له! وقد أورد المؤرخون والمحدثون ما حدث بعد انجلاء غبار المعركة وكشفوا عن خُلق كريم واجه به الإمام عليه السلام الحقد والبغض، قال ابن كثير «ولما خرج علي من عند عائشة قال له رجل من أزد: والله لا تغلبنا هذه المرأة، فغضب وقال: مه لا تهتكنّ سترا، ولا تدخلنّ دارا، ولا تهيجنّ امرأة

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٢٨٠.

بأذى وإن شتمن أعراضكم وسفّهن أمراءكم وصلحاءكم، فإن النساء ضعيفات ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات فكيف إذا هن مسلمات؟ ومضى علي فلحقه رجل فقال له: يا أمير المؤمنين قام رجلان على الباب فتناولا من هو امضّ شتيمة لك من صفية. قال ويحك لعلها عائشة! قال: نعم، قال أحدهما: جزيت عنا أمنا عقوقا، وقال الآخر: يا أمي توبي فقد أخطأت. فبعث القعقاع بن عمرو إلى الباب فأقبل بمن كان عليه فأحالوا على رجلين من أزد الكوفة وهم عجلان وسعد ابنا عبد الله فضربهما مائة سوط وأخرجهما من ثيابهما»[1].

فكيف استولى عليها الجند كما يقول ابن تيمية والإمام موجود؟! وإما إهانتها فإن ثبتت فعليٌّ قد فعل بمن أهانها ما يبريء ساحته، وإما من يجلب على نفسه الإهانة ببغيه على الإمام، وسبّه والتحريض على العصيان وقتل المسلمين حتى قتل الألوف ورملت نسائهم وأيتم أطفالهم، فهو من يتحمل وزر إهانته إن أُهين، لا غيره.

(١) الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ج ٣ - ص ٢٥٧

ليس في المسلمين كلهم من قال إن فاطمة مظلومة!

قال ابن تيمية «فإذا كان المسلمون كلهم ليس فيهم من قال إن فاطمة رضي الله عنها مظلومة، ولا أن لها حقا عند أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولا أنهما ظلماها ولا تكلم أحد في هذا بكلمة واحدة دلّ ذلك على أن القوم كانوا يعلمون أنها ليست مظلومة إذ لو علموا أنها مظلومة لكان تركهم لنصرتها إما عجزا عن نصرتها وإما إهمالا وإضاعة لحقها، وإما بغضا فيها إذ الفعل الذي يقدر عليه الإنسان إذا أراده إرادة جازمة فعله لا محالة فإذا لم يرده مع قيام المقتضى لإرادته فإما أن يكون جاهلا به أو له معارض يمنعه من إرادته فلو كانت مظلومة مع شرفها وشرف قبيلها وأقاربها وأن أباها أفضل الخلق وأحبهم إلى أمته وهم يعلمون أنها مظلومة لكانوا إما عاجزين عن نصرتها وإما أن يكون لهم معارض عارض إرادة النصر من بغضها وكلا الأمرين باطل»[1].

الجواب:

إن هذه الأمور لا تُفهم هكذا، أرأيت لو قلنا لك إن الإمام الحسين عندما قتل لم تنتفض المدينة ومكة وهذا يعني أنهما راضيتان! هل هذا كلام مستقيم

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٢٨١.

وكذلك هنا فالظروف التي تحيط بالقضية عديدة قضت بمجموعها أن لا تلقى مطالبة فاطمة وأمير المؤمنين عليهما السلام آذانا صاغية لدى السلطة، والناس على دين ملوكهم فالناس قريبة عهد بالأنظمة الإسلامية ولم يشرب الإسلام في قلوبها بتفاصيله فكانوا ينظرون إلى قريش في حسم هذه الأمور، على عادة القبائل، ورأس قريش هو الخليفة أي النظام نفسه الذي كانوا يظنون أن النبي يمثله فلما رأوا أن رأس قريش لم يعط الأرض سكت الناس. ولو أراد أبو بكر وبنيّة صادقة أن يدفن الخلاف مع أهل البيت لكان عمل كما عمل النبي بفداء أبي العاص بن الربيع فقد استوهبه من المسلمين لّما لم تستطع زوجه أن تفديه، قال الشوكاني[1] «عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال وبعثت فيه بقلادة كانت لها عند خديجة أدخلتها بها على أبي العاص قالت: فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رقّ لها رقّة شديدة فقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا لها الذي لها، قالوا: نعم».

ولكن أبا بكر انتبه وعمر للأمر ببعده الاقتصادي والسياسي، فبفدك يستطيع الإمام أن يدعم مطالبته بالخلافة، والأخطر أن أبا بكر لو قبل مطالبة فاطمة بفدك مع شهادة أم أيمن اليوم ووهبها الأرض لجاءت وشهدت ومعها بنو هاشم بالخلافة لعلي عليه السلام فماذا سيقول عندها؟

قال ابن تيمية «وأبو بكر لم يكن ممتنعا من سماع كلام أحد منهم ولا هو معروفا بالظلم والجبروت، واتفاق هؤلاء كلهم مع توفر دواعيهم على بغض فاطمة مع قيام الأسباب الموجبة لمحبتها مما يعلم بالضرورة امتناعه»[2].

---

(١) نيل الأوطار – الشوكاني – ج ٨ – ص ١٤٤.

(٢)منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية– ابن تيمية– ج٢ – ص٢٨١.

الجواب:

البغض شيء والظلم شيء فقد لا يكون الإنسان مبغضا لآخر لكنه يريد ما في يده وقد يخشاه على ما في يده فيظلمه! وهذا ما حصل في فدك فالمال والجاه يعبِّدان الطريق للسلطة، فخاف أبو بكر وعمر من اجتماع فدك ومواردها المالية في دعم مواقف علي وفاطمة لا سيما وإن الناس تحترم المال وسلطته المعنوية والمادية فيكون الإمام في ضمن إطار السلطة وتثبت مواقفه فيهدد السلطة عاجلا أم آجلا.

وهذا ما نشاهده عيانا في الأنظمة التي تعلم انها غير شرعية، فيقومون بتجفيف المنابع الاقتصادية لمنافسيهم ومحاصرتهم، ثم إضعافهم ماليا ومعنويا واجتماعيا، وإن لم يفد ذلك قتلوهم وتخلّصوا منهم، لكن إن كان المعارضون يفهمون ان السلطة لا تستحق جناح بعوضة إلا أن يقيموا حقاً ويدفعوا باطلاً، هكذا معارضة تقرأ الساحة بتمعّن لتفعل الأصلح والأقل مفسدة، لا كما تفعل المعارضة المتعطّشة للسلطة - كالزبير وطلحة ومعاوية- فيقتلون الألوف في سبيل نيل دنيا دنيّة.

علي لم يقتل من قريش أحداً!

قال ابن تيمية «وكذلك علي رضي الله عنه لا سيما وجمهور قريش والأنصار والمسلمين لم يكن لعلي إلى أحد منهم إساءة لا في الجاهلية ولا في الإسلام ولا قتل أحدا من أقاربهم فإن الذين قتلهم علي لم يكونوا من أكبر القبائل وما من أحد من الصحابة إلا وقد قَتل أيضا»[1].

الجواب:

خلطه قريشا مع الأنصار والمسلمين تعمية واضحة على تاريخ واضح، فعلي قتل من قريش صناديدها في بدر واحد أما الأنصار فلا حرب لعلي معها حتى يقتل منها! أما المسلمون فكيف يقتل علي منهم!

وقوله «ولا قتل أحدا من أقاربهم فإن الذين قتلهم علي لم يكونوا من أكبر القبائل» إما يكشف عن جهله بالتاريخ وإما عن نصبه فعلي عليه السلام جندل أبطال قريش في بدر!

قال السيد محسن الأمين[2] «هذه أسماء من قتلهم علي ببدر على رواية

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٢٨١.

(٢) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين - ج ١ - ص ٣٨٤ – ٣٨٥.

الواقدي:

فمن بني عبد شمس:

حنظلة بن أبي سفيان

العاص بن سعيد بن العاص

الوليد بن عتبة

شيبة بن ربيعة شرك في قتله

عامر بن عبد الله حليف لهم من أنمار وقيل قتله سعد بن معاذ ولعله لذلك لم يذكره المفيد لأنه لا يذكر إلا ما اتفقوا عليه.

ومن بني نوفل بن عبد مناف:

طعيمة بن عدي ويكنى أبا الريان قتله علي على رواية ابن إسحاق وحمزة على رواية الواقدي ومن بني أسد بن عبد العزى.

الحارث بن زمعة بن الأسود

عقيل بن الأسود بن المطلب قال الواقدي حدثني أبو معشر قال قتله علي وحده وقيل شرك في قتله علي وحمزة وقيل قتله أبو داود المازني ولم يذكره المفيد

نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى وهو ابن العدوية. ومن بني عبد الدار بن قصي

النضر بن الحارث بن كلدة قتله علي صبرا بالسيف بأمر النبي صلى الله عليه وسلم

زيد بن مليص مولى عمرو بن هاشم بن عبد مناف من عبد الدار وقيل قتله بلال ولم يذكر المفيد خلافا في قتل علي له. ومن بني تيم بن مرّة

عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة

حليف لبني مخزوم وقيل قتله عمار بن ياسر. ومن بني الوليد بن المغيرة

أبو قيس بن الوليد أخو خالد بن الوليد، ومن بني أمية بن المغيرة

مسعود بن أبي أمية. ومن بني رفاعة

عبد الله بن أبي رفاعة. ومن بني عمران بن مخزوم

حاجز بن السائب بن عويمر بن عائذ

اخوه عويمر بن السائب بن عويمر قتله علي على رواية البلاذري ولم يذكره المفيد

ومن بني جُمَح:

أوس بن المغيرة بن لوذان شرك فيه علي وعثمان بن مظعون.

ومن بني سهم

منبه بن الحجاج وقيل قتله أبو أسيد الساعدي ولم يذكر المفيد خلافا في أنه قتله علي

نبيه بن الحجاج ولم يذكره المفيد

العاص بن منبه بن الحجاج

أبو العاص بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، روى الواقدي عن أبي معشر عن أصحابه أنه قتله علي وقيل قتله أبو دجانة ولم يذكر المفيد فيه خلافا. قال ابن أبي الحديد: في رواية الشيعة ان زمعة بن الأسود بن المطلب قتله علي، والأشهر في الرواية انه قتل الحارث بن زمعة وان زمعة قتله أبو دجانة.

ومر عن المفيد أن عليا قتلهما معا. قال المفيد وابن الأثير في أسد الغابة وابن

حجر في الإصابة: وفيما صنعه أمير المؤمنين عليه السلام ببدر قال أسيد بن أبي إياس بن وثيم يحرض مشركي قريش عليه ويعيرهم به:

في كل مجمع غاية أخزاكم   جذع أبر على المذاكي القرح

لله دركم ألما تنكروا   قد ينكر الحر الكريم ويستحي

هذا ابن فاطمة الذي أفناكم   ذبحا وقتلة قعصة لم يذبح

أعطوه خرجا واتقوا تضريبه   فعل الذليل وبيعة لم تربح

أين الكهول وأين كل دعامة   في المعضلات وأين زين الأبطح

أفناهم قعصا وضربا يفتري   بالسيف يعمل حده لم يصفح»

فهؤلاء جمهور قبائل قريش والذين طالما افتخر أمير المؤمنين عليه السلام بقتل كفارهم طاعة لله ورسوله فتراه عليه السلام يقول عندما سار الى حرب الناكثين والقاسطين «أما والله إن كنت لفي ساقتها حتى تولت بحذافيرها ما ضعفت ولا جبنت وإن مسيري هذا لمثلها، فلأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه مالي ولقريش. والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنهم مفتونين. وإني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا فكانوا كما قال الأول:

أدمت لعمري شربك المحض صابحا   وأكلك بالزبد المقشرة البجرا

ونحن وهبناك العلاء ولم تكن   عليا وحطنا حولك الجرد والسمرا»)[(١)]

وأما قول ابن تيمية «وما من أحد من الصحابة إلا وقد قَتَل أيضا».

هناك فرق بين من قتل شخصا واحدا مثل عمر! إذ ينقل المؤرخون انه قتل

(١) نهج البلاغة ـ خطب الإمام علي عليه السلام ـ ج ١ ـ ص ٨٠ – ٨٢.

العاص بن هشام فقط وبين علي الذي قتل في بدر وحدها خمسة وثلاثين من المشركين!! وأما أبو بكر فلم ينقل المؤرخون انه قتل واحدا من المشركين!!

ومما يُخجِل ذكره أن عمر كان يتربص بمن يسهل قتله صبرا وهو مكتوف اليدين ليقول إني قتلت فلانا!!

قالها في عبد الله بن أبي بن سلول (١)

وفي ذي الخويصرة التميمي(٢)

وفي حاطب بن ابي بلتعة(٣)

وفي أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة(٤)

وأين كانت شجاعته في ساحات الوغى ولم يذكر له المؤرخون غير قتيل واحد؟!!

وقول أمير المؤمنين عليه السلام «فصغا رجل لضغنه» وهي في الخطبة الشقشقية قد يكون المقصود سعد بن أبي وقاص لان أمه هي ابنة سفيان بن أمية بن عبد شمس وقد قتل كبارهم علي يوم بدر. وهذا يفيد أن حتى من قالوا عنه انه من العشرة المبشرة يبغض عليا بسبب أمر جاهلي! وإلا فالنسب بين المؤمنين لا بين الكافر والمسلم.

فظهر كذب ابن تيمية وتحامله على علي عليه السلام لكونه قتل الكفّار ولم يقتل من الكفار لا عمر- نسبوا له واحدا فقط- لاأبي بكر ولم يذكر لعثمان قتيل!

---

(١) تفسير الطبري – الطبري- ج٢٨ – ص١٤٥.

(٢) الدرر – ابن عبد البر – ص٢٣٤.

(٣) كنز العمال – ج١٤ – ص٦٩.

(٤) الثقات – ابن حبان- ج١ – ص١٦٩.

عمر وعداوة الكفّار له!

قال ابن تيمية «وكان عمر رضي الله عنه أشدَّ على الكفار وأكثر عداوة لهم من علي فكلامهم فيه وعداوتهم له معروفة».

قلت: أين ومتى كانت عداوتهم معروفة؟! هذا الرجل يأتي بالأباطيل، والمعروف إن الذي يضر المشركين والكافرين يكون بغضهم له أكبر، وهذا حصل مع علي والذي كان بسبب سيفه انتشار الإسلام يكون وقع اسمه على الكافرين أكبر وهذا كان بسبب علي، والذي قتل كبارهم وزعماءهم يبغضونه أكثر وهذا حاصل مع علي عليه السلام.

وحتى في اشد الظروف التي مر بها النبي في المعركة الأقسى على المسلمين في حياته، كان علي بقربه حاملا لواءه وهو يقاتل بينما ترك أبو بكر القتال ومعه عمر لظنهم إن النبي قتل[1] بينما هرب عثمان بن عفان إلى البحر مولّيا دبره للمشركين وقال عنه النبي «ذهب بها عريضة»!!

إذ روى ابن عساكر[2] وكذلك الطبري[3] وأحمد بن حنبل[4] ومن الشيعة

(١) سيرة ابن إسحاق – ص٣٣٢.

(٢) تاريخ مدينة دمشق – ابن عساكر – ج ٤٢ – ص ٧٦.

(٣) تاريخ الطبري– ابن جرير الطبري –ج٢– ص١٩٧.

(٤) فضائل الصحابة– احمد بن حنبل– ج٢ –ص٦٥٦.

رواها المفيد[١] والطوسي[٢] وغيرهم واللفظ لابن عساكر «أخبرنا أبو الحسن السلمي أنبأنا عبد العزيز بن أحمد قالا أنبأنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأطرابلسي أنبأنا خيثمة بن سليمان أنبأنا يحيى بن إبراهيم الزهري أنبأنا علي بن حكيم أنبأنا حبان بن علي عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن أبي رافع قال لما كان يوم أحد نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى نفر من قريش فقال لعلي: إحمل عليهم فحمل عليهم فقَتَل هاشم بن أمية المخزومي وفرّق جماعتهم، ثم نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جماعة من قريش فقال لعلي: إحمل عليهم فحمل عليهم ففرّق جماعتهم، فقتل فلاناً الجمحي، ثم نظر إلى نفر من قريش فقال لعلي: إحمل عليهم فحمل عليهم ففرّق جماعتهم، وقتل أحد بني عامر بن لؤي فقال له جبريل عليه السلام إن هذه المؤاساة فقال (صلى الله عليه وسلم): إنه مني وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكم يا رسول الله».

وروى الطبري[٣] «حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: فرّ عثمان بن عفان، وعقبة بن عثمان، وسعد بن عثمان - رجلان من الأنصار - حتى بلغوا الجلعب، جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص. فأقاموا به ثلاثا، ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال لهم: لقد ذهبتم فيها عريضة». وقد نزل قرآن يعاتب من ترك النبي وحده يقاتل ومن هرب بنفسه:

قال الطبري[٤] «حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني

(١) الإرشاد - المفيد - ج١- ص٨٩.

(٢) الأمالي - الطوسي- ص١٤٣.

(٣) جامع البيان - إبن جرير الطبري - ج ٤ - ص ١٩٤.

(٤) جامع البيان - إبن جرير الطبري - ج ٤ - ص ١٦١.

عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: .. وأما قوله:

﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ سورة آل عمران- من الآية١٤٧.

فإنه يقول: اجعلنا ممن يثبت لحرب عدوك وقتالهم، ولا تجعلنا ممن ينهزم فيفر منهم، ولا يثبت قدمه في مكان واحد لحربهم.

﴿ وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ سورة آل عمران- من الآية١٤٧.

يقول: وانصرنا على الذين جحدوا وحدانيتك ونبوة نبيك. وإنما هذا تأنيب من الله عز وجل عباده الذين فروا عن العدو يوم أحد وتركوا قتالهم، وتأديب لهم، يقول الله عز وجل: هلا فعلتم إذ قيل لكم: قُتِل نبيكم، كما فعل هؤلاء الربيون، الذين كانوا قبلكم من أتباع الأنبياء، إذ قتلت أنبياؤهم، فصبرتم لعدوكم صبرهم، ولم تضعفوا وتستكينوا لعدوكم، فتحاولوا الارتداد على أعقابكم، كما لم يضعف هؤلاء الربيون ولم يستكينوا لعدوهم، وسألتم ربكم النصر والظفر كما سألوا، فينصركم الله عليهم كما نصروا، فإن الله يحب من صبر لأمره وعلى جهاد عدوه، فيعطيه النصر والظفر على عدوه».

بل حفلت كتب التاريخ بالعلاقة الحميمة بين بعض الصحابة وبعض الكفار!:

وقد روى ابن أبي الحديد في شرحه[1] «كان خالد بن الوليد يُحدِّث وهو بالشام فيقول: الحمد لله الذي هداني للإسلام، لقد رأيتني ورأيت عمر بن الخطاب حين جال المسلمون وانهزموا يوم أحد وما معه أحد، وإني لفي كتيبة خشناء، فما عرفه منهم أحد غيري، وخشيت إن أغريت به من معي أن يصمدوا له، فنظرت إليه وهو متوجّه إلى الشِعْب»..

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١٥ - ص ٢٢ – ٢٣.

ومن الغريب هذه العلاقة الحميمة بين هذا الكافر وهذا (المسلم) فهما قد قطعا البوادي والقفار ليتحاربا فما الذي حصل حتى لا يقوم خالد بقتل عمر وقد رآه مولّيا؟!

ومن غريب هؤلاء المسلمين أن بعضهم ظن بأن الإسلام انتهى فذهب مهرولاً الى مكة! قال السرخسي(١) «وأمعن بعضهم في الانهزام حتى انتهى إلى مكة!» فالذي في مكة مشركون جاءوا لقتل النبي عليه الصلاة والسلام فما وجه اللجوء اليهم بعد الانهزام؟!

والقصة التي نقلها الطبري وان كانت تثبت هروب الصحابة ولكنها مشوّهة فقد نقل ابن الأثير(٢) نفس القصة بألفاظ أخرى وفيها «وقيل: إن انس بن النضر سمع نفراً من المسلمين يقولون لما سمعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل: ليت لنا من يأتي عبد الله بن أبي بن سلول ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان قبل أن يقتلونا. فقال لهم أنس: يا قوم إن كان محمد قد قُتل فإن رب محمد لم يقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد، اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، ثم قاتل حتى قتل».

وأنت ترى أن مقارنة النصين نصّ ترْك القتال من عمر وبعض الصحابة وهذا النصّ تؤدي للقول بأن الذين أرادوا اخذ الأمان من سيد المشركين هم رجال فيهم عمر وطلحه!.

وطلب الأمان ذكره الطبري فقال(٣) «عن ابن عباس: أن رسول الله صلى

(١) شرح السير الكبير – السرخسي – ج ١ – ص ١١٨.

(٢) الكامل في التاريخ – ابن الأثير – ج ٢ – ص ١٥٦ – ١٥٧.

(٣) جامع البيان – إبن جرير الطبري – ج ٤ – ص ١٥١.

الله عليه وآله وسلم اعتزل هو وعصابة معه يومئذ على أكَمة، والناس يفرون، ورجل قائم على الطريق يسألهم: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وجعل كلما مروا عليه يسألهم، فيقولون: والله ما ندري ما فعل! فقال: والذي نفسي بيده لئن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قتل لنعطينهم بأيدينا، إنهم لعشائرنا وإخواننا!»..

فهم إذن «عشائرهم وإخوانهم» فعلام الاختلاف!! والله يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الأيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ سورة التوبة ٢٣-٢٤.

وباعتراف ابن تيمية وغيره إن النبي صلى الله عليه وآله أرسل علياً ببراءة لكون العرب تعارفت أن من يقوم بالعقد والإبرام عن الرجل اقرب أهله إليه أو من كان من أهله، فهذا اعتراف بأن اقرب الناس من النبي عند الناس هو علي عليه السلام ولكون الكافرين يبغضون النبي عليه الصلاة والسلام لكونه النقيض لهم كان اقرب الناس من النبي ابغضهم من الكافرين فكان علي ذاك الرجل دون غيره!

وإلاّ فعمر حاول في احد وعند الشك في مقتل النبي صلى الله عليه وآله أن يذهب إلى المشركين ليستأمنهم ولو كانت الحال هذه له عداوة مع المشركين لما فعل ذلك.

قال ابن تيمية «فكيف ينتصر القوم لعثمان حتى سفكوا دماءهم ولا ينتصرون لمن هو أحب إليهم من عثمان وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وكيف يقاتلون مع معاوية حتى سفكت دماؤهم معه وقد اختلف عليه بنو عبد مناف ولا يقاتلون مع علي وبنو عبد مناف معه فالعباس بن عبد المطلب أكبر بني هاشم وأبو سفيان بن حرب أكبر بني أمية وكلاهما كانا يميلان إلى علي فلم لا قاتلا الناس معه إذ ذاك والأمر في أوله»[1].

الجواب:

إن القوم لم ينتصروا لعثمان إنما انتصر الناكثون لأنفسهم، فبعضهم كان يريد الأمر لنفسه وبعضهم كان يتمنّى أن يحكمهم الشيطان ولا يحكمهم علي عليه السلام، والقاسطون كانوا يسعون للخلافة، وأما العباس فهو عم النبي وعلى أكتافهم قام الإسلام فلا يريد أن يكون أول من يُدخل عليه الوهن بالاختلاف والعرب قد انتقضت على المسلمين وأما أبو سفيان فقد أراد ذلك بقوله «أرضيتم يا بني عبد مناف أن يلي عليكم تيمي والله لأملأن الوادي خيلا ورجل»[2].

ولكن حكمة علي أبت أن تماثل من غلبتهم شهوة السلطة والتملك والجاه على حساب مصلحة الإسلام، فترك الدنيا لأهلها. وإنما هي متاع قليل عند أمثال علي عليه السلام.

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٢٨١.

(٢) المواقف - الإيجي - ج ٣ - ص ٥٩٦.

معاوية خير من محمد بن أبي بكر

قال ابن تيمية في محمد بن أبي بكر «فمعاوية كان أعظم جاها ورياسة ومنزلة منه بل معاوية خير منه وأعلم وأدين وأحلم وأكرم فإن معاوية رضي الله عنه روى الحديث وتكلم في الفقه وقد روى أهل الحديث حديثه في الصحاح والمساند وغيرها وذكر بعض العلماء بعض حديثه في الصحاح والمساند وغيرها وذكر بعض العلماء بعض فتاويه وأقضيته وأما محمد بن أبي بكر فليس له ذكر في الكتب المعتمدة في الحديث والفقه»[1].

الجواب:

كيف يكون معاوية راويا فقيها وأعلم وأدين من ربيب علي عليه السلام وقد أوصى النبي بقتله بحديث ورد بعدة طرق حسّن الدكتور حسن المالكي[2]

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٢٨٦.

(٢) السلفيّون مغرمون بان ينسبوا كل ما يكرهونه الى (الرافضة) فالقول بتكفير معاوية والأمر النبوي بقتله ينسلّون منه ويدّعون أن الشيعة روته في «الكافي»!! يقول الألباني «فإننا لا نزال نرى بعض الشيعة في العصر الحاضر يروون مثل هذه الأحاديث، ويحتجون بها على تكفير معاوية رضي الله عنه مثل المعلق على كتاب " أصول الكافي " للكليني المتعبد لغير الله، المسمى بعبد الحسين المظفر، فإنه كتب ؛ بل سود صفحتين كاملتين في لعن معاوية وتكفيره، وأن النبي ←

الحديث على أساسها فقال «الحديث الأول: حديث أبي سعيد: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه.

هذا الحديث قد يظنه أكثر طلبة العلم حديثاً موضوعاً لا يُعرف له إسناد مع أنه سيتبين أنه أقوى من كل الأحاديث الضعيفة التي يصحّحونها في فضل الرجل، وهو حديث أقل ما يقال عنه أنه حديث حسن وإلا تناقضنا وخالفنا قواعد أهل الحديث، بل هو صحيح بمجموع طرقه الآتية لكنه يبقى حديث آحاد، وقد روي بأسانيد بعضها حسن لذاته ولا ينزل الحديث بهذه الأسانيد عن رتبة الحسن عند المتشددين من المحدثين، وهو مروي عن أبي سعيد الخدري وسهل بن حنيف وابن مسعود وجابر ابن عبد الله وجماعة من أهل بدر والحسن البصري مرسلاً:

أولاً: حديث أبي سعيد الخدري، وروي عنه من طريقين، أحد الطريقين يصحح به ابن تيمية منفرداً لكن في أحاديث أخرى:

الطريق الأول: أبو نضرة عن أبي سعيد: رواه جماعة من الثقات عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري. ولهذا متابعة من طريق عثمان بن جبلة عن عبد الملك عن أبي نضرة عن أبيه عن أبي سعيد.

صلى الله عليه وسلم أخبر بموته على غير السنة، وأنه أمر بقتله، ساق في تأييد ذلك ما شاء له هواه من الآثار الموضوعة والأحاديث الباطلة، منها هذان الحديثان الباطلان، ولذلك بادرت إلى بيان حالهما نصحا لناس، وغالب الظن أن عبد الحسين هذا لا يعلم حال إسنادهما، ولئن علم فما يمنعه ذلك من الاحتجاج بهما مع بطلانهما لأن الغاية عند أمثاله تبرر الوسيلة، والغاية لعن معاوية وتكفيره ولو بالاعتماد على الأحاديث الموضوعة» سلسلة الاحاديث الضعيفة- الألباني- ج٣ - ص١٩٦. وأنت ترى بأن حسن المالكي أحد شيوخهم المنصفين نوعا ما وهو يؤكد حسن الحديث ويحكم بكفر معاوية ونفاقه!.

أما الطريق الثانية... عن أبي سعيد: فروي من طريق مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد. وهذا تفصيل الحكم على هذه الأسانيد: طريق علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد: هذا الإسناد ضعيف لوجود علي بن زيد بن جدعان التيمي البصري وإن كان من رجال مسلم إلا أنه ضعيف ـ كما قال الحافظ في التقريب ـ ولسنا إن شاء الله ممن يأخذه الهوى إلا في طلب الحقيقة ولو كنا ممن يجامل على حساب الحقيقة لقلنا أن هذا الإسناد على شرط مسلم فرجاله رجال مسلم ومن المحدثين من يصحح ما هو دون هذا بكثير وابن تيمية ـ مع منافحته عن معاوية ـ ممن يصحِّح لعلي بن زيد هذا، فهذا حجة عليه. ثم يضاف لهذا انه قد توبع علي بن زيد عن أبي نضرة برواية عبد الملك بن أبي نضرة.

فرواه ابن حبان في المجروحين عن أحمد بن محمد الفقيه عن أبيه وعمه عن جده عن يحيى بن عثمان عن عثمان بن جبلة عن عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه عن أبي سعيد، وهذا الإسناد ضعيف جداً، فشيخ ابن حبان أحمد بن محمد بن مصعب بن بشر بن فضالة بن عبدالله بن راشد أبو بشر الفقيه متهم بالوضع وقلب الأسانيد ومثله لا يقبل لا في المتابعات ولا الشواهد.

لكن الإسناد حسن لغيره لا سيما مع الطريق الثاني وبشواهد الحديث الكثيرة التي ستأتي: وللحديث متابعة عن أبي سعيد: فقد روى الحديث جمع عن مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدري. قلت: وهذا الإسناد ضعيف جداً، فمجالد هذا توقف فيه الذهبي وقال عنه ابن حجر: (ليس بالقوي). قلت: لو كنت مقويّاً الأسانيد بالتقليد لقويته، والصواب عندي أن مجالد ضعيف جداً ورأي الشيخ في مجالد أفضل من هذا فهو ممن يقبل متابعاته. أما أبو الوداك (جبر بن نوف) فهو ثقة صدوق من رجال مسلم وأصحاب السنن، قال عنه ابن حجر في

التقريب (صدوق ربما يهم) والصواب أنه ثقة أو صدوق مطلقاً.

أقول: وعلى هذا إن كان مجالد كما يقول ابن حجر (ليس بالقوي) فهذا ضعف غير شديد يرتقي به هذا الإسناد إلى الحسن لغيره لكن الصواب عندي في مجالد أنه ضعيف جداً وقد بحثته وظهر لي ضعفه الشديد ـ إن لم أقل كذبه ـ ولا أقبل حديث مجالد لا في المتابعات ولا في الشواهد فقد جربت عليه أخطاء كثيرة أكاد أجزم بأنه يكذب، وكنت لو أريد مجرد التصحيح ـ بلا حجة ولا اقتناع ـ لاعتمدت على الذهبي والحافظ ابن حجر ولاستطعت بهذا الاعتماد أن أقول: الإسناد الأول حسن والثاني حسن لغيره لكن الصواب أن الأول ضعيف لذاته حسن لغيره ـ مما سيأتي ـ أما هذا الإسناد إسناد مجالد فهو ضعيف جداً، والحديث قوي بطرق أخرى ستأتي.

ثانياً: حديث ابن مسعود: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه والإسناد ـ إلى ابن مسعود ـ قوي: وقد روي عنه الحديث: (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه) من طريق عاصم ابن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبدالله بن مسعود، وروي عن عاصم من أربع طرق:

الطريق الأول: رواه ابن حبان في المجروحين قال: أخبرنا الطبري عن محمد بن صالح ثنا عباد يعقوب الرواجني عن شريك عن عاصم عن زر عن عبدالله. أقول: هذا الإسناد حسن فعباد بن يعقوب من رجال البخاري وهو ثقة شيعي (والتشيع مع الصدق ليس جرحاً – كما قرر الشيخ السعد نفسه– وقد توبع) وشريك صدوق ـ وقد توبع ـ وكذلك عاصم صدوق أما زر بن حبيش فثقة جليل وابن مسعود صحابي كبير.

الطريق الثاني والثالث: رواها الحكم بن ظهير عن عاصم بن أبي النجود عن زر ابن حبيش عن عبدالله بن مسعود فذكره.

أقول: الإسناد ضعيف جداً لوجود الحكم بن ظهير (متروك ورمي بالرفض) أما عاصم فصدوق وزر بن حبيش ثقة وابن مسعود صحابي كبير.

لكن الحكم هذا قد توبع من شريك وسلام أبي المنذر (وهو الطريق الثالث) فأصبح الحديث حسناً بهذا الطريق، ولو لم يتابع الحكم لكان الإسناد ضعيفاً جداً. تنبيه مهم: ينبغي التنبيه إلى أن كثيراً من التضعيفات التي لحقت الشيعة الأوائل كانت بسبب روايتهم هذه الأحاديث الثابتة التي أصبحت غريبة عند العلماء المرضي عنهم من السلطات في عهد الدولتين الأموية والعباسية، أما في عهد الدولة الأموية فواضح سبب منع مثل هذه الأحاديث وأما في عهد الدولة العباسية فإن رواة هذه الأحاديث غالباً يكونون من أنصار آل علي في الثورات على العباسيين فلذلك يهمُّ الدولة العباسية ألا يخرج من هؤلاء قدوة تزحف خلفه الجماهير، أو تثق في فتواه إذا أفتى بالخروج مع الثائرين من آل علي.

ثالثاً: حديث جابر بن عبدالله روى سفيان بن محمد الفزاري عن منصور بن سلمة (ولا بأس بمنصور) عن سليمان بن بلال (ثقة) عن جعفر بن محمد (وهو ثقة) عن أبيه (ثقة) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه مرفوعاً (إذا رأيتم فلاناً. قلت: هذا الإسناد ضعيف جداً لوجود سفيان بن محمد.

رابعاً: حديث سهل بن حنيف وسنده حسن: رواه ابن عدي قال: حدثنا علي بن سعيد حدثنا الحسين ابن عيسى الرازي حدثنا سلمة بن الفضل حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف

عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا رأيتم فلاناً على المنبر فاقتلوه».

أقول: الإسناد حسن؛ رجاله ثقات إلا ابن إسحاق صدوق وهو من كبار علماء المغازي ومن رجال مسلم والسنن الأربعة. أما شيخه محمد بن إبراهيم التيمي فهو ثقة من رجال الجماعة وشيخه أبو أمامة ابن سهل بن حنيف فمعدود في الصحابة فالإسناد أقل أحواله الحسن، وقد يعكر عليه عنعنة ابن إسحاق لكن مسلم قبل عنعنات ابن إسحاق في صحيحه. أما تلميذ ابن إسحاق فهو راويته سلمة بن الفضل الأبرش فهو (صدوق كثير الخطأ) لكن العلماء قبلوا روايته عن ابن إسحاق ومنها كتب السيرة التي رواها عن شيخه ابن إسحاق فهو من المختصين به، حتى قال جرير بن عبد الحميد: (ليس من لدن بغداد إلى أن تبلغ خراسان أثبت في ابن إسحاق من سلمة بن الفضل إذن فإن كان يخطئ كثيراً فهو في غير أحاديثه عن ابن إسحاق. أما تلميذ الأبرش فهو الحسين بن عيسى بن ميسرة الرازي الحارثي (صدوق، وتلميذه علي بن سعيد شيخ ابن عدي إن كان العسكري فهو ثقة وإن كان الرملي ففيه ضعف وقد قال فيه الذهبي (الحافظ البارع)، لا سيما والآخذ عنه هو ابن عدي وهو من المتثبتين في الأخذ.

أقول: فالحديث حسن الإسناد ويصبح الحديث صحيحاً لغيره بهذا الإسناد إن شاء الله، خاصة وأن له شواهد بعضها حسن الإسناد لذاته كما في حديث ابن مسعود. وهو أقوى من حديث ابن أبي عميرة»[١].

وقد كان الناس يحفظون هذا الحديث وأمثاله في زمانه لك معاوية ولكنهم كانوا يخافون البوح به خوف التعذيب والقتل!

(١) مع الشيخ عبد الله السعد في الصحبة والصحابة – حسن بن فرحان المالكي.

إذن فحديث الوصية النبوية بقتل معاوية إذا ارتقى منبر رسول الله صحيح أو حسن (والحُسن من درجات الصحّة).

وأمثال هذه الأحاديث التي تفضح معاوية وتفخيمهم له كانت تروى في الزوايا المظلمة خوفاً من تعذيب معاوية وقتله، روى ابن حبان في صحيحه والهيثمي[1] واللفظ له «أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع، حدثنا عبيد الله بن معاذ بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا عاصم بن محمد، عن عامر بن السمط، عن معاوية بن إسحاق بن طلحة قال حدثني ثم استكتمني أن أحدث به ما عاش معاوية ـ فذكر عامر قال: سمعته وهو يقول: حدثني عطاء بن يسار وهو قاضي المدينة قال: سمعت ابن مسعود وهو يقول: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "سيكون أمراء من بعدي يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، لا إيمان بعده". قال عطاء: فحين سمعت الحديث منه انطلقت إلى عبد الله بن عمر فأخبرته، فقال: ائت سمعت ابن مسعود يقول هكذا؟ كالمدخل عليه في حديثه. قال عطاء: فقلت: هو مريض، فما يمنعك أن تعوده؟ قال: فانطلق بنا إليه. قال فانطلق وانطلقت معه، فسأله عن شكواه، ثم سأله عن الحديث قال: فخرج ابن عمر وهو يقلب كفه، وهو يقول: ما كان ابن أم عبد يكذب على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم».

فالراوي استكتم السامع أن لا يحدث بالخبر عنه طوال حكم معاوية لأن معاوية من هؤلاء الذين أمر النبي صلى الله عليه وآله بمجاهدتهم باليد واللسان والقلب!

---

(١) موارد الظمآن ـ الهيثمي ـ ج ٥ ـ ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

ليس للشيعة دليل على إيمان علي عليه السلام وإمامته

قال ابن تيمية «أما أهل السنة فأصلهم مستقيم مطّرد في هذا الباب وأما أنتم فمتناقضون، وذلك أن النواصب من الخوارج وغيرهم الذين يكفرون عليا أو يفسقونه أو يشكون في عدالته من المعتزلة والمروانية وغيرهم لو قالوا لكم: ما الدليل على إيمان علي وإمامته وعدله؟ لم يكن لكم حجة فإنكم إن احتججتم بما تواتر من إسلامه وعبادته، قالوا لكم: وهذا متواتر عن الصحابة والتابعين والخلفاء الثلاثة وخلفاء بني أمية كمعاوية ويزيد وعبد الملك وغيرهم وأنتم تقدحون في إيمانهم فليس قدحنا في إيمان علي وغيره إلا وقد حكم في إيمان هؤلاء أعظم والذين تقدحون أنتم فيهم أعظم من الذين نقدح نحن فيهم»[1].

الجواب:

انتم تحتجون بإجماع الأمة، وبقوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ (النساء:١١٥).

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية– ابن تيمية – ج٢ – ص٢٩١.

فالأمة مختلفة على أبي بكر فشطر عظيم من الأمة وهم الإمامية لا تقر لكم بما سودتم الصحف مما أسميتموه فضائل وهي أخبار مختلقة رويت في زمان معاوية وبني أمية، وأما معاوية فشطر عظيم من الأمة منهم أمامية ومنهم معتزلة (والمعتزلة في هذا الباب من أهل السنة كما اقر ابن تيمية)[1] يقولون بنفاق معاوية[2] وأما باقي خلفاء بني أمية فالنصب والنفاق بل الزندقة في بعضهم كان فاشيا معروفا في الأمة واردا في إخبار النبي صلى الله عليه وآله. بينما قام الإجماع على كون علي

---

(١) وغير ابن تيمية من وهابية هذا الزمان قال صالح آل الشيخ «المقصود أنّ الأشاعرة والماتريدية خلاف أهل السنة ولا يدخلون في السنة والجماعة وإنْ زعموا، ولا يدخلون في اتباع الأثر والحديث لكن بالنظر إلى المعتزلة هم من أهل الأثر، والحديث بالنظر على المعتزلة وهم من أهل السنة بالنظر إلى الرافضة» الأجوبة الجلية عن العقيدة الواسطية – صالح آل الشيخ.

(٢) نقل ابن ابي الحديد عن موفقيات الزبير بن بكار «قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه، فيتحدث معه، ثم ينصرف إلي فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتّما فانتظرته ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لي أراك مغتمّا منذ الليلة؟ فقال: يا بني، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به. إنك قد بلغت سنا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلا، وبسطت خيرا فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه، فقال: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدى، فاجتهد وشمر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات: (أشهد أن محمدا رسول الله)، فأي عملي يبقى، وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك! لا والله إلا دفنا دفنا». شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد – ج ٥ – ص ١٢٩ – ١٣٠.

عليه السلام من السابقين وقال بعضهم وهم الأمامية وقسم من المعتزلة بأنه خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله بل قد قال المعتزلة[١] «أما علي عليه السلام فإنه عندنا بمنزلة الرسول صلى الله عليه وآله في تصويب قوله، والاحتجاج بفعله، ووجوب طاعته، ومتى صحَّ عنه إنه قد بريء من أحد من الناس برئنا منه كائنا من كان».

وإجماع الأمة حجة.

وأما قوله «فليس قدحنا في إيمان علي وغيره إلا وقد حكم في إيمان هؤلاء أعظم والذين تقدحون أنتم فيهم أعظم من الذين نقدح نحن فيهم» فهي محاولة المفلس الذي لم يجد أي دليل يسعفه سوى ربط قضية ثابتة بأخرى باطلة وواضحة وضوح الشمس لولا انتكاس القلوب.

وقوله «حجة فإنكم إن احتججتم بما تواتر من إسلامه وعبادته، قالوا لكم: وهذا متواتر عن الصحابة والتابعين والخلفاء الثلاثة وخلفاء بني أمية كمعاوية ويزيد وعبد الملك وغيرهم».

إن ما يقوله ابن تيمية هنا وارد عليه عن كان واردا على الشيعة، وسينكر طبعا انه وارد عليه وبالتالي ناقض نفسه في كونه اثبته للشيعة! لكونه إن كان كل قول يقابل قولا حكمنا بكونهما إما ثابتان وإما باطلان كان قول النصارى مقابل قول المسلمين! وقول اليهود مقابل قول المسلمين! وقول الأشاعرة مقابل قول السلفية وهذا باب مطّرد ولن يبقى حجر على حجر!

فالمسألة إذن ليس كما يريد أن يوحي من اتبع المتشابه ابتغاء الفتنة والتأويل،

---

(١) شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد – ج ٢٠ – ص ٣٥.

بل هناك قول له دليل وهذا الدليل اتفقت عليه الأمة لكنها اختلفت في المراد منه كما هو حال الشيعة مع أدلة إمامة علي عليه السلام وأدلة التبديل الذي حصل بعد النبي عليه الصلاة والسلام فهذا متفق على وجوده في أمّهات الكتب السنية والشيعية واختلف في جزئياته واختلف في بعض المراد منه، لكن ما نقله من إيرادات خارجية وناصبيه - مع كون هذه الآراء كانت ميتة زمان ابن تيمية وشرط الفرقة المحقة أن تبقى الى يوم القيامة كما أخبر الصادق المصدوق- لن تثبت أمام قول الشيعة والسنة في علي فإن كان ابن تيمية يرى قوة هذه الآراء فهذا يتناقض مع ما يذهب اليه –ظاهرا- من كونه إمام رابع شرعي الخلافة، وإن كان ما نقله ابن تيمية باطلا عنده فهو عندنا أظهر بطلانا! فكيف يحتج به علينا؟!

ثم ماذا يعني بقوله «والذين تقدحون أنتم فيهم أعظم من الذين نقدح نحن فيهم» والكلام هنا بشأن علي أمير المؤمنين عليه السلام أليس هذا هو النصب الجلي؟!

ابن تيميّة يعود للمغالطات كلما أعوزته النصوص

قال ابن تيمية «وإن احتججتم بما في القران من الثناء والمدح قالوا: آيات القران عامة تتناول أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم مثل ما تتناول عليا أو أعظم من ذلك وأنتم قد أخرجتم هؤلاء من المدح والثناء فإخراجنا عليا أيسر، وإن قلتم بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضائله، قالوا: هذه الفضائل روتها الصحابة الذين رووا فضائل أولئك فإن كانوا عدولا فاقبلوا الجميع وإن كانوا فسّاقا فإن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وليس لأحد أن يقول في الشهود إنهم إن شهدوا لي كانوا عدولا وإن شهدوا علي كانوا فسّاقا أو إن شهدوا بمدح من أحببته كانوا عدولا وإن شهدوا بمدح من أبغضته كانوا فساقا».

الجواب:

إن الإجماع على علي والاختلاف على غيره اكبر دليل على ما نقول، وهذه قاعدة الإلزام وهي جزما لم تغب عن بال ابن تيمية! فالآيات النازلة بحقه متّفق عليها إلا ما شذ من الآراء، والروايات النبوية بحقه متّفق عليها إلا ما شذ من الآراء، بينما اختلفت الأمة اختلافا عظيما على ما نُسب إلى أبي بكر وعمر من

موارد نزول الآيات والروايات المختلقة فرفضها جمع كبير من الأمة واختلفوا في آخر واثبت بعضهم بعضها بتناقض كبير واختلاف. وأين هذا مما تسالموا على ذكره في أمير المؤمنين.

وأما ربط إثبات الأحاديث وموارد النزول في نفس الرواة فنقول إننا نروي ذلك على سبيل الإلزام، وإلا فهذه الروايات وموارد نزول الآيات موجودة بأسانيد صحيحة عن طريقنا بما نستغني به عن غير طرقنا، وإنما لما رويتم مثلها وطابقتمونا احتججنا بها عليكم.

قال ابن تيمية «وأما إمامة علي فهؤلاء ينازعونكم في إمامته هم وغيرهم فإن احتججتم عليهم بالنصِّ الذي تدّعونه كان احتجاجهم بالنصوص التي يدّعونها لأبي بكر بل العباس معارضا لذلك ولا ريب عند كل من يعرف الحديث أن تلك أولى بالقبول والتصديق، وكذلك يستدل على تصديقها بدلالات كثيرة يعملها من ليس من علماء أهل الحديث وإن احتججتم بمبايعة الناس له قالوا: من المعلوم أن الناس اجتمعوا وأنتم قد قدحتم في تلك البيعة فالقدح في هذه أيسر فلا تحتجون على إمامة علي بنصّ ولا إجماع إلا كان مع أولئك من النصّ والإجماع ما هو أقوى من حجتكم فيكون إثبات خلافة من قدحتم في خلافته أولى من إثبات خلافة من أثبتم خلافته وهذا لا يرد على أهل السنة فإنهم يثبتون خلافة الخلفاء كلهم ويستدلون على صحة خلافتهم بالنصوص الدالة عليه ويقولون إنها انعقدت بمبايعة أهل الشوكة لهم وعلى مبايعه أهل الشوكة وإن كانوا لم يجتمعوا عليه كما اجتمعوا على من قبله»[1].

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية– ابن تيمية – ج٢ – ص٢٩١.

الجواب:

إن الإشكال لا يتطرق إلينا أصلاً، فابن تيمية تكلّم وأسرف على مبانيه أما على القول بالنصّ الإلهي فلا يتطرق له التشكيك بمبايعة فلان ونقض فلان وامتناع غيره.

ثم إن النصوص التي نختلف عليها في علي نختلف مع السنّة في مفهومها ولا نختلف في كونها قيلت فيه بل الكل مجمع على ذلك حتى الخوارج (مع أنهم خارجون إجماعاً من الإسلام بشهادة رواية مروقهم من قبل الفريقين)

وإنما حصل الاختلاف في علي من جهة تفسير معنى الروايات ومعاني الآيات أما اختلافنا في الباقين ففي المفهوم والمصداق فنحن لا نقرّ أصلاً بوجود هكذا روايات وفضائل ونصوص، فالفرق وواضح ولا يلزمنا الإشكال.

وأما قوله «ولا ريب عند كل من يعرف الحديث أن تلك أولى بالقبول والتصديق» وأين ما ادعي في إمامة العبّاس حتى يكون مقابلا لما روي في صحاحكم من حديث التطهير أو حديث الثقلين وغيرها وحديث المنزلة وحديث الدار وبيعة الغدير؟! وإنما هو النصب.

أما قوله «وهذا لا يرد على أهل السنة فإنهم يثبتون خلافة الخلفاء كلهم ويستدِّلون على صحة خلافتهم بالنصوص الدالة عليه ويقولون إنها انعقدت بمبايعة أهل الشوكة لهم وعلى مبايعه أهل الشوكة وإن كانوا لم يجتمعوا عليه كما اجتمعوا على من قبله»

فأقول:

إن تصحيح الخلافة بإجماع أهل الشوكة بدعة في الإسلام هدمت مبانيه

وأسَّست لجاهلية جديدة استمرت حتى يومنا هذا، عن طريق انقلابات عسكرية يقوم بها (شاويش) هنا، و(عقيد) هناك، وإلا فلو كان نكث البيعة من بعضهم وظلم البعض الآخر يضرُّ في صحّة الخلافة، لكان ضرُّها اكبر في عصيان سعد بن عبادة وشطر كبير من المسلمين في بيعة أبي بكر إلى أكثر من ستة أشهر حتى بايع أمير المؤمنين خوفا على الإسلام وهو يعلم أن البيعة ليست قضية ملكا للإمام حتى تصحّ خلافة أبي بكر لو بايع فالخلافة منصب ألهي يعطيه الله لمن يشاء، وإنما قصد بالبيعة مظهرها الخارجي حتى لا تعتقد القبائل أن خلافا في البيت الإسلامي وتتربص بهم الدوائر، فهل تقولون بعدم انعقاد بيعة أبي بكر إلى ما بعد ستة أشهر؟

مع أن البيعة الوحيدة التي تمت شرعا على مباني القوم هي بيعة علي عليه السلام! فقد كانت بيعة عامة وصفها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله «فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إلي ينثالون علي من كل جانب. حتى لقد وُطيء الحسنان. وشُق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم»[1].

---

(١) نهج البلاغة ـ خطب الإمام علي عليه السلام ـ ج ١ ـ ص ٣٥ – ٣٦.

ابن تيمية: ليس في الصحاح ما يدل على خلافة علي

قال ابن تيمية «وأما تخلّف من تخلّف عن مبايعته فعذرهم في ذلك أظهر من عذر سعد بن عبادة وغيره لما تخلفوا عن بيعة أبي بكر وإن كان لم يستقر تخلف أحد إلا سعد وحده وإما علي وغيره فبايعوا الصدِّيق بلا خلاف بين الناس لكن قيل إنهم تأخروا عن مبايعته ستة أشهر ثم بايعوه وهم يقولون للشيعة: علي إما أن يكون تخلف أولا عن بيعة أبي بكر ثم بايعه بعد ستة أشهر كما تقول ذلك طائفة من أهل السنة مع الشيعة وإما أن يكون بايعه أول يوم كما يقول ذلك طائفة أخرى، فإن كان الثاني بطل قول الشيعة إنه تخلف عن بيعته وثبت أنه كان من أول السابقين إلى بيعته وإن كان الأول فعذر من تخلف عن بيعة على أظهر من عذر من تخلف عن بيعة أبي بكر لأن النص والإجماع المثبتين لخلافة أبي بكر ليس في خلافة علي مثلها فإنه ليس في الصحيحين ما يدل على خلافته وإنما روى ذلك أهل السنن وقد طعن بعض أهل الحديث في حديث سفينة وأما الإجماع فقد تخلّف عن بيعته والقتال معه نصف الأمة أو أقل أو أكثر. والنصوص الثابته عن النبي صلى الله عليه وسلم تقتضي أن ترك القتال كان خيرا للطائفتين وأن القعود عن القتال كان خيرا من القيام فيه وأن عليا مع كونه أولى بالحق من معاوية وأقرب إلى الحق عن معاوية لو ترك القتال لكان أفضل وأصلح وخيرا وأهل السنة يترحمون

على الجميع ويستغفرون لهم كما أمرهم الله تعالى بقوله:

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحشر:١٠»)[(١)].

الجواب:

غريب أمر النواصب المتسترين بالتقيّة، فهم لا يعلنون نصبهم جهارا ولكنهم لا يدعون مناسبة لإعلاء صوت أي كان على علي وأهل بيته إلّا قالوه بطرق ملتوية تارة، ومباشرة تارة أخرى. وإلّا فكيف يكون عذر من نصّت النصوص على أنهم بغاة وناكثين اظهر من عذر من رأى اتّباع نصّ النبي على علي؟!

وابن تيمية يقول بتوبة عائشة عن خروجها فإن تابت عن ذنب فهذا اعتراف بأنها لا عذر لها أصلا فضلا عن ظهور حجتها على حجة سعد بن عبادة كما يدعي.

وان لم تتب فلم قال بأنها تابت؟

وأما غيرها فقد بايعوا بيعة شرعية ونكثوا بيعتهم وخرجوا على الإمام الشرعي، وأما معاوية فلو كان كلامه صحيحا وانه أراد القصاص من قتلة عثمان فهلا حاسبهم بعد ما استتم له الأمر؟فلمّا لم يحاسب احدا من الذين قاتل الامة بسببهم (كما يزعم) بحجة المطالبة بدم عثمان علمنا أنه قاتل للسلطة والطغيان.

قال ابن أبي الحديد (وهو من أهل السنة بمسألة الخلافة) «قلت: لو تأمل

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٢٩٢.

الحكمان الكتاب حق التأمل، لوجدا فيه النصّ الصريح على صحَّة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، لان فيه النصّ الصريح على أن الإجماع حجة، ومعاوية لم يكن مخالفا في هذه المقدمة ولا أهل الشام، وإذا كان الإجماع حجة، فقد وقع الإجماع لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله، على أن اختيار خمسة من صلحاء المسلمين لواحد منهم وبيعته توجب لزوم طاعته وصحة خلافته، وقد بايع أمير المؤمنين عليه السلام خمسة من صلحاء الصحابة بل خمسون فوجب، أن تصحَّ خلافته، وإذا صحَّت خلافته نفذت أحكامه، ولم يجب عليه أن يقيد بعثمان، إلا إن حضر أولياؤه عنده، طائعين له مبايعين، ملتزمين لأحكامه، ثم بعد ذلك يطلبون القصاص من أقوام بأعيانهم يدعون، عليهم دم المقتول، فقد ثبت أن الكتاب لو تؤمل حق التأمل لكان الحق مع أهل العراق، ولم يكن لأهل الشام من الشبهة ما يقدح في استنباطهم المذكور»[1].

وقال معقبا على كلام لأمير المؤمنين عليه السلام «قال أصحابنا المعتزلة رحمهم الله: هذا الكلام حق وصواب، لان أولياء الدم يجب أن يبايعوا الإمام ويدخلوا تحت طاعته، ثم يرفعوا خصومهم إليه، فان حكم بالحق استديمت إمامته، وإن حاد عن الحق انقضت خلافته، وأولياء عثمان الذين هم بنوه لم يبايعوا عليا عليه السلام، ولا دخلوا تحت طاعته ثم، وكذلك معاوية ابن عم عثمان لم يبايع ولا أطاع، فمطالبتهم له بأن يقتص لهم من قاتلي عثمان قبل بيعتهم إياه وطاعتهم له ظلم منهم وعدوان»[2].

وما فعلته عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وابن العاص كان نكثا من

---

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٨ - ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٢) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١٤ - ص ٣٧.

بعضهم، وبغيا من الآخر، ونفاقا وطلبا للملك من طغام الشام وطاغيتهم ولو كان هدفهم جلب قتلة عثمان للعدالة فما شأن عائشة وطلحة وولي الدم وهما من بني تيم؟! وما دخل الزبير وهو من بني زهرة؟! أما معاوية فلا دخل له بوجود أبناء عثمان لأن عثمان وعلي من بني عبد مناف، فوجب أن يبايع كل الناس ثم يحتكمون في الدم للإمام فيقضي به.

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١١٥) سورة النساء.

أتركوا لنا معاوية ونترك لكم عليّا!

قال ابن تيمية «وأما الرافضي فإذا قدح في معاوية رضي الله عنه بأنه كان باغيا ظالما قال له الناصبي: وعلي أيضا كان باغيا ظالما لما قاتل المسلمين على إمارته وبدأهم بالقتال وصال عليهم وسفك دماء الأمة بغير فائدة لهم لا في دينهم ولا في دنياهم، وكان السيف في خلافته مسلولا على أهل الملَّة مكفوفا عن الكفار، والقادحون في علي طوائف طائفة تقدح فيه وفيمن قاتله جميعا وطائفة تقول فسق أحدهما لا بعينه كما يقول ذلك عمرو بن عبيد وغيره من شيوخ المعتزلة ويقولون في أهل الجمل فسق إحدى الطائفتين لا بعينها وهؤلاء يفسقون معاوية وطائفة تقول هو الظالم دون معاوية كما يقول ذلك المروانية وطائفة تقول كان في أول الأمر مصيبا فلما حكم الحكمين كفر وارتد عن الإسلام ومات كافرا»[(١)].

الجواب:

علي لم يقاتل المسلمين على إمارته، فأما أصحاب الجمل فقد خرجوا عليه ونكثوا بيعته وقتلوا عماله ونكلوا بهم فقاتلهم اقتصاصا منهم.

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية– ابن تيمية – ج٢ – ص٢٩٢.

وما قاله ابن تيمية «وبدأهم بالقتال وصال عليهم» إلا كذبا وبهتانا فابن تيمية الذي يحاول نقل حجة الناصبي فإذا كانت حجة الناصبي ساقطة أصلا على مذهب أهل السنة والشيعة فلمَ يوردها؟! وان كانت قائمة فهي إذن تُسقط خلافة علي على رأي السنة والشيعة بينما إجماع المسلمين حجة على مبانيهم فبأيها يقول؟!

وأين من اختلف الناس به أول المؤمنين بعد النبي أم لا، ممن اختُلف في إسلامه، بل أين من اختُلف في خلافته بعد النبي أم لا ممن صحّ عن النبي صلى الله عليه وآله الوصية بقتله على المنبر؟!

واغرب كلامه قوله «والقادحون في علي طوائف طائفة تقدح فيه وفيمن قاتله جميعا وطائفة تقول فسق أحدهما لا بعينه كما يقول ذلك عمرو بن عبيد وغيره من شيوخ المعتزلة ويقولون في أهل الجمل فسق إحدى الطائفتين لا بعينها وهؤلاء يفسقون معاوية وطائفة تقول هو الظالم دون معاوية كما يقول ذلك المروانية وطائفة تقول كان في أول الأمر مصيبا فلما حكم الحكمين كفر وارتد عن الإسلام ومات كافرا»

فلم يا ترى ينسق ابن تيمية كلاما في قدح الإمام ولم ينقل ولا مرة كلاما في مدحه اليس هم يقولون نحن أولى بكم من علي فأين منزلته عندكم إذا كانت كل حجج النواصب اظهر من الشيعة؟

ولم لم يقل: والمادحون لعلي طوائف منهم من يقول بنفاق وحرب كل من خرج على الإمام وهم الشيعة والمعتزلة وبعض الأشاعرة ومنهم من يقول هو محق والباقي بغاة متأولون مخطئون!

أليس هذا أليق بمن يدّعي تولّي الإمام؟!

الخلفاء ثلاثة فقط، لكن علياً أيضا خليفة!!

قال ابن تيمية «وروي عن الشافعي وغيره أنهم قالوا: الخلفاء ثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان وما جاءت به الأخبار النبوية الصحيحة حق كله فالخلافة التامة التي أجمع عليها المسلمون، وقوتل بها الكافرون وظهر بها الدين كانت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وخلافة علي اختلف فيها أهل القبلة ولم يكن فيها زيادة قوة للمسلمين ولا قهر ونقص للكافرين ولكن هذا لا يقدح في أن عليا كان خليفة راشدا مهديا ولكن لم يتمكن كما تمكن غيره ولا أطاعته الأمة كما أطاعت غيره فلم يحصل في زمنه من الخلافة التامة العامة ما حصل في زمن الثلاثة مع أنه من الخلفاء الراشدين المهديين»(1).

الجواب:

إما ما نقله عن الشافعي فكذب وإلاّ فأين مصدر الكلام وما قيمة كلام يقوله بلا مصدر وبينه وبين الشافعي خمسة قرون؟!!

لكن المحفوظ عن الشافعي خلاف ذلك فهو يرى أفضلية علي عليه السلام في عدله إذ يقول «وقسم أبو بكر حتى لقى الله فسوى بين الحر والعبد ولم يفضل بين أحد بسابقة ولا نسب ثم قسم عمر فألغى العبيد وفضل بالنسب والسابقة ثم

(1) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢- ص٢٩٩.

قسم على فألغى العبيد وسوى بين الناس وهذا أعظم ما يلي الخلفاء وأعمه وأولاه أن لا يختلفوا فيه»[١].

وهذا نص قاطع على عموم عدل علي وعلى جور من قبله عند الشافعي!

على أن التفصيل في القول بمن هو افضل خاضع لجدل عنيف عند أهل السنة (اشاعرة ومعتزلة وماتريدية وراوندية وسلفية) منذ القرن الأول وذلك لكون الفقهاء عندهم يفتون حسبما يشتهي الخلفاء فإذا كان الخليفة مصاهرا لبيت عمر رووا له ما يشفي غليله من فضائل عمر وعدله! وإن صاهر بيت أبي بكر رووا له ما يكتفي من نصرته للنبي عليه الصلاة والسلام! وإن كان الخليفة من بني أمية فأنعم به فعثمان الحييّ وحياءه يضرب به المثل- يظهر أنهم قالوا ذلك لكونه لم يحضر حروب المسلمين وليس له سابقة بعدل ولا غيره!!

يقول حامد حفني داوود وهو من أهل السنّة «ولا غبار على الشيعة أن يتعصبوا للأحاديث المروية عن الإمام علي ومن ورثه من بيت النبوة للذي عرف به من فضائل كثيرة لا مجال لإفرادها بالحديث في هذا المقام. بل وإن المفاضلة بين الراشدين لا تزال موضع جدال بين علماء الأمة إذا استثنينا من قهرهم السياسة. ومما سمعناه أن مالكا كان لا يرى مجالا للمفاضلة بينهم، أي أنه كان لا يرى تفضيل أحدهم على الآخر، وأن ترتيبهم الوارد في الحكم الإسلامي إنما هو ترتيب تاريخي زمني فقط. وقريب من هذا ما سمع عن الشافعي فقد كان يرى أن الأحاديث الواردة في فضائل علي أكثر من غيره من الراشدين. فالمفاضلة الواردة على أساس الترتيب التاريخي غير مقطوع بها عند السنة»[٢].

---

(١) اختلاف الحديث – الإمام الشافعي – ص ٥٠٧.

(٢) نظرات في الكتب الخالدة – حامد حفني داود – ص ١٢٤.

وأما كون علي عليه السلام لم يستطع إكمال ما يسمّونها فتوحا فليس لنقص فيه كيف وهو صاحب الحروب وعلى كتفه قام الإسلام وبسيفه أينعت أوراقه؟

وإن كانت الفتوح توقفت بسبب نكث الزبير وطلحة لبيعتهم وإخراجهم زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وتشجيعهم للباطل بغيا وعدوانا وبغي معاوية اللصيق الطليق فلم يكون اللوم على علي؟! لولا النصب!.

ولا اعلم كيف تكون الأخبار النبوية صادقة في كون الخلافة للثلاثة ثم يكون هذا لا يقدح بكون علي خليفة راشداً مهديا؟!

وقد أجاد الدكتور حسن بن فرحان المالكي [(١)] في بحثه حول روايات بيعة علي التي مع وجودها عندهم يهملونها لكونها تخالف التثليث[(٢)]! فقال:

أما الروايات التي فيها أن بعض الصحابة لم يبايع عليا فكلها روايات ضعيفة بلا استثناء وهي كالتالي:

رواية الزهري: له روايتان رواهما الطبري.

روايتان لسيف بن عمر: الطبري.

رواية أبي المليح: رواها الطبري.

رواية عبد الله بن الحسن: رواها الطبري.

---

(١) نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي – حسن بن فرحان المالكي – ص ١٢٥ – ١٢٦.

(٢) التثليث عقيدة ضاربة الجذور في التاريخ فهي عند الهندوس والبوذيين والنصارى وقد تكون دخلت الى بعض أذهان المسلمين السنّة مع دخول بعض النصارى في الإسلام كتميم الداري وغيره.

رواية سعد بن أبي وقاص: رواها الطبري وهذه الروايات كلها ضعيفة بلا استثناء ولا أستطيع الإطالة في بحث أسانيدها ومتونها لكن ليرجع إليها من شاء ومن وجد رواية صحيحة في هذا الباب فليتحفنا بها مشكورا.

كما أن هناك روايات ضعيفة في بيعة طلحة والزبير مكرهين وهي روايات عاصم بن كليب الجرمي – التي من طريق مصعب بن سلام الجمحي – أما رواية عاصم التي من طريق أبي أسامة فهي صحيحة وليس فيها (بيعة طلحة والزبير مكرهين) !! وكذلك رواية أبي نضرة ورواية إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ورواية الوليد بن عبد الملك (انظر مصادر هذه الروايات في الطبري والمصنف لابن أبي شيبة».

فالذين ثلّثوا أرادوا إبقاء الثلاثة بلا إضافة رابع! لكنهم اضطرّوا لذلك فروايات (فضائل) الإمام عليه السلام كانت كثيرة صحيحة تأبى الأفول والاختفاء فاضطرّوا لإضافته رابعا!

وما قاله ابن تيمية من كون روايات خلافة الثلاثة – مع كونها موضوعة– فأنت تجدها صحيحة على موازينهم، فتجد مثلا رواية ابن عمر «كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أبو بكر وعمر وعثمان»[١].

ورواية ابن حبان في صحيحه عن النبي عليه الصلاة والسلام «ارحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان واقرؤوها لكتاب الله أبي بن كعب وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ألا وان لكل أمة أمينا الا وان امين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[٢].

(١) سنن الترمذي – الترمذي – ج ٥ – ص ٢٩٢.

(٢) صحيح ابن حبان – ابن حبان – ج ١٦ – ص ٢٣٨.

ورووا عن النبي عليه الصلاة والسلام «أخلائي من هذه الأمة ثلاثة أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح»[1].

وفي كل هذه الروايات ليس هناك مكان لعلي عليه السلام! فإذا ضممنا لهذا ما قاله ابن تيمية عن الطعن بحديث سفينة- والذي يتكلم عن خلافة تدوم لثلاثين عاما- وإذا ضممنا لذلك قول ابن تيمية سالف الذكر بأن أمصار الإسلام الخمسة لم تأخذ العلم عن علي، وكذلك كون مشاركته في الحروب كغيره، فسيطرح سؤال مهم وهو: لم قلتم أن عليا كان الخليفة الرابع لو كان كما تقولون رجلا كباقي الرجال؟!

---

(١) مسند ابن الجعد – علي بن الجعد بن عبيد – ص ٣٧١.

معاوية لم يؤذِ النبي قبل الإسلام

قال ابن تيمية «ومعاوية لم يعرف عنه قبل الإسلام أذى للنبي صلى الله عليه وسلم لا بيد ولا بلسان فإذا كان من هو أعظم معاداة للنبي صلى الله عليه وسلم من معاوية قد حسن إسلامه وصار ممن يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فما المانع أن يكون معاوية رضي الله عنه كذلك».

الجواب:

إن المانع هو عدم حصول ذلك أصلا، فقد يكون غيره قد اسلم قلبه للإسلام لما رأى انقياد الناس له وأما معاوية فقد قال فيه النبي أخبارا تنبيء عن كونه لم يُسلم وهذه الأخبار صحَّحها الشيعة وبعض المعتزلة وبعض أهل السنة كما نقلنا. إضافة لمعتقد بعض الصحابة كعلي عليه السلام الذي كان يقنت باللعن عليه في الصلاة وكعمار الذي كان يقول عن معاوية وعمرو بن العاص: هم لم يسلموا ولكن استسلموا!

فالشيعة تجعله منافقا لم يسلم وهو على دين أبيه أبا سفيان، وأما المعتزلة (وهم من أهل السنة) فمعروف اعتقادهم السييء في معاوية وكونه على النفاق، وأما باقي المسلمين فما بين ساكت عنه وبين شائن وحاكم عليه بالنفاق وبين موال له، وهذا حال المسلمين فيه!

قال ابن تيمية «وكان من أحسن الناس سيرة في ولايته وهو ممن حسن إسلامه ولولا محاربته لعلي رضي الله عنه وتوليه الملك لم يذكره أحد إلا بخير كما لم يذكر أمثاله الا بخير وهؤلاء مسلمة الفتح معاوية ونحوه قد شهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم عدة غزوات كغزاة حنين والطائف وتبوك فله من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله ما لأمثاله»[(١)].

قلت:

كيف يكون أحسن الناس في ولايته وقد ابتدع نظام الوصاية وأسس ملك الجبابرة، وسيأتيك من النصوص ما تُعرف به حاله الفاسدة.

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٣٠٨.

ابن تيمية: علي هو من بدأ قتال معاوية

قال ابن تيمية «إذا تبين هذا فيقال قول الرافضة من أفسد الأقوال وأشدها تناقضا فإنهم يعظّمون الأمر على من قاتل عليا ويمدحون من قتل عثمان مع أن الذم والإثم لمن قتل عثمان أعظم من الذم والإثم لمن قاتل عليا فإن عثمان كان خليفة اجتمع الناس عليه ولم يقتل مسلما وقد قاتلوه لينخلع من الأمر فكان عذره في أن يستمر على ولايته أعظم من عذر علي في طلبه لطاعتهم له وصبر عثمان حتى قتل مظلوما شهيدا من غير أن يدفع عن نفسه وعلي بدأ بالقتال أصحاب معاوية ولم يكونوا يقاتلونه ولكن امتنعوا من بيعته فإن جاز قتال من امتنع عن بيعة الإمام الذي بايعه نصف المسلمين أو أكثرهم أو نحو ذلك فقتال من قاتل وقتل الإمام الذي أجمع المسلمون على بيعته أولى بالجواز»[1].

الجواب:

إن الشرعية تدور مدار الحق والحق في الثورة على عثمان كان مع الرعية الذين استأثر عثمان بحقهم فذاقوا ذرعا بظلمه فأرادوه أن يتنازل عن الحكم لانخرام شروط الإمامة عندهم منه فلم يقبل فقتلوه.

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج ٢ - ص٣١٨.

وأما قوله «فإن عثمان كان خليفة اجتمع الناس عليه».

فلو اجتمع الناس عليه فمن الذي قتله؟! ولو كان أهل المدينة وهم جلهم من الصحابة فكيف قعدوا عن نصرته والمفروض ان قتله من المنكر وواجب عليهم النهي عن المنكر! والناس تتعلم الدين منهم – على ما يقول ابن تيمية– وإلاّ فتنطبق عليهم الآية القرآنية:

﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف:٣).

ولو قد رضوا بقتله لصاروا شركاء في القتل، فكيف قتل بين ظهرانيهم إذا كانوا لا يريدون قتله، قال الرازي «عن الشعبي أن رجلا ذكر عنده عثمان رضي الله عنه وحسّن قتله، فقال الشعبي: صرت شريكا في دمه، ثم قرأ الشعبي:

﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ (آل عمران: من الآية١٨٣).

فنسب لهؤلاء قتلهم وكان بينهما قريب من سبعمائة سنة»[(١)].

لذا يظهر أن قتله كان بيد البعض لكن بتحريض من بعض آخر وبضوء أخضر من الصحابة وأهل المدينة، وقد جاء هذا المعنى بأشعار بني أميّة، قال ابن عساكر في عبد الله بن سعد بن أبي سرح «كان عبد الله بن سعد أخا عثمان بن عفان من الرضاعة واستعمله عثمان على مصر وهو الذي فتح أفريقية وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتله فاستأمن له عثمان فأمنه وقال في حصار عثمان:

أرى الأمر لا يزداد إلا تفاقما   وأنصارنا بالمكّتين قليل

(١) تفسير الرازي – الرازي – ج ٩ – ص ١١٩.

وأسـلمنا أهـل المدينــة والهـوى　　　هوى أهل مصر والذليل ذليل» [(١)]

فكيف أجمع عليه الناس وأغلبهم أراد التخلّص منه بطريقة او بأخرى!

وأين هذا من أصحاب الدنيا الذين خرجوا على إمام زمانهم بلا جرم وذنب فعله، بل هم يعلمون انه الحق والحق هو، ومع ذلك أزهقوا ألوف النفوس في طلب الدنيا ولم يقاتلهم الإمام حتى بدأوه واظهروا في الأرض الفساد. وهذا ما تناقله المؤرخون السنة قبل الشيعة، قال ابن عساكر[(٢)] «قرأت في كتاب أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار حدثنا أبو جعفر محمد بن منصور الربعي وذكر له إسنادا شاميا هكذا قال ابن عمار في الخبر وذكر حديثا فيه طول لحسان بن ثابت والنعمان بن بشير وكعب ابن مالك فذكرت ما كان لكعب فيه قال:

لما بويع علي بن أبي طالب بلغه عن حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وكانوا عثمانية أنهم يقدمون بني أمية على بني هاشم ويقولون الشام خير من المدينة واتصل بهم أن ذلك قد بلغه فدخلوا عليه فقال له كعب بن مالك: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن عثمان أقتل ظالما فنقول بقولك أو قتل مظلوما فنقول بقولك ونكلك إلى الشبهة والعجب من ثبتنا وشكك وقد زعمت العرب أن عندك علم ما اختلفنا فيه فهاته لنعرف ثم قال:

كـف يديـه ثـم أغلـق بابـه　　　وأيقـن أن الله لـيس بغافـل

وقـال لمـن في داره لا تقـاتلوا　　　عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل

---

(١) تاريخ مدينة دمشق – ابن عساكر – ج ٢٩ – ص ٢٥

(٢) تاريخ مدينة دمشق – ابن عساكر – ج ٥٠ – ص ١٧٧ – ١٧٨

فكيف رأيت الله صب عليهم العداوة والبغضاء التواصل

وكيف رأيت الخير أدبر عنهم وولى كإدبار النعام الجوافل

فقال لهم علي: لكم عندي ثلاثة أشياء: استأثر عثمان وأساء الأثرة، وجزعتم وأسأتم الجزع وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة، فقالوا: لا ترضى بهذا العرب ولا تعذرنا به، فقال علي: أتردَّ علي بين ظهراني المسلمين بلا نية صادقة ولا حجة واضحة اخرجوا فلا تجاوروني في بلد أنا فيه أبدا، فخرجوا من يومهم فساروا حتى أتوا معاوية فقال لهم لكم الكفاية أو الولاية فأعطى حسان بن ثابت ألف دينار وكعب بن مالك ألف دينار وولى النعمان بن بشير حمص ثم نقله إلى الكوفة بعد!».

وهذا هو الدين عند الأمويين ومن يلحس قصاعهم! كفاية وولاية، ولو كان معاوية لديه ورع لقال: انا أمير مؤتمن على بيت المال حتى نرى الخليفة الشرعي، ولم يعط درهما واحداً.

وأما قوله «مع أن الذم والإثم لمن قتل عثمان أعظم من الذم والإثم لمن قاتل عليا فإن عثمان كان خليفة اجتمع الناس عليه ولم يقتل مسلما وقد قاتلوه لينخلع من الأمر فكان عذره في أن يستمر على ولايته أعظم من عذر علي في طلبه لطاعتهم له».

فهو كلام باطل، يقول من هو مع الحق والحق معه في أمر عثمان[1] «أمرت به لكنت قاتلا. أو نهيت عنه لكنت ناصرا غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه. ومن خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير مني وأنا

(١) نهج البلاغة ـ خطب الإمام علي عليه السلام ـ ج ١ ـ ص ٧٥ – ٧٦.

جامع لكم أمره: استأثر فأساء الأثرة. وجزعتم فأسأتم الجزع ولله حكم واقع في المستأثر والجازع».

فالإمام لم يقتله لكونه لم يأمر بذلك ولم ينصره لكونه لم ينه عن الثورة عليه لكن الذي خذله خير من الذي نصره!

وقول ابن تيمية «وصبر عثمان حتى قتل مظلوما شهيدا من غير أن يدفع عن نفسه» من الكذب، كيف وقد ابتدأ القتال من أصحاب عثمان وهم بطانة السوء التي أودت به، مروان ابن الزرقاء وأصحابه، قال ابن الاثير وهو يروي ما حصل ايام حصار عثمان في داره «ولما رأى المصريون أن أهل الموسم يريدون قصدهم وأن يجمعوا ذلك إلى حجهم مع ما بلغهم من مسير أهل الأمصار قالوا لا يخرجنا من هذا الأمر الذي وقعنا فيه إلا قتل هذا الرجل فيشتغل الناس عنا بذلك، فراموا الباب فمنعهم الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء الصحابة واجتلدوا فزجرهم عثمان وقال أنتم في حل من نصرتي فأبوا، ففتح الباب لمنعهم فلما خرج ورآه المصريون رجعوا فركبهم هؤلاء وأقسم عثمان على أصحابه ليدخلن فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين، فقام رجل من أسلم يقال له نيار بن عياض وكان من الصحابة فنادى عثمان فبينا هو يناشده أن يعتزلهم إذ رماه كثير بن الصلت الكندي بسهم فقتله. فقالوا لعثمان عند ذلك ادفع إلينا قاتله لنقتله به قال لم أكن لأقتل رجلا نصرني وأنتم تريدون قتلي فلما رأوا ذلك ثاروا إلى الباب فلم يمنعهم أحد منه»[1].

فهذا أحد أصحاب عثمان (كثير بن الصلت)[2] يقتل صحابياً من الثائرين،

---

(١) الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ج ٣ - ص ١٧٤ — ١٧٥.

(٢) اختلفوا فيه صحابي أم تابعي كالعادة في المقربين من معاوية من التابعين! ويظهر أن الرجل كان ←

وبسببه ثار الناس على عثمان فقتلوه لكونه منع تسليم مجرم للقصاص!.

ثم انتبه لما يورده ابن تيمية على لسان المخالفين لعلي عليه السلام فتارة يقول: فإن قلتم قالت لكم النواصب! وتارة يقول: فإن قلتم قالت لكم أصحاب معاوية، وما وجدته ان النواصب لم تضع تأليفا في ذلك حتى يعلم ابن تيمية مقالتهم ولم تكن لهم فرقة خاصة تعرف! بل ان ما نسميهم نحن بالنواصب هم أهل الشام الذين يمدحهم معاوية في كتبه كلها، بالتالي فهذه الحجج من لبنات فكره المريض، ومن وسوسات قلبه النابض بحب بني أميّة وحقا قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني. ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني. وذلك أنه قضى فانقضى على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وآله أنه قال: " يا علي لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق»[1].

جلّادا بين يدي عمر بن الخطاب ومن زبانية السلطات فهو لا يروي إلّا عن أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت / الاستذكار- ابن عبد البر-ج٧-ص٢٠٩/ الاستيعاب- ج٣-ص١٣٠٨.

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٤ - ص ١٣.

ابن تيمية: ما نُقم على علي أكبر مما نُقم على عثمان

قال ابن تيمية «وإن قيل إن عثمان فعل أشياء أنكروها قيل تلك الأشياء لم تبح خلعه ولا قتله وإن أباحت خلعه وقتله كان ما نقموه على علي أولى أن يبيح ترك مبايعته فإنهم إن ادعوا على عثمان نوعا من المحاباة لبني أمية فقد ادعوا على علي تحاملا عليهم وتركا لإنصافهم وأنه بادر بعزل معاوية ولم يكن ليستحق العزل فإن النبي صلى الله عليه وسلم ولّى أباه أبا سفيان على نجران ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أمير عليها وكان كثير من أمراء النبي صلى الله عليه وسلم على الأعمال من بني أمية فإنه استعمل على مكة عتّاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية واستعمل خالد بن سعيد بن العاص بن أمية على صدقات مذحج وصنعاء اليمن ولم يزل عليها حتى مات النبي صلى الله عليه وسلم واستعمل عمرو على تيماء وخيبر وقرى عرينة وأبان بن سعيد بن العاص استعمله أيضا على البحرين برها وبحرها حين عزل العلاء بن الحضرمي فلم يزل عليها حتى مات النبي صلى الله عليه وسلم وأرسله قبل ذلك أميرا على سرايا منها سرية إلى نجد وولّاه عمر رضي الله عنه ولا يُتّهم لا في دينه ولا في سياسته وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم

ويبغضونكم وتلعنوهم ويلعنونكم) قالوا ومعاوية كانت رعيته تحبه وهو يحبهم ويصلون عليه وهو يصلي عليهم وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم قال مالك بن يخامر سمعت معاذا يقول وهم بالشام قالوا وهؤلاء كانوا عسكر معاوية»[1].

الجواب:

ما نقموه على عثمان يستحق خلعه وما ادّعوه على علي باطل إجماعا ما عدا النواصب، أما معاوية فقدت ورد بحقه نصوص صحيحة من النبي بقتله إن رؤي على المنبر ونفاقه وظلمه وسيرته الملوكية غير الشرعية. وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «خيار أئمتكم الذين تحبوهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضوهم ويبغضونكم وتلعنوهم ويلعنونكم»[2] والحديث أولى أن يثبت على عثمان فالذي خرج عليه هم عامة المسلمين منهم أهل الكوفة ومصر ومساندة أهل المدينة ومناصرهم الثوار عليه بينما معاوية لا يحبه غير أهل الشام لكونه يسير بهم سيرة ظالمة يكرم أعيانهم فينقاد اليه جهّالهم وهذه سيرة جاهلية. وهي الظلم بعينه وليس مقياس الحق أن يحبك الناس وأنت في عصيان الله بل لو أبغضك الناس وأنت في طاعة الله لكان هو الخير.

أما «عسكر معاوية» الظاهرين على الحق! فإن النبي سماهم بالقاسطين والبغاة وابن تيمية يسميهم ظاهرين على الحق!! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١)منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية- ج ٢- ص٣١٨.

(٢) صحيح مسلم - ج٦ - ص٢٤.

لا فرق بين قتال علي وقتال معاوية

قال ابن تيمية «وأما قوله (إن معاوية قتل جمعا كثيرا من خيار الصحابة) فيقال الذين قتلوا قتلوا من الطائفتين قَتل هؤلاء من هؤلاء وهؤلاء من هؤلاء وأكثر الذين كانوا يختارون القتال من الطائفتين لم يكونوا يطيعون لا عليا ولا معاوية وكان علي ومعاوية رضي الله عنهما أطلب لكفِّ الدماء من أكثر المقتتلين لكن غُلبا فيما وقع والفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها وكان في العسكرين مثل الأشتر النخعي وهاشم بن عتبة المرقال وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وأبي الأعور السلمي ونحوهم من المحرِّضين على القتال قوم ينتصرون لعثمان غاية الانتصار وقوم ينفرون عنه وقوم ينتصرون لعلي وقوم ينفرون عنه ثم قتال أصحاب معاوية معه لم يكن لخصوص معاوية بل كان لأسباب أخرى وقتال مثل قتال الجاهلية لا تنضبط مقاصد أهله واعتقاداتهم كما قال الزهري (وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون فأجمعوا أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القران فإنه هدر أنزلوهم منزلة الجاهلية»[1].

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٣٢٢.

الجواب:

الفرق بين قتل علي لمن شهر السلاح بوجهه وبدأه القتال وبين قتل معاوية لمن خرج ليصد البغي عن الأمة، أنه إمام معصوم من الله على رأي الشيعة الصحيح المؤيد بالنصوص، وعلى رأي أهل السنّة فصاحب بيعة شرعية ممن بايع أبا بكر وعمر وعثمان والناس، خرج ليعيد الأمن فقوتل ممن وصفهم رسول الله بالقاسطين وممن حكم رسول الله بقتله على المنبر، أمّا قتل معاوية للمسلمين فلأجل الدنيا بدليل عدم اقتصاصه من قتلة عثمان بعد استتمام الأمر له.

قال ابن أبي شيبة الكوفي[1] «حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد قال: صلى بنا معاوية الجمعة بالنُخيلة في الضحى ثم خطبنا فقال: ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، وقد أعرف أنكم تفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون».

والحديث عن: ابو معاوية الضرير: كوفي ثقة، متقن والاعمش: ثقة، إمام زمانه وعمرو بن مرة: ثقة، ثبت، وسويد بن سعيد وذكره ابن حبان في الثقات، وبالتالي فالحديث صحيح بلا مغمز! ويثبت همّ الدنيا عند معاوية، وكونه قتل الألوف من أجل التسلّط أيكون هذا مقرونا بعلي عليه السلام؟! لا والله ولا حتى بنعله.

وعلى مقارنته بين صحابة علي وزبانية معاوية فأين مالك وهاشم في الفضل من عبد الرحمن والسلمي في الختل والغدر؟! أما قول الزهري ! فكيف لا يقول ذلك وهو الناصبي الجلد.

(١) المصنف – ابن أبي شيبة الكوفي – ج ٧ – ص ٢٥١.

ابن تيمية: لا تحمّلوا معاوية مسؤولية اللعن فهو حصل من الطائفتين!

قال ابن تيمية «وأما ما ذكره من لعن علي فإن التلاعن وقع من الطائفتين كما وقعت المحاربة وكان هؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم وهؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم وقيل إن كل طائفة كانت تقنت على الأخرى والقتال باليد أعظم من التلاعن باللسان وهذا كله سواء كان ذنبا أو اجتهادا مخطئا أو مصيبا فإن مغفرة الله ورحمته تتناول ذلك بالتوبة والحسنات الماحية والمصائب المكفرة وغير ذلك»[1].

الجواب:

أين لعن علي الذي ربط رسول الله صلى الله عليه وآله سبَّه بسبِّه ممن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتله ولو على المنبر؟!

وأين من يلعن ابن هند وابن النابغة في الصلاة وهم الذين اختلف أهل القبلة في إسلامهم ونفاقهم، وبين من يلعن سادة أهل الجنة ومنهم أمير المؤمنين

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية- ج٢ - ص٣٢٢.

وخير الناس بعد النبي عليه الصلاة والسلام، وعلى رأيهم رابع أفضل المسلمين من المهاجرين الأولين والسابقين للإسلام ومن لا تعد فضائله ومعه سيدا شباب أهل الجنة، كيف يكون هذا وهذا سواء؟!

أتراك لو لعن شيعي سلفياً أتقول: وقع اللعن من هذا ومن هذا، فالله يغفر لكم! لا والله بل ستنصر السلفيّ ظالما أو مظلوما فما بال أمير المؤمنين لا يُنصر وقد خرج لتقويم الاعوجاج، وإرجاع الأمور الى نصابها وهو إمام شرعي عندكم، بل حتى لا تنزلونه منزلة يزيد!! فأنتم تجدون الأعذار ليزيد في قتله الحسين بن علي عليه السلام، وتشككون في وقعة الحرّة، وقتله الصلحاء، ولعبه بالقرود وشربه الخمر! إلا نال أمير المؤمنين عليه السلام شيء من ورعكم المزعوم! أم أن التورع مقصور على من تعرّض للأمويين فقط.

علي قتل بعض الكفّار مثل غيره

قال ابن تيمية «وقوله (إن عليا قتل بسيفه) الكفار فلا ريب أنه لم يقتل إلا بعض الكفار وكذلك سائر المشهورين بالقتال من الصحابة كعمر والزبير وحمزة والمقداد وأبي طلحة والبراء بن مالك وغيرهم رضي الله عنهم ما منهم من أحد إلا قتل بسيفه طائفة من الكفار، والبراء بن مالك قتل مائة رجل مبارزة غير من شرك في دمه»[1].

الجواب:

وأين أبو بكر؟! على أن أسلوب ابن تيمية صار معروفا! فعمر لم يورد له المؤرخون غير انه قتل شخصا واحدا!! وحمزة والمقداد وطلحة والبراء والزبير لهم فضلهم ولكن أين من فضل علي في الجهاد!!

وأما البراء بن مالك فقتْلِه لمئة رجل كان في معركة رامهرمز وقد طال الحصار لأشهر وكانوا يتبارزون يوميا! وأين ذلك ممن قتل في ساعة واحدة خمسة وثلاثين من رؤوس الكفر؟! في المعركة التي قال الله عنها:

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٣٢٧.

﴿ يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ (الأنفال: من الآية٤١).

ففرق ذلك اليوم بين المشركين وبين المسلمين بسيف النبي صلى الله عليه وآله وسيف علي عليه السلام، والمسلمين.

قال ابن تيمية «وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة) وقال (إن لكل نبي حواري وإن حواري الزبير) وكلا الحديثين في الصحيح وفي المغازي انه قال لعلي يوم أحد لما قال لفاطمة عن السيف اغسليه غير ذميم إن تكن أحسنت فقد أحسن فلان وفلان».

الجواب :

لاحظ انه عندما يأتي للصحابة فيقوم بتعداد فضائلهم، على زعمه! وعندما يأتي لعلي عليه السلام فهو يقوم بإيراد ما وضعه الأمويون مما يُفهم انه منقصة لعلي عليه السلام، وهذا الحديث لا ريب انه موضوع وإلا فما الربط بين قول علي عليه السلام عبارته وبين قول النبي عليه الصلاة والسلام الذي يفهم منه الرد على علي وعدم رضاه على عبارته؟! وهو - أي النبي عليه الصلاة والسلام- كان السباق دوما لتبيين فضل علي وعلوِّ مرتبته.

قال ابن تيمية :

وأما قوله (وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم علي سيف الله وسهم الله) فهذا الحديث لا يعرف في شيء من كتب الحديث ولا له إسناد معروف ومعناه باطل فإن عليا ليس هو وحده سيف الله وسهمه وهذه العبارة يقتضي ظاهرها الحصر»[1].

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٣٢٧.

الجواب:

حديث «علي سيف الله» رواه عدة من محدِّثي القوم ولم يحكم احد بوضعه قال المناوي [١] «فائدة: في تاريخ المدينة للسمهودي أن في فضل أهل البيت لابن المؤيد الحموي عن جابر: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض حيطان المدينة ويد علي في يده فمررنا بنخل فصاح النخل: هذا محمد سيد الأنبياء وهذا علي سيد الأولياء أبو الأئمة الطاهرين، ثم مررنا بنخل فصاح: هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا علي سيف الله، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: سمِّه الصيحاني، فسُمِّي به فهذا سبب تسميته اه. أقول: وهذا أقرّه السمهودي ويشم منه الوضع».

وقوله «يشم منه الوضع» تحكم بلا دليل مع إقرار السمهودي له ونقل ابن عساكر وأبو بكر الشافعي والقندوزي الحنفي[٢]. والظاهر أن أنوفهم لا تشم الوضع إلاّ عندما تذكر منزلة علي عليه السلام!.

وهم لا يتحرجون من تسمية خالد بسيف الله المسلول وظاهر العبارة انه انفرد بذلك ولا راد لذلك إنما لو قال النبي ذلك في علي فلا يجوز انفراده به!.

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير – المناوي – ج ٥ – ص ٢٩٣.

(٢) نظم درر السمطين – الزرندي الحنفي – ص ١٢٢ – ١٢٥.

عليٌ استحل دماء المسلمين!

قال ابن تيمية «ثم يقال لهؤلاء الرافضة لو قالت لكم النواصب: علي قد استحل دماء المسلمين وقاتلهم بغير أمر الله ورسوله على رياسته وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) وقال (ولا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) فيكون علي كافرا لذلك لم تكن حجتكم أقوى من حجتهم، لأن الأحاديث التي احتجوا بها صحيحة، وأيضا فيقولون: قتل النفوس فساد فمن قتل النفوس على طاعته كان مريدا للعلو في الأرض والفساد وهذا حال فرعون والله تعالى يقول: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) فمن أراد العلوَّ في الأرض والفساد لم يكن من أهل السعادة في الاخرة، وليس هذا كقتال الصديق للمرتدين ولمانعي الزكاة فإن الصديق إنما قاتلهم على طاعة الله ورسوله لا على طاعته فإن الزكاة فرض عليهم فقاتلهم على الإقرار بها وعلى أدائها، بخلاف من قاتل ليطاع، هو ولهذا قال للإمام احمد وأبو حنيفة وغيرهما من قال أنا أؤدي الزكاة ولا أعطيها للإمام لم يكن للإمام أن يقاتله وهذا فيه نزاع بين الفقهاء فمن يجوز القتال على ترك طاعة ولي الأمر جوز قتال هؤلاء وهو قول طائفة من الفقهاء ويحكى هذا عن الشافعي رحمه الله ومن لم يجوز القتال إلا على ترك طاعة الله ورسوله لا

على ترك طاعة شخص معين لم يجوز قتال هؤلاء.

وفي الجملة فالذين قاتلهم الصديق رضي الله عنه كانوا ممتنعين عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والإقرار بما جاء به فلهذا كانوا مرتدين بخلاف من أقر بذلك ولكن امتنع عن طاعة شخص معيَّن كمعاوية وأهل الشام فإن هؤلاء كانوا مقرِّين بجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وقالوا نحن نقوم بالواجبات من غير دخول في طاعة علي رضي الله عنه لما علينا في ذلك من الضرر فأين هؤلاء من هؤلاء»[1].

الجواب:

إن الرجل هنا ناصبي مجاهر بلا أي شك فانتبه لقوله «لأن الأحاديث التي احتجوا بها صحيحة» وهو يشير إلى احتجاج النواصب! أما (مانقله) عن النواصب فهو باطل على مذهبه ومذهبنا فعلي لم يكن مخالفا لله والرسول بقتال الباغين بل بأمره قاتلهم وقد مر ذلك في حديث كعب بن عُجرة فكيف يكون قول النواصب ندا لقول الموالي لعلي من الشيعة والسنة؟!

وأما قوله «فيقولون قتل النفوس فساد فمن قتل النفوس على طاعته كان مريدا للعلو في الأرض والفساد وهذا حال فرعون والله تعالى يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين فمن أراد العلو في الأرض والفساد لم يكن من أهل السعادة في الآخرة وليس هذا كقتال الصديق للمرتدين ولمانعي الزكاة فإن الصديق إنما قاتلهم على طاعة الله ورسوله لا على طاعته فإن الزكاة فرض عليهم فقاتلهم علىلا الإقرار بها وعلى أدائها

(١)منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية- ج٢ - ص٣٣٤.

بخلاف من قاتل ليطاع هو».

كيف يكون أبو بكر محقا وقد قاتل بلا نص من الله ولا رسوله بدليل اختلافه مع عمر؟! بينما قاتل علي عليه السلام بنصوص ربانيه ونبوية مشهورة ومعروفة وصحيحة وبالتالي لا يتوجه أي رأي لذلك سوى القلوب المريضة بالنفاق والنصب.

والرجل قد سقط في شر اعماله فانتبه الى أنه نقل القول المزعوم المفترض عن النواصب، ثم أردفه بتصحيح ما قالته (النواصب) المفترضة! ثم رسّخ ذلك بدفع دخل عن مقارنة فعل الإمام عليه السلام مع البغاة والناكثين بفعل أبي بكر مع (المرتدّين) ! فهو نقل القول المفترض الناصبي، ثم صحّح لهم الروايات، ثم نقض الدخل الشيعي المفترض بفعل أبي بكر، وبهذا فالرجل تبنّى ما (ينقله) عن النواصب بشكل واضح! والسر معروف، فهي آراؤه بكل بساطة!.

القتال في الجمل وصفّين قتال فتنة ليس فيه أمر من الله ورسوله!

قال ابن تيمية «وأعلم أن طائفة من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد جعلوا قتال مانعي الزكاة وقتال الخوارج جميعا من قتال البغاة وجعلوا قتال الجمل وصفِّين من هذا الباب، وهذا القول خطأ مخالف لقول الأئمة الكبار وهو خلاف نص مالك وأحمد وأبي حنيفة وغيرهم من أئمة السلف ومخالف للسنة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن الخوارج أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم واتفق على ذلك الصحابة، وأما القتال بالجمل وصفين فهو قتال فتنة وليس فيه أمر من الله ورسوله ولا إجماع من الصحابة وأما قتال مانعي الزكاة إذا كانوا ممتنعين عن أدائها بالكلية أو عن الإقرار بها فهو أعظم من قتال الخوارج»[1].

الجواب:

فعل الصحابي حجة عندهم! إلّا ما يفعله أمير المؤمنين فهو عند النواصب موضع نظر! فإذا كان التابعون قد خالفوه فقولهم أرجح ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٣٣٥.

وقوله «وأما القتال بالجمل وصفين فهو قتال فتنة وليس فيه أمر من الله ورسوله ولا إجماع من الصحابة».

فإن قصد بالفتنة الابتلاء والاختبار فهو حق، وإن قصد بالفتنة أن هذا القتال لا يعرف حقه من باطله فهو باطل ونصب لأهل البيت وشتم للصحابة الأجلاء، ومنهم البدريّون وأصحاب بيعة الشجرة وغيرهم.

وما قيمة إجماع الصحابة بوجود النصوص القرآنية والنبوية؟! وقد مرَّ كون معاوية لم يقاتل بتأويل ولا غيره بل للتمليك على المسلمين بنص صحيح وهو باغ بذلك على مباني القوم.

وقوله «وأما قتال مانعي الزكاة إذا كانوا ممتنعين عن أدائها بالكلية أو عن الإقرار بها فهو أعظم من قتال الخوارج».

فهذا رأي رآه أبو بكر فما الدليل عليه؟ إن ابن تيمية عجز عن الإتيان بدليل روائي فلم يبق غير القياس الباطل الذي لا دليل فيه.

وانتبه لتلبيسه بقوله «أو عن الإقرار بها» فإنكار وجوب الزكاة يقود للكفر وأما الإقرار بها والعصيان بعدم إخراجها يقود للفسق وأين الأول من الثاني؟! وإنما أراد الخلط حتى يكون الفاسق من مانعي الزكاة كافرا فيجوز لأبي بكر قتالهم كفارا!. قال المزني[1] «وقول عمر لأبي بكر رضي الله عنهما: أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله؟") وقول أبي بكر: هذا من حقها لو منعوني عناقا مما أعطوه النبي صلى الله عليه وسلم

(١) مختصر المزني – إسماعيل المزني – ص ٢٥٦.

لقاتلتهم عليها. معرفة منهما معا أن ممن قاتلوا – ممن أسموهم المرتدّين– من تمسك بالإسلام ولولا ذلك لما شك عمر في قتالهم ولقال أبو بكر: قد تركوا لا إله إلا الله فصاروا مشركين وذلك بيّن في مخاطبتهم جيوش أبي بكر وأشعار من قال الشعر منهم فقال شاعرهم:

ألا أصبحينا قبل نائرة الفجر	لعل منايانا قريب وما ندري
أطعنا رسول الله ما كان بيننا	فيا عجبا ما بال ملك أبي بكر
فإن الذي سألوكم فمنعتم	لكالتمر أو أحلى إليهم من التمر
سنمنعهم ما كان فينا بقية	كرام على العزاء في ساعة العسر

وقالوا لأبي بكر رضي الله عنه: ما كفرنا بعد إيماننا ولكنا شححنا على أموالنا».

وهذا دليل أن أبا بكر قاتل قوما مسلمين بلا دليل سوى حب الرئاسة والتسلّط وهذا هو العلوُّ في الأرض.

قال ابن تيمية «وأهل صفِّين لم يبدأوا عليا بالقتال وأبو حنيفة وغيره لا يجوّزون قتال البغاة إلا أن يبدأوا الإمام بالقتال وكذلك أحمد وأبو حنيفة ومالك لا يجوزون قتال من قام بالواجب إذا كانت طائفة ممتنعة قالت لا نؤدي زكاتنا إلى فلان فيجب الفرق بين قتال المرتدين وقتال الخوارج المارقين، وأما قتال البغاة المذكورين في القران فنوع ثالث غير هذا وهذا فإن الله تعالى لم يأمر بقتال البغاة ابتداء بل أمر إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين بالإصلاح بينهما وليس هذا حكم المرتدين ولا حكم الخوارج.

والقتال يوم الجمل وصفين فيه نزاع هل هو من باب قتال البغاة المأمور به في

القران أو هو قتال فتنة القاعد فيه خير من القائم فالقاعدون من الصحابة وجمهور أهل الحديث والسنة وأئمة الفقهاء بعدهم يقولون: هو قتال فتنة، ليس هو قتال البغاة المأمور به في القران، فإن الله لم يأمر بقتال المؤمنين البغتة ابتداء لمجرد بغيهم بل إنما أمر إذا اقتتل المؤمنون بالإصلاح بينهم وقوله فإن بغت إحداهما على الأخرى ويعود الضمير فيه إلى الطائفتين المقتتلتين من المؤمنين لا يعود إلى طائفة مؤمنة لم تقاتل بالتقدير فإن بغت أحدى الطائفتين المؤمنتين المقتتلتين على الأخرى فقاتلوا الباغية حتى تفيء إلى أمر الله فمتى كانت طائفة باغية ولم تقاتل لم يكن في الآية أمر بقتالها»[1].

الجواب:

إن كلامه يشير الى أن عليا عليه السلام بدا القتال بينما رأي الأئمة انه لا يجوز! ذلك فهل عمل الصحابي علي عليه السلام حجة أم الذين جاؤوا بعده بمائة سنة ورأوا خلافه؟

فلو ثبت لدى ابن تيمية أن عليا بدأ القتال لكان الواجب اتّباعه لان عمل الصحابي حجّة فما بال عمل علي لا يصير حجّة من دون الصحابة؟! ولو خالفه أبو حنيفة وغيره وجب عطف رأي أبي حنيفة على فعل أمير المؤمنين عليه السلام لا العكس!.

والذي نقله المؤرخون إن أبا الأعور السلمي ذيل معاوية هو من بدأ القتال بأمر معاوية قال الطبري[2] وذَكَر إرسال علي لزياد بن النضر الكناني وشريح بن هانيء «وقد كانا حيث سرحهما من الكوفة أخذا على شاطيء الفرات من قبل البر

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢- ص٣٣٥.

(٢) تاريخ الطبري - الطبري - ج ٣ - ص ٥٦٤ — ٥٦٥.

مما يلي الكوفة حتى بلغا عانات فبلغهما أخذ علي على طريق الجزيرة وبلغهما أن معاوية قد أقبل من دمشق في جنود أهل الشام لاستقبال علي فقال: لا والله ما هذا لنا برأي أن نسير وبيننا وبين المسلمين وأمير المؤمنين هذا البحر وما لنا خير في أن نلقى جنود أهل الشام بقلّة من معنا منقطعين من العدد والمدد فذهبوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهل عانات، وحبسوا عنهم السفن فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت، ثم لحقوا عليا بقرية دون قرقيسياء وقد أرادوا أهل عانات فتحصّنوا وفرّوا ولما لحقت المقدمة عليا قال: مقدمتي تأتيني من ورائي؟!. فتقدم إليه زياد بن النضر الحارثي وشريح بن هانيء فأخبراه بالذي رأيا حين بلغهما من الأمر ما بلغهما فقال: سُدِّدْتما ثم مضى علي فلما عبر الفرات قدمهما أمامه نحو معاوية فلما انتهيا إلى سور الروم لقيهما أبو الأعور السلمي عمرو بن سفيان في جند من أهل الشام فأرسلا إلى علي إنا قد لقينا أبا الأعور السلمي في جند من أهل الشام وقد دعوناهم فلم يجبنا منهم أحد فمرنا بأمرك؟ فأرسل علي إلى الأشتر فقال: يا مالك إن زيادا وشريحا أرسلا إلي يعلماني أنهما لقيا أبا الأعور السلمي في جمع من أهل الشأم وأنبأني الرسول أنه تركهم متواقفين فالنجاء إلى أصحابك النجاء فإذا قدمت عليهم فأنت عليهم وإياك أن تبدأ القوم بقتال الا أن يبدأوك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع ولا يجرمنك شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرة بعد مرة واجعل على ميمنتك زيادا وعلى ميسرتك شريحا وقف من أصحابك وسطا ولا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب، ولا تباعد منهم بعد من يهاب البأس، حتى أقدم عليك فإني حثيث السير في أثرك إن شاء الله قال وكان الرسول الحارث بن جمهان الجعفي فكتب علي إلى زياد وشريح أما بعد فإني قد أمَّرت عليكما مالكا فاسمعا له وأطيعا فإنه ممن لا يخاف رهقه ولا سقاطه ولا بطؤه

عما الإسراع إليه أحزم ولا الإسراع إلى ما البطاء عنه أمثل وقد أمرته بمثل الذي كنت أمرتكما به ألا يبدأ القوم حتى يلقاهم فيدعوهم ويعذر إليهم وخرج الأشتر حتى قدم على القوم فاتبع ما أمره علي وكف عن القتال فلم يزالوا متواقفين حتى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور السلمي فثبتوا له واضطربوا ساعة..».

فانظر إلى أن علياً كان يؤكد على عدم بدءِ القتال حتى يبدأوهم وهذه سيرته مع الخارجين عليه في الجمل، يقول أمير المؤمنين عليه السلام عن عائشة وطلحة والزبير وأصحابهم والذين قتلوا أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في البصرة قبل ان يصل علي عليه السلام «فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها. فقتلوا طائفة صبرا، وطائفة غدرا. فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلا واحدا معتمدين لقتله بلا جرم جره، لحل لي قتل ذلك الجيش كله إذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا يد. دع ما أنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم»[1].

وأين هذا من اليسر في فتوى إراقة الدم عند القوم، روى الطبري[2] بسنده عن سهل بن سعد قال «لما أخذوا عثمان بن حنيف أرسلوا أبان بن عثمان إلى عائشة يستشيرونها في أمره، قالت: اقتلوه، فقالت لها امرأة: نشدتك بالله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم! قالت: ردّوا أبانا، فردّوه فقالت احبسوه ولا تقتلوه، قال: لو علمت أنك تدعينني لهذا لم أرجع، فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته فضربوه أربعين سوطا ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه».

(١) نهج البلاغة – خطب الإمام علي عليه السلام – ج ٢ – ص ٨٥ – ٨٦.

(٢) تاريخ الطبري – الطبري – ج ٣ – ص ٤٨٥.

فهل هكذا يفعل بالصحابة الأجلاّء[١]؟!

ومن هنا يتبين كذب ابن تيمية فهذا الطبري إمام المؤرخين ينقل بغي الخارجين على علي عليه السلام «ومن سلّ سيف البغي قتل به»[٢].

---

(١) جاء في كتاب أصول السنة لأحمد بن حنبل «ومن انتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او ابغضه بحدث كان منه أو ذكر مساوئه كان مبتدعا حتى يترحم عليهم جميعا» ص٦٨ عقّب الشارح وهو ربيع المدخلي بأسئلة افتراضية منها «السؤال الخامس: الذي يخوض في الفتنة التي حدثت في عهد الصحابة ما حكمه في الإسلام؟الجواب: مبتدع ضال: مخالف لأصول أهل السنة والجماعة». ولا اعرف ماذا يقولون عمّن نتف لحية صحابي وجعله أمردا بعدما شاب ماذا يقولون عنه؟ وأظن أنهم سيفصلون فإن كان الصحابي من أصحاب علي فلا مشكلة وإن كان من غيرهم ففيه ضلال وكفر! قال المدخلي هذا «ومن هنا من تقدير أهل السنة لهم قالوا: من انتقص من صحابيا واحدا فهو زنديق، انتقاصا فقط كيف بالسب والطعن والتكفير؟ ومن انتقص صحابيا فهو رافضي خبيث، هذا يا إخواننا حق وحماية أعراض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف وقد رضي الله عنهم، كيف وقد وعدهم بالجنة، كيف وقد زكاهم وأنزلهم هذه المنزلة العظيمة، عرفوا هذا المنزلة ويبقى الغثاء والجهلة والظلال والزنادقة يعادون هؤلاء». شرح أصول السنة – ربيع المدخلي– ص٦٩.

وأنت ترى أن انتقاص الصحابة عندهم مقتصر على الرافضة وأما من غير الرافضة إذا انتقص صحابيا او حتى قتله كما فعل ابن ملجم فهو مجتهد كما قال ابن حزم في محلاّه!

(٢) نهج البلاغة – خطب الإمام علي عليه السلام – ج ٤ – ص ٨١.

ابن تيمية: قاتل عثمان أعظم إثما من قاتل الحسين

قال ابن تيمية «وقاتل عثمان أعظم إثما من قاتل الحسين، فهذا الغلوّ الزائد يقابَل بغلوّ الناصبة الذين يزعمون أن الحسين كان خارجيا، وأنه كان يجوز قتله لقول النبي صلى الله عليه وسلم (من أتاكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان) رواه مسلم، وأهل السنة والجماعة يردّون غلو هؤلاء وهؤلاء ويقولون: إن الحسين قتل مظلوما شهيدا وإن الذين قتلوه كانوا ظالمين معتدين، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي يأمر فيها بقتال المفارق للجماعة لم تتناوله فإنه رضي الله عنه لم يفرق الجماعة ولم يقتل إلا وهو طالب للرجوع إلى بلده أو إلى الثغر أو إلى يزيد داخلا في الجماعة معرضا عن تفريق الأمة»[1].

الجواب:

قوله «وقاتل عثمان أعظم إثما من قاتل الحسين».

ما الدليل عليه ومن قتل الحسين قتل ريحانة النبي وابنه وسيد شباب أهل الجنة ومن بكى النبي لمقتله قبل مقتله!

---

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٢ - ص٣٣٧.

وقوله «وإن الذين قتلوه كانوا ظالمين معتدين وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي يأمر فيها بقتال المفارق للجماعة لم تتناوله فإنه رضي الله عنه لم يفرق الجماعة ولم يقتل إلا وهو طالب للرجوع إلى بلده أو إلى الثغر أو إلى يزيد داخلا في الجماعة معرضا عن تفريق الأمة» مرتبط بما قاله قبله «فهذا الغلو الزائد يقابل بغلو الناصبة الذين يزعمون أن الحسين كان خارجيا وأنه كان يجوز قتله لقول النبي صلى الله عليه وسلم من أتاكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان رواه مسلم» فهو يدسُّ السم في بعض العسل فهو يلقي الأحاديث التي تتبعها الناصبة ويثبت صحتها ليوحي للقاريء إن آراء الناصبة ليست شاذة بل لها أصل سنّي.. ثم نصه حول مفارقة الجماعة له مفهوم وهو: إن كان الحسين مفارقا للجماعة (التي يمثلها يزيد وبنو أمية» فتنطبق عليه الأحاديث التي رواها مسلم! أي على ما تقول الشيعة من أن الإمام الحسين عليه السلام خرج مقاتلا ليزيد آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر فإذا كان الحسين خارجا على هذا الرأي فقول الناصبة فيه حق بشهادة صحيح مسلم!!

وطاعة الجماعة المنحرفة التي دس رواياتها بنو أمية عن طريق مرتزقتهم معارضة بالقرآن، يقول تعالى:

﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ ﴾ (هود: ١١٣).

والجماعة جماعة الحق وليس الكثرة قال تعالى:

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (النحل: ١٢٠).

فكان إبراهيم أمة لكونه الموحد الوحيد في زمنه.

القادحون في علي غير مرتدِّين بخلاف القادحين بالثلاثة!

قال ابن تيمية «والذين قدحوا في علي رضي الله عنه وجعلوه كافرا وظالما ليس فيهم طائفة معروفة بالردَّة عن الإسلام، بخلاف الذين يمدحونه ويقدحون في الثلاثة كالغالية الذين يدعون إلاهيته من النُصيرية وغيرهم وكالإسماعيلية الملاحدة الذين هم شرٌّ من النُصيريه وكالغالية الذين يدعون نبوَّته فإن هؤلاء كفار مرتدون كفرهم بالله ورسوله ظاهر لا يخفى على عالم بدين الإسلام فمن اعتقد في بشر الإلهية أو اعتقد بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا أو أنه لم يكن نبيا بل كان علي هو النبي دونه وإنما غلط جبريل فهذه المقالات ونحوها مما يظهر كفر أهلها لمن يعرف الإسلام أدنى معرفة، بخلاف من يكفِّر عليا ويلعنه من الخوارج وممن قاتله ولعنه من أصحاب معاوية وبني مروان وغيرهم فإن هؤلاء كانوا مقرِّين بالإسلام وشرائعه يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجّون البيت العتيق ويحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله وليس فيهم كفر ظاهر بل شعائر الإسلام وشرائعه ظاهرة فيهم معظمة عندهم وهذا أمر يعرفه كل من عرف أحوال الإسلام فكيف يدعي مع هذا أن جميع المخالفين نزهوه دون الثلاثة»[1].

(١) منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية- ابن تيمية - ج٣- ص٤.

الجواب:

قوله «والذين قدحوا في علي رضي الله عنه وجعلوه كافرا وظالما ليس فيهم طائفة معروفة بالردّة عن الإسلام» كيف والخوارج المكفرة لعلي مارقة من الدين على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

قال البخاري(١) «قال ابن كثير بن سفيان عن أبيه عن ابن أبي نعم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال بعث علي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بذهيبة فقسمها بين الأربعة الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي وعيينة بن بدر الفزاري وزيد الطائي ثم أحد بنى نبهان وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بنى كلاب فغضبت قريش والأنصار قالوا: يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا قال: إنما أتألّفهم، فأقبل رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتِىء الجبين كث اللحية محلوق فقال اتق الله يا محمد فقال من يطع الله إذا عصيت أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني فسأله رجل قتله احسبه خالد بن الوليد فمنعه فلما ولى قال إن من ضئضيء هذا أو في عقب هذا قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلون أهل السلام ويدعون أهل الأوثان».

قال ابن حجر في شرح الحديث(٢) «(قوله يمرقون من الدين) في رواية سعيد بن مسروق من الإسلام وفيه رد على من أول الدين هنا بالطاعة وقال: أن المراد أنهم يخرجون من طاعة الإمام كما يخرج السهم من الرمية وهذه صفة الخوارج الذين كانوا لا يطيعون الخلفاء، والذي يظهر أن المراد بالدين الإسلام كما فسرته الرواية الأخرى وخرج الكلام مخرج الزجر وأنهم بفعلهم ذلك يخرجون من

(١) صحيح البخاري – البخاري – ج ٤ – ص ١٠٨.

(٢) فتح الباري – ابن حجر – ج ٨ – ص ٥٥.

الإسلام الكامل، وزاد سعيد بن مسروق في روايته يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان وهو مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات فوقع كما قال».

ومن تناقضات ابن تيمية قوله في الفتاوى الكبرى[1] «وفي الترمذي عن أبي أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخوارج: (أنهم كلاب أهل النار) وقرأ هذه الآية:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (آل عمران: ١٠٦).

قال الإمام أحمد بن حنبل صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه، وقد خرجها مسلم في صحيحه، وخرج البخاري طائفة منها قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يحقِّر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة) وفي رواية (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان). والخوارج هم أول من كَفّر المسلمين، يكفرون بالذنوب، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم، ويستحلون دمه وماله، وهذه حال أهل البدع يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها».

وقال[2] «كما استفاض في الصحاح وغيرها من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري وغيرهما عن النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ أنه ذكر الخوارج فقال: (يحقِّر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا عند اللّه لمن

(١) الفتاوى الكبرى– ابن تيمية – ج٤ – ص٣٣٤.

(٢) الفتاوى الكبرى – ابن تيمية – ج٤ – ص٢٦٢.

قتلهم يوم القيامة، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد).

وهؤلاء قاتلهم أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بأمر النبي صلى الله عليه وسلم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم في الحديث الصحيح: (تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق).»

فهو يقر هنا بحديث أنهم كلاب أهل النار فكيف لم يعرفوا بردّة؟!

ومن غريب تناقضاته دعواه في كتابه بأن قتال علي للطوائف الثلاث هو رأي رآه بينما يقرُّ هنا إن قتال الخوارج بأمر النبي! ودعواه في الكتاب بان عليا لم يكن معه صحابة بينما يقول هنا «وهؤلاء قاتلهم أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مع أمير المؤمنين على بن أبي طالب»! وحبل الكذب قصير.

وقوله «بخلاف الذين يمدحونه ويقدحون في الثلاثة كالغالية الذين يدعون إلاهيته من النصيرية وغيرهم وكالإسماعيلية الملاحدة الذين هم شر من النصيريه وكالغالية الذين يدعون نبوته فإن هؤلاء كفار مرتدون كفرهم بالله ورسوله ظاهر لا يخفى على عالم بدين الإسلام فمن اعتقد في بشر الإلهية أو اعتقد بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا أو أنه لم يكن نبيا بل كان علي هو النبي دونه وإنما غلط جبريل فهذه المقالات ونحوها مما يظهر كفر أهلها لمن يعرف الإسلام أدنى معرفة».

قلت:

ما الذي جاء بالنُصيرية والغالية ممن أخرجهم الشيعة من صفوفهم قبل غيرهم بينما الفرض أن السجال بين الاثني عشرية وأهل السنة الجواب واضح: انه يريد أن يسحب صفة الغلو التي عند هؤلاء على الاثني عشرية لأنه لا يجد فيهم مطعنا هنا!

فانتبه لكونه تكلّم اولا عن الخوارج وكونهم غير مرتدين ثم فرق بينهم وبين من قدح بالثلاثة ثم طبق مصطلح القادحين بالثلاثة على النصيريّة ليقول: إن القادحين بالثلاثة معروفون بالردّة وخروجهم عن الإسلام!

أما قوله «بخلاف من يكفر عليا ويلعنه من الخوارج وممن قاتله ولعنه من أصحاب معاوية وبني مروان وغيرهم فإن هؤلاء كانوا مقرّين بالإسلام وشرائعه، يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجّون البيت العتيق ويحرِّمون ما حرّم الله ورسوله وليس فيهم كفرٌ ظاهر بل شعائر الإسلام وشرائعه ظاهرة فيهم معظَّمة عندهم وهذا أمر يعرفه كل من عرف أحوال الإسلام فكيف يدعي مع هذا أن جميع المخالفين نزهوه دون الثلاثة».

قلت:

فإن الاثني عشرية مقرّون بكل ما اقرّ به هؤلاء فلم لا يجدون مكانا بينهم؟!

على أن إقرار هؤلاء كان ظاهرا بالإسلام وعملهم يخالف ما يدّعون، وإلّا فأين حرمة النفس التي حرّم الله وقد كانوا هم وأمراؤهم يقتلون على الشبهة والظنة؟ ويتخذون مال الله دولا وعباد الله خولا، حتى ختموا صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام بختم العبيد في واقعة الحرّة، وأباحوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله لعسكر الشام يسلبونها وينهبونها ويغتصبون المسلمات العفيفات وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام عن المدينة «المدينة حرم من كذا (عير) إلى كذا (ثور) لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[1].

(١) صحيح البخاري - البخاري - ج ٢ - ص ٢٢٠

وقد أمعن بنو امية في الإحداث في المدينة مع علمهم بكونها حرم النبي صلى الله عليه وآله بل قد مرّ علينا أن يزيدا كان يسميها (خبيثة) كيدا بالنبي عليه الصلاة والسلام الذي سمّاها (طيبة)!

ولكن... الخوارج المارقة يحجون ويصومون ويقرون بما اقر به بنو أمية بينما هم ملعونون عند المسلمين فما قيمة هذه الأمور لمن يسبَّ النبي؟! نعم، فمن سبّ علياً فقد سبّ النبي عليهما السلام، والخوارج وينسي أميّة يسبّون عليا عليه السلام، نقل الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة قول النبي صلى الله عليه وآله «من أحب عليا فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله عز وجل ومن أبغض عليا فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل».[١] وقد كان معاوية يسبُّ علياً عليه السلام وأمراؤه كذلك حتى أصبحت سنة امويّة[٢] يُتقرَّب بها للملوك.

قال الزرندي الحنفي[٣]: روي عن ابن عباس رضي الله عنه إنّه مرَّ على مجلس من مجالس قريش بعدما كُفَّ بصرُه وبعض أولاده يقوده فسمعهم يسبون علياً رضي الله عنه فقال: لقائده ما سمعتهم يا بني يقولون؟، قال: سَبّوا عليا رضي الله عنه، قال: ردَّني إليهم، فردَّه فلما وقف به عليهم قال: أيُّكم السابّ لله عز وجل؟ قالوا: سبحان الله من سبّ الله فقد كفر قال: فأيكم السابّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالوا: سبحان الله ومن سبَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد كفر، قال: فأيكم السابّ علي بن أبي طالب؟ قالوا: أما هذا

---

(١) سلسلة الاحاديث الصحيحة-الألباني- ج٣-ص٢٨٨.

(٢) راجع كتاب (معجم نواصب المحدثين) للمؤلف لتطلع على نماذج من عشرات الروايات الصحيحة في سب علي عليه السلام من قبل ملوك بني أمية.

(٣) نظم درر السمطين - الزرندي الحنفي - ص ١٠٥ — ١٠٦.

فقد كان، قال: فأنا أشهد بالله إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من سبَّ علياً فقد سبَّني، ومن سبنَّي فقد سبَّ الله عز وجل، ومن سبَّ الله أكبَّه الله على منخريه في النار، ثم ولّى عنهم فقال: لولده ما سمعتهم يقولون فقال: ما قالوا شيئا قال: فكيف رأيت وجوههم حين قلت لهم ما قلت قال:

نظروا إليك بأعين محمرّة نظر التيوس إلى شفار الجازر

فقال له زدني فداك أبوك فقال:

خزر العيون نواكس أبصارهم نظر الذليل إلى العزيز القاهر

قال زدني فداك أبوك قال: ما عندي مزيد فقال لكن عندي:

أحياؤهم عار على أمواتهم والميتون فضيحة للغابر.

وقد فتح باب السبّ معاوية الطليق إذ يروي مسلم القشيري(١) في صحيحه: عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال أمرَ معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبَّ أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن أسبَّه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له وقد خلّفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله خلَّفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبوة بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتطاولنا لها فقال ادعوا لي علياً فأُتى به أرمد، فبصق في عينه، ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية «فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم»

---

(١) صحيح مسلم - مسلم النيسابوري - ج ٧ - ص ١٢٠ - ١٢١.

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال اللهم هؤلاء أهلي»..

وقد مرّ علينا أن الخوارج المارقة كلاب أهل النار وقد أقرّ ابن حجر بتكفيرهم بحديث النبي صلى الله عليه وآله قال الشوكاني في كفر الخوارج ومروقهم من الدين «قلنا: وهذه الأخبار الواردة في حق هؤلاء تقتضي كفرهم ولو لم يعتقدوا تزكية من كفروه علما قطعيا، ولا ينجيهم اعتقاد الإسلام إجمالاً والعمل بالواجبات عن الحكم بكفرهم، كما لا ينجي الساجد للصنم ذلك»[(١)].

وقال أيضاً[(٢)] «وقد صرّح بالكفر القاضي أبو بكر بن العربي في شرح الترمذي فقال: الصحيح أنهم كفار لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: يمرقون من الدين ولقوله: لأقتلنهم قتل عاد. وفي لفظ: ثمود وكل منهما إنما هلك بالكفر. ولقوله: هم شر الخلق ولا يوصف بذلك إلا الكفار. ولقوله: إنهم أبغض الخلق إلى الله تعالى ولحكمهم على كل من خالف معتقدهم بالكفر والتخليد في النار فكانوا هم أحق بالاسم منهم».

وهذا هو القول الراجح عند أهل السنّة لولا الأموية الناصبية التي لم تشأ تكفيرهم بسبب سبهم عليا عليه السلام لكنها تكفّر الشيعة بسبب ما تدعيه من سبهم الصحابة!

ومن تدّبر في خصائص أمير المؤمنين عليه السلام لوجد ان النبي عليه الصلاة والسلام يكرر من سب عليا فقد سبني، وفي حديث: من أبغض عليا أبغضني، وفي حديث: من تولى عليا فقد تولاني: وفي حديث: حربه حربي وسلمه سلمي: وفي

(١) نيل الأوطار – الشوكاني – ج ٧ – ص ٣٥٢.

(٢) نيل الأوطار – الشوكاني – ج ٧ – ص ٣٥١.

حديث هو وليكم بعدي، وفي حديث: لحمه لحمي ودمه دمي، وفي حديث: من كنت وليه فعلي وليه، فكل هذه الأحاديث التي انفرد بها علي عليه السلام لا تشير الى (فضائل) كما يدّعون بل الى مقامات لها علاقة بالإمامة العظمى، خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، فخليفة النبي عليه الصلاة والسلام يجب أن يكون أشبه الناس به خُلُقا وعلما، وهذا ما أراد النبي عليه الصلاة والسلام إيصاله من خلال هذه الأحاديث الشريفة التي سمّوها: فضائل، ثم رووا لمعاوية وغيره (فضائلاً) أيضا ليقولوا: كلهم لديه فضائل! فحيّى الله الفضائل!.

المحتويات